ممالك

فرنسا وانكلترا وسويسرا

عمرانها ونظام حكومتها وحضارتها ومتاحفها

وسائر احوالها الاقتصادية والاجتماعية

من رحلة لصاحب الهلال في هذا العام

تمهيد

قضينا صيف هذا العام في اوربا بين فرنسا وانكلترا وسويسرا وتنقلنا في اهم مدائنها فزرنا مرسيليا وليون وباريس ولندن وكمبريدج ومنشستر واكسفورد وجنيف ولوزان وافيان . ودرسنا احوالها وتفقدنا متاحفها ومكاتبها وآثارها . وتوخينا النظر على الخصوص في ما يهمّ قراء العربية من احوال تلك المدنية التي اخذنا في تقليدها منذ قرن كامل ونحن نتخبط في اختيار ما يلائم احوالنا منها . وسننشر في ما يلي خلاصة ما بلغ اليه الامكان من ذلك الدرس

ونقتصر من ذلك على ما يهم القارىء الشرقي من حيث حاجته الى تحدي مدنية اولئك القوم في نهضته هذه . ونبين ما يحسن او يقبح من عوامل تلك المدنية بالنظر الى طبائعنا وعاداتنا واخلاقنا

ونغفل سياق الرحلة فلا نذكر رحيلنا او نزولنا وما لاقيناه او كابدناه في اثناء ذلك على ما جرت به عادة اهل الرحلة اذ ليس غرضنا ان يكون ما نكتبه دليلاً للراحلين في السفر والنزول ومعرفة الطرق والمسافات والاجور . وانما نريد ان ننقل للقارىء ما طبع في ذهننا باثناء هذه الرحلة بعد اعمال الفكرة في احوال تلك الامم . ولذلك نقسم الكلام الى ثلاثة اقسام باعتبار الممالك التي زرناها على ترتيب تلك الزيارة فنبدأ بفرنسا فانكلترا فسويسرا

اولاً – فرنسا

١ نظام حكومتها

تقلب نظام الحكومة الفرنساوية على اوجه شتى واستقر في ٤ سبتمبر سنة ١٨٧٠ على الجمهورية . وتثبت ذلك في ١٦ يوليو سنة ١٨٧٥ بقانون دستوري تعدل بعض التعديل بعد ذلك . وهو يقضي ان ترجع قوة التشريع الى مجلس الامة ومجلس الشيوخ وقوة التنفيذ الى رئيس الجمهورية والوزارة

وهم ينتخبون رئيس الجمهورية كل سبع سنوات بأغلبية الاصوات ولانتخابه يجتمع المجلسان المذكوران في الجمعية العمومية . وعليه تنفيذ ما يقررانه او يشرعانه . وهو يشكل الوزارة من المجلسين ويجوز ان يكون بعض الوزراء من غير اعضائهما . وهو يعين الموظفين الملكيين والعسكريين ويعقد المعاهدات مع الدول الاخرى . لكنه لا يقدر ان يعقد معاهدة تتعلق بمساحة ارض فرنسا او مستعمراتها الا بمصادقة القوة التشريعية . ولا يجوز له ان يعلن حرباً الا بموافقة المجلسين . وكل عمل من اعمال الوزارة يجب ان يمضيه رئيس الجمهورية مع احد الوزراء . ويستطيع هذا الرئيس بالاتفاق مع مجلس الشيوخ ان يحل مجلس النواب

والوزارات او النظارات ١٣ نظارة هي : الداخلية والمالية والاشغال العمومية والحربية والبحرية والحقانية والمستعمرات والمعارف العمومية والخارجية والتجارة والزراعة والعمال والاديان

وينتخب النواب لاربع سنوات بالتصويت العام وكل فرنساوي من غير الجند بلغ الحادية والعشرين من عمره له حق التصويت في الانتخاب بشرط ان يثبت اقامته ستة اشهر في البلد الذي يريد ان يصوت لنائبه . اما النائب فيجب ان يكون سنه ٢٥ سنة على الاقل . وعدد النواب الآن ٥٨٤ نائباً وعدد المنتخبين بين عشرة ملايين وسبعة ملايين . ومجلس الشيوخ مؤلف من ٣٠٠ عضو ينتخبون لتسع سنوات من اعيان الفرنساويين ولا يكون سن احدهم اقل من ٤٠ سنة . يتقاعد ثلثهم كل ثلاث سنين وينتخب غيرهم . وانتخاب الشيوخ منوط بلجنة مؤلفة من مندوبين عن مجالس البلدية في الولايات على نسبة عدد سكانها ومن النواب . فينتخبون ٢٢٥ شيخاً ينوبون عن الولايات يضاف اليهم ٧٥ شيخاً ينتخبون لطول الحياة باجماع المجلسين . ولا يجوز انتخاب احد من اعضاء الاسرة الملكية (المخلوعة) في احد المجلسين

الراتب واحد للنواب والشيوخ فيستولي النائب او الشيخ على ١٥ ٠٠٠ فرنك في السنة (نحو ٦٠٠ جنيه) واما رئيس المجلس فيأخذ فوق ذلك ٧٢ ٠٠٠ فرنك (نحو ٢ ٨٤٠ جنيهاً) للنفقات . ويسافر اعضاء المجلسين في السكك الحديدية بنفقات زهيدة . وراتب رئيس الجمهورية ٦٠٠ ٠٠٠ فرنك او نحو ٢٤ ٠٠٠ جنيه . ونحو هذا المبلغ للنفقات الرسمية

وعندهم مجلس الشورى انشأه نابوليون الاول ولا يزال باقياً برأسه ناظر الحقانية . وهو مؤلف من مستشارين قضائيين وعلماء في القضاء للنظر في ما تعرضه عليهم الحكومة واكثره يتعلق بالادارة ونحوها

٢ فرنسا

فرنسا قدوة للمالك المتقدمة في روح المدنية الحديثة واكثرهن احتكاكاً بالشرق الادنى . وكنا الى عهد غير بعيد لا نعرف سواها قدوة لنا في احوالنا الاجتماعية والادبية والسياسية والقضائية ولا نزال اكثر معرفة بها منا بسواها

مساحة مملكة فرنسا ٢٠٧ ٠٥٤ ميلا مربعاً وعدد سكانها ٣٩ ٣٧٦ ٠٠٠ نفس منهم نحو ٣٠ ٠٠٠ ٠٠٠ نفس من اهل الفلاحة والباقون من سكان المدن يتعاطون الصنائع والمهن والوظائف والمصالح . وفيها ستون مدينة سكان كل منها فوق ٣٥ ٠٠٠ نفس اكبرها باريس عدد سكانها ٢ ٨٤٦ ٩٨٦ ثم مارسيليا ٥١٧ ٤٩٧ فليون ٤٧٢ ١١٤ نفساً . ثم تأتي بوردو وليل وتولوز وغيرها الى روان وسكانها ٣٥ ٥١٦ نفساً

وفرنسا من اكبر ممالك اوربا ثروة نعني اهل فرنسا فانهم يعدون في مقدمة الامم من حيث الثروة الخصوصية . واختلف الباحثون في مجموع تلك الثروة فوجد المسيو دي فوفيل الباحث الاجتماعي ان فرنسا تقدر قيمتها على هذه الصورة :

جنيه	
٣٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠	ارض زراعية
٢ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠	ابنية
٢٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠	نقدية
٢ ٨٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠	ضمانات وتامينات
٤٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠	ادوات زراعة ومواشٍ ونحوها
٦٨٠ ٠٠٠ ٠٠٠	تملكات اخرى
٩ ٠٨٠ ٠٠٠ ٠٠٠	

وقدرها غيره بأكثر من ذلك فبلغ مجموعها في تقدير جوبو ٥٢٠ ٩ مليون جنيه . وبلغ دخل فرنسا السنوي في تقدير لروا بوليو ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ١ جنيه ثلاثة اخماسه من نتاج العمل الشخصي

وفي كل حال فان الفرنساويين مشهورون بالاقتصاد والاحتفاظ بالمال . والفقر المدقع عندهم اقل كثيراً مما في سائر الممالك الكبرى . وفرنسا كثيرة المعامل واسعة التجارة ولها في الصناعة الدقيقة القدح المعلى ولبضائعها شهرة طائرة في الجمال وسلامة الذوق وهي قدوة الامم المتمدنة في الازياء من الملابس وغيرها . وعاصمتها باريس مرجع امم الارض في كل ذلك مما هو مشهور لا يحتاج الى بيان . وسنعود اليه عند الكلام على الاحوال الاجتماعية

اما مالية الحكومة الفرنساوية فبلغ دخلها لسنة الماضية ٠٥٤ ٧٠٧ ١٧٠ جنيهاً منها ٥١ مليون جنيه دفعت عن الدين و٣٥ مليوناً للحربية و١٦ مليوناً للبحرية

٣ حالتها الاقتصادية

فرنسا ارض زراعية خصبة تزيد مساحة ما يزرع منها على ٠٠٠ ٠٠٠ ١٣٠ قصبة . واكثر حاصلاتها الحنطة والكرم والعلف والبطاطس . والخمور غلة كبرى بلغت قيمتها سنة ١٩١٠ نحو ٠٠٠ ٠٠٠ ٣٨ جنيه . وفيها من الماشية والحيوانات الاهلية كما يأتي :

عدد	
٣ ١٣٣ ٦٥٠	خيول
١٩٤ ٠٠٠	بغال
٣٦٣ ٠٠٠	حمير
١٤ ٢٣٤ ٠٠٠	ماشية من البقر ونحوها
١٧ ٤٥٠ ٠٠٠	« من الغنم
٧ ٢٠٢ ٠٠٠	خنازير
١ ٤٢٤ ٠٠٠	ماعز

اما الصناعة فالحرير له سوق رائجة عندهم وقد بلغ عدد المشتغلين في تربية دود القز سنة ١٩٠٨ نحو ٨٠٠ ١٢٣ عامل . ومقدار البزر الذي استولدوه ٠٠٠ ١٨٧ اوقية وبلغ محصولها ٢٩٩ ٤٠٩ ٨ كيلوغراماً من الشرانق

وفي فرنسا كثير من المناجم المعدنية تناهز ٦٠٠ منجم فيها ٢٣٠ ٠٠٠ عامل وفيهم النساء والاولاد . وبلغت غلة هذه المناجم نحو ٢٦ ٦٥٦ ٠٠٠ جنيه اكثرها من الفحم والحديد

وهي كثيرة المعامل على اختلاف انواعها اهمها معامل نسج القطن والصوف والحرير ومصانع الادوات الحديدية وادوات البناء وهاك اهم المعامل وعدد عمالها :

عدد العمال		عدد العمال	
١٦٧ ٢٠٠	معامل نسج القطن	٥٥٠ ٠٠٠	عملة ادوات البناء
١٧١ ٠٠٠	« « الصوف	١٥٦ ٠٠٠	معامل الدنتلا وتوابعها
١٢٣ ٠٠٠	« « الحرير	٩٣٨ ٠٠٠	« الملبوسات على انواعها
١٦٦ ٠٠٠	« اصنع الخزف	٧٠٤ ٠٠٠	للمصنوعات الخشبية
٥٧٠ ٠٠٠	للمصنوعات الحديدية	٣٣٤ ٠٠٠	« الجلدية

ومن اهم حاصلات فرنسا السكر فان له ٢٥١ معملاً وتبلغ غلته في العام نحو مليون طن . وكذلك الكحول فان غلته تزيد على ٤٥ مليون جالون . غير غلة الصابون ونحوها

اما التجارة : فلفرنسا شأن كبير فيها وقد بلغت قيمة صادراتها لسنة ١٩١٠ نحو ٢٢٠ مليون جنيه ووارداتها ٢٧٠ مليوناً

٤ حالتها العلمية

ان آداب اللغة الفرنساوية اشهر من ان تعرف . ولا يجهل بوصفها الا الجهلات لكثرة من نبغ فيها من العلماء والادباء والشعراء . وبكثرة ما فيها من الصحف والمجلات على اختلاف مواضيعها وقد اشرنا الى ذلك مراراً في الهلال . وانما نريد هنا حالها من حيث التعليم والمدارس

ان للحكومة الفرنساوية عناية كبرى في التعليم تنفق في سبيل ذلك الاموال الطائلة على يد نظارة المعارف . والمدارس عندها طبقات : مكاتب (كتاتيب) ومدارس ابتدائية وثانوية وعالية . فنكتفي بعد ذلك في التعليم العالي الذي يلقى في الجامعات الكبرى وفي الكليات الخاصة ونحوها . وهو حرٌّ مطلق بناء على قرارات رسمية صدر آخرها سنة ١٨٩٧ والجامعة عندهم تحتها كليات او مدارس تختلف اسماؤها باختلاف مواضيعها هاك اشهرها

١ مدارس الحقوق : هي ١٣ مدرسة في باريس وأكس وبوردو وكاين وديجون

وغرينوبل وليل وليون وموتبليه ونانسي وبواتيه ورين وطولوز

٢ مدارس الطب : هي سبع مدارس في باريس وموتبليه وبوردو وليل وليون وطولوز ونانسي

٣ كليات العلوم : هي ١٥ كلية في باريس وبزانسون وبوردو وكاين وكليرمون وديجون وغرينوبل وليل وليون ومارسيليا وموتبليه ونانسي وبواتيه ورين وطولوز

٤ كليات الآداب : هي ١٥ ايضاً في المدن التي تقدم ذكرها

غير المدارس التجهيزية او التي يراد بها التبحر في بعض العلوم الخاصة . اما عدد المتخرجين في هذه المدارس فهاك اجمالهم حسب المواضيع لسنة ١٩١٠

عدد التلامذة	
١٦٩١٥	في الحقوق
٨٠٢٩	« الطب
٦٢٨٧	« العلوم
٦٣٦٣	« الآداب
٣٤٥٠	« الصيدلة وغيرها
٤١٠٤٤	

وهذا العدد من طلاب العلوم العالية في الكليات الاميرية منه ٣٥٨٠٠ طالب من الفرنساويين و٥٢٤٤ من الاجانب . بينهم جميعاً ٣٨٣٠ من النساء ثلثاهن من الفرنساويين

وهناك مدارس عالية غير اميرية : منها في باريس الكلية الكاثوليكية لتعليم الحقوق والآداب العالية . ومدرسة التعليم الحر العالي . والكلية الحرة لتعليم العلوم السياسية . وفي انجرس مدارس للاهوت والحقوق والعلوم والآداب والزراعة . ومثل ذلك في ليون وليل ومرسيليا وطولوز . والمدارس الاميرية تمنح تلامذتها رتباً علمية هي (١) البكالوريا العلمية (٢) شهادة الحقوق (الليسانس) (٣) الدكتورية . وتمنح رتبة استاذ للتعليم الثانوي والعالي

وفي فرنسا غير ما تقدم من المدارس العالية مدارس كبرى تابعة لنظارة المعارف اشهرها :

١ كلية فرنسا Collège de France اسسها فرنسيس الاول سنة ١٥٣٠ وهي ارقى مدارس فرنسا على الاطلاق يعلم فيها ٥٠ فرعاً من اعلى طبقات العلم في

الآداب واللغات وعلم الآثار والرياضيات والطبيعيات والعقليات والاجتماعيات والسياسة والاقتصاد وغيرها

٢ معرض التاريخ الطبيعي : للتفقه في هذا العلم

٣ المدرسة العلمية للعلوم العالية في التاريخ والفيلولوجيا والرياضيات والعلوم الكيماوية البسيكولوجية . والعلوم الطبيعية والدينية الراقية . ومقر هذه المدرسة في السوربون بباريس وعلومها ١٨ فرعاً

٤ مدرسة المعلمين العليا : يتخرج فيها المعلمون للتعليم في المدارس الثانوية . واتبعت خطة السوربون بدون ان يكون لها اساتذة معينون

٥ مدرسة السجلات : لتعليم الخطوط القديمة والآثار ثمانية فروع

٦ مدرسة اللغات الشرقية الحية : بها ١٦ فرعاً من فروع اللغات الحية الشرقية

٧ مدرسة اللوفر : تعلم فن الآثار

٨ مدرسة الفنون الجميلة

٩ مدرسة الرصد بباريس

غير المدارس الفرنساوية خارج فرنسا كمدرسة الحقوق في القاهرة ومدرسة الطب في بيروت . فان منها في اثينا ورومية والهند الصينية وفي مراكش . ولفرنسا خارج باريس ثمانية مراصد

وغير التعليم الصناعي او الفني فانه واسع لكنه خارج عن دائرة نظارة المعارف اشهر مدارسه : مدرسة الصنائع والفنون في باريس (كونسيرفاتوار) تلقي عشرين علماً ليليا في العلم والاقتصاد السياسي . ومدارس اخرى للتجارة والصناعة تابعة لنظارة الزراعة وغيرها تابع لنظارة الحربية او المستعمرات أو غيرها مما يطول شرحه . وكلها في باريس ومثلها او اقل منها في خارجها مثل اكس وانجرس وشالون وكليني وليل وغيرها . وغير مدارس الموسيقى والخطابة ومدارس لتعليم الخدمة على الموائد وتربية الاطفال وغير ذلك

التعليم بمصر

والاطلاع على اسماء هذه المدارس يدل وحده على الفرق العظيم بين التعليم عندنا وفي تلك المملكة الراقية فقد ذكرنا عشرات من المدارس لا وجود لها عندنا ولم نذكر غير المدارس العالية . وقد اغفلنا المدارس الابتدائية والثانوية التي

عندنا مثلها . على ان مدارسنا هذه احط كثيراً من امثالها عند الفرنساويين والابتدائية منها اقل كثيراً من المدارس الابتدائية عندهم والمدارس الثانوية كذلك . وحامل البكالوريا المصرية اقل معرفة من حامل البكالوريا الفرنساوية . فالتعليم عندنا ضعيف جداً من كل وجه وسنفرد فصلاً خاصاً في هذا الموضوع . وانما يكفي في هذا المقام ان نبين تقاعد حكومتنا او اغتنائها عن التعليم . ولا يحتج علينا بصغر مصر بالنسبة الى فرنسا فان سكان مصر يناهزون ثلث سكان فرنسا ومع ذلك فالحكومة لا تنفق على التعليم عشر ما تنفقه فرنسا . ان ميزانية المعارف الفرنساوية ٠٠٠ ٥٥٧ ١١ جنيه فكم هي ميزانية حكومة مصر للمعارف ؟ انها نحو نصف مليون

وقد يحتجون بتقصير المالية المصرية عن المالية الفرنساوية لان الميزانية الفرنساوية ١٧٠ مليون جنيه والمصرية اقل من عشر هذا المبلغ فلا عجب اذا دفعت للمعارف عشر ما تدفعه فرنسا ولكن فرنسا تدفع من ماليتها اموالاً لا تدفع مصر شيئاً منها فالفرنساويون ينفقون على الحربية نحو ربع ميزانيتهم . واما مصر فربع ميزانيتها يكفي لنفقات كل نظاراتها وفرنسا تدفع نحو ثلث دخلها لوفاء الدين واما مصر فتدفع خمس دخلها فقط لهذا القرض ومع ذلك فهي تنفق على المعارف ٢٠/١ مما تنفقه فرنسا

وفي فرنسا جمعيات علمية (اكاذيميات) عديدة لكل فرع من فروع العلم اهمها الاكاذيمية العلمية او اكاذيمية العلوم . واكاذيمية العلوم والنقوش . واكاذيمية الفنون الجميلة . واكاذيمية العلوم الادبية والسياسية . واكاذيمية الطب وغيرها . وكل اكاذيمية مؤلفة من ٤٠ عضواً او اكثر ولكل منهم اختصاص بفرع من فروع العلم التي تبحث فيها . غير ما هنالك من المتاحف العلمية والصناعية والمدارس على اختلاف احوالها وغير الجمعيات المؤلفة لتنشيط العلم والادب او لحفظ حقوق المؤلفين والمترجمين ومراقبة سير العلوم من حيث الصحافة . وغيرها وغير المعارض والمتاحف فانها من ظواهر الرقي العلمي وسنأتي عليها

المراسح والتمثيل

ليس المراد ان نصف المراسح التمثيلية فان لدينا منها امثلة حسنة في مصر والاسكندرية وان كانت اقل مما في باريس فانها تشبهها حتى كثيراً ما تعرض فيها روايات فرنساوية يمثلها اجواق من باريس . لكننا رأينا على مراسح التمثيل في باريس وغيرها من المدائن الكبرى في فرنسا وسويسرا ضرباً من التمثيل الانتقادي يسمونه في اصطلاحهم Revue ويريدون به انتقاد العادات والاخلاق والآداب على المراسح

في شكل بين الجد والهزل يلذ للمشاهدين لانه يتعلق على الخصوص بالامور الجارية التي يتحدث بها الناس . وكثيراً ما ينتقدون الكتّاب اورجال السياسة على كتاب الفوه او رأي راوه . وقد شهدنا تمثيلاً من هذا النوع في باريس انتقدوا فيه حرية المرأة الباريسية على اسلوب مؤثر فتلوا عروساً عقد عليها لرجل وخرجت معه في الشارع فاصبحت كلما رات رجلاً تعرفه اورات ان تحبه ضمته وقبلته وزوجها يرى ذلك . فاذا اعترضها احتجت عليه بحرية المرأة بقولها « ان هذا العصرعصر حرية » . وانتقدوا عادة البراز انتقاداً يحقرها في عيون محبيها وانتقدوا مقالات كتبت في الاحوال الجارية بباريس .وشهدنا في تمثيل آخر في جنيف انتقاد المعاهدات الدولية والمجاملات السياسية ومثلوا في جملتها حرب الدولة العثمانية والايطاليان وغير ذلك . فهذا الاسلوب من التمثيل لا مثيل له عندنا لكنه مفيد ولذيذ

٥ مظاهر حضارتها

ارقى مدائن فرنسا بلا خلاف باريس ومع ذلك فالذاهب اليها من مصر لا يجد فيها ما يدهشه من حيث ظواهر المدينة الحديثة كالشوارع الواسعة والابنية الفخمة والانوار الكهربائية وازدحام الاقدام والبذخ في الاطعمة والتفنن في الازياء لان في مصرامثلة من ذلك لكنها في باريس اعظم واجل . ولا غرو فان حضارة مصر الحديثة صورة مصغرة من حضارة باريس . والمرحوم اسماعيل باشا صاحب الفضل الاكبر في تنظيم شوارع القاهرة وانشاء الابنية الفخمة فيها انما كان يفعل ذلك تقليداً لباريس وكان مفتوناً بالفرنساويين ومدنيتهم . وظل ذلك مستمراً بعده الى عهد قريب

فلا ينبغي لنا ان نطيل الكلام في وصف شوارع باريس الكبرى وسعتها وما يحف بها من المخازن وما يعرض في تلك المخازن من السلع الثمينة او ما يتلألأ في الليل من الانوار الكهربائية على اختلاف الوانها . ولا تعداد ضروب المركبات من العربات فالاوتوموبيل فالترامواي فالاوتوبيس فالامنيبس فالمتروبوليتان وغيره ــ فان هذه لها امثلة بين ظهرانينا لكنها عندهم اكثر عدداً والركاب اكثر ازدحاماً . وانما تمتاز عما في مصر وغيرها من مدائن الشرق ان السائق لا مطمع له في الراكب ولا سبيل الى طلب الزيادة عن حقه . لان المركبات الكبرى العمومية كالترامواي وغيره لها رسوم معينة كما في مصر . والمركبات الصغرى كالعربات والاوتوموبيل اصبحت كلها مقيدة بالعداد (تكسيمتر) وهذه الآلة تعين الاجرة اللازمة وتغني الناس عن النزاع

المركبات العامة

وقد استلفت نظرنا على الخصوص ان باريس مع تزاحم الاقدام فيها لا يتنازع الركاب في المسابقة الى الترامواي اوالاومنوبيس ولا يسمح لاحد بالوقوف بين الركاب اذا لم يكن له مجلس فارغ . ولا يجسر احد على الركوب الا في دوره . لا يختلفون في ذلك ولا سبيل الى الاختلاف لان عند كل موقف من مواقف هذه المركبات لوحاً معلقاً بعمود منصوب على الرصيف وعليه دفترصغيرالحجم اوراقه منمرة نمراً متسلسلة فالذي يسبق الى الموقف يقتطع النمرة الاولى ومن يأتي بعده يتناول النمرة التاليـة وهكذا . وقد يجتمع في الموقف عشرات من الناس وربما جاء القطر وليس فيه مكان الا لخمسة او ستة فلا يؤذن بالدخول الا لمن كانت عندهم النمر الاولى بقطع النظر عن احوالهم من الغنى او الفقر والوجاهة

ومثل هذه العادة في لندن عند تكاثر الركاب ساعة الظهر لركوب الترامواي . فقد جعلوا في المحطات التي يكثر التزاحم عندها موقفاً مستطيلاً لا يدخله الناس الا ازواجاً . اوله عند محطة القطر واخره في الشارع لا حدّ له . فالواصل الاول يقف قرب المحطة تماماً والذي يأتي بعده يقف وراءه وهكذا ازواجاً . وقد يتألف من الواقفين سلسلة طولها عشرات من الامتار وكل منهم ينتظر دوره بلا نزاع ولا خصام . ويفعلون نحو ذلك في كل ما تزاحم فيه الاقدام كالدخول الى المراسح او قطع تذاكرها . فالسابق يقف عند شباك التذاكر والذي يأتي بعده يقف وراءه وهكذا وقد تتألف من الواقفين سلسلة طويلة رأينا واحدة منها عند مرسح بمنشستر . والمرسح في بناء كبير قائم بنفسه راينا المنتظرين وقوفاً في سلسلة طويلة وقد يحيطون بالبناء من اربع جهاته اولهم عن يمين شباك التذاكر واخرهم عن يساره

ومما يحسن استطراده ويهمنا امره في هذا المقام ان قومساري الترامواي او غيره من المركبات العمومية لا يحتاجون الى مفتشين يتفقدون سيرهم خوفاً من السرقة كما هو حال الترامواي عندنا . وقد يكون لترامواي الفرنساوي او الانكليزي مفتشون ولكنهم لا يتفقدون المركبات الا نادراً . وقد ركبنا في تلك المركبات عشرات من المرات لم نشاهد فيها مفتشاً ولا لحظنا من القومساري مطمعاً في التذاكر كاستخدام التذكرة مرتين لراكبين او قبض الجعل بدون ان يعطي التذكرة ولا رقيب عليهم من الشركة . ولعل السبب في ذلك ان الشركة تدفع لهم الرواتب الكافية لمعاشهم فلا يرون حاجة الى السرقة . ولو ارادوا السرقة لا يجدون من الركاب من

توافقهم عليها كما يفعل كثيرون بيننا . حتى ان بعض ركاب الترامواي بمصر يحرض القومساري على سرقة الشركة بقوله « بلاش تذكرة » فيعطيه القرش ولا يأخذ التذكرة . وذلك ناتج عن ضعف في الاخلاق لا تراه عند اولئك

الاعلان

والتزاحم في العواصم الكبرى يسهل رواج السلع على طلاب الرزق . وقد يستغرب قوما بمصر او الشام كيف يعرض في اسواق باريس او لندن اشياء لا فائدة لها او لا تستحق الرواج . وانما السبب في ذلك كثرة الناس لان من يعرض سلعة في الشارع لا يمضي عليه ساعة حتى يمر به مئات من الناس فلا يخلو ان يكون فيهم من يقع اختياره على تلك السلعة فيشتريها ولو على سبيل التجربة . وانما يطلب من صاحب السلع ان يستلفت الاذهان الى بضاعته وهذا هو السبب في اهتمام الافرنج بالاعلان حتى ان احدهم اذا همّ بانشاء تجارة او صناعة اعدّ رأس مال الاعلان قبل رأس مال البضاعة . وقد تفننوا في ذلك فنوناً عجيبة فهم يعلنون في الجرائد وعلى اغلفة الكتب وعلى جدران المنازل واسطحتها وعلى الموائد واغلفة المسكوكات وفي مركبات الترامواي والاومنيبس والقطر الحديدية وفي محطاتها حتى الحقول فانك وانت راكب في القطر من مدينة الى اخرى يقع بصرك على عشرات ومئات من الواح قائمة على عمد مغروسة في الحقول ووجهها نحو ركاب القطر ليقرأوا عليها هذه الاعلانات التجارية او المعامل او المصنوعات ولاسيما المشروبات والحلويات وامثالها فان اصحابها من اكثر الناس انفاقاً على الاعلان . وانما يفوز منها من يستلفت الاذهان الى صناعته فضلاً عن اتقانها . ويقال ان اكثر المتاجر انفاقاً في فرنسا اصحاب معمل « شكولات مينيه » وحيثما توجهت في شوارع المدن او خطوط السكك الحديدية حتى المتاحف والمعارض ونحوها فانك تجد عليها اسم هذه الشكولاته واصحابها ينفقون مليوني فرنك سنوياً على الاعلان وارادوا مرة ان يقتصدوا فقلت مبيعاتهم فعادوا الى الانفاق

ومن اغرب طرق الاعلان عندهم انهم يكتبون اسم البضاعة على الحقول نفسها او على الجبال بغراس من الاعشاب بلون خاص يغرسونها على الرسم المطلوب كتابته فتنبت على ذلك الشكل . وقد تكون بعيدة عن الطرق والمنازل عدة كيلومترات فيراها الناس ويقرأونها واضحة . ومن اساليب الاعلان ان يذكر اسم السلعة او المشروب او غيره على المراسح او غيره في اثناء التمثيل على سبيل الاستشهاد او الانتقاد او غير ذلك ويدفع صاحب الاعلان على ذلك ثمناً

ومن اساليب الاعلان ان يعرض التاجر بضاعته ويكتب على كل صنف ثمنه . فهذا يسهل على الشاري الحكم في الابتياع او عدمه . لكن اصحاب البضائع التي فيها درجات متفاوتة باثمان متفاوتة يعلنون انهم يبيعون الاداة الفلانية بالثمن الفلاني ويذكرون ارخص سعر عندهم فيتوهم الشاري انه ثمن الصنف الجيد فيدخل للسؤال فيطلعونه على الاسعار ولا بد من ان يشتري

الازياء

ولاخلاف في ان باريس اسبق مدائن العالم الى حسن الصناعة ولطافة المصنوعات وهي التي ترسم للعالم الازياء التي يجب اتباعها وقد يكون لسواهم ازياء لكنها السابقة المتغلبة . ولاهلها مقدرة كبرى على توليد الازياء في الملابس وغيرها وهناك طائفة من اهل الذوق الصناعي انما يشتغلون بوضع الرسوم للازياء الجديدة يستعينون على ذلك بما في المتاحف الصناعية من الرسوم او المصنوعات القديمة فيركبون منها زياً جديداً يبالغون في تنقيحه وتهذيبه حتى يتم حسنه . ثم يعرض على اصحاب المعامل للنسج على منواله او اصحاب المتاجر لترويجه .

وللفرنساويين مهارة خاصة في زخرفة واتقان الظاهر بغير التفات الى متانة ما يصنعونه وطول بقائه بخلاف الانكليز فانهم انما يهتمون بمتانة ما يصنعونه ولا يهمهم ظاهره وهذا تابع لما يتصف به هذان الشعبان من الاخلاق كما سنذكره في بابه . فالبضاعة الباريسية انما يرغب الناس في ظواهرها اكثر مما في متانتها . واعتبر ذلك في اكثر معاملاتهم فان ما تبتاعه بعشرة فرنكات من اسواق باريس ليس فيه من المادة الاصلية الا ما يساوي فرنكين او اقل والباقي ثمن ما ينفق في سبيل ترويجه من المظاهرات كاتقان المخازن والاكثار من الخدم والتنوير الكهربائي والاعلان وغير ذلك

البوربوار (البخشيش)

ومن غرائب هذه الحضارة في فرنسا « البخشيش » نعني ما يعطى للخدم مكافأة على خدمة خاصة وهو عندنا لا يعطى الا اذا كانت الخدمة خارجة عن واجبات الخادم التي يتقاضى عليها الاجرة . واما عندهم فالبخشيش فرض واجب لا مناص منه ويسمونه في اصطلاحهم بوربوار (Pourboire) اي لاجل الشرب كأنه يطلب ان تعطيه فلساً يبتاع به قدحاً من البيرا او الخمر . والبوربوار يعطى على الخصوص لخدم القهوات والاندية والمطاعم والفنادق وساقة المركبات وهو يقدر بنحو عشر المبلغ المدفوع ثمناً حقيقياً . فاذا دخلت مطعماً مثلاً ودفعت عشرة فرنكات ثمن الغداء فالبوربوار لخادم

المائة فرنك . واذا زادت المدفوعات قلت نسبة البخشيش عن عشرة في المئة مما لا ضابط له . وفي ذلك مشقة على النازلين في الفنادق لانهم لا يعرفون كيف يدفعون ولاِمَن يدفعون والخدمة كثيرون . والغالب ان يقسم البخشيش بين الفراش والبواب وخادم المائدة وصاحب الرافعة (اسانسور) وغيرهم . وقد يكونون اكثر كثيراً ويختلف ذلك باختلاف الطبقات . فالداخل على مطعم فخيم يستقبله خادم يتناول منه القبعة والشمسية وآخر يقدم له كرسيا على المائدة وهذا يخدمه في تبديل الوان الطعام فاذا نهض تلقاه الخادم الاخر بالقبعة والشمسية وتقدم اخر ففتح له الباب عند الخروج وآخر يفتح له باب المركبة عند الركوب فهؤلاء كلهم ينبغي ان يدفع اليهم البوربوار — وقد يزيدون على ذلك

واصل هذه العادة الغريبة عندهم على ما نظن تزاحم الغرباء على اماكن اللهو في زمن لم يكن الخدم فيه يستطيعون القيام بما يلزم من الخدمة . فاصبح من يريد تعجيل مصلحته مضطراً ان يسترضي الخادم بدفعة خصوصية له . وتكرر ذلك حتى صار قاعدة . واصبح خدمة اماكن الملاهي يعدون البوربوار من جملة استحقاقاتهم وبعضهم لا يتقاضى من صاحب القهوة او المطعم اجرة . وفيهم من يدفع شيئاً من جيبه لصاحب القهوة لياذن باستخدامه

ومما يستلفت نظر المصري في باريس انك لا تجد في شوارعها متسولاً يعترض طريقك ولا متشرداً مستلقياً على الشارع ولا غلاماً عارياً او شبه عار يتسلق الترامواي او يعرض عليك خدمة من حمل حقيبة او نحوها — لاشتغالهم عن ذلك بالمدارس

ولا حاجة بنا الى ذكر سهولة المواصلات والمخابرات عندهم كالتلغراف والتلفون والبريد فانها مشهورة وعندنا امثلة منها لكنها هناك اكثر شيوعاً . فالتلفون يكاد لا يخلو منه منزل او متجر . وعندهم من طرق البريد ما لا مثيل له عندنا تذاكر ترسل مستعجلة في المدينة نفسها تتقاضى عليها مصلحة البريد ثلاثة اضعاف الاجرة المعتادة لكنها توصلها سريعاً كالتلغراف وهي ما يسمونه « بنوماتيك » Pneumatique وهي تذكرة تكتب فيها ما شئت وتعنونها وتضعها في عين من صناديق البريد خاصة بهذه التذاكر وعمال البريد يتفقدون هذه العيون كل مدة قصيرة فاذا وجدوا فيه تذكرة اسرعوا في ايصالها حالاً وهي ترسل عادة بضغط الهواء في انابيب ممتدة لذلك تحت الارض

تحسين الجنس البشري

هل يمكن ترقية الجنس البشري الى حالة من القوة والرفاهية اعلى من التي هو فيها؟ وما هي الطريق الى ذلك؟

سؤالان يخطران لكل مفكر في احوال الهيئة الاجتماعية وراغب في تحسينها. وقد اشتغل العلماء على اختلاف مشاربهم واوجه ابحاثهم في هذه المسألة العظمى وتضاربت آراؤهم فيها — شأن كل امر ينظر فيه من اوجه مختلفة. فطريقة العالم الطبيعي لتحسين الجنس البشري تختلف كثيراً عن طريقة اللاهوتي وطريقة هذا تختلف عن طريقة الفيلسوف الاجتماعي وهلم جرًّا. فكل من هؤلاء ينظر في المسألة من حيث معارفه وابحاثه وامياله فيراها بشكل لا يراها فيه الآخر. والغالب في مثل هذه الحال ان يكون شيء من الحق مع كل فريق يمكن للعاقل استخراجه من بين تلك الآراء المتضاربة. وهذه هي الحال على ما نرى في مسألة اليوم — ونسميها مسألة اليوم لانه قد اجتمع مؤخراً في انكلترا نحو خمسمائة عالم من بلاد مختلفة للبحث فيها [1]

وفي الموضوع رأيان مبيانان: يرى فريق من العلماء ان تحسين الجنس البشري انما يكون بطريق التناسل اي ان صحة الابناء وقواهم يتوقفان على حالة آبائهم فيهما. ويرى الفريق الآخر ان السائد في الصحة والاخلاق يتوقف على المحيط الذي ينمو فيه الانسان اكثر مما على الوراثة. وسنشرح كلاً من هذين الرأيين

الرأي الاول

يرجع هذا الرأي الى المبدإ التالي «يمكنك بواسطة الانتخاب ان تولد صفة مخصوصة في النبات او الحيوان» مثال ذلك:

١ — اذا كان عندك نوع من الزهر واستحسنت شكلاً او لوناً مخصوصاً فيه يمكنك ان تنتخب شتلة توفّر فيها ذلك اللون او الشكل وتجعلها تتناسل فتحصل على جيل او دور فيه الصفة المطلوبة اكثر وضوحاً منها في الجيل الاول. ثم اذا تابعت هذا الانتخاب في الجيل الثاني فالثالث فالرابع الخ... حصلت اخيراً على نبات وضح فيه اللون او الشكل المرغوب تمام الوضوح

٢ — قد توصل احد النباتيين الى نوع من شجر الصبير (التين الشوكي) قليل الليف والشوك يصلح لعلف الخيل والحمير ولم يكن لهذا النوع وجود في الطبيعة.

(1) Congress of Eugenics

وذلك انه انتخب اولاً من صبير احدى المزارع اغراساً قليلة الشوك بالنسبة الى باقي الاغراس وجعلها تتناسل فكان الجيل الثاني اقل شوكاً من الاول . وانتخب من هذا الجيل اقل الاغراس شوكاً وبتكرار الانتخاب بتوالي الاجيال حصل على جيل لا شوك فيه . ومن هذا الجيل الذي لا شوك فيه انتخب الافراد القليلة الليف وجعلها تتناسل ثم انتخب من الجيل التالي فالتالي وهلم جرًّا الى ان توفر له جيل لا ليف فيه تقريباً . وهكذا اوجد نوعاً مفيداً من النبات لم يكن من قبل

٣ — اذا احببت لوناً مخصوصاً من الخيل يمكنك ان تحصل عليه ايضاً بالانتخاب والتناسل المتواليين على عدة مرات . وبمثل ذلك يمكن الحصول على خصائص مختلفة كالقوة والضخامة وغيرها . وهذا المبدأ ينطبق ايضاً على الخصائص العقلية كالحذاقة واللطف وما شاكل ذلك

٤ — اذا رأيت كلباً حذقاً في الصيد امكنك ان تحصل بواسطة توليده المتوالي بالانتخاب على افراد من الكلاب ماهرة في هذا الباب

هذا مبدأ من المبادئ الثابتة في علم الحياة عمل به الانسان منذ وجوده وطبقه على عالمي النبات والحيوان ويسميه العلماء « الانتخاب الصناعي » فان النباتات البيتية والحيوانات الاهلية كانت في الاصل بريَّة فجعلها الانسان صالحة لحوائجه بانتخاب النباتات اللذيذة الغير المضرة وتوليدها بالزرع ، وربى الحيوانات السهلة القياد الصالحة للاستخدام فحصل بتوالي الاجيال على الانواع التي نراها اليوم

واذا كان هذا مكان المبدا المذكور من الصحة فلماذا لا يستعمله الانسان لتحسين جنسه ؟ فكما ينتخب افراداً من النبات والحيوان فيها خصائص يريدها كذلك يمكنه ان يعمل في ابناء جنسه فينتخب انشطهم اجساماً واقوام عقولا ويجعلهم يتناسلون فيحصل شيئاً فشيئاً على نوع من الانسان ارقى من الانسان

على ان هذا الانتخاب تقوم به الطبيعة من تلقاء نفسها ما لم يعارضها شيء في مجراها . وهو ما يسميه علماء النشوء والارتقاء « الانتخاب الطبيعي » ومرجعه الى تنازع البقاء وبقاء الاصلح . اي ان الحيوانات والنباتات تتناسل غالباً بكثرة مدهشة بحيث يتعذر على الطبيعة اخراج قوت كافٍ لها كلها فيبدأ التنازع بينهما فينقرض الضعيف ويبقى القوي الصالح للبقاء

هذا هو شأن الانتخاب الطبيعي في عالمي النبات والحيوان . اما الانسان فقد خفف وطأته وحوّل مجراه بحيلته العقلية فاحتفظ بالضعفاء والمرضى من بني جنسه ولو

ترك الامر لطبيعة لابادتهم . هذا ما يحدو ببعض العلماء الى انتقاد الشرائع والاديان التي تحمي الضعفاء الغير الصالحين للبقاء لان الضعيف اذا كان بدون حارس او وصي تسلط عليه القوي واباده فلا يبقى الا الاقوياء فيكون نسلهم قويا . ولا يبقى من هذا النسل الا اقوامهم وهلم جرًّا حتى تصل الى قوم جبابرة هم الذين يسميهم بعض العلماء « فوق الانسان » او Superman

هذا هو راي بعض المتطرفين النظريين . وهناك فريق آخر تطرفوا من الجهة الاخرى فهم يستكبرون على الانسان ان تسري عليه السنن التي تسري على غيره من الحيوانات . وقد يدخلون الدين في ذلك فيدعون ان الخالق وضع للكون خطة ليس للانسان ان يحولها او يعارضها كانهم يريدون ترك الامور للطبيعة . وهم يضادون انفسهم في كل حركة من حركاتهم . لان المدنية انما هي الابتعاد عن مجاري الطبيعة . لماذا اذن نبني البيوت ونقص شعورنا واظافرنا الى آخر ما هنالك من مطالب المدنية ؟ فان ذلك مخالف للطبيعة . فيجدر بالانسان ان يأخذ ما تقدمه له الطبيعة ويحسنه بقدر ما تسمح له قواه العقلية والجسدية بدلا من الاستسلام الاعمى لاحكامها

ان كثيراً من المبادىء او الآراء يصح نظريا ويتعذر او يستحيل تطبيقه عمليا . فهل هذا هو شأن المبدا المذكور في تحسين الجنس البشري ؟ هل يمكن تضحية العواطف الشخصية لاجل المصلحة العامة ؟ هل يتوصل الانسان الى درجة من الرقي ينسى فيها نفسه ويضحي حياته لخدمة المجموع الانساني ؟ — مسائل يصعب الجواب عليها . واذا كان لا بد من الجواب فالارجح ان يكون سلبياً . في التاريخ القديم مثال من قبيل هذا المبدا نعني مدينة سبارطة من بلاد اليونان فقد كانت الحكومة تستبقي الاقوياء من الاولاد وتقتل الضعفاء منهم حتى لا يتناسلوا

وهناك طريقتان لتطبيق المبدأ السابق ذكره : الاولى ترغيب الاقوياء في التناسل والثانية منع زواج الضعفاء والمصابين بامراض وراثية . فالطريقة الاولى يصعب سلوكها في الوقت الحاضر واما الثانية فيمكن للحكومة والكنيسة ان تسن كل منهما شرائع تمنع فيها زواج غير الاصحاء . وقد خطت مدينة شيكاغو خطوة هامة في هذا السبيل فاعلنت كاتدرائيتها الكبرى انها لا تكلل فيها الا من تثبت انهم صحيحو الاجسام والعقول . ولا شك انه اذا سلك رجال الدين والحكومة مثل هذا المسلك زال كثير من مصائب الامم المتمدنة

وقد تباحث العلماء في ما اذا كان يجب منع المجرمين والمرضين لبعض الامراض العضالة كالسل وغيره من التناسل . فيظن البعض ان المجرم نابغة في عقله وان قوته

العقلية انصرفت الى مجرى ضار . والمصروعون للسل هم غالباً ممتازون عدار كهم فاذا منع هؤلاء من التناسل ريما حرم العالم من نوابغ كثيرين . ويقول المثل الافرنجي « ان بين النبوغ والجنون خطوة واحدة »

الرأي الثاني

كل المخلوقات الحية من نبات وحيوان وانسان تكون في اصل تكونها حويصلة واحدة وتأخذ في التكاثر حتى تصير جسماً متعدد الفروع والاعضاء . فلنرجع الى هذه الحويصلة في بحثنا ونرى الفرق بين الرأيين في ابسط صوره :

يقول اصحاب الرأي الاول ان كل الاعتماد في حالة الجسم الحي هو على الجرثومة الاصلية . اما اصحاب الراي الثاني فانهم يجعلون الاعتماد على ما سيحيط بهذه الجرثومة من الاحوال وما يطرأ عليها من المؤثرات في اثناء نموها . فيدعون ان انحطاط بعض طبقات الناس متوقف على نوع الاكل الذي يتناولونه وفساد الهواء الذي يستنشقونه وكمية الكحول التي يشربونها وما شاكل ذلك من المؤثرات الخارجية . وانه يمكن تحويل طبقة من هذه الطبقات المنحطة الى طبقة قوية صالحة بتحسين الاكل ومنع المسكرات والتعرض للهواء النقي . وبكلمات اخرى ان اهل الفريق الواحد يعتقدون ان نمو الجسم متوقف بالاكثر على القوى الداخلية وهل الفريق الاخر يقولون انه متوقف على المؤثرات الخارجية

الخلاصة

في المثل « خير الامور الوسط » حكمة فلسفية صحيحة فكثيراً ما يتطرف العلماء في ابحاثهم وينظرون في المسائل من جهة واحدة — الجهة المختصة بابحاثهم فتصبح آراؤهم ضيقة محدودة المنفعة . حتى انك لتجد احياناً عدة علماء على طرفي نقيض في موضوع واحد . وهم مع ذلك مخلصون في ابحاثهم وسبب هذا التباين ان كل عالم يسلك مسلكا ضيقاً فلا يحيط بالموضوع من كل اطرافه

هذه حال موضوعنا اليوم على ما نرى فالفريقان مصيبان الى حد محدود والحقيقة في نظرنا تستخرج بالتوفيق بينهما . فالطفل نتيجة القوى الداخلية المجموعة في الخلية الجرثومية التي ورثها عن ابائه من جهة والمؤثرات الخارجية التي تؤثر على جسمه وعقله من جهة اخرى . فتحسين الجنس البشري متوقف على صحة الآباء ونشاطهم ومقدرتهم وعلى حالة المحيط الذي يربى فيه الاولاد

اميل زيدان

الميكادو موتسوهيتو

امبراطور اليابان

ولد سنة ١٨٥٢ وتولى سنة ١٨٦٧ وتوفي سنة ١٩١٢

توفي امبراطور اليابان وختمت حياته فآن للتاريخ ان يقدره قدره ويضعه في المقام اللائق به

الميكادو موتسوهيتو على جواده

ولد في كيوتو سنة ١٨٥٢ وخلف اباه على الملك سنة ١٨٦٧ وهو في الخامسة عشرة من عمره . ويزعم امبراطورو اليابان انهم متسلسلون من جد اسمه جيموتو اي ابن السماء ، وان مملكتهم تأسست سنة ٦٦٠ ق م وان هذا الامبراطور هو الحلقة المئة

والحادية والعشرون من سلسلة اعقابه . فهم في نظر الامة اليابانية ارقى من سائر البشر لا ينازعهم في ذلك احد من رعاياهم

حكم هذا الامبراطور ٤٥ سنة غير في اثنائها نظام دولة اليابان من الحكم الاستبدادي المطلق الى الحكم الدستوري المقيد مما لم يسبق له مثيل في مثل هذه المملكة الثيوقراطية فلذلك عدوه من عظماء الرجال . وهو من اعظم رجال هذا العصر ان لم نقل اعظمهم لاسباب سنبينها في ما يلي

صفاته الشخصية

كان طويل القامة ليس في رعيته رجل اطول منه . يمشي بقدم ثابتة . وكان في اول حكمه يلبس اللباس الياباني ثم بدله باللباس الافرنجي . ويغلب ان يتخذ السراويل (البنطلون) من نسيج غير نسيج سائر البدلة ... وقد يتخذه من اللون القرمزي والابيض وقبعته ... وكان في ايامه الاخيرة اكثر ما يظهر للناس بثوب عسكري يشبه اثواب القواد ... الاوسمة المرصعة . وكان يكره البحر والنزول فيه ولم يعرف عنه انه ... وكثيراً ما يضطر ركوب البحر ... في مركب ...

ولما تولى الملك احد في تعلم اللغات الافرنجية فرأى ذلك شاقاً عليه فعدل عنه وكان يتداول مع الوزراء والسياح من الافرنج بواسطة تراجمة . وقد ذكر بعض الذين خبروه من الرجال الانكليزية في يوكوهاما انه من الفطنة والتعقل والحكمة على جانب عظيم ومع انه قضى طفوليته منقطعاً عن الناس على عادة ملوك الشرق في تربية اولادهم فقد تمكن من مطالعة آداب لغته واكثرها عن الصين وعاداتها وفلاسفتها واتقن كتابة الشعر وترتيب الازهار على النمط الياباني . وقد فطر على حب الاطلاع وله ارادة قوية ورغبة شديدة في اقتباس التمدن الحديث وتنوير اذهان رعاياه

الدستور الياباني

على ان عمله الاعظم الذي سيخلد ذكره في التاريخ انما هو جعل حكومته دستورية . وليس الانتقال الى الدستورية من المعجزات او الحوادث الخارقة العادة ولكنها غريبة في امة كاليابان . واغرب ما فيها ان امبراطورها هو الذي نقلها بمجرد

ارادته حتى صارت في مصاف اكبر الدول المتمدنة . فبعد ان كان حاكماً روحياً « لا ينظر اليه احد ويبقى محتجباً » واذا ذكروه قدسوه كما يقدسون الالهة واذا جلس اليهم في حفلة تقبع وقعد بعيداً لا يلبس الثوب مرتين ولا يتناول طعامه في طبق واحد دفعتين — بعد ان كان كذلك تنازل عن هذه الامتيازات من تلقاء نفسه واشرك امته في حكومته واصبح يجالس الامراء ويعاشرهم ويركب في مواكبهم

ومع ذلك فقد قاسى في سبيل منح هذه الحرية عذاباً شديداً لان في ذلك الانتقال ما يسوء جماعة الممتازين من اهله وخاصته وكان نصيره في هذا الجهاد وزيره واكبر رجال دولته المركيز ايتو . فقد كان عوناً كبيراً له وفيه ميل الى الشورى فسافر الى اوربا واميركا لدرس القوانين الدستورية وتطبيقها على احوال بلاده فوضع القوانين وعرضها على الامبراطور فامر بتنقيحها وتعديلها حتى تقررت رسمياً سنة ١٨٨٩ وصارت دولة اليابان دستورية من دون حرب [illegible] هذا الخبر وتوقعوا عود تلك الدولة الى [illegible] الامبراطور على اثر اعلان الدستور لكن ذلك لم يحدث [illegible] مدة ستة وعشرين سنة وهو يؤيده ويطبق احوال حكومته عليه

على ان من يتتبع سيرة هذا الامبراطور من اوله لا يدهشه اعلان الدستور بقدر ما يدهشه اول خطاب القاه على امته سنة ١٨٦٨ فانه صرح فيه بتصريحات بهت لها العالم المتمدن لما فيها من الحكمة واستقلال الفكر والعدل مما يندر مثله حتى في ملوك اوربا انفسهم في ذلك العهد — وهاك قوله :

١ — يجب تأسيس مجالس للمباحثة ولا يتقرر شيء في شؤون الدولة الا بتقرير الراي العام

٢ — يجب ان تتحد الامة على اختلاف طبقاتها في تنفيذ قوانين الحكومة

٣ — ينبغي للموظفين الملكيين والعسكريين وسائر العامة ان يتمتعوا بحقوقهم على قدر الطاقة بحيث لا يبقى باعث على التذمر

٤ — يجب ان تصلح العادات القديمة التي ورثناها عن آبائنا وان نجعل اساس كل عمل الحق الطبيعي في المساواة

٥ – يجب البحث عن المعرفة في انحاء العالم ونشرها في الامة حتى ترتقي وتسعد

ومن اسباب ثبات هذا الدستور ان الميكادو لاحظ في وضعه ما يلائم احوال اليابانيين . فلم يجعله حرًّا مطلقاً مثل دستور الانكليز والاميركان لكنه قيده ببعض القيود اللازمة لحفظه في مثل تلك الامة واستبقى لنفسه سلطة تتوازن بها عادات الامة ريثما تتعود الدستور وتألف الحرية المطلقة

فالدستور الياباني يشبه في ظاهره سائر دساتير اوربا لكنه في حقيقته يجعل للميكادو سلطة ليست للملوك اوربا المقيدين . فهو يتولى القوى التنفيذية في الحكومة بمساعدة مجلس الوزراء وهو يعينهم ولا يعصمون لسواه . وله ايضاً مجلس خصوصي يشاوره في الامور الهامة . وله الحق المطلق في اشهار الحرب وامضاء الصلح وعقد المعاهدات الدولية . اما التشريع فلابدّ من اخذ رأي مجلس النواب ومجلس الاعيان فيه . وللميكادو ترجع المصادقة على القوانين وله وحده ان يجمع المجلسين وان يفتح مجلس النواب ويقفله ويؤجله ويحلهُ

ويتألف مجلس الاعيان مؤلفاً من ١ رجال العائلة المالكة البالغين ٢ من البرنسات والمركيزات من سن ٢٥ فما فوق وعددهم ١٥ برنساً و ٣١٠ مركيزاً ٣ الكونتية والبارونات في ذلك السن بشرط ان لا يزيدوا على خمس البارونات او الكونتات في المملكة ٤ الاعيان الذين تجاوزوا سن ٣٠ ولهم خدمة نابتة في مصلحة الدولة وتعيينهم منوط بالميكادو ٥ اعيان ينتخبون من الولايات ممن يدفعون اكثر من سواهم ضرائب وتعيين هؤلاء ايضاً منوط بالميكادو

فانظر الى الحكمة في اكتساب ذوي الاسرة المالكة وكبار الدولة باشراكهم في الحكومة . وكيف ترك للميكادو الحق في تعيين قسم كبير من الاعيان

اما النواب فشروط انتخابهم تقرب من شروط سائر الدول في انتخاب نوابها . وللامبراطور وحده الحق في تعيين رئيس مجلس الاعيان ونائبه يختارهما من اعضاء ذلك المجلس . وهو ايضاً يعين رئيس مجلس النواب ونائبه لكنه يختارهما من ثلاثة يرشحهم المجلس لكل من المنصبين

الدستور الياباني

وجملة القول ان الامبراطور ومشيريه في وضع الدستور الياباني ادركوا سنن الاجتماع واتخذوا الحيطة اللازمة في الانتقال من الاستبداد الى الدستور . فلم يأخذوا

يماشل التقليد الاعمى للدول المتمدنة لكنهم استخدموا الحكمة فعدلوا الدستور الاوربي حتى وافق احوالهم السياسية . كما عدلوا كثيراً من العادات الافرنجية حتى وافقت احوالهم الاجتماعيه . فسلموا من الاضطراب الذي وقعت فيه الدولة العثمانية في مثل ذلك الانتقال . ان احرارنا ارادوا ان ينقلوا الدولة من حالها الاستبدادية ايام عبد الحميد الى اوسع الدساتير المطلقة ويجعلوا القوة كلها في ايدي النواب كما يعمل الانكليز والفرنساويون وغيرهما من الامم العريقة في الحرية . ولذلك قلنا في اثناء كلامنا عن الدستور العثماني منذ عامين انه لا يلائمنا ان يكون دستورنا حرًّا مطلقاً مثل دستور انكلترا بل ينبغي ان يكون فيه شيء من التقييد لان الامة العثمانية تختلف عن الامة الانكليزية او الفرنساوية بما فيها من العناصر المختلفة والاديان المتباينة فضلاً عن الجهل السائد على جمهور العامة

فعظمة امبراطور اليابان وفئة ليس فقط باعلان الدستور على امته بل تكييف ذلك الدستور حتى يلائم احوالها . فتنازله من سماء عرشه الذي يجرده عن البشر وخلعه السيادة الدينية والاندماج في سلك سائر الناس . ومع ذلك فقد ابقى لنفسه بعض السلطة في يده ولو لم يفعل ذلك لاختلفوا في الاستيلاء على تلك السلطة واختصموا وتنازعوا كما وقع في الدولة العثمانية . ولكن حال العثمانيين يختلف عن حال اليابانيين لأن هؤلاء لم يطلبوا الدستور ولا جاهدوا في طلبه وانما نالوه عفواً بمجرد رغبة الامبراطور . فله ان يستبقي لنفسه ما شاء . واما العثمانيون فانهم طلبوه ووضعوا القانون الاساسي وكلفوا السلطان اعلانه من زمن مدحت . واراد السلطان عبد الحميد يومئذ تعديله فابوا عليه لكنه احتال في تعديل مادة واحدة اعطى نفسه فيه السلطة في نفي رؤساء العصابات بدون مشورة المبعوثان فاستخدمها في نفي مدحت باشا نفسه فذهب الدستور بذلك . فطبيعي ان لا تأمن الامة جانب ذلك السلطان ولا تعطيه سلطة . على انهم ارادوا ان يوسعوا هذه السلطة في العام الماضي بتحوير المادة ٣٥ من القانون الاساسي

اما الانقلاب الياباني فلم يكن فيه باعث على شيء من ذلك لان الامبراطور نفسه كان يجاهد في تحرير امته . ويظن البعض ان فضله قاصر على اصباعه لتشير به في اعلان الدستور . وهو فضل كبير لكن اهل التدقيق يؤكدون انه هو المحرك لهذا الاصلاح

[illegible] ولا ريب [illegible] في [illegible]
ولكنه وحده [illegible] اعمال الاول في هذا [illegible] [illegible] في ذلك
[illegible]

الامبراطور موتسوهيتو
امبراطور اليابان الحالي

[illegible]

وقد [illegible] ٣ [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] في قدرتهم

اللغة العربية

والتعليم في المدارس الاميرية

والجامعة المصرية

لا غرو اذا اكثرنا من الحث على تأييد اللغة العربية لانها قوام الامة العربية او المصر العربي ولا وحدة للامة الا بلغتها . ولا حياة للسان العربي الا بمصر لانها محور العالم العربي . واذا قدر لهذه اللغة ان تنهض فعلى مصر الواجب الاول في انهاضها . كانت اللغة العربية من [illegible] الى [illegible] . قاعدة التدريس في المدارس الكبرى في مصر والشام [illegible] الاميرية [illegible] الاميرية بمصر ومدرسة الكلية الاميركية واليسوعية [illegible] المدارس الكلية في [illegible] تعلم الطبيعيات والتاريخ والرياضيات والعلوم [illegible] الطبيعة والحقوق و[illegible] باللغة العربية . فنبغت طائفة من الكتاب [illegible] في هذه [illegible] بمصر والشام والفوا الكتب العلمية وانشأوا الجرائد والمجلات العربية [illegible] روح رقي حقيقي في عروق هذه الامة وتعلقت الامال بمستقبل مجيد

لكن هذه الامال اخذت في الزوال منذ بضع وعشرين سنة بعدول هذه المدارس عن هذه اللغة في تدريس العلوم العالية . بدأت بذلك المدرسة الكلية الاميركية في بيروت فجعلت قاعدة التدريس اللغة الانكليزية . وهكذا اليسوعية جعلت التدريس في الفرنساوية . ثم المدارس المصرية جعلت التعليم في كلتا هاتين اللغتين ثم اخذت الانكليزية تحل محلهما رويداً رويداً ولا تزال . وحجة هذه المدارس في هذا التعليم قلة الكتب التعليمية في اللغة العربية وكثرتها وتقدمها في اللغات الاجنبية . وهو عذر وجيه لانه مهما بلغ من [illegible] وتقدمنا العلمي فلا نزال وراء تلك الامم بمراحل لانهم سبقونا منذ احيان فاصبح اللحاق بهم صعباً . الا اذا اخذنا عنهم ومشينا على خطواتهم وسهل ذلك خصوصاً اذا تعلمنا تلك العلوم وتلقيناها بألسنتهم رأساً

تلك حجة مقبولة لدى طالب العلم الذي لم يكن غرضه غير التفقه واستنارة الاذهان . ولكن التعليم يراد به شيء آخر لا يقل اهمية عن ذلك هي ترقية شؤون الامة وجمع

كلمتها واحياء آمالها ليكون لها شأن بين سائر الامم . وهذا لا يكون الا بترقية لسانها واحياء آدابها بتأليف الكتب العلمية والادبية وانشاء الصحف والمجلات فيه . ولا يتيسر لها ذلك الا اذا كان هو قاعدة التدريس في المدارس الكبرى فضلاً عن الصغرى فكيف اذا لم تعلم فيه هذه ولا تلك ؟ — تلك كانت حال المدارس بمصر والشام الى عهد غير بعيد

اصبح التعليم بمصر منذ بضعة اعوام كله في اللغة الانكليزية او الفرنساوية حتى مبادىء التاريخ والجغرافيا والحساب . واوشكت العلوم العربية نفسها ان تعلم باللسان الاجنبي . فاحتجت الامة بلسان مجلس الشورى واخذت الصحف بناصرها وكنا في جملة من خاض عباب هذا الموضوع وبينا الضرر الناجم من اغفال اللغة العربية . فاهتمت الحكومة بهذا الشأن ووعدت وزارة المعارف اذ ذاك باعادة التدريس فيها رويداً رويداً لكنها لم تخط الا خطوات قليلة لا تشفي غليلاً

فلما صارت هذه الوزارة الى صاحب السعادة احمد حشمت باشا جعل همه ترقية المعارف على العموم واحياء آداب اللغة العربية على الخصوص . فادخل تحسيناً هاما على المدارس الاميرية . والتفت الى العامة فنظر في ما يحتاجون اليه مما يسهل عليهم ابواب الرزق . والى المرأة وما يساعدها على ترتيب منزلها وتربية اولادها فضلاً عن تعميم اللغة العربية في اكثر المدارس

ولا يدرك فضله في هذا السبيل الا اذا جمعت اصلاحاته في باب واحد . وقد وفقنا الى معرفتها من اوثق المصادر فاحببنا نشرها تنويهاً بفضل منشئها خدمة للتاريخ وتنبيهاً للطلاب على التماسها من اماكنها وهي :

التعليم الفني

وجه سعادة الناظر عنايته على الخصوص الى نشر التعليم الفني لانهُ مرجع السواد الاعظم من الامة . وهو ينقسم الى ثلاثة فروع الزراعة والصناعة والتجارة :

الزراعة

وجه التفاته اولاً الى اصلاح المدرسة الزراعية في الجيزة فرأى انها تأسست منذ نحو عشرين سنة والتعليم فيها باللغة الانكليزية فارتأت ثم بذكر جعله في اللغة العربية وجعل هذه المدرسة من صف المدارس العالية واشترط ان يكون طلبتها من حملة الشهادة الثانوية فوسع علومها الفنية واغفل علوماً لم يبق اليها حاجة فيها كالحساب والهندسة واللغتين الانكليزية والعربية وادخل بدلها علوماً عالية تختص بالزراعة . وجعل مدة التعليم اربع سنين وسنة للتمرين

وانشأ في العام الماضي مدرسة زراعية متوسطة بناحية مشتهر بالقليوبية يقبل فيها حملة الشهادة الابتدائية ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات وسنة للتمرين ومعلموها من متخرجي مدرسة الجيزة المتقدم ذكرها . والتعليم فيها باللغة العربية — وهي تهتم على الخصوص بتعليم الزراعة العملية لمن يريد ان يمارس هذه المهنة

اما المدارس الزراعية الابتدائية المعبر عنها بمدارس الحقول فامرها منوط بعناية مجالس المديريات

التجارة

لا يخفى افتقار الامة المصرية الى التعليم التجاري لانصراف الاذهان عنها وعن سواها من الفنون الى الزراعة او الى خدمة الحكومة . فاهتم سعادة الناظر في هذه النقطة منذ سنتين فانشأ سنة ١٩١٠ مدرسة ليلية في القاهرة لتعليم المحاسبة التجارية ومسك الدفاتر والكتابة على الماكنة والتمرين على الاساليب التجارية والمعاملات والمكاتبات . وهذه المواد الاربع تعلم في اللغات الثلاث : العربية والانكليزية والفرنساوية فضلاً عن الاختزال (الستينوغراف) فانها تعلمه باللغتين الانكليزية والفرنساوية وسيعلم بالعربية

وانشأ سنة ١٩١١ مدرسة ليلية اخرى مثل هذه في الاسكندرية . وهاتان المدرستان تعطيان في كل فن شهادة على حدة . وللطالب يختار المواد التي يريدها . فن احرز ثلاث شهادات في ثلاث مواد تعطى له شهادة محاسبجي شرط ان تكون احداها مادة اساليب المعاملات التجارية ولا يشترط على الطالب سن معين ولا شهادة دراسية ولا غيرها

ثم انشأ مدرسة تجارية عالية خديوية بالقاهرة تلقى فيها العلوم التجارية والمحاسبة في اللغة العربية لكنها تعلم اللغتين الانكليزية والفرنساوية ايضاً . وتعلمهما اجباري لان التاجر لا يستغني عنهما في تجارة علائقه . وفي هذه المدرسة مكتب تجاري يتمرن فيه الطلبة على أعمال المصارف (البنوك) والشركات والسمسرة وغيرها من الامور التجارية باللغات الثلاث . وتلقى فيها ايضاً الشرائع التجارية والصناعية والجمركية والعلوم الاقتصادية ونظام التجارة والصناعة والاخلاق . ويشترط في طلابها ان يكونوا من حملة الشهادة الثانوية . ومدة الدراسة فيها ثلاث سنين

وانشأ مدرسة محاسبة وتجارة متوسطة يدخل فيها حملة الشهادة الابتدائية والتعليم فيها بالعربية . ونظامها نظام المدرسة العالية المتقدم ذكرها وانما ينقصها تعليم القوانين الاقتصادية والشرائع التجارية والصناعية . ومدة الدراسة ثلاث سنين وتمنح تلامذتها شهادة اعتيادية اما تلك فتمنحه الدبلوما الزراعية

الصناعة

التعليم الصناعي قديم في المدارس الاميرية المصرية وهو مؤلف من : (١) مدرسة المهندسخانة بالجيزة وهي عالية يتخرج فيها مهندسو الري والمباني (٢) مدرسة الصنائع والفنون في بولاق (٣) الورش الصناعية في القاهرة واسيوط

فالاصلاح الذي ادخله الناظر في الأولى انه جعل تعليم الرياضيات والحساب والجبر والمثلثات باللغة العربية وكانت تعلم في الانكليزية

ووضع لمدرسة الصنائع والفنون منذ عامين نظاماً جديداً جعل المدرسة المذكورة ثلاث مدارس : الاولى لتعليم الميكانيكيات والكهربائية . والثانية لهندسة المدن وتنظيمها . والثالثة لحرفة المباني والنقوش . وقاعدة التعليم فيها كلها اللغة العربية . ولكن اللغة الانكليزية تعلم فيها على انفراد . ويقبل فيها حملة الشهادة الابتدائية . ومدة الدراسة اربع سنوات وسنة للتمرين ويقبل التلامذة داخليين

اما الورش الصناعية فادخل على ورش القاهرة من السنة الماضية صناعة تصليح الاتوموبيلات وتعليم السائقين كيف يسوقونها . ولحام رصاص لاعداد اسطوانات للمواسير لمثل مشروع مصارف الصناعة بحيث يمكن استخدام الوطنيين فيه وفي امثاله

وفي المنصورة مدرسة صناعة من هذه الطبقة نظمها وجعل التدريس فيها مستمراً طول السنة وادخل فيها ورشة نسيجة

غير مدارس الصنائع التابعة لمجالس المديريات في لقصر ونجع حمادي وسوهاج وبني سويف وطوخ — انشئت كلها في العامين الماضيين بارشاد نظارة المعارف واعانتها . وغير مدارس اخرى في الفيوم ودمنهور . فضلاً عن مدرسة محمد علي الصناعية في الاسكندرية فان نظارة المعارف تأخذ بيدها

قلم الترجمة للكتب العلمية الدراسية

ان تحويل التعليم في مدرسة الزراعة بالجيزة وفي المهندسخانة الى اللغة العربية اعوز المدرسين كتباً عربية للتعليم . فانشأ ناظر المعارف الحالي سنة ١٩١٠ قلماً لترجمة الكتب الدراسية في العلوم المطلوبة . وكان القلم المذكور عند انشائه مؤلفاً من ثلاثة اعضاء فاصبح الآن ستة واخذوا في النقل عن احدث المؤلفات . فترجموا حتى الآن اربع مجلدات زراعية طبعت في بولاق وكذلك اربع مجلدات لمدرسة المهندسخانة في العلوم الرياضية وترجموا كتباً في الحسابات التجارية والجغرافية التجارية تحت الطبع . والقلم المذكور تابع لادارة التعليم الفني

تعليم البنات

التدبير المنزلي

قد رأيت مما اوجزناه من الاصلاحات في المدارس الفنية ان ناظر المعارف على بينة من حاجة البلاد الحقيقية ولا سيما العامة واكثرهم الفلاحون وهم قوام الامة ومادتها الاصلية . فاراد ان يثقفهم ويرقي مداركهم من الوجهة العلمية التي هم في حاجة اليها بتوسيع التعليم الزراعي . واراد من الجهة الاخرى ان يصرف اذهان الشبان عن خدمة الحكومة ويوجه انظارهم الى الصناعة والتجارة فانشأ المدارس الفنية وسهل دخولها على كل الطبقات

ثم التفت الى النصف الاهم من الامة بالنظر الى الهيئة الاجتماعية وادرك حاجة العائلة المصرية الى الاصلاح فرأى تعليم البنات سائراً على خطة تعليم الصبيان تدرس الفتاة فيه كما يدرس الشاب وتنال الشهادة الابتدائية او الثانوية بالامتحانات العامة كما ينالها هو . فرأى ان يخص البنات بطريقة تناسب ما خلقن له من العمل في نظام الاجتماع من ادارة المنزل وتربية البنين . فانشأ سنة ١٩١٠ مدرسة التدبير المنزلي في محطة القبة قرب القاهرة جعلها داخلية ومدة الدراسة فيها سنتان تتلقى فيها الفتاة القرآن واللغة العربية والحساب ودفتر الحساب المنزلي والاخلاق وعلم تدبير المنزل وعلم الصحة . وكلها في اللغة العربية فضلاً عن الاشغال اليدوية كتفصيل الثياب وترقيعها والتطريز والغسيل والكي والطبخ . وتقبل فيها التلميذات من سن ١٢–١٤ وقد بلغ عدد الطالبات في العام الماضي ستين طالبة والمرجو ان يتضاعف هذا العدد . وسيكون لهذه المدرسة شأن كبير في ترقية المرأة الشرقية . وقد وقع انشاؤها وقعاً حسناً لدى الامة فاقبلت مجالس المديريات على انشاء امثلة لها في اقاليمهم وقد تم انشاؤها الآن في بني سويف ودمياط بارشاد نظارة المعارف

وكانت مدرسة المعلمات في بولاق منذ ثماني سنوات كانت قاصرة على تخريج معلمات لمدارس البنات الابتدائية اي المكاتب (الكتاتيب) فادخل سعادة الناظر فيها تعديلاً جعلها صالحة لتخريج معلمات في التدبير المنزلي لتعميم نشر هذه التربية النافعة للامة . وسينفذ هذا النظام من اول اكتوبر من هذا العام (سنة ١٩١٢) والتعليم فيها باللغة العربية . وفيها فضلاً عن التدبير المنزلي علم التربية العلمية والعملية

وقد وجهت النظارة اهتمامها الى اصلاح مدارس البنات على الاجمال وتعديل نظامها بحيث تختلف عن مدارس الصبيان كما تختلف طبائع كل من الجنسين وحاجته وواجباته

سائر المدارس
واللغة العربية

وأما التعليم في سائر المدارس الأميرية فالعناية مبذولة فيه نحو الغرض المطلوب بحيث يصير كله في اللغة العربية وتتسع مواد التدريس وترتقي العلوم . وقد أصبح التدريس الآن في المدارس الابتدائية كله في اللغة العربية . وكذلك المدارس الثانوية فالرياضيات الآن تعلم فيها باللغة العربية . وسيبتدأ في اكتوبر الجاري من هذه السنة بتعليم الطبيعيات والتاريخ والجغرافيا في هذه اللغة . فأصبح التعليم الثانوي كله في اللغة العربية وهي خطوة مهمة في ترقية المعارف وإحياء الآداب العربية

مدرسة المعلمين

وكان للمعلمين مدرسة ابتدائية ألغاها واعتاض عنها سنة ١٩١١ بتوسيع نطاق مدرسة المعلمين الخديوية في درب الجماميز فزاد في عدد تلامذتها نحو ما نقص بإلغاء تلك المدرسة . واعتاض عن السنة الأولى (التجهيزية) التي كان تلامذتها من حملة الشهادة الابتدائية بتلامذة من حملة شهادة البكالوريا وهذا تحول حدث جرياً مع تيار الأفكار ورغبة الأمة في الا[illegible]

وفي هذه المدرسة يتخرج المعلمون في كل العلوم إلا العربية . ولكن التعليم فيها لا يزال في اللغة الانكليزية فعسى أن يجعل في العربية قريباً . لأن هذه المدرسة تخرج المعلمين لسائر المدارس فهي كالأساس للبناء والإصلاح يجب أن يبدأ بها

وهي غير مدرسة المعلمين الناصرية وتسمى أيضاً دار العلوم . وهذه قديمة وكانت فصولها عشرة على حسب [illegible] يتخرج فيها المعلمون للعربية والخط . وقد أدخل فيها تعديلاً هاماً بحيث اتسعت دائرتها وكثر تلامذتها

وهناك مدارس أخرى لتخريج معلمي المكاتب ينالون فيها شهادة الكفاءة وأضاف الى بروغرامها تعليم الرسم ومسك الدفاتر ومدة التعليم ٣ سنوات تعطى في آخرها شهادة

ومن حسنات هذه الوزارة تعليم اللسان المصري القديم (الهيروغليف) فقد أصبح فرعاً من فروع العلم في مدرسة المعلمين الخديوية من اكتوبر سنة ١٩١٠ . وقد اقترح تعليمه الموسيو ماسبيرو ناظر المتحف المصري وأحمد بك كمال وكيله وهو الذي يعلمه . والغرض تخريج رجال يخدمون دار التحف خدمة علمية في التنقيب عن الآثار

وقد ذكرنا في غير هذا المكان ما بذله ناظر المعارف من العناية في إصلاح دار الكتب الخديوية إذ وضع لها قانوناً لتنظيمها سنة ١٩١١ يقضي بتشكيل هيئة تدير

شؤونها المهمة في باب التربية والتعليم فتألف لذلك مجلس برئاسة ناظر المعارف والهمة مبذولة بهذا السبيل وذكرنا في غير هذا المكان سعيه حفظه الله في احياء آداب الامة العربية بنشر المؤلفات الهامة فيها

الذي نرجوه الآن

تلك هي الاصلاحات التي تمت حتى الآن في سبيل التعليم في المدارس المصرية وقد سرّنا على الخصوص ما توسمناه في حضرته من الرغبة في ترقية اخلاق الامة . فسمعناه غير مرة يشكو مرّ الشكوى من نقص الدروس الاخلاقية في المدارس المصرية . وقد انتقى افضل الكتب المفيدة لبث الاخلاق الراقية في نفوس التلامذة من الصغر . وهذه الخطوة من اهم مساعي سعادته في سبيل مصلحة الامة

وقد رأيت انه بدأ الاصلاح من العامة بانشاء المدارس الفنية وسعى في احياء اللغة بجعلها قاعدة التدريس . ولا ريب انه يفكر ايضاً في توسيع دائرة التعليم بادخال علوم لا وجود لها في بروغرام المدارس المصرية من العلوم الطبيعية والاجتماعية والفلسفية والاخلاقية [illegible] [illegible] بالمقابلة بين المدارس الثانوية المصرية والمدرسة الكلية السورية وغيرها . راجع الهلال سنة ١٥ ج ٢

ميزانية الحكومة ونظارة المعارف

على ان الوصول الى هذه الغاية لا تكفي فيه الارادة والعزم وانما هو يحتاج الى نفقات لا تقوم بها الاموال المخصصة في ميزانية الحكومة لنظارة المعارف . ان اموال الحكومة تؤخذ من الامة لتنفق في مرافقها حسب حاجتها او مركزها السياسي او الجغرافي او الطبيعي . وقد يختلف ذلك باختلاف احوالها من سلم او حرب من خصب او قحط . فالدول الحربية ذات الاساطيل نفقاتها الحربية اكثر من نفقات الدول الصغرى المستكنة . فالدولة الانكليزية مثلاً تنفق ثلث دخلها على الجندية البرية والبحرية لانها تحاذر على نفوذها وسلطانها والدول واقفة لها بالمرصاد وهي ذات مطامع في الاستعمار والاستثمار . وقد تقتضي الاحوال ان تنفق في ذلك نصف ميزانيتها او اكثر . وقس على ذلك سائر الدول الحربية . اما الدول الصغرى الهادئة التي لا مطامع لها ولا خوف عليها فهذه لا تنفق الاموال في التجنيد والتحصين بل تصرف اموالها الى ما تحتاج اليه من اصلاح شؤونها الداخلية او الزراعية او التعليمية كما تفعل بلجيكا وهولندا ونحوهما . فان نفقات بلجيكا على الجندية نحو ٦٠٠٠٠٠٠٠ فرنك ومجموع

نفقاتها ٦٦٠ مليون فرنك اي واحد من ١١ وهولندا تنفق على الجندية ٢٩ مليون فرنك وميزانيتها ٢٢٠ مليوناً اي اقل من السبع وقس على ذلك . وانما تصرف اموال هذه الدول في سبيل مرافق اخرى . فبلجيكا تنفق نحو نصف ميزانيتها على السكك الحديدية والبوسطة والتلغرافات او الزراعة او غيرها من المرافق النافعة لها

ومصر من البلاد التي لا مطمع لها في الحرب ولا خوف عليها من سطو او غزو ولذلك كانت نفقاتها الحربية قليلة . فالاموال التي تجمع من الامة باسم الضرائب والجمارك وغيرها يجب ان تنفق في ما تحتاج اليه البلاد من الاعمال . وهي بلاد زراعية فتوجه النفقات الى تلك الجهة على يد ديوان الاشغال . وهي ايضاً في حاجة الى التعليم فيجب ان تصرف العناية اليه . بل هي الآن بعد ان استقرت احوال الري اشد حاجة الى التعليم منها الى سواه . ولكن المخصص لنظارة المعارف لا يزال نحو جزء من ثلاثين من ميزانية الحكومة . فهو قليل جداً بالنظر الى ذلك . وهكذا لو اعتبرت هذه القيمة بالنظر الى عدد السكان . وهاك اهم نفقات التعليم عند اهم الدول بالمقابلة مع عدد السكان ومجموع الدخل :

	عدد سكانها	دخل ميزانيتها	نفقات المعارف بها
انكلترا	٤٢٠٠٠٠٠٠	١٩٩٠٠٠٠٠٠	٢٥٠٠٠٠٠٠
الولايات المتحدة	٧٦٣٠٠٠٠٠	١٣٦٠٠٠٠٠٠	٨٠٠٠٠٠٠٠
فرنسا	٣٩٣٧٦٠٠٠	١٧٠٧٦٧٠٠٠	١٢٠٠٠٠٠٠
ايطاليا	٣٤٥٦٤٠٠٠	٩٦٠٠٠٠٠٠	٥٠٠٠٠٠٠

فاذا قابلت دخل هذه الدول ونفقاتها على التعليم رأيت بعضها تنفق عليه اكثر من النصف وبعضها ينفق الثمن او العشر على الاقل وتجد النسبة اقرب في الدول التي لا تحارب او لا تحتاج الى التجنيد مثل مصر لكن مصر دخلها نحو ١٦٠٠٠٠٠٠ جنيه تنفق منه على المعارف نصف مليون فقط

وهكذا اذا التفت الى نفقات المعارف بالنظر الى عدد السكان فانك تجد مصر اقل انفاقاً من اكثر الدول مع حاجتها الى التعليم اكثر من سواها . فانكلترا تنفق ٢٥ مليون جنيه على ٤٢ مليون نفس فيلحق الفرد اكثر من نصف جنيه . اما فرنسا فيلحق الفرد منها نحو ثلث جنيه وايطاليا نحو سبع جنيه . واذا نظرت في الدول الصغرى فقد تجد مصر من اقلهن حظاً في نفقات الحكومة على التعليم . فان ميزانية المعارف نحو ٥٠٠٠٠٠ جنيه وعدد السكان ١٢٠٠٠٠٠٠ نفس فيلحق

الفرد ٤ غروش فعسى ان تلتفت الحكومة الى هذا التقصير . ونحن نزعم اننا نجاري الامم المتمدنة فلا بد من الاخذ بناصر المعارف والانفاق عليها لانشاء المدارس العالية التي تربي الاخلاق وتهذب العقول

الجامعة المصرية

على ان الامم الراقية او الراغبة في الارتقاء لا تلقي كل اتكالها على الحكومة بل تنهض هي بنفسها وتنفق من اموالها في ترقية ابنائها . ان جانباً كبيراً من جامعات اوربا انشأها رجال من اهلها ووقفوا عليها الاموال وتضاعفت الاوقاف بتوالي الايام حتى صارت تعد بملايين الجنيهات . فضلاً عن المدارس الاخرى على اختلاف طبقاتها فان للامة دخلاً عظيماً في انشائها او الانفاق عليها

هكذا فعل الافاضل الذين بذلوا اموالهم في انشاء الجامعة المصرية بذلوها بسخاء ورغبة لانهم يشعرون بحاجة الامة الى التعليم الراقي . وقد شعرنا بذلك فاقترحنا منذ بضع عشرة سنة انشاء مدرسة كبرى لترقية اخلاق الامة وتهذيب عقولها — اردنا بها مدرسة كلية داخلية على شكل كلية بيروت مثلاً تثقف الشبان وتربي اخلاقهم . فلما نهضت الامة لانشاء تلك المدرسة لا ندري من اشار ان تكون « جامعة » وان يقلدوا بها جامعات اوربا الكبرى بان يكون فيها التعليم حصاً تلقى سماعاً وينصرف الطلاب الى شؤونهم بلا تحريض ولا تسميع . فظهرت لسنتها الاولى اشبه بالنادي الادبي منها بالكليات العلمية فانتقدنا ذلك في الهلال الخامس من سنة ١٧ (فبراير سنة ١٩٠٩) في مقالة ضافية بينا فيها ان طريقة الجامعة وعلومها لا تفي بحاجة البلاد واقترحنا تعليم الطبيعيات والرياضيات بفروعهما . واظهرنا ما يترتب على تعلمهما من تثقيف العقول والحجنا في التوسع في العلوم الاخرى . واقترحنا ان تكون المدرسة داخلية يدخلها الطالب يتلقى فيها العلوم ويتمرس باسباب الترقي ويتجمل بالآداب النافعة

فكان لندائنا صدى لدى مجلس ادارة الجامعة فعدلت بروغرامها وجعلت العلوم الطبيعية حظاً بين العلوم التي قررت تدريسها للسنة التالية . وارسلت شباناً يتلقون تلك العلوم في اوربا على نفقتها حتى يعودوا ويعلموا تلك العلوم فيها . فدلنا ذلك على تعقل المجلس المذكور ورغبته في تطبيق اعماله على حاجة الامة وصرنا نتوقع ان يغير طريقة التدريس الى ما يلائم حاجة الامة فلم يفعل . ودلّ الاختبار في السنين التي مضت منذ انشاء الجامعة ان هذه الطريقة غير وافية بحاجة البلاد لان الطلبة يتناقصون كل عام عما

قبله حتى اصبحوا يعدون على الاصابع . فلا بد من اعادة النظر في امر هذه الجامعة وعلومها وطرق تدريسها . ونتقدم بذلك الى مجلس ادارتها فانهم وحدهم المسئولون عن هذا المعهد العلمي لدى الامة التي وضعت ثقتها فيهم وعهدت بادارته اليهم

نحن لا نشك في صدق نية حضراتهم في خدمة الامة . ولكن صدق النية وحده لا يكفي لقيام الاعمال . ان سبعة آلاف جنيه تنفق على التعليم كل عام ينبغي ان تظهر آثارها . لا ندري ما اعدته الجامعة لهذا العام من التحسين لكنها في كل حال تحتاج في نظرنا الى تعديل اساسي بتغيير پروغرامها حتى يوافق حاجة البلاد . ونحن نعلم ان اعضاء مجلسها يعملون مجاناً ومعظمهم ينفق المال من جيبه في خدمتها والرئيس اعزه الله يسافر كل عام ويكابد مشاق الاسفار ونفقاتها في هذا السبيل — هذا كله مسلم ويدل على صدق نية المجلس وغيرته . ولكن يظهر من مجاري الاحوال انه لم يهتد بعد الى الخطة الملائمة لهذا الوسط . فنستأذنهم في ابداء ما عنّ لنا من هذا القبيل ونرجو ان لا يسوءهم ذلك لانا شركاء في هذه الخدمة و[illegible] معاً مصلحة هذه الامة

اذا انتقدنا طريقة التعليم في الجامعة المصرية وقلنا انها لا تفيدنا فلا نريد انها لا تفيد غيرنا لانها الطريقة التي درست عليها معظم جامعات اوربا . ولكن المطلوب ممن يريد ادخال حسنة من حسنات التمدن الحديث الى الشرق ان يكيفها حتى تلائم طبائع اهله وتوافق مصالحه [illegible] عليهم . لا ان يقدمها لهم كما هي اذ لكل امة احوال تختلف عما للاخرى

وحاجة هذا القطر كما قلنا مراراً انما هي الى ترقية النفوس وتدريب الشبيبة على العمل وتعليمهم قيمة الوقت وتدريب عقولهم على التمييز بين الصحيح والفاسد . وهذه وامثالها لا تنال باستماع الخطب في آداب اللغة او تاريخ الحضارة او الفلسفة — ليس لان هذه العلوم لا ترقي العقول بل لان الطلبة عندنا غير مستعدين لتفهمها والاستفادة منها لانها فوق ما يحتاجون اليه . كما انهم لا يستفيدون الفائدة المطلوبة من المدارس الابتدائية والثانوية لانها تحت حاجتهم . فهم مفتقرون الى علوم متوسطة بين ما يعلم في المدارس الثانوية المصرية وما يلقى في الجامعة الآن . وهذا الذي نريده بانشاء المدرسة الكلية العالية لانها تتكفل بسد هذا الخلل . والفرق بينها وبين المدارس الثانوية التي تمنح شهادة البكالوريا عندنا انها ارقى كثيراً ولا سيما في العلوم الطبيعية والرياضيات التي ترقي عقول الشبان وتعودهم النظر الصحيح والحكم المعقول

فالبلاد في حاجة الى مدرسة عالية علومها ارقى من علوم المدارس الثانوية المصرية

وتكون داخلية يتربى فيها التلامذة على الاخلاق الراقية والآداب الصحيحة ويحمل بها التلميذ على الدرس كرهاً ويشبّ في وسط يكون اساتذته مثالاً في الاخلاق السامية فضلاً عن العلم . وتكون هذه المدرسة مدرسة تعليم وتربية يدخلها الطالب لدن العود لين العريكة فلا يزال يتلقى العلم ويتمرس باسباب الترقي ويدرب على الاقدام وسائر الفضائل حتى يخرج منها قوي الارادة نشيطاً مستقل الفكر هماماً يحب وطنه ويتفانى في خدمته . هذا لا يتأتى بالحضور الاختياري لسماع الخطب لان معظم هذه الصفات تنال بالقدوة والمباحثة والمعاشرة والمناقشة آناء الليل واطراف النهار . وبالجملة انا في حاجة الى مدرسة يبعث فيها الطالب بعثاً في قالب جديد يوافق مصلحة بلاده

هذه هي المدرسة التي نحن في حاجة اليها فنقترح على مجلس ادارة الجامعة ان يحولوا اسم « الجامعة المصرية » الى « الكلية المصرية » ويجعلوا بروغرامها مثل بروغرامات الكليات العلمية الحقيقية . واذا ارادوا ان يكون ذلك البروغرام اقرب الى حاجة بلادنا فليجعلوه مثل بروغرام مدرسة [illegible] مع ما تقتضيه حال مصر من التعديل انما يشترط ان تكون [illegible] باللغة العربية [illegible] على سائر المدارس الكبرى بمصر والشام من حيث احياء الآداب العربية لا [illegible] تقدم بينها

وفي صندوق الجامعة [illegible] الاوقاف ولها ريع ثابت يزيد على سبعة آلاف جنيه [illegible] كاف بمشروع في هذا العمل . فينفق من المال المجموع لانشاء المعارض العلمية اللازمة لتلامذة الطبيعيات والتاريخ الطبيعي وادوات الكيمياء وغيرها . ويشرع في اقامة بناء خاص للجامعة . وقد علمنا ان الحكومة ستهب الجامعة ارضاً واسعة في محل مناسب ولعلها تساعدها في البناء ايضاً . والا فالجامعة تبنيها مما تجمعه من التبرعات في توالي الاعوام . وتنفق من الريع السنوي على رواتب الاساتذة بما لا يمكن تحديده تماماً . ولكننا على ثقة ان ذلك كاف للشروع بانشاء الكلية العلمية ثم تنشأ الكليات الاخرى في الفروع الاخرى من العلوم العالية حسب الحاجة . وبعد ذلك يتألف من مجموع هذه الكليات « الجامعة المصرية »

هذا ما نراه وقد يكون في حاجة الى تعديل او تنقيح فلا بأس من المناقشة فيه . لكنه صحيح في اساسه وهو تحويل الجامعة المصرية الى كلية علمية مصرية تعلم العلوم الراقية في اللغة العربية فتحيي موات هذه الامة بل تحيي الامة العربية . لانها تخرج المعلمين لمدارس فرعية تربي الناشئة على حبها ومباحثها فلا يمضي زمن طويل حتى تنتشر تلك الروح الراقية في الامة [illegible] عليه الآن [illegible] — والله ولي الامر

صحة العائلة

وقاية الطفل من الامراض

من هو المسئول عن امراض الطفل

اكثر الامهات لا يعرفن من الوقاية غير العطف على اطفالهن اما لجهلهن طرق الوقاية واما لاهمال منهن نحوهم . وليس فيهن واحدة ترتاح لمشاهدة ولدها مريضاً . وقد ابنا مراراً ان العطف على الطفل لا يدفع عنه مكروهاً ولا يردع عن جسمه الاخطار التي تهدده في [illegible] الامر من [illegible] قد يكون سبباً في تقربه منها . وشروط الوقاية الاخرى بصحة [illegible] .. [illegible] ولاجل [illegible] البحث اقسم الكلام عن الوقاية الى اربعة اقسام وهي النظافة [illegible] والعاطفة

١ – النظافة

[illegible] وقد [illegible] على سلامة ذوق الام مهما [illegible] ما حصل عليه من التهذيب . ولا يخفى على احد اهمية النظافة ومقدار المنافع المتأتية عنها للنفس والعقل والجسد — حتى ان الرضيع في سريره يشعر بالفائدة منها فتظهر على وجهه علامات الراحة والسرور . ومما يجب مراعاته في نظافة الطفل الرضيع يختلف قليلاً عن الطفل الاكبر سناً . فالرضيع يجب ان يغسل جسده مرة بالنهار بماء دافئ وفمه قبل الرضاعة وبعدها . وعيناه مرة في الصباح وفي الظهر ويغسلان في المساء بمحلول حامض البوريك ويمسح خداه [illegible] وصابون [illegible] وغيره

اما ثيابه فيجب ان تكون من [illegible] وان تكون واسعة بحيث يتمكن من تحريك اطرافه كما يشاء وان تبدل مرة في النهار على الاقل . هذا من جهة الطفل الذي في سريره اما من جهة ما حوله من المفروشات — ان كان لا بد من وجود شيء منها — فيجب ان تكون قليلة وسهلة النظافة

ونظافة الطفل الاكبر سناً لا تختلف كثيراً عما تقدم الا بما يأتي الاغتسال

يكون مرة في المساء بماء فاتر . اما في الصباح فيمسح جسده بماء بارد . ويتدرب على غسل فمه ويديه ووجهه قبل الاكل . وثيابه يجب ان تكون ناعمة وواسعة لئلا تعيقه في الحركة ولما كان كثير الحركة وهي واجبة لنمو جسده يقتضي ان يكون البيت وما يحيط به الى مسافة خمسة امتار نظيفاً . ولا يجوز ان ينام في الثياب التي كانت عليه في النهار ولا ان يرتدي الثوب يومين متواليين . بل يجب ان يلبس كل يوم ثوباً نظيفاً والثوب الذي ينام فيه غير الذي يجول فيه

٢ — الرياضة

الرياضة لازمة لسائر الاحياء . وهي من العوامل المساعدة على نمو الجسد فاعضاء التنفس والدورة الدموية والهضم تكتسب بواسطة الرياضة نشاطاً وقوة في تتميم وظيفتها والطفل الرضيع يرفع يديه ويرفس برجليه لا حباً بالرفس ولا ليقبض على شيء امامهُ وانما يفعل ذلك مدفوعاً بحاجة الى رياضته كما انه يبكي لا عن جوع ولا رغبة في البكاء بل ليحصل على كمية من الهواء التي يحتاج اليها وهو لا يدري فائدة الهواء ولكن الطبيعة ترشده اليها ولذلك كانت هذه الحركات ضرورية لنموه واحسن وسيلة يحصل بها عليه ان يخرج به من البيت في يوم ساكن الهواء ومعتدل الحرارة . وفي فصل الشتاء يجب ان ينقل الى غرفة ثانية ريثما تفتح نوافذ غرفة نومه وتعرض للهواء ساعة على الاقل

والطفل الاكبر سناً يجب ان يشجع على الرياضة اذا لوحظ انهُ لا يتعاطاها فيعطى ادوات لا تؤذيه اذا استعملها لكنه يندر ان يحتاج لواسطة تدفعه الى الحركة بل كثيراً ما تحتاج الام الى زجره وقد تهدده بسبب الدخول الى البيت وربما ضربته والاصح ان تطلق له حرية تتفق مع الرأفة . وكثيراً ما نشاهد فيه الميل الى التقلب على مرتبة او سجادة او عشبة وغير ذلك من انواع الحركة ولو لم تكن الرياضة لازمة له لما تعلم الدندنة ولا تجاسر على الوقوف وحده

٣ — الغذاء

لاجدال ان لبن (حليب) الام هو افضل غذاء يحصل عليه الطفل في ايامه الاولى وقد ذكرنا في السنة الماضية من الهلال الطريقة المثلى في كيفية رضاعته فلا موجب لتكرارها . انما نقتصر الآن على تفصيل طريقة اطباء اميركا في تغذية الاطفال بوجه

الاحمال . وقد دلتهم اختباراتهم الواسعة على ان نمو الطفل لا يظهر بمجرد النظر الى جسمه فعولوا على الميزان ليرشدهم الى الصواب . ولما كان معدل ثقل الطفل عند الولادة معروفاً ونسبة الربح الذي يحصل عليه من الغذاء مقررة بالنسبة لكمية الغذاء الذي يتناوله في كل اربع وعشرين ساعة هان الوقوف على حقيقة نمو الطفل من وضعه بالميزان لمعرفة ثقل جسده . وفي الاسبوع الماضي قرأت مقالة للاستاذ لبني في هذا الصدد قال « ان معظم الامهات يتذمرن من القاعدة التي وضعناها لتغذية الطفل وليست شكواهن من رضاعته بالاوقات المعينة بل من طريقة مزج لبن البقر بالماء على نسبة تتدرج من القليل الى الاكثر » ثم قال انه خصص بضع سنين درس فيها تأثير اللبن مع بعض التغيير في كميته بالنسبة للماء الممزوج به . ونتيجة درسه « انه يجوز ان يعطى اللبن للطفل من ولادته لغاية الشهر السادس ممزوجاً بثلث من الماء مع اضافة خمسة في المئة من السكر ومن الشهر السادس الى التاسع يمزج بثلث حجمه من الماء وخمسة بالمئة سكر . ومن الشهر التاسع فصاعداً يعطى اللبن صرفاً

ووجد الاستاذ هيوبنر ان الطفل يحتاج في الاشهر الثلاثة الاولى ١٠٠ عقدة حرارة لكل كيلوغرام من ثقل جسمه و٩٠ عقدة حرارة في الاشهر الثلاثة الثانية و٨٠ عقدة حرارة في الثلاثة الثالثة و٧٠ عقدة حرارة في الثلاثة الرابعة . لنفرض ان ثقل جسد الطفل بلغ في الشهر السابع ستة كيلوغرامات ونصف فالذي يحتاج اليه من الغذاء ٨٠ عقدة حرارة لكل كيلوغرام و٥٢٠ عقدة حرارة في مدة ٢٤ ساعة وفي هذا الوقت يعطى ثلثين لبن وثلث ماء مع خمسة بالمائة من السكر كما تقدم . فتكون الكمية التي تلزمه ليحصل منها على حاجته نحو اربعة اخماس الليتر و٢٨ اوقية تقسم الى خمس وجبات . فيعطى في كل رضاعة ١٧٠ غراماً او خمس اواق وثلثي اوقية . ومن المقرر ان نصف ليتر من اللبن يولد ٣٠٠ عقدة حرارة والخمسة بالمائة من السكر يولد ٢٠٠ عقدة حرارة . ولا بأس من وضع قاعدة تشمل الاطعمة التي يتدرج الطفل اليها بعد الرضاعة دفعاً للالتباس والمقرر ان معدل ما يحتاج اليه البالغ من الغذاء ٣٠ عقدة حرارة لكل كيلوغرام لكن الطفل يحتاج الى ضعفي ذلك او ثلاثة اضعافه . فيفهم من ذلك ان الطفل يقل قدر غذائه كما تقدم في النمو بالنسبة الى ثقله أي الذي يفقده في

كل كيلوغرام يعوضه من الزيادة التي يربحها جسده في تدرجه الى النمو . وهاك جدولا لما تولده المأكولات من الحرارة :

اوقية		عقدة حرارة	اوقية		عقدة حرارة
١	من التفاح يتولد عنها	٣٠		بيضة كاملة يتولد عنها	٨٠
	من اللبن ٣٣ غراماً »	٨٠	١	من بياض البيض »	٣٠
١	من الزبدة »	١٦٠	١	من صفار البيض »	٥٠
½ ١	من الحبوب »	٥٠	١	من سكر اللبن »	٣٦
١	من البسكويت »	١١٤		ملعقة كبيرة من السكر »	١٦
١	من القشطة »	٦٠			

قلنا ان الوسيلة الوحيدة في تحقق حال الطفل هو الوزن وبه نعلم مقدار نموه ولذلك اضع جدولاً في معدل ثقل الصبي من الولادة الى السنة السابعة فقط وليس على الام الا ان تمرن استعدادها الطبيعي على وضع المثاليه ملقاة على عاتقها فيسهل عليها معرفة الغرض من هذا المقال

	ثقل الصبي بالكيلوغرام	ثقل البنت بالكيلوغرام
عند الولادة	٣ ، ٤٣	٣ ، ٣٦
في الشهر السادس	٧ ، ٢٦	٧ ، ٣٠
في السنة الاولى	٩ ، ٢٩	٨ ، ٨٤
في السنة ونصف	١٠ ، ٣٥	٩ ، ٩٨
في السنتين	١٢ ، ٠٢	١١ ، ٥٦
في السنة الثالثة	١٤ ، ١٤	١٣ ، ٦٠
« الرابعة	١٥ ، ٨٧	١٥ ، ٤١
« الخامسة	١٨ ، ٧١	١٨ ، ٦
« السادسة	٢٠ ، ٤٨	١٩ ، ٩٧
« السابعة	٢٢ ، ٤٤	٢١ ، ٧٨

٤ — المخالطة

اريد بهذا الشرط من شروط الوقاية علاقة الطفل بالام وهي الصلة الوحيدة بين الام خارج البيت وبين طفلها . واهمال هذا الشرط يفسد علينا الغاية المقصودة مما توخيناه وسبق بيانه . اذ ما الفائدة من الاعتناء بصحة الطفل اذا كانت الام غير معتنية بصحتها أو كانت تمضي الى زيارة صديقة مريضة او ولدها مريض وتهمل شروط الوقاية حاملة انتقال العدوى من المريض الى السليم بقبلة تطبعها على فم طفلها بحال عودتها وقبل ان تجري الاجراءات اللازمة اذا كان لا بد لها من تلك الزيارة . أو تكون مشغولة بشؤون البيت من طبخ وغسيل وتنظيف وغير ذلك ثم ترتمي على سرير طفلها وهي في تلك الحالة لا تحسب للخطر حساباً . واذا كان ولدها مستعداً للانتقال فتصحبه معها في [illegible] متنقلة من بيت الى آخر

ويصح هذا [illegible] على كل عضو في البيت [illegible] ان يكون على حذر [illegible] فالاب والاخ والاخت والخادم [illegible] في خطر [illegible] وقد يكون [illegible] واحد منهم واسطة لنقل العدوى الى البيت كله [illegible] واحد من ثلاثة : الاهمال . او الجهل . او العطف . [illegible] هذه الاخطار [illegible] وهي [illegible] ضحية الجهل والاهمال على مذبح العطف والحنو ولو سألت الام [illegible] مقدار محبتها لاسمعتك [illegible] وهي [illegible] ما عندها . ومن العجيب انها شغوفة محبة الى هذا الحد يصعب عليها [illegible] ما يردده على مسامعها الطبيب في الاحايين المتتابعة من الشروط الصحية التي في [illegible] من الاقتداء وتحفظ لها ولدها [illegible] . وأي صعوبة لتمام قيامها بهذه الواجبات تعادل الحزن الذي يتملك فؤادها عندما تشاهد ولدها مريضاً . وأهم هذه الشروط ياسيدتي ان تعتني بصحتك من نظافة وطعام قبل ان تعتني بصحة طفلك واذا كان لا بد لك من زيارة بعض معارفك فيجب عليك بحال عودتك من الزيارة ان تغسلي وجهك ويديك جيداً وتنزعي الثوب الذي كان عليك . واذا كنت آخذة في شؤون البيت فاغسلي يديك ووجهك قبل المجيء الى طفلك

ولا بد من تلقيح الطفل في اول ايامه ولا ضرر من اعادة ذلك مرة في السنة ولا يقتصر على تلقيح الطفل بل كل عضو في بيت يجب تلقيحه

على انهُ اذا كان الاعتناء بصحة الطفل الجسدية واجبة فالاعتناء بصحته العقلية أوجب . واي فضل للام من نتاجها اولاداً لا تربية ادبية تردعهم ولا مبادئ سامية شريفة تغرس في عقولهم بل اي مزية لها بذلك عن الشجرة التي تحمل اثماراً كثيرة لكن ثمرها رديء الطعم يفسد الهوآء رائحته الكريهة . والدجاجة تعلمت العطف على صيصانها فتدفع عنها كل مهاجم . وتظن الوالدة ان المدرسة تكفل مداناة اتمامه من هذه الجهة نحو ولدها فتضمن لها مستقبل ابنها بما يتعلمه فيها من العلوم والآداب فتهمله وشأنه يرتع ويمرح . وفاتها ان الزمن الذي يقضيه ولدها تحت عنايتها هو الوقت الذي تصلح تربته لزرع حبوب المبادئ والاخلاق الجيدة وان الذي يتمثل فيها من العادات صالحة كانت ام رديئة لا تتغلب عليها علوم المدارس بل تتغلب عليه في اعماله كل ايام حياته . وكم من اعمال مستقبحة تصدر عن اولاد المدارس يمجها الذوق وينفر منها الادب . ومعظم امراض ... من ... وفساد ... يشتركون فيها . ولهم اصلاح الاكثر في نشر ... حكمت هذه ... لا طبيب بعقاقيره ولا القسيس بكتابه ولا الكاتب بقلمه ... هذه الامراض أو يقتل جرثومتها كما تقدرين انت ايتها الام ... على تخليص الامة من هذه الادران المتفشية في احشاء ابنائها وانت المسئولة في اصلاحها . وبقدر سعي الام تكون سعادة الامة والسلام

مصر الدكتور اغراوس شخاشيري

الحالة الاجتماعية

في الممالك الكبرى

من العلوم التي نمت نمواً ظاهراً في القرن الماضي علم الاحصاءات فقد اصبح عضداً لاكثر المباحث لا سيما الاجتماعية منها . فالاعداد قد تغني عن مقالات ضافية لانها تقرير الواقع والواقع افضل دليل — فهم يستدلون على حالة الامة الاجتماعية ودرجة ارتقائها او انحطاطها باحصاء المواليد والوفيات والمدارس والمتعلمين والمرضى عقلاً وجسداً وغير ذلك مما تجده مفصلاً في الجداول الآتية حسب آخر الاحصاءات الرسمية وهي :

١ — الحالة العلمية

أسماء الدول	التعليم: الجهال لكل ١٠٠٠٠ جندي	التعليم: المقيدون في المدارس في المئة	التعليم: الأمية في الدفعات العسكرية لكل ١٠٠٠ نفس	المطبوعات: الجرائد لكل مليون نفس	المطبوعات: الكتب المطبوعة لكل ١٠٠٠٠٠ نفس
بلجيكا	٨٣٣	١٢٫٢	٦٨	٢٧	٢٨
دانمارك	٢٠	١٣	٠٠	٨٤	١٣٥
فرنسا	٣٤٦	١٤٫٢	٨١	٢٥١	٢٨
ألمانيا	٤	١٧	٦٥	١١٥	٤٩
انكلترا	١٠٠	١٧	٥٦	٩٨	٣٢
ايتاليا	٣٠٧٢	٨½	٧٧	٩٠	٢١
هولاندا	٢١٠	١٥	٧٢	١٣٢	٥٦
روسيا	٩١١٠١	٤٫٥	١٦	٨	٦
سويسرا	٩	١٨٫٦	١٧٨	٢٧٥	١١٦
الولايات المتحدة	٣٨٠	١٩٫٧	٢٠	٢٤٠	١٠

الحالة الاجتماعية

أسماء الدول إحصاء سنة ١٩٠٨	المواليد في الألف	السقط في المئة	الوفيات في الألف	الوفيات تحت السنة من العمر في المئة	زواج في الألف	ذوو الحرف في المئة	المهاجرون من أوروبا في ١٠٠٠٠ نفس	السكان في كل كيلومتر مربع
بلجيكا ١٩٠٧	٢٥	٤٫٣	١٥٫٧	١٣٫٢	٨٫٢	٤٦	٢٤	٢٣٧
دانمارك	٢٩	٢٫٤	١٤٫٧	١٠٫٨	٧٫٥	٤٥	١٧	٦٦
فرنسا ١٩٠٥	٢١	٤٫٥	٢٠٫٦	١٤٫٣	٨٫١	٥١	٠٠	٧٣
ألمانيا	٣٣	٣٫٦	١٩	١٧٫٨	٧٫٩	٤٥	٤	١١٢
انكلترا	٢٦	٠٠	١٤٫٧	١٣٫١	١٤٫٣	٤٤	٧٤	٢١٥
ايتاليا ١٩٠٥	٣٢	٤٫٥	٢١٫٩	١٥٫٦	٧٫٧	٥٠	١٨٣	١١٣
هولاندا	٣٠	٣٫٩	١٥	١٠٫٣	٧٫٣	٣٨	٥	١٥٤
روسيا ١٩٠٣	٤٧	٠٠	٢٩٫٤	٢٧٫٢	٨٫٧	٢٥	٠٠	٦
سويسرا	٢٧	٣٫٢	١٦٫٣	١٠٫٨	٧٫٨	٤٧	١٠	٨٠

٣ — امراض الهيئة الاجتماعية

اسماء الدول احصائية ١٩٠٨	المجرمون من كل ١٠٠٠٠٠ نس				[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	حوادث الطلاق [illegible]
	[illegible]	قتل	[illegible]	[illegible]					
بلجيكا	٧١٥	٫٧١	١١٤	٢٦٢٨	٢٣٤	٩٠٠	١١	١٫٦	١٧
دانمارك	٢٥٨	٫٣٠	٧٦	٠٠٠	٠٠٠	٠٠٠	٢٠	٠٠	٢٥
فرنسا ١٩٠٥	٥٠١	٫٦٩	١٥٦	١٣٩٢	١٧٨	١٥٣	٢٢	٣٫٢	٢٥
المانيا	١٢٤٠	٫١٣	١٥٢	١٩٩	٢٢	٠٠٠	٢٢	٢٫٩	٢١
انكلترا	٢٩٨	٫١٩	٢١٧	١٦٩٩	٣٥٦	٢٢١	٧٫٤	٠٠	٢٢
ايتاليا ١٩٠٥	١٣٥٠	٧٫٨١	٤١٣	٢٥٦٢	٠٠٠	٣٠٧٠	٦٫٩	١٫١	٦
هولاندا	٢٧٠١	٫١٢	٠٠٠	٠٠٠	١٨٧	٢٣٦٠	٨٫٤	٤٫٦	٣٢
روسيا ١٩٠٣	٩٢	٠٠٠	٠٠٠	٠٠٠	٤٢	٠٠٠	٠٠	٠٠	٠٠
سويسرا	٢١١	٠٠٠	٠٠٠	٥٢٥	٢٣١	٠٠٠	١٩	١٫٢	٤٣
الولايات المتحدة	٠٠٠	٠٠٠	٠٠٠	٠٠٠	٢٥٦	١٠١	١٨	٠٠	٨٦

فيظهر من هذه الجداول ان البلاد التي يكثر فيها عدد غير المتعلمين كايطاليا و بلجيكا تكثر فيها حوادث القتل والوفيات على الاجال . ولكن الانتحار والطلاق فيها قليلان . وبالعكس حوادث الانتحار والطلاق تكثر في اكثر البلاد متعلمين كالمانيا وسويسرا

دروس من الباخرة تيتانيك

منذ بضعة اشهر غرقت الباخرة العظيمة بل المدينة السابحة تيتانيك معجزة الصناعة الحديثة فضج العالم لهذا الخبر وتألم الناس وعلموا انهم لا يزالون بعيدون عن تذليل الطبيعة وان صناعتهم مع ما بلغت اليه من الاتقان لا تزال بعيدة عن الكمال فشرعوا في اصلاح ما تبين لهم فساده — والاختبار خير معلم

واول ما تنبهت له الاذهان اصلاح القوانين المختصة بالسفن ففي وسع الحكومات ان تمنع السفن من حمل من لا يمكنها تخليصهم وقت الخطر . فان الشرائع القديمة في

قواعد تقويمية

لما كان امر استخراج تقويمات الشهور الشمسية والقمرية من الامور المهمة في المجتمع الانساني وكان هذا الفكر يتردد في مخيلتي كثيراً رأيت ان اضع القواعد الآتية على النمط الآتي تتميماً للفائدة وتفكهة للقراء

قواعد اوائل الاشهر

القاعدة الاولى لمعرفة وقوع اول كل شهر شمسي في اي يوم من الاسبوع في الحسابين الغربي والشرقي هي ان تطرح قاعدة الشهر الآتي بيانها من قاعدة السنة فما بقي فهو الجواب معبراً عن الواحد بيوم الاحد وعن الاثنين بيوم الاثنين وهكذا الى السبعة بيوم السبت . فان اتفق وقوع قاعدة السنة (المطروح منه) اقل من قاعدة الشهر (المطروح) فلكي يتم الطرح لك ان تزيد على قاعدة السنة سبعة وتطرح من المجموع كما علمت وهاك جدول قواعد الشهور الغربية :

	عدد
كانون ثاني (يناير) وتشرين اول (اكتوبر)	١
نيسان (افريل) وتموز (يوليو)	٢
ايلول (سبتمبر) وكانون اول (دسمبر)	٣
حزيران (يونيو)	٤
شباط (فبراير) واذار (مارس) وتشرين ثاني (نوفمبر)	٥
آب (اوغسطس)	٦
ايار (مايو)	٧

ولاستخراج جدول قواعد الشهور الشرقية لك ان تزيد على كل من قواعد الشهور الغربية واحداً فان زاد عن السبعة تطرحها منه وتعتبر الباقي . ثم تعمل بحسب القاعدة السابقة وهاك جدول قواعد الشهور الشرقية

	عدد
ايار (مايو)	١
كانون ثاني (يناير) وتشرين اول (اكتوبر)	٢
نيسان (افريل) وتموز (يوليو)	٣
ايلول (سبتمبر) وكانون اول (دسمبر)	٤

	عدد
حزيران (يونيو)	٥
شباط (فبراير) واذار (مارس) وتشرين اول (نوفبر)	٦
آب (اوغسطس)	٧

(تنبيه) ان الواحد الذي يزاد على قواعد الشهور الغربية لاستخراج قواعد الشهور الشرقية كان اثنين في القرن الماضي الذي يبتدئ من سنة ١٨٠٠ . ينتج من ذلك ان قاعدة كل شهر غربي كانت في القرن الماضي اقل بواحد من القرن الحالي . فلو فرضنا ان قاعدة كانون ثاني الغربي مثلاً هي في القرن الحالي واحد تكون قاعدته في القرن الماضي سبعة . وعليه يجب ان يزاد واحد لقاعدة كل شهر غربي في كل كبس قرني وهذا هو سبب الفرق بين الحسابين الغربي والشرقي . ومتى انتهيت في الزيادة الى السبعة ترجع من الواحد وهكذا

قاعدة السنة الشمسية

ولاستخراج قاعدة السنة الشمسية يجب ان نضرب ارقام تلك السنة في ٣٦٥ ¼ (اي عدد ايام السنة تقريباً) ونقسم الحاصل على ٧ (عدد ايام الاسبوع) فالباقي بعد القسمة هو الجواب . ويحسب الباقي كسراً بعد واحداً صحيحاً ويضاف اليه . كذلك ان كانت تلك السنة كبيساً اسبوعياً (اي ما كان شباطها ٢٩ يوماً) يزاد ذلك اليوم ايضاً على قاعدة السنة ويزاد ايضاً على كل من قاعدتي شهري كانون ثاني وشباط فقط . مثاله ما هي قواعد سنة ١٩١٠ وسنة ١٩١١ وسنة ١٩١٢ وسنة ١٩١٣ فلنا ١٩١٠ × ٣٦٥ ¼ ٦٩٧٦٢٧ ½ ÷ ٧ ٩٩٦٦١ ½/٧ اي ان الحاصل كله صحيح وبقي ½ مقسومة على ٧ فاعتبر هذا الكسر بمقتضى القاعدة واحداً صحيحاً وهو الجواب . ولنا ١٩١١ × ٣٦٥ ¼ ٦٩٧٩٩٢ ¾ ÷ ٧ = ٩٩٧١٣ ¾ ١/٧ = ٢ الجواب (لان الباقي ¾ ١ وباعتبار الكسر واحداً صحيحاً واضافته الى الواحد = ٢) . ولنا ١٩١٢ × ٣٦٥ ¼ = ٦٩٨٣٥٨ ÷ ٧ = ٩٩٧٦٥ ¾ = ٤ الجواب (لان الباقي وهو ٣ يزاد عليه واحد صحيح بما ان هذه السنة كبيسة) . ولنا ١٩١٣ × ٣٦٥ ¼ = ٦٩٨٧٢٣ ¼ ÷ ٧ ٩٩٨١٧ ٤¼/٧ = ٥ الجواب (لان الباقي ٤ ¼ وباضافة الكسر الى الصحيح = ٥)

فلو قيل في اي يوم من ايام الاسبوع هو اول كانون ثاني الغربي سنة ١٩١٠ وسنة ١٩١١ وسنة ١٩١٣ فلنا قاعدة الشهر المذكور ١ وقواعد السنين الثلاث المذكورة ١ و٢ و٥ وبما ان الواحد قاعدة السنة المطروح منه مساوٍ للواحد قاعدة الشهر

المطروح فيضاف بمقتضى القاعدة ٧ الى الاول = ٨ و ٧ و ٥ ويطرح واحد من كل منها = ٧ السبت و١ الاحد و٤ الاربعاء . ويطرح ٢ للشهر المذكور الشرقي من كل منها ايضاً = ٦ الجمعة و٧ السبت و٣ الثلاثاء

ولو قيل في اي يوم من الاسبوع يقع اول كانون ثاني وشباط واذار وكانون اول الغربية سنة ١٩١٢ فلنا قواعد الشهور الاربعة المذكورة ٠ و٥ و٥ و٣ وباضافة واحد الى كلٍّ من الشهرين الاولين (لان هذه السنة كبيس سنوي) = ٢ و ٦ و ٥ و ٣ ويطرح كل منها من قاعدة السنة ٤ كما علمت = ٢ الاثنين و٥ الخميس و ٦ الجمعة و ١ الاحد . وللشرقي لنا قواعد الشهور الاربعة المذكورة ٢ و ٦ و ٦ و ٤ وباضافة واحد الى كل من الشهرين الاولين = ٣ و٧ و ٦ و ٤ ويطرح كل منها من قاعدة السنة ٤ يكون الجواب ١ الاحد و٤ الاربعاء و٥ الخميس و٧ السبت

القاعدة الثانية لمعرفة اليوم من الشهر القمري الموافق ليوم من الشهر الشمسي في الحسابين الغربي والشرقي . هي ان تأخذ اولاً قاعدة القمر وتضيف اليها مجموع عدد الشهور مبتدئاً من اول السنة (اي من كانون ثاني) الى الشهر الذي انت فيه . ثم اضف الى المجموع ايام ذلك الشهر مبتدئاً من اوله الى اليوم الذي انت فيه . ثم اطرح المجموع ١٥ فما بقي فهو الجواب . وللشرقي لك بعد ان تعمل كما تقدم ان تطرح من المجموع ٢ عوضاً عن الـ ١٥ فما بقي فهو الجواب فان زاد عن ٣٠ فاطرحها منه واعتبر الباقي جواباً

قاعدة القمر

ولاستخراج قاعدة القمر لك ان تضرب ارقام تلك السنة الشمسية في $\frac{1}{3}$ ١١ وتقسم الحاصل على ٣٠ فما بقي بعد القسمة اجمع له ١١ (بعد حذف الكسر ان وجد) فما كان فهو الجواب . فان زاد عن ٣٠ فاطرحها منه واعتبر الباقي . مثاله ما هي قاعدة القمر سنة ١٩١٢ الشمسية قلنا ١٩١٢ × $\frac{1}{3}$ ١١ = $\frac{1}{3}$ ٢١١٣٢ ÷ ٣٠ = ٧٠٤ $\frac{12\frac{1}{3}}{30}$ = (بعد حذف الكسر $\frac{1}{3}$) ١٢ وباضافة ١١ اليها = ٢٣ الجواب .

فلو قيل اي يوم من الشهر القمري يقع في ٢٤ اذار غربي سنة ١٩١٢ فلنا ٢٣ (قاعدة القمر) + ٣ (اي من كانون ثاني لغاية اذار) + ٢٤ (اي مجموع ايام اذار من اوله الى اليوم الذي انت فيه) = ٥٠ — ١٥ = ٣٥ — ٣٠ (الزيادة) = ٥ وهو الجواب . وللشرقي نرى أن ٢٤ اذار غربي توافق ١١ منه فلنا ٢٣ + ٣ + ١١ = ٣٧ — ٢ = ٣٥ — ٣٠ (الزيادة) = ٥ وهو الجواب فعليك بالامتحان

اناس باذناب

﴿ مامو في غابة الفرنساوية ﴾ نجيب افندي صباغ
في هذه البلاد الافريقية قوم يولد الذكور منهم ولهم اذناب مثل اذناب الكلاب اما الاناث فيولدن بلا اذناب فهل سمعتم بشيء من ذلك

﴿ الهلال ﴾ لم يذكر العلماء المحققون قوماً على هذه الصورة وانما جاء ذكر ذلك في كتب الخرافات ولعلكم سمعتموه من مبالغ في الحديث . فاذا تيسر لكم مشاهدة ذلك ارسلوا الينا رسوم بعض اولئك المواليد بالفوتوغراف لننشرها خدمة للعلم

اختراع البارود

حضرة منشيء الهلال

قدّر لي الله شرف تشرفي في حضرة صاحب السمو حاج علي قلي خان سردار اسعد البختياري فعرف سموه مني في تاريخ التمدن الاسلامي ان اختراع البارود كان سنة ٧١٩ هجرية بل العرب اسبق الى اختراعه من الافرنج . وازيد على ذلك ان الشاعر الفارسي اسدي الطوسي المتوفى سنة ٤٦٥ ه (وهو الاستاذ ابو نصر بن احمد الطوسي ينتهي نسبه الى ملوك العجم واول من الف كتاب قاموس للغة الفارسية وكل اصول الفارسية اخذت من كتبه واشتهر في عهد آل بويه والغزنوية ويقولون بان ابا القاسم الفردوسي صاحب الشاهنامه كان من تلاميذه) فاسدي الطوسي هذا ذكر في كتابه المعروف بـ «كرشاسب نامه» ما يدل على ان في زمان «نريمان» جد «رستم» فارس الشهير الايراني كانوا يستخدمون المدافع المعمولة من النحاس في محارباتهم وان القنابل في ذلك الزمان كانت حجارة يزيد وزنها على مائة رطل . ولاطلاق المدافع كانوا يستخدمون البارود كما هو معمول في زماننا هذا

ومن ثم امرني سموه بان اترجم من الفارسية الى العربية الابيات المختصة بهذا الصدد من شعر اسدي الطوسي وارسلها اليكم تأييداً لما ذكرتموه في تاريخ التمدن الاسلامي من ان البارود كانت العرب والعجم تستخدمه في محارباتهم . ولا يصح نسبة هذا الاختراع الى سوارتز في سنة ٧١٩ هجرية لان العرب استخدمته قبل ذلك

بنصف قرن في سجلماسة والفرس استخدمته قبل هذا التاريخ في محاربة نريمان مع اللصوص الذين تحصنوا في قلعة « اسبند » . وباستخدام المدفع والبارود غلبت اللصوص على نريمان بعد ان حاصر القلعة ثلاث سنين متواليات . وحسب امر سموه اقدم هذه الرسالة مع الابيات المترجمة لنشرها خدمة للتاريخ :

نريمان درآن بارگاه شهي   همي بود تا شد زمردم تهي
نريمان في تلك الخيمة الملوكية   بقي حتى اصبحت خالية من الناس
شب آخرش بود شب زنده داشت   همي پيش يزدان سرافكنده داشت
فكانت اخر لياليه فاحيا الليل جميعاً   وكان راسه منحنياً امام الرب
مرآن خيمه بد پيش برج حصار   درآن برج بودي شه قلعه دار
والخيمة كانت منصوبة وراء برج الحصار   وفي ذلك البرج كان سلطان القلعة
يكى ديگ منجر د[illegible] برج بود   كه [illegible] د[illegible] سنگ صد من فرود
وكان قدر في ذلك البرج   وقذيفه [illegible] وزناً من قنطار
بدارو مرآن [illegible] [illegible]   [illegible] سب نكهد اشتد
ملاوا تلك القدر من البارود   واتقوه [illegible] حتى الليل
از آن برج آن سنگ آمدرها   بدان آتش ودود چون اژدها
من ذاك البرج افلت ذاك الحجر   بين النار والدخان كحية تخرج من فيها النار
نريمان درآن بارگه در نماز   بدرگاه يزد اش بودے نياز
نريمان في الخيمة كان مشغولاً بالصلاة   وكان يناجي الى باب الله
ازآن پس كران كين گذشته سه سال   همه دشمن ودوست را زان ملال
حاصروا القلعة ثلاث سنين   وملّ الاعداء والاحباء من ذلك
رها لا جو آن رعد انداختند   جهان از نريمان بپر داختند
فلما القوا تلك الصاعقة من الاعالي   جعلوا الدنيا خالية من وجود نريمان

فاذا اعتبرنا حكاية نريمان والمدفع والبارود حقيقية ينتج ان الفرس استخدموا المدفع والبارود قبل المسيح بقرون واذا اعتبرنا هذه الحكاية خرافية او وهمية فلايستطيع احد ان ينكر ان الفرس كانوا يستخدمون البارود والمدفع في عصر اسدي الطوسي اوقبله . لانا نرى هذا الشاعر ذكر في اشعاره وجود المدافع وشرح طريقة

استعمالها وكيف كانوا يطلقونها بواسطة البارود كما يفعلون في زماننا هذا . فالفرس كانوا يستخدمون البارود قبل التاريخ الذي يذكره الاقرع بثلاثة قرون او قرنين ونصف على الاقل . والآن ثبت ان عرف اسدي الطوسي وجود البارود والمدفع وطريقة استعمالها كما شرحهما في كتابه ولا يعلل ذلك الا بوجودهما في ايران قبل زمن اسدي الطوسي اي قبل ٤٦٥ ﻫ والله اعلم

حبيب الله ضياء السلطان

اخبار اجتماعية

﴿ الفقر في انكلترا ﴾ في اول يناير سنة ١٩١١ كان مجموع الفقراء الذين تعولهم الحكومة الانكليزية ٨٩٢ ٠٠٠ اي ٢٥ في الالف من السكان منهم ٤٩٩ ٠٠٠ يساعدون في بيوتهم و ٣٩٣ ٠٠٠ مقيمون في منازل الحكومة ومستشفياتها . اما في المانيا فلا يوجد احصاء اجمالي الا احصاء سنة ١٨٨٥ فكان عدد المعولين ١ ٥٩٢ ٠٠٠ اي ٣٤ في الالف . منهم ١ ٢٩٩ ٠٠٠ في منازلهم . وفي بافاريا كان عدد المعولين سنة ١٩٠٩ ٢٣٥ ٠٠٠ اي ٣٦ في الالف — وقد تضاعف عدد الفقراء في مدينة برلين منذ ١٨٨٦ الى ١٩٠٩ اي كان ٢٦ ٠٠٠ فصار ٥٢ ٠٠٠

﴿ المواليد في روسيا وفرنسا ﴾ ان عدد المواليد يقل في روسيا وفي فرنسا ولكنه في الاخيرة اقل بكثير منه في الاولى . وهاك عدد المواليد بالالف في كل منهما :

سنة	في فرنسا	في روسيا
١٩٠١	١٥.٧	٣٧
١٩٠٨	١٤.٨	٣٣.٧
١٩٠٩	١٤.٨	٣٢.٧
١٩١٠	١٤.٦	٣١.٥
١١٩١	١٢.١	٣٠.٢

﴿ الحرائق في باريس ﴾ حصل في باريس حسب الاحصاءات الرسمية ٢٤٤٤ حريقة سنة ١٩١١ منها ٤٩٦ قدرت الخسائر فيها باكثر من الف فرنك وبلغ

الجزء الثاني من السنة الحادية والعشرين

اول نوفمبر (ت ٢) سنة ١٩١٢ و ٢١ ذي القعدة سنة ١٣٣٠

ممالك البلقان

والدولة العثمانية

البلقان بلاد جبلية كانت تسمى قديماً « هيموس » واقعة في جنوبي اوربا وشرقيها بين البحر الاسود والبحر الادرياتيكي . وهي كثيرة الجبال الوعرة متوسط علو جبالها نحو ٤٠٠٠ قدم ولكن بعضها يبلغ ارتفاعه ٨٠٠٠ قدم . وهي تتشعب في الشرق الى سلاسل عديدة تذهب شمالاً وجنوباً منها جبل سكاردوس اعلى قممه « تشارداغ » في البانيا ارتفاعه ٩٦٠٠ قدم . اكثر انهار البلقان تصب في البحر الاسود وبعضها في يصب في البحر المتوسط

ويقطع سلسلة جبال البلقان مضائق عديدة يعسر عبورها فالمسافر من النمسا الى الاستانة مثلاً لابد له من المرور في بعضها . والمواصلات جارية الان بين فينا والاستانة بواسطة المضيق المعروف بباب تراجان ومن تلك المضائق الهامة ايضاً « تادردرست » و « كارباباد » و « بسرجك صوقيا » وحجارة تلك الجبال اكثرها من النوع الغرانيتي . ويظنون فيها كثيراً من المناجم المعدنية لكنهم لم يحققوا ذلك بالتنقيب الكافي بعد . وقد اشتغل في ذلك كثيرون ولا يزالون

ويطلق الكتاب اسم « شبه جزيرة البلقان » على تلك الجبال وما يليها جنوباً

الى البحر المتوسط فيدخل فيها بلاد اليونان . وتشتمل على املاك الدولة العثمانية في اوربا ما استقل منها وما بقي . وهي موضوع بحثنا في هذه المقالة عمدنا الى وصف احوالها على ارقيام معظم الممالك البلقانية التي استقلت وتعاونها لأكراه الدولة العثمانية على اجراء الاصلاح في مكدونية

فشبه جزيرة البلقان الآن تشتمل على ممالك مستقلة وعلى ولايات لا تزال تابعة للدولة العثمانية . اما الممالك المستقلة فهي خمس منها اربع قائمة على الدولة وهي : (١) مملكة اليونان (٢) بلغاريا (٣) السرب (٤) الجبل الاسود . والخامسة لا تزال على الحياد اعني رومانيا وسنتكلم عن كل منها على حدة

اما الولايات العثمانية الباقية في حوزة الدولة العثمانيــة فتعرف على الاجمال باسم مكدونية والبانيا . ولكنها في المعاملات الرسمية تقسم الى ثماني ولايات هذه اسماؤها مع مساحتها وعدد سكانها :

اسم الولاية	مساحتها	عدد سكانها
الاستانة	١ ٥٠٥	١ ٢٠٣ ٠٠٠
شتالجة (متصرفية)	٧٣٢	٦٠ ٠٠٠
ادرنه	١٤ ٨٢٢	١ ٠٢٨ ٢٠٠
سلونيك	١٣ ٥١٠	١ ١٣٠ ٨٠٠
مناستير	١١ ٠٠٠	٨٤٨ ٩٠٠
قوصوه	١٢ ٧٠٠	١ ١٣٨ ١٠٠
شقودرة	٤ ١٧٠	٢٩٤ ١٠٠
يانيا	٦ ٩١٠	٥٢٧ ١٠٠
(الجملة)	٦٥ ٣٥٠	٦ ٢٣٠ ٢٠٠

ومن هذا العدد ٠٠٠ ٥٠٠ ٣ نفس من المسيحيين و ٠٠٠ ٥٠٠ ٢ من المسلمين والباقي من سائر الطوائف

ولاجل المقابلة بين سكان هذه الولايات العثمانية وسائر ممالك البلقان الناهضة على الدولة نأتي على احصائها على الاجمال :

اسم المملكة	مساحتها بالميل المربع	عدد سكانها
اليونان	٢٥ ٠١٤	٢ ٦٣١ ٩٥٢
بلغاريا والرومللي الشرقي	٣٧ ٠٨٠	٤ ٠٣٥ ٦٢٣

الصرب	١٨٦٥٠	٢٦٨٨٠٢٥
الجبل الاسود	٣٦٣٠	٢٥٤٠٠٠
(الجملة)	٨٤٣٧٤	٩٦٠٥٦٠٠

فنرى من مقابلة الاحصائين ان مساحة املاك الدولة العلية نحو خمس مساحة تلك البلاد وعدد العثمانيين فيها نحو ثلث مجموع سكان تلك الممالك . واكثرهم من المسيحيين . اما رومانيا فان مساحتها ٥٠٧٢٠ ميلاً مربعاً وعدد سكانها نحو ٧٠٠٠٠٠٠ نفس

تاريخ البلقان على الاجمال

ولشبه جزيرة البلقان على الاجمال تاريخ قديم فانها عاصرت الدول التي تمدنت قديماً وكانت في اثناء التمدن اليوناني مقسومة الى عدة ممالك اهمها مملكة اليونان ومكدونية وابيريا وايليريا وتراقية . وتوالت عليها احوال شتى وانتشبت بينها حروب عديدة . حتى ظهر الاسكندر فدخل معظمها في سيطرته . ثم صارت الى الدولة الرومانية وقسمت الى ولايات اهمها آخائية وابيريا ومكدونية ودلماتيا وتراقية وميسيا ودلماتيا . وما زالت في نحو ذلك الى ان انقسمت المملكة الرومانية الى شرقية وغربية . فكانت في حوزة المملكة الشرقية او البيزنطية . ثم توالت عليها احوال مختلفة وظهر الاسلام فلم يستطع المسلمون فتحها في اثناء الدول الاولى — الراشدين والامويين والعباسيين والفاطميين ولا في عهد الدول اللاحقة وغيرهم من الاتراك والاكراد . فلما نشأت الدولة العثمانية حملت عليها فاكتسحتها وفتحتها قطعة قطعة فصارت في عهد السلطان سليمان القانوني ولاية عثمانية تمتد من حدود المجر شمالاً الى بحر الروم جنوباً وظل الجبل الاسود وحده مستقلاً ثم دخل في حوزتها وقد توالت عليه احوال مختلفة

ولما ضعفت احوال العثمانيين نهض اهل شبه جزيرة البلقان يطلبون الاستقلال وهم اول من تجرأ على ذلك من ولايات الدولة لقربهم من الدول النصرانية باوربا فاستقلوا شيئاً فشيئاً فنشأت من ذلك ممالك البلقان المستقلة التي نحن في صددها واليك تاريخ كل واحدة منها مع وصف احوالها الحربية بما يقتضيه المقام من الايجاز

١ — اليونان

لليونان تاريخ قديم يتصل بالعصور الخرافية ولهم مفاخر ليست لسواهم في البلقان . فهم اصحاب الفلسفة والشعر والمنطق . كانوا في اقدم ازمانهم دولاً او قبائل او مدناً يتنازعون ويتغالبون . وقد استعمروا معظم شواطىء البحر المتوسط حتى نازعهم الرومان

على ذلك . ثم غلبوهم على ما في ايديهم فدخلت بلاد اليونان في حوزة الروم ثم صارت في حوزة المملكة الرومانية الشرقية . ولما حل العثمانيون على اوربا وفتحوا شبه جزيرة البلقان كانت بلاد اليونان في جملة ما دخل منها في سلطانهم باواسط القرن السادس عشر للميلاد

خضع اليونان للعثمانيين مرغمين وفي نفوسهم غلّ وجعلوا يتحينون الفرص للاستقلال فلما آذنت شمس الاجماع بتقهقر الدولة العثمانية كان اليونان اول من حاول خلع نير الطاعة من امم البلقان فنالوا استقلالهم الحقيقي سنة ١٨٢٩ بعد جهاد طويل وحروب متفرقة سبع سنين اشتركت فيها مصر بعمارة ارسلها محمد علي باشا تحت قيادة ابنه ابراهيم باشا الى امورة سنة ١٨٢١ ولكن الدول تضافرت على نصرة اليونان بمعاهدة لندن سنة ١٨٢٧ فانتهت تلك الحروب بمعاهدة ادرنه سنة ١٨٢٩ واعترفت تركيا باستقلال اليونان فاصبحت هذه الدولة مستقلة من ذلك الحين

فنبهت فيها مطامع [illegible] وممالك [illegible] فوجهت آمالها الى استرجاع ذلك الملك لانها تعد نفسها [illegible] العثمانيون على سلطانها وما كان عاصمتها [illegible] ([illegible]) [illegible] استقلوا وهم يترقبون الفرص [illegible] سنة ١٨٩٧ [illegible] وهم اليوم يمالئون البلغار والصرب والجبليين [illegible]

قوة اليونان الحربية

التجنيد في بلاد اليونان اجباري وعمومي تحق الجندية على كل يوناني دخل في سنة الحادية والعشرين من عمره ويبقى في خدمة الجندية ٣٦ سنة تقسم الى درجات : السنتين الاوليين للتمرين تحت السلاح . تليها ١١ سنة في الرديف الاول و٩ سنين في الرديف الثاني . ثم ينتقل الى الحرس الوطني (المستحفظ) سبع سنين تليها سبع اخرى وقد تحور هذه الشروط حسب الاحوال من تأجيل او اعفاء او غير ذلك

ويتألف الجند اليوناني من ثلاثة طوابير او ألوية ينقسم كل منها الى فرق وبلوكات وبطاريات جملتها كلها ٣٠٠٠٠ مقاتل في حال السلم و٥٠٠٠٠ في حال الحرب منها فرقة المدفعية مؤلفة من ثماني بطاريات وفرقة الفرسان من ست بلوكات ثم فرقة المهندسين . وعندهم ايضاً ثماني بطاريات جبلية . ذلك هو تقدير القوات اليونانية الى آخر السنة الماضية . وسلاحها من الطرز الجديد فالبنادق من طرز مانليشر والمدافع من طرز شنيدر وكانت ميزانية الحربية للسنة الماضية نحو ١٠٠٠٠٠ جنيه

اما البحرية فمؤلفة من ثلاث مدرعات تحمول كل منها ٥٠٠٠ طن وهي هيدرا وسبانسي وبسارا . عليها ثلاثة مدافع قطر قنابلها عشرة قراريط ونصف . وخمسة قطرها ستة قراريط . وبعض المدافع الصغرى . لكنها وست على بعض المدمرات من الطرز الحديث منذ بضع سنوات وعددها ١٩ سفينة طوربيدية ليست ذات بال . وقد بنت نسافة اسمها افيروف بايطاليا سنة ١٩١٠ وزنها ١٠٠٠٠ طن واستعانت في العام الماضي في اصلاح بحريتها باستخدام مستشار انكليزي . وابتعت بالامس بعض النزادات استعداداً لهذه الحرب

جورج الاول ملك اليونان

وملك اليونان اليوم جورج الاول بن كريستيان ملك الدنمرك السابق ولد سنة ١٨٤٥ وتولى الملك سنة ١٨٦٣ فهو الآن في السابعة والستين من عمره يتولى الحكومة بواسطة النواب وهم مجلس واحد مؤلف من ٢٣٥ عضواً تنتخبهم الامة لاربع سنوات وعمر النائب يجب ان يكون ٣٠ سنة فاكثر

عدد سكان اليونان ٢٦٣١٩٥٢ نفس اكثرهم من الروم الارثوذكس . والمذهب الارثوذكسي مذهب الحكومة الرسمي . وهم تابعون رسمياً من حيث الدين الى البطريرك القسطنطيني لكنها تابعية اسمية . واما فعلاً فان المسائل الدينية تجري في بلاد اليونان على ايدي مجلس يسمى سينودوس مؤلف من متروبوليت اثينا وسائر الاساقفة . وعاصمة اليونان اثينا

٢ — بلغاريا والبلغاريون

البلغاريون امة قديمة وقد يتبادر الى الاذهان انهم يونانيو الجنس لمجاورتهم اليونان او انهم سلاف لقربهم من الروس. لكنهم بالحقيقة لا من هؤلاء ولا من هؤلاء وانما هم صنف من [illegible] وأصلهم من المغول مثل سكان المجر (هونغاريا) واهل لابلاندا وفنلاندا . وكانوا قبل نزوحهم الى رومللي يقطنون جهات فولغا على ضفاف نهر فولكا في روسيا اوربا . ونهر فولكا مذكور يصب في بحر قزوين على شواطئ استراخان . واقام البلغاريون هناك قروناً متوالية ثم زحفوا جنوباً غربياً حتى نزلوا بلاد البلقان في القرن السابع للميلاد حوالي ظهور الاسلام . واقاموا هناك وتكاثروا وانتشروا ولم يكد ينقضي القرن العاشر حتى اصبحوا دولة شديدة البأس حتى دولة الروم [illegible] . وملك البلغار [illegible] وهو من اعظم ملوكهم ، و[illegible] في [illegible] وكانت قد دخلت بالنصرانية سنة ٨٦[illegible] [illegible] في سنة ٩٢٧ . و[illegible] اخذت دولة البلغار [illegible] فاتحها [illegible] ثم عادت واستقلت في القرن الحادي [illegible] من المملكة الرومانية الشرقية . ثم عادت فاستقلت [illegible] عشر و[illegible] سلطانهم ، حتى [illegible] سنة ١٣٩٢ فتحها العثمانيون وبقيت في حوزتهم الى سنة ١٨٧٨ [illegible] امارة [illegible] . ثم حاربوا الصرب سنة ١٨٨٥ و[illegible] . ثم [illegible] [illegible] اخرى و[illegible] استقلالهم التام . و[illegible] اميرهم [illegible] سنة ١٩٠٨ [illegible] فرديناند.

و[illegible] مذكور [illegible] او [illegible] كوبرج وغوطا . وهو من اسرة البوربون ولد سنة ١٨٦١ وانتخب اميراً لبلغاريا سنة ١٨٨٧ باجماع الامة . وكان قد [illegible] في [illegible] تساوي مدة وله املاك واسعة في [illegible] . وهو كثير الشبه بوالدته من حيث [illegible] بوربوني القامة والطلعة

وبلغاريا [illegible] يدخل فيها رومللي الشرقي وتقع بين البحر الاسود والصرب ومكدونيا ورومانيا . مساحتها مع رومللي الشرقي ٣٧٠٨٠ ميلاً مربعاً وعدد سكانها ٣٥٦٢٣ [illegible] نفساً . عاصمتها صوفيا عدد سكانها ١٠٢٧٦٩ نفساً . [illegible] منطبع على [illegible] والتحيد [illegible] الاجنبي فانهم [illegible] من الجندية [illegible]

البدل . يبدأ التجنيد من سن العشرين . المدة الاولى سنتان في المشاة وثلاث سنوات في الفرق الاخرى و ١٨ سنة رديف في المشاة و١٦ في سواهم . ويجوز طلب الرديف للتمرين على السلاح ثلاثة اسابيع في العام . ثم يصير الجندي البلغاري الى طبقة المستحفظين يبقى فيها اربع او خمس سنوات وجملة الخدمة العسكرية ٢٦ سنة

فرديناند الاول ملك البلغار

ويتألف جند مشاة البلغاري من ٣٦ دستوراً وثلاثة طوابير مدفعية كل منهما مؤلف من ست بطاريات . وعندهم طابور من الفرسان

ومجموع القوات العسكرية في ايام السلم نحو ٦٠٠٠٠ مقاتل اما في حال الحرب فتبلغ الى ٢٣٥٠٠٠ ويقال ان الجند البلغاري مدرب على الحركات العسكرية احسن تدريب وبندقه من طرز مانليشر ومدافعه من طرز شنيدر المتقدم ذكرهما

وعندهم بطاريات جبلية عددها لا ٣ ١٢ بطارية عليها مدافع كروب وقد بلغت ميزانيتها الحربية للعام الماضي ١٥٩١٠٠٠ جنيه

٣ — الصرب

والصرب مساحتها نحو ١٨٦٥٠ ميلاً مربعاً . يحدها النمسا من الشمال والفلاخ والبلغار من الشرق والبانيا من الجنوب والبوسنه من الغرب . عدد سكانها ٠٢٥ ٦٨٨ ٢ نفساً وهم سلافيو الاصل تنصروا سنة ٩٤٠ م . وكانت بلاد الصرب في اوائل ادوارها جزءاً من المملكة اليونانية يحكمها امراء من اهلها . وفي سنة ١٠٤٠ م استقلت بقيادة امير منهم اسمه استيفان بوسطام وتولى حكمها ابنه ميخائيل وهو اول ملوكها . وما زالت مستقلة حتى فتحها السلطان مراد الثاني سنة ١٣٨٩ م فدخلت في حوزة العثمانيين اربعة قرون وسبعة عشر عاماً حاولت في اثنائها التملص من تلك السلطة فلم تفلح حتى ظهر فيها بأواخر القرن الثامن عشر رجل من زعماء اللصوص يسمى جورج الاسود (قراجورجفيتش) وكان ذا بطش شديد دعا الصربيين الى الثورة فنهضوا تحت لوائه وفازوا بالاستقلال سنة ١٨٠٥ ونودي حاكماً على الصرب والآن حفيده بارها . ولكن سلطانه لم يدم لان العثمانيين عادوا واعادوا البلاد الى حوزتهم سنة ١٨١٣ بعد مذبحة هائلة وفر جورج الى روسيا . ثم عاد الصربيون الى الثورة سنة ١٨١٥ بقيادة رجل من رعاة الخنازير اسمه ميلوش اوبرينوفيتش وثبت في حربه وقتاله حتى رأس حزب الاستقلال وحارب العثمانيين فاعترف له الباب العالي سنة ١٨٢٩ نوعاً من الاستقلال واقره اميراً على الصرب . وفي السنة التالية جعل الحكومة ارثاً في نسله . وفي سنة ١٨٥٦ دخلت الصرب في حماية الدول بمقتضى معاهدة باريس مع التوسع في استقلالها . وفي سنة ١٨٧٨ استقلت تمام الاستقلال

وملك الصرب الآن بطرس الاول ابن اسكندر قراجورجفتش . تولى الملك سنة ١٩٠٣ وحكومته دستورية مثل سائر الحكومات المتقدم ذكرها تجري فيها الاحكام على يد مجلس النواب

والجندية فيها اجبارية وعمومية ايضاً . يتجند الشاب وهو في الحادية والعشرين من عمره ولا يزال في الخدمة الى سن ٤٤ والجندية عندهم ثلاث طبقات (١) الجند العامل ورديفه (٢) وديف تحت السلاح (٣) مستحفظ . ينتقل فيها الجندي تدريجاً مثل سائر الاجناد

وينقسم الجند الصربي الى خمسة طوابير ينقسم كل منها الى فرق ومنها فرقة المدفعية مؤلفة من تسع بطاريات كل منها اربعة مدافع وفرقة كبرى من الفرسان ومجموع المقاتلين

في جنوب البلاد [illegible] نحو ٣٠٠٠٠ [illegible] ٠٠٠ ١١٠ [illegible]
و [illegible] اليها [illegible] ٠٠٠ ١٧٥ [illegible]
الحربية [illegible] نحو ٠٠٠ ١٠٦٠ [illegible] لانها لا تتصل بالبحر .
عاصمتها بلغراد عدد سكانها ٢٣٥ : ٨٤ نفساً

٤ الجبل الاسود

هو الاسم [illegible] . مساحته نحو ٣٦٣٠ ميلاً مربعاً . واقع بين البوسنة والهرسك وبلاد [illegible] والبحر الادرياتيكي . عدد سكانه نحو ٠٠٠ ٢٥٠ نفس اكثرهم من [illegible] (ارثوذكس) وفيهم ٠٠٠ ١٠ كاثوليكي و ٠٠٠ ١٤ مسلم . عاصمته مدينة ستنجه (او ستينيه) سكانها ٤٥٠٠ نفس . ومن مدنه بودغوريتزا سكانها ٠٠٠ ١٠ نفس ودولتشينو ونيكشيتش . واكثر سكانها فلاحون ورعاة وهم من الجنس السلافي

والجبل الاسود امارة مستقلة منذ القدم ولم يستطع العثمانيون فتحها الا بعد فتح القسطنطينية بثلاثة ارباع القرن على يد السلطان سليمان القانوني سنة ١٥٢٦

لكنهم لم يخضعوا اهله ولا استفادوا من ذلك الفتح بسبب وعورة ذلك الجبل وشدة بأس اهله في الدفاع عن استقلالهم غير ما يتفق فيهم من الدسائس السياسية . لم يمض زمن طويل على ذلك الفتح حتى جاهر الجبليون بالعصيان فخلعوا النير التركي وولوا عليهم اسقفاً منهم اسمه دانيلو بتروفتش سنة ١٦٩٧ تولى السيادة الدينية والسياسية معاً وهم يسمون صاحب هذا المنصب « ولاديكا » وتحالف مع الروس واستبد اعقابه في تلك الامارة دينيًا وسياسياً حتى تولاها بطرس بتروفتش الثاني المتوفى سنة ١٨٥١

نقولا الاول صاحب الجبل الاسود

وكان حكيماً عاقلاً وشاعراً اديباً خلفه ابن اخيه دانيلو الاول فتنازل عن السلطة الدينية ولقب نفسه « غوسبودار » اي امير بدلاً من « ولاديكا » وكانت تركيا تعد الجبل الاسود في حمايتها وولايتها . وكان امراؤه يعترفون بتلك السيادة اسماً فاراد دانيلو التخلص منها فطلب الى روسيا ان تعترف باستقلاله وتمرد على الدولة وشهر عليها حرباً فحاصره العثمانيون سنة ١٨٥٢ بقيادة عمر باشا القائد العثماني الشهير فاظهر الجبليون السكينة فارتد عنهم سنة ١٨٥٣ ثم عادوا الى العصيان فحاربهم العثمانيون سنة ١٨٥٨ ثم ملَّ الجبليون استبداد اميرهم دانيلو فقاموا عليه وقتلوه سنة ١٨٦٠ فخلفه ابن اخيه نقولا فسعى سعي عمه لكنه اضطر الى الاعتراف بسيادة تركيا سنة ١٨٦٢ ثم عادوا الى التمرد وانتشبت بينه وبين الدولة حروب انتهت باستقلال الجبل الاسود رسمياً

سنة ١٨٧٨ بمعاهدة برلين . ثم تعدلت حدود الجبل المعينة في تلك المعاهدة سنة ١٩٠٩

وامير الجبل الآن البرنس نقولا الاول ولد سنة ١٨٤١ فهو الآن في التاسعة والسبعين من عمره تثقف في تريستا وباريس . وتولى امارة الجبل سنة ١٨٦٠ خلفاً لعمه دانيلو الاول . ونال لقب « ملك » سنة ١٩١٠ بعد ان احتفلوا بيوبيله الخمسيني لمرور خمسين سنة منذ تولى ذلك الجبل . تزوج سنة توليه العرش ورزق اولاداً كثيرين اكبر الذكور منهم ولي العهد دانيلو اسكندر ولد سنة ١٨٧١

اختلف النقادون في وصف هذا الرجل لكن الاكثر على انه اعظم ملوك البلقان وهو دقيق الاحساس وفيه ميل الى الشعر والادب . لكنه كتوم لا يسهل على الناس معرفة دقائق فكره يساير روسيا لانها تساعده لكنه لا يعد نفسه صنيعتها بل هو يخاف مطامعها . يقبل هديتها من البنادق والذخائر لكنه لا يثق بها وهذا تصرفه مع سائر الملوك الذين يحفظون ودّه ويطمعون بشعبه . وهذه سياسته الآن مع زملائه القائمين على الدولة العثمانية اليوم

بحرية الجبل الاسود

قد علمت ان سكان جبل الاسود لا يزيدون على عدد سكان الاسكندرية فاذا عسى ان تكون جنديتهم ؟ انها قليلة لكنهم اشداء وقد تجدد نظامهم سنة ١٩١٠ وكل شاب بلغ الثامنة عشرة من عمره استحق الانتظام في الجندية حتى يدرك الثانية والستين فمدة الخدمة عندهم ٤٥ سنة . منها سنتان تحت التمرين و٣٣ سنة في الخدمة وعشرسنين في الرديف . وينقسم الجنود عندهم الى طبقتين بالنظر الى قوام البدنية : الطبقة الاولى تشتمل على الشبان الاقوياء الابدان الذين لهم صبر على التعب والشقاء وهم المحاربون ، والثانية تشتمل على الذين في ابدانهم ضعف فهؤلاء يستخدمون في نقل معدات الحرب والخدمة في المستشفيات العسكرية ونحوها . اما الرجال الذين لا يدخلون الجندية بسبب نقص او عاهة فانهم يدفعون غرامة يختلف قدرها باختلاف احوالهم

والجند عندهم مؤلف من اربعة طوابير لا يزيد مجموع رجالها على ٥٠٠٠٠ مقاتل في حال الحرب . وعندهم ثماني بطاريات قدمها القيصر للامير نقولا . وسلاح المشاة من الطرز الروسي . واما المدافع فانها من طرز مكسيم ويقال بالاجمال ان جند هذا الجبل لم يبلغ حد النظام المطلوب لكنه يتفانى في الدفاع عن وطنه

٥ – رومانيا

واقعة في اقصى شبه جزيرة البلقان بين بلغاريا من الجنوب والصرب والمجر من الغرب والبحر الاسود من الشرق والمجر وروسيا من الشمال — وكانت قديماً تقسم الى مملكتين الفلاخ وملدافيا . ثم اتحدتا وسميتا رومانيا سنة ١٨٥٩ واعترف الباب العالي بذلك سنة ١٨٦١

كانت رومانيا في جملة البلاد البلقانية التي دخلت في حوزة العثمانيين بالفتح . ثم طالبت بالاستقلال ونالته رويداً رويداً وتم لها ذلك بمعاهدة برلين سنة ١٨٧٨ — واول حكامها بعد اتحادها الكولونيل كوزا انتخبته الامة حاكماً ولقبوه هوسبودار على الفلاخ وملدافيا سنة ١٨٥٩ وسموه البرنس الكسندر حنا . ثم حدثت ثورة سنة ١٨٦٦ اضطرته الى التنازل [illegible] كارل الاول [illegible] وهو ملكها حتى الآن

كارل الاول ملك رومانيا

وحكومة رومانيا دستورية ولنوابها مجلسان مجلس الامة اعضاؤه ١٨٣ ومجلس الشيوخ ١٢٠ عضواً . عدد سكان رومانيا نحو ٧٠٠٠٠٠٠ اكثرهم من الرومانيين وهم بقية الامة الرومانية ويتكلمون فرعاً من اللغة اللاتينية وعددهم نحو ٦٠٠٠٠٠٠

نفس والباقي من الاجانب عاصمتها بخارست سكانها ٣٠٠٠٠٠ نفس

الجندية فيها اجبارية وعمومية وقد حورت تحويراً كثيراً سنة ١٩٠٨ و دخلت فيهـا تغيرات هامة . وبموجب ذلك كل شاب بلغ التاسعة عشرة يدخل في التمرين العسكري الى سن ٢١ ثم يخدم سنتين في الجندية تحت السلاح المشاة و٣ لغيرهم . ثم ٤ سنوات او خمس في الرديف الاول . ثم عشر سنين في الرديف الثاني . ثم يصير الى المستحفظ وسنه ٣٨ سنة فيبقى فيه ٤ سنوات فيتم ٢١ سنة خدمة . والجند مؤلف من خمسة طوابير مشاة وطابورين من الفرسان . وطوابير المشاة كل منها مؤلف من فرقتين يلحق بكل فرقة كوكبة من الفرسان . وعدد الجند كله في حال السلم نحو ٩٠٠٠٠ مقاتل ويبلغ في حال الحرب الى ضعفي ذلك . وميزانية الجندية عندهم ٢٥٦٧٠٠٠ جنيه . وبحرية رومانيا شبه بحرية [illegible]

الجندية العثمانية

ذكرنا جندية [illegible] في مثل هذه [illegible] امام ادعى عند تعدي الايطاليان على طرابلس [illegible] خدمة [illegible]

يقسم الجند العثماني [illegible] في التركية «اوردو» وقد عربوه «عرضي» [illegible] وطوابير وبلوكات وغيرها . ويؤلف الجند [illegible] في المملكة العثمانية على هذه الصورة

الفيلق الاول مركزه في الاستانة والاناضول
« الثاني « « سلانيك
« الثالث « « مكدونية
« الرابع « « ارمينيا
« الخامس « « سوريا
« السادس « « بغداد
« السابع « « اليمن

وهناك جند خارج الفيالق في الحجاز وغيرها

ويختلف عدد الفرق و الالايات والطوابير في كل فيلق عن سواه ويختلف عدد الانفار في كل منها . ولكن مجموع جند هذه الفرق في حال السلم يبلغ ٣٦٥٠٠٠ مقاتل يضاف اليها ست فرق من الفرسان عدد رجالها ٢٧٠٠٠ فارس . وفرقة الفرسان

الحميدية ١٦٠٠٠ غير النظامي وغير ذلك . فيبلغ مجموع ما عند الدولة العثمانية من الجند في حال السلم ٤٢٠٠٠٠ مقاتل . واما الرديف تحت الطلب فعدده ٣٧٥٠٠٠ مقاتل يجردون عند الحاجة . فضلاً عن المستحفظ وعدده نحو ٩٠٠٠٠ وغير الفرق المقيمة في القلاع من المهندسين ونحوهم وعددهم ٣٥٠٠٠ جملة ما تجرده الدولة العثمانية في حال الحرب يجتمع على هذه الصورة :

عدد	
٣٦٥ ٠٠٠	جند نظامي اعتيادي
٢٧ ٠٠٠	ست فرق الفرسان
١٦ ٠٠٠	الفرسان الحميدية
٣٧٥ ٠٠٠	الرديف
٩٠ ٠٠٠	المستحفظ
٣٥ ٠٠٠	الجند المقيم في الحصون
٩٠٨ ٠٠٠	الجملة

اما قواتها البحرية فهي الآن تحت التجديد والتحسين على ايدي اميرالية من الانكليز فقلبوا نظامها وحملوه على آخر طرز . وهاك ما بلغت اليه القوات البحرية :

عدد	
١١	دوارع حربية كبرى
١	دارعة كبيرة تحت البناء
٣	طرادات
٧	مدمرات جديدة اوصت عليها في المانيا وغيرها
٤	نسافات طوربيد كبيرة
٨	مدمرات صغرى
١٤	نسافات طوربيدية صغرى
٤٨	

وللجند العثماني شهرة فائقة في الشجاعة والصبر على الحرب من قديم الزمان . وقد زاده الدستور دربة ونبغ فيه من القواد جماعة مفاخريهم سائر الامم . مثل شوكت باشا وناظم باشا وعبد الله باشا والغازي مختار باشا وابنه وهادي باشا وانور بك ونيازي بك

وليس بين الدول الناهضة على الدولة الآن دولة يحسب لها حساب الا ملك اليونان . والنصر من عند الله يؤتيه من يشاء

سرّ الحياة

اكتشاف عظيم الاهمية

« اخبرني عما في الخلية الواحدة من الاسرار اخبرك من غيب السماوات والارض »

ان بين بيت المعري :

والذي حارت البرية فيه   حيوان مستحدث من جماد

والرأي المشهور القائل باستقلال الحياة والنفس عن المادة بوناً شاسعاً ومجالاً واسعاً للبحث والتأويل . وقد ذهب المفكرون في اصل الحياة مذاهب شتى وتخبطوا ايما تخبط . ولم يبن ابو العلاء رأيه على درس علمي ولا هي فكرة مجردة خطرت له – كما خطرت لغيره من قبل – بمجرد النظر الى الكائنات فهي من قبيل الآراء الفلسفية النظرية وليست استنتاجاً علمياً . وقد ظلت مشكلة الحياة ومنشئها في قبضة الفلاسفة النظريين دون العلماء الباحثين الى عهد قريب وهي اول ما يتسابق هؤلاء ليدرسوها تحت الميكروسكوب ويدققوا فحصها ويقيموا التجارب لاجلها . ولكن الانسان اسهل عليه ان يدون خاطراً خطر له في تعليل الحياة من ان يقضي ليله ونهاره في معالجة الحيوانات والنباتات ينتقل في درسها من الاجسام ذات الخلية الواحدة الى الاشجار الكبيرة والوحوش الضارية

على ان العلم الصحيح يبدأ بجمع الحقائق وتدوين الملاحظات والتجارب ثم يستخرج منها قواعد عامة وقوانين شاملة . وعلم الحياة لا يزال طفلا في مهده وان يكن قد تقدم تقدماً سريعاً في السنين الاخيرة فما هو الا ابن القرن الماضي . والفضل في وضعه على اساس متين يرجع الى داروين — ذلك الرجل الذي اتخذ الاخلاص في ابحاثه شعاراً فقضى حياته يلاحظ ويدرس ويجرب ويجمع حقائق مكنته من تعليل اصل الكائنات الحية تعليلاً يرتاح اليه العقل . لان من يحقق النظر في عالمي النبات والحيوان ويبحث فيهما بحثاً مجرداً عن كل غاية يترجح له في برهة قصيرة وجود صلة

بين انواعها المختلفة ويتعذر عليه التسليم باستقلال كل منها عن سواه . وان مذهب النشوء والارتقاء يتدرج شيئاً فشيئاً من مقام النظريات الى مقام الحقائق الثابتة بفضل داروين ومن اقتفى اثره من المحايدين الذين وقفوا حياتهم لخدمة العلم — على ان هذا المذهب اقتصر على النظر في علاقة الانواع وتتبعها الى اصلها ولكنه لم يبحث في ماهية ذلك الاصل

ضع تحت الميكروسكوب نقطة من ماء مستنقع وراقبها فتجد احياء صغيرة تتحرك وهذه الاحياء ذات خلية واحدة تقوم بكل الوظائف الحيوية من غذاء وتناسل وحركة وغير ذلك . خذ ايضاً ورقة نبات قص منها قطعة رقيقة وافحصها تحت الميكروسكوب فتجدها مركبة من خلايا متلاصقة وترى مثل ذلك اذا فحصت قطعة من نسيج حيواني كالجلد مثلاً ويحمل التأمل ان كائنات الحياة على اشكالها مجموع خلايا . فالخلية الواحدة ابسط مظاهر الحياة وهي ... الاجزاء الاصلية

ماهية الحياة

وللناس من اقدم ... في ماهية الحياة ... الآراء اليوم ثلاثة وكانت ثلاثة منذ القرون الوسطى لان الاوكار العلمية التي ليست مبنية على المشاهدة والبحث والاختبار لم يطرأ عليها تغير يستحق الذكر منذ ايام فلاسفة اليونان . وانما التغير حصل في العلوم الاختبارية المبنية على جمع الحقائق وتنظيمها واستخراج القواعد العامة منها . ان الكون في نظر العموم قسمان جماد وحياة وموقفهما النفس وقواها المختلفة . فكان العالم مركب من ثلاثة اصول المادة والحياة والعقل فالى هذه الاقسام وعلاقتها بعضها ببعض يرجع الخلاف بين اصحاب الآراء الثلاثة . فمنهم من يقولون بوحدتها وخضوعها للنواميس الطبيعية على السواء ومنهم من لايفرقون بين الحياة والنفس فيقسمون العالم الى قسمين مادة وغير مادة ومنهم من يميزون بين الثلاثة المادة والحياة والعقل فكل منها في نظرهم جوهر مستقل

اولاً – الماديون (materialist) او الموحدون (monist) وهم لايعرفون حداً فاصلاً بين الجماد والحياة والعقل بل يقولون بخضوعها كلها للقوى الكيمية والمادية .

وهو فكر قديم تطور اطواراً مختلفة وطرأت عليه تغييرات شتى ولكن مآله واحد وهو ارجاع كل ما في الكون الى المادة . فالظاهرات التي نسميها حياة او نفساً ليست في نظرهم الا مادة منظمة بشكل مخصوص وحركة مخصوصة

ثانياً — القائلون بوجود جوهر غير المادة مستقر في النبات والحيوان ويعبرون عنه بالروح او النفس وهو علة الاعمال الحيوية دون القوى الكيمية والمادية (animist) وهو اقدم تعليل خطر للانسان الاول بعد ان ادهشه الفرق العظيم بين الجسم الحي وغير الحي . الاول كالبيت المأهول والثاني كالبيت المهجور فخطر له ان في كل حي شخصاً آخر يشبه الاول يظهر اذا تعرض للشمس وهو خياله ويراه اذا نظر في الماء وهو شبحه فيه . وهكذا قل في تعليل سائر المخلوقات الحية . ذلك هو المذهب الثاني في ابسط صوره . وقد تعدّل في القرن الماضي تعديلاً ... فقال ان في الجسم الحي نفساً ... بلا واسطة ... القلب ... عضلات تنكمش وتنبسط والغدد تفرز وهلم جراً

ثالثاً — مذهب القائلين بان الحياة غير المادة وغير النفس (vitalism) وهو قديم وقد ... في القرن الماضي بمذهب الحيوي الجديد (neo-vitalism) وزعماؤه يرون الفرق بين المادة والحياة قليلاً فيقبلون التعليل الكيمي والمادي ولكنهم يعتقدون بالفرق بين الحياة والنفس كما كان يعتقد فيثاغورس وارسطوطاليس فقد ميزا بين القوة المفكرة والروح التي تقوم بوظائف الحياة وتدير الجسم كما يدير الربان السفينة

وقد جرب الاستاذ جاك لوب مدير الابحاث الحيوية في معهد روكفلر العلمي تجارب عديدة في السنين الاخيرة ادهشت العلماء لغرابتها وتفردها في بابها وهي تتعلق بالتناسل واسبابه رأينا ان نقول كلمة عنها مع مقدمة في التناسل وتكوّن الجنين لا تخلو من فائدة

تكوّن الجنين

بديهيٌّ ان يعرف كل واحد شيئاً عن تاريخ شخصه وتكوّن ذاتيته والادوار التي مرّ بها مذ كان خلية واحدة الى ان صار انساناً كاملاً — ومع ذلك فقليلون هم الذين

يعرفون عن انفسهم قدر ما يعرفون عن نبيهم وجوبهم . ولم يبحث العلماء في هذا الموضوع بحثاً وافياً قبل القرن الماضي فكأن اقرب شيء الى الانسان آخر ما يهتم بمعرفته

واول ما يجب ان يعلمه الانسان هو انه نشأ من خلية واحدة مثل سائر الحيوانات والنباتات وان هذه الخلية قسمت شطرين فصارت خليتين وانقسمت هذه ايضاً وهلم جرّا حتى يتكون الجسم باكمله . والخلية الاصلية هي البيضة والبيض لا يتكون منهُ الجنين عادة الا بالتلقيح اي بان تمتزج مادة الذكورة بالنقطة الجرثومية بالبيضة . وهي سنة التناسل في عالمي النبات والحيوان

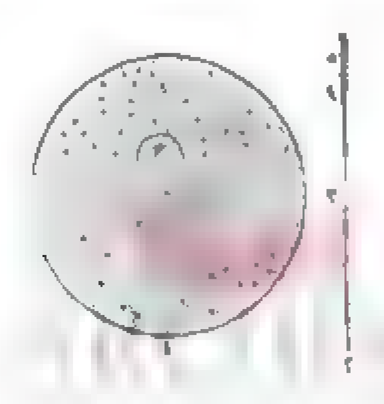

تجد في الشكل بيضة دودة الارض وبجانبها مادة الذكورة او الخلية الجرثومية وهو مثال يمكنك من ان تقيس عليه سائر الحيوانات — وقبل ان يمتزجا يطرأ على البيضة بعض التغيير استعداداً لقبول الخلية الجرثومية ويستمر التغير فيها بعد دخولها ثم تنقسم شطرين فاربعة الخ .... ثم تتميز الخلايا بعضها عن بعض فتكون الاعضاء المختلفة — ذلك هو ابسط ما يقال في التناسل وقد اقتصرنا عليه لاعتقادنا ان الشرح لا يفيد ان لم يقترن بالفحص العلمي - وتكوُّن الجنين في الانسان لا يختلف في مبدأه الاساسي عن تكون جنين الدودة فهو مثلها يحتاج الى امتزاج البيضة بالخلية الجرثومية ويمر بادوار تشبه ادوار الدودة ولكنها اكثر تركيباً

الاكتشاف

والاكتشاف الذي نحن في صدده مؤداه الاستغناء عن الخلية الجرثومية في تكوين الجنين والاستعاضة عنها بمواد كيماوية . وقد اطلعنا على خطاب القاه الاستاذ

لوب يشرح فيه عمله ورأينا ان نقتطف منه ما يأتي قال :

« هل يمكننا ان نعلل مظاهر الحياة تعليلاً مبنياً على مبادئ الكيمياء والطبيعة دون سواها ؟ اول من اشتغل في هذا السبيل العالمان لافوازيه ولابلاس فقد شرعا يبرهنان سنة ١٧٨٠ ان كمية الحرارة في جسم الانسان تعادل حرارة الشمعة اذا كانت كمية الحامض الكربونيك المتصاعدة من الاثنين واحدة . واقتفى خطواتهما كثيرون . ولاشك ان تعليل الحياة على المبادئ الطبيعية يقلب نظام الهيئة الاجتماعية رأساً على عقب ويستلزم تغيير القوانين والشرائع ووضع اساس جديد لحياة الفرد والجماعة

« ومن المعلوم ان البيضة لا تنمو ما لم تدخلها الخلية الجرثومية فما هو تأثيرها عليها وكيف تجعلها تنمو ؟ كان الجواب على هذا السؤال منذ بضع عشرة سنة مستحيلاً ولكننا توصلنا اليوم الى « تلقيح » البيضة بواسطة مواد كيماوية تقوم مقام الخلية الجرثومية واثبتنا ايضاً ان عمل هذه شبيه بعمل تلك

« فعند دخول الخلية الجرثومية في بيضة الشوك (قنفذ البحر) تولد غشاء يحيط بها يسمى غشاء التلقيح وقد نجحت في توليد هذا الغشاء بمعالجة البيضة بحامض من الحوامض الآلية ووضعها مدة قصيرة في سائل اشد كثافة من ماء البحر ثم نقلها الى ماء البحر فنمت نمواً طبيعياً وعملت مثل ذلك في حيوانات اخرى . وقد ثبت لدي ان عمل الخلية الجرثومية يشبه عمل المواد الكيماوية لانها تحوي مادتين احداهما من قبيل الحامض الآلي والاخرى عملها كعمل السائل الاكثف من ماء البحر

« واذا سئلنا كيف تؤثر هذه المعالجة في نمو البيضة قلنا ان تلقيحها يزيد سرعة التأكسد فيها (أي اتحادها مع الاكسجين) من اربعة اضعاف الى ستة وكنت قد وجدت ان نمو البيضة يتوقف اذا امتنع عنها الاكسجين ولكنها تنمو وتتكاثر بوجوده — وكما ان الحياة تتوقف على وجود الاكسجين فالموت ينشأ عن عدمه »

الخميرة

اذا فحصنا الخلية فحصاً كيماوياً وجدناها مركبة من مواد اهمها الاكسجين والهيدروجين والكربون والنيتروجين ولا نجد حسب الظاهر اثراً لقوة غريبة ولكن شتان بين المركب الكيماوي والخلية الحية فهذه غير تلك وخصائص الواحدة

مختار پاشا غازی

فرنسا وانكلترا وسويسرا

عمرانها ونظام حكومتها وحضارتها ومتاحفها

وسائر احوالها الاقتصادية والاجتماعية

من رحلة لصاحب الهلال هذا العام (تابع)

اولاً فرنسا

٦ نظام الاجتماع فيها

نظام الاجتماع من حيث ماهيته واحد في كل بلد ولكنه يختلف في تفاصيله باختلاف الاعصر والاقاليم . وهيئته الاجتماعية في ... تتركب مؤلفة من العائلة والحكومة والكنيسة . فاذا ارتقت نشأت فيها المدارس والجمعيات الادبية والشركات الاقتصادية . وتختلف هذه الجماعات في كل بلد باختلاف طبائع اهله ونوع مدينتهم وسائر احوالهم . فنظام الحكومة يختلف بين الاستبدادي والدستوري والجمهوري . ونظام العائلة في الشرق غير ما هو في الغرب وفي هذا العصر غير ما كان عليه قبله . كانت العائلة عندنا الى اوائل القرن الماضي على شكل الحكم الملكي المطلق ــ الاب رئيس العائلة يستبد في اهله استبداد السلطان المطلق في رعيته يزوج من شاء بمن شاء ويعهد الى من يريد بما يريد من عمل او سفر او اقامة ــ لا يرون في ذلك غرابة . ثم تعدل هذا النظام بعد دخولنا في المدنية الحديثة فاخذت العائلة تقترب من النظام الدستوري لكنها ما زالت اقرب الى الحكم المطلق ويختلف ذلك باختلاف الامم والاديان

وبناء على ما للاقليم او البيئة من التأثير في ابدان الناس وعقولهم وطبائعهم فاختلاف الاقاليم اوجب اختلاف الامم في كل ذلك . فلننظر في طبائع الامة الفرنساوية على الاجمال

طبائع الفرنساويين

الفرنساوي عامل نشيط يدأب على العمل بحماسة وهمة . ولاسيما اهل الزراعة منهم فانهم قويو الابدان يعملون في حقولهم بنشاط . ولا تجد في فرنسا بقعة تقبل الزراعة غير مزروعة . وكذلك العمال والصناع وسائر طبقات الناس فانهم نشيطون في ذهابهم وايابهم وفي كلامهم واشغالهم وفي اسفارهم — فان احدهم ينزل من القطار ويحمل حقيبته (الشنطة) بيده فاذا كان منزله قريباً سار الى بيته ماشياً لا يرون في ذلك بأساً . على انهم اذا طلبوا غلاماً او رجلاً يحمل لهم الحقيبة في اثناء الطريق لا يجدون . وهي صفة يشترك فيها اهل اوربا كافة . ويتأثر بها الشرقي حالما يطأ تلك القارة . وتقوم في نفسه رغبة في الهمة والنشاط فاذا رجع الى بلده عاد الى طبعه . الا اذا توطن اوربا طويلاً . ومرجع ذلك الى طبيعة الاقليم . والفرنساوي ذكي الفؤاد سريع الخاطر حاضر الذهن فصيحاً خفيف الروح فيه ميل الى الفنون الجميلة وذوق في الصناعة والجمال

وللفرنساويين ذوق في الجمال لا ينازعهم فيه امة . يظهر ذلك خصوصاً في الباريسيين فانهم قدوة الامم في الازياء على اختلاف اشكالها . ولهم ذوق في توليد الجمال مما لا جمال فيه من نفسه بترتيب اجزائه على شكل لا قاعدة له الا الذوق . وهو على ارقى درجاته في باريس . تجد المرأة القبيحة الخلقة تتزيا بزي يناسبها وتصفف شعرها تصفيفة تناسب ملامح وجهها فتظهر جميلة . ولهم في تصفيف الشعر واختيار شكل البرنيطة ولونها طرق تختلف باختلاف تقاطيع الوجه ولونه وشكل الانف والعينين والجبهة والفم وغير ذلك فيوفقون التصفيفة (التواليت) والبرنيطة على حال الوجه فيظهر جميلا

ويتبع ذلك ميلهم الى تزويق الحديث فانه من قبيل رغبتهم في الجمال الخارجي . فكما يوفقون بين تصفيفة الشعر وحجم البرنيطة وشكل الوجه حتى يظهر جميلاً فهم ايضاً يحسنون الحديث حتى يلائم ذوق السامع فتنبسط نفسه له . لكنه لا يرى النتيجة دائماً كما كان يتوقعها . فالفرنساوي فيه ميل الى اتقان الظواهر اكثر مما الى اتقان البواطن وهو من قبيل حبه الجمال . ويخالفه الانكليزي في ذلك كما سنبينه في مكانه . ومن قبيل ميلهم الى الجمال واقتدارهم على توليده ما تجده في مخازنهم وشوارعهم من الزخارف التي يراد بها التحسين . اي ان تظهر السلعة المعروضة احسن مما هي . ومن هذا القبيل استخدام المرايا في الواجهات لايهام الناس انها اكبر مما هي . واذا كان الحانوت صغيراً جعلوا جدرانه من المرايا فيظهر اضعاف ما هو

الاقتصاد والترتيب

والفرنساوي مقتصد من فطرته وترى الاقتصاد ظاهراً على الخصوص في القرى فان اصحاب المزارع الصغرى يعيشون عيشة بسيطة . والفلاح يشتغل وامرأته تشتغل واولاده يشتغلون كل على قدر طاقته وحسب ميله . ولابدّ لكل منهم ان يقتصد شيئاً من ربحه مهما كان قليلاً فيحتفظ به لنفسه . وهم يستخدمون الفرش البسيط عكس اهل المدن وكذلك ملابسهم . فالفلاح الفرنساوي بسيط في لباسه واخلاقه ومهما يكن من فقره فانك تجده نظيف الثوب نظيف الفراش يأكل على المائدة بالشوكة والسكينة بترتيب ونظافة . فلا تستنكف اذا دخلت بيته من ان تجلس على مقعده وتأكل من طعامه وتشرب من كأسه . وليس كذلك الفلاح المصري . ولا سبيل الى اصلاحه الا بتعليم المرأة وتثقيفها وهي المدبرة لكل ذلك

معرفة الواجب

ومن الخلال الحميدة الشائعة في معظم اوربا ونحن في حاجة اليها « معرفة الواجب » وهي تشمل كل اعمال الانسان . اعني ان يشعر الانسان بما عليه فيؤديه من تلقاء نفسه بدون استحثاث او ارهاب او ترغيب . لو عمل بذلك كل انسان لاستغنى الناس عن الحكومات وابطلت المحاكم . ولكن الناس يتفاوتون في هذا الباب واكثرهم شعوراً بالواجب اقربهم من المدنية والارتقاء . وهو يستلزم الامانة وهي اساس المعاملات واكبر اسباب النجاح — ما اجمل ان يشعر الانسان بما عليه فيؤديه بلا وازع او مراقب . والفرنساويون من اكثر الامم شعوراً به وكذلك الانكليز . وربما ظهر الانكليز اكثر قياماً بالواجب لانهم يعملون كثيراً ويقولون قليلاً . واما الفرنساوي فيه ميل الى زخرف الكلام يظهر اعماله قليلة . لكن الشعور بالواجب قويٌّ في كليهما

ذكرنا في غير هذا المكان ان قومساري الترامواي لا رقيب عليهم (مفتش) وهم لا يطلبون الشركة باستعمال التذكرة مرتين او قبض الثمن بدون اداء التذكرة لان القومساري الفرنساوي او الانكليزي نشأ وقد غرست والدته في ذهنه من طفوليته ان يعرف ما له فلا يطمع بسواه . ولو اراد السائق ان يطمع فان الشعب ارقى من ان يتساهل في هذا الامر لانه تربى تربية راقية وعرف ما لهُ وما ليس له فهو يعلم ان تساهله مع القومساري في امر التذكرة انما هو مشاركة لهُ في السرقة . ولكن كثيرين عندنا يتساهلون في ذلك وبعضهم يحرض القومساري على السرقة . والسبب في ذلك ضعف اخلاق العامة عندنا . وان مثل الترامواي هذا على بساطته يدلُّ على اخلاق العامة

الثقة وقيمة الوقت وصدق المواعيد

ومن قبيل الامانة المبنية على معرفة الواجب وما يترتب عليها من الثقة المتبادلة أن بعض باعة الجرائد في فرنسا وانكلترا يضعون اعداد الجريدة فوق طاولة على الرصيف خارج الحانوت وبجانبها علبة . فمن اراد ان يبتاع جريدة وضع ثمنها في العلبة وتناول الجريدة ولا رقيب عليه . وصاحبها لا يخاف ان يسرقه المارة فيأخذ احدهم الجريدة ولا يدفع الثمن . وقس على ذلك الثقة المتبادلة في سائر الحرف

دخلنا مطعماً في لندن يوم وصولنا من باريس . وبعد الفراغ من الطعام دفعنا لصاحب المطعم ليرة فرنساوية فاعتذر بان النقود الفرنساوية لا تقبل عندهم . ولم يكن عندنا نقود غير فرنساوية فوقعنا في حيرة واردنا ان نترك الليرة لديه ريثما نعود وقد بدلنا النقود . فاعاد الليرة الينا وقال « دعها معك ومتى بدلتها تدفع ما عليك » وكانت هذه اول مرة رأينا فيها الرجل . أليس ذلك من الاخلاق الراقية . ان صاحبها لا يتصور رجلاً عليه حقٌّ لا يبادر الى دفعه من تلقاء نفسه . ولا يدل هذا على خلو تلك البلاد من اصحاب الاخلاق الضعيفة ولكنهم اقل مما عندنا كما انا لا ننفي ضعف الثقة عندنا في كل الطبقات . وانما نريد الاغلب

ومن جميل ما نحمدهم عليه معرفة قيمة الوقت وهو يتوقف على معرفة الواجب ايضاً فانهم يقسمون اوقاتهم ويفرقونها على اعمالهم فلا يقصرون عما عليهم ولا يضيعون اوقات اصدقائهم بالزيارة الخبية كما يفعل كثيرون عندنا . فان بعضهم يزورك في ساعة شغلك ولا شغل له ويعلم انك مشغول فلا يختصر زيارته ولا انت تجرأ على الاعتذار منه لئلا تتهم بالفظاظة ولكن هذه العادة آخذة بالزوال من بيننا في الطبقة الراقية

واعتبر ذلك في صدق المواعيد فانه تابع للشعور بالواجب . وهو ينقصنا لكنه آخذ في الشيوع بين المتعلمين

لا يعنيني

ومن الاخلاق الفرنساوية الشائعة في باريس اشتغال كل منهم بنفسه عن سواه فلا يتعرض احد الى شؤون جاره بالاستطلاع او التجسس . وهو من طبائع اهل المدن الكبرى وطبيعي شيوعه في باريس وهي ثالثة مدائن العالم . وتجسس الاخبار والدخول في احوال الآخرين يكثر في القرى الصغيرة لتفرغ اهلها للاحاديث ولانهم مطلعون على عورات جيرانهم ولا يخلون من التحاسد او التباغض . وكلما اتسعت المدينة قلت تلك العادة فيها . ولذلك كان اهل باريس من اكثر الناس بعداً عنها . فان احدهم

يمشي وهمه نفسه ولا يلتفت الى سواه . اويجلس في القهوة ولا يلتفت الى جليسه من هو . وقد يكون بجانبه رجل وامرأة يتغازلان او يتعاشقان فلا يهمه ذلك . وهذا ما نُعبر عنه بضعف الغيرة ولا يستطيع الشرقي احتماله . اما الفرنساوي فيحتمله ولسان حاله يقول « لا يعنيني »

ولكنه مع ذلك جنوح الى النجدة وفيه اريحية اذا استحثثته على منقبة اندفع اليها بكليته ولو جرَّه ذلك الى خسارة او حمله مشقة

المفاخرة بالرجال والحرية

ومن سجاياهم انهم يفاخرون برجالهم ويعظمون النابغين منهم . وحيثما مررت بشوارع باريس تجد تماثيل العظماء منصوبة في منعطف الطرق او واجهات القصور او في الساحات العمومية يزيد عددها على مئة وستين تمثالاً كبيراً للقواد والملوك والكتّاب والشعراء والفلاسفة والعلماء وبينها تماثيل بعض مشاهير الامم الاخرى مثل دانتي شاعر الايطاليان ووشنطون محرر اميركا وشكسبير الشاعر الانكليزي وغريبالدي القائد الايطالي . غير التماثيل الرمزية عن الحرية او الاتحاد او نحوهما . وغير التماثيل المنصوبة في المتاحف والمراسح والمدارس والكنائس والمدافن وهي عديدة جداً . واكثرها شيوعاً تمثال بونابرت على اختلاف مقداره واشكاله . والتماثيل تثير في النفوس الحماسة والميل الى الاقتداء بأولئك العظماء . وهي وسيلة حسنة لاستنهاض الهمم واستحثاث القرائح لا مثيل لها عندنا ـ الا قليلاً

ويمتاز الفرنساويون عن سائر اهل اوربا بالنزوع الى الحرية على اختلاف اوجهها . وقد مرَّت اجيال كانوا فيها نصراء الحرية يأخذون بايدي طلابها وينصرونهم بالمال والرجال . واشهر الشواهد على ذلك نصرتهم للاميركان في طلب الاستقلال من سلطة الانكليز . ومن قبيل تعشقهم الحرية مغالاتهم في مطاردة بعض الجماعات الدينية . لكنهم تطرفوا في ذلك حتى خرجوا بها الى عكس المراد بالمدنية . فنفرت الجماعات الدينية ونزع الناس الى الشك في الدين وآل الامر في بعض الاحوال الى فساد الآداب . لان العامة لاتستغني عن وازع ديني يصلح من آدابها . ومن اكبر اسباب الفساد القاء الشكوك الدينية في اذهان الناس

طعامهم وشرابهم

والفرنساويون يكثرون من اكل اللحوم في طعامهم وهو شأن اكثر سكان اوربا وخصوصاً في البلاد الباردة لاحتياجهم الى المواد اللحمية في مقاومة البرد . ولهذا

السبب ايضاً يكثرون من شرب الخمور وتكاد لا تجد بينهم من لا يشرب الخمر على المائدة رجالاً ونساء واولاداً . وكثيراً ما يجر ذلك الى ادمان المسكر فيكثر المدمنون عندهم ولا سيما في الطبقات السفلى كالعمال والصناع . اما شرب الخمر الاعتيادية فانه عام ولا يشترط ان يكون على المائدة . ولذلك ترى وجوه الفرنساويين مشرقة أو مشربة حمرة — ولا يدل ذلك على الصحة دائماً وقد يدل على المرض . وترى صاحبه يميل الى النعاس بعد الطعام ويظهر ذلك في ساقة المركبات باريس . لان احدهم اذا لم يكن سائقاً مركبته لا تراه الا نائماً على كرسيه ورأسه متدلٍّ على صدره وقد احمرت وجنتاه وانتفخت اوداجه . وحوادث المسكر بمصر على كثرتها قليلة بالنسبة الى تلك البلاد . لكننا نشكو من شيوع الحشيش بمصر رغم منعه رسمياً . على اننا سمعنا بوجوده في باريس ايضاً باماكنة يعرفها طالبوه

بقي علينا النظر في امرين مهمين من نظام الاجتماع عندهم نعني طبقة العامة والمرأة

العامة

ومن قبيل النظام الاجتماعي ان تكون الامة مؤلفة من طبقات ترجع الى طبقتين : الخاصة والعامة ويختلف حال كل منهما باختلاف الامم والاعصر وان تشابها على الاجمال في كل بلد . فالخاصة وهم اهل الوجاهة والثروة يجب ان يكونوا ممتازين في نفوذهم ومعيشتهم ويكون العامة تابعين لهم في احوالهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية على تفاوت في ذلك بتفاوت احوال المدنية وانواعها

فالعامة في التمدن القديم كانوا كما قال الامام علي « همج رعاع اتباع كل ناعق » وقال معاوية انهم « اشباه البهائم ان جاعوا ساموا وان شبعوا ناموا » وهم نحو ذلك في الشرق الى الآن الا في بعض البلاد الراقية . اما في الغرب فقد تغيرت احوالهم حتى اوشكوا ان يقلبوا نظام الاجتماع ولا سيما في الممالك الجمهورية ومنها فرنسا وهو موضوع كلامنا في هذا الباب

العامة في فرنسا

ان العامة في فرنسا يختلفون عن عامتنا بامور كثيرة : منها انهم ارقى تربية واوسع تعلماً فلا تجد فيهم من لا يحسن القراءة والكتابة . وحيثما توجهت ترى البوابين وساقة المركبات وسمار الباعة وخدم المنازل والقهوات حتى مساحي الاحذية يطالعون الجرائد والكتب ويهتمون بالشؤون العامة ويبحثون في السياسة ويتناقشون في حقوق

الاحزاب وينتقدون اعمال الحكومة . والسبب في ذلك « التعليم » فانه عام في كل بلد وقرية فتنبهت الاذهان وتفتحت الاعين وتعلم العامي معنى الاجتماع والاتحاد وخصوصاً بعد الانقلاب الذي جعل كل شيء في ايدي العامة لانهم قلبوا الحكومة واستبدوا في الشرفاء والامراء . فتشكلت الاحزاب من العامة وارتقت نفوسهم . ورافق ذلك كثرة الاختراعات الصناعية التي اغنت اصحاب الاموال (الخاصة) عن كثير من العمال فتضايق العمال وهم من العامة واضطروا الى الاجتماع والاحتجاج والمطالبة وهو الاعتصاب . وساعدهم على ذلك شيوع مذهب الاشتراكية واحتياج النواب الى العامة في التصويت عند الانتخابات النيابية وكل نائب يجتهد في اكتساب رضى القوم في البلد الذي ينوب عنه حتى يصوتوا له . فازداد العامة نفوذاً وطمعاً واكثروا من الاعتصاب حتى اتعبوا اصحاب الاموال وحملوهم خسائر عاد معظمها على الجمهور لانها آلت الى ارتفاع الاسعار

فالحرية التي نالها العامي الفرنساوي سادت حقوقه من جهة لكنها اضرت به وبالامة من جهة اخرى . لان العامي مهما بلغ من ارتقائه لايبرح قصير الادراك وانما يتدرب على الاجتماع والصياح مع الصاخبين فينحاز الى هذا الحزب او ذاك لا عن تفطن وادراك وانما هو ينساق بعواطفه وينه مع ما يخطر له حسب المؤثرات الخارجية . والعامي الفرنساوي مدمن للمسكر كما تقدم . اضف الى ذلك حدة مزاجه فاذا ضربت له على وتر حساس كالدين او الوطنية او غيرهما اندفع الى ما تريده منه . فالغلبة لمن يستطيعون استهواء هؤلاء العامة لاغراضهم بالفصاحة اونحوها

والنفوذ الحقيقي للخاصة لانهم اقوى عقولا واكثر وسائل ـ ذلك هو شأن الجماعات في كل بلد : يختصم الخاصة على السيادة او الكسب فيستنصرون العامة بعضهم على بعض بما يستطيعون من الاساليب فينصرونهم وينفذون اغراضهم والعامة يتوهمون انهم يفعلون ذلك من تلقاء انفسهم . مهما بلغ من رقي العامة وحريتهم فالخاصة هم اصحاب السيادة الحقيقية وهم كالاوصياء على العامة يسنون لهم الشرائع ويضعون لهم القوانين ويدبرونهم في شؤونهم السياسية والاجتماعية حتى احوالهم اليومية . فان الحكومة الفرنساوية تهتم بها كثيراً وقد فرضت على العامل ان يرتاح يوماً في الاسبوع فاذا لم يفعل عدَّ مذنباً . واذا كان عمله لا يأذن له بالراحة كخدمة المطاعم والقهوات ونحوها دبرت الحكومة وسيلة تمكنه من الراحة . وذلك انها أمرت العامل من هؤلاء ان يختار يوماً من الاسبوع يرتاح فيه وعينت من يقوم مقامه في ذلك اليوم ويتولى على

اجرته . وعندهم طائفة من العمال تحت الطلب لهذا الغرض . فبهذه الواسطة يشغلون جميع العمال ويمحون جمهورهم . لكن بعض العمال يشكون من هذه المعاملة لانها تضيع عليهم سبع دخلهم ولانهم ينفقون في يوم الراحة اكثر من يوم الشغل . وللانكليز عناية مثل هذه او اشد منها في تدبير شؤون العامة سنأتي عليها في مكانها

المرأة في اوربا

كانت المرأة في الاعصر المظلمة باوربا وغيرها مرذولة محتقرة تعدُّ من قبيل المتاع . وكان للرجل احياناً ان يبيع امرأتهُ بالمزاد العمومي . ونص الكتَّاب والشعراء في هجائها وانتقادها . وتباحث اللاهوتيون طويلاً في « هل للمرأة نفس » وزعموا انها باب جهنم » و « معمل اسلحة الشياطين وصوتها فحيح الافاعي » وانها « نبال الشيطان » و « سامة كالصل وحقودة كالتنين » وقال الشاعر العربي :

ان النساء شياطين خلقن لنا نعوذ بالله من شر الشياطين

فما برح نور تمدن الحديث وتحولات العلوم وما عرف من النظريات والتقاليد الى الاختبار والدرس كان في جملة همهم « المرأة » فادركوا خطارة مركزها في الحياة الاجتماعية وان النجاح معقود بصلاحها وترقية شأنها . لانها قوام العائلة ومربية الابناء وشريكة الرجل في احوال الحياة . فنصروها وعضدوها ورفعوا مرتبتها فقامت تطالب بحقوقها . واختلف الكتَّاب في مقدار تلك الحقوق لكنهم اتفقوا على احترام المرأة واجلالها حتى مثلوا بها الفضائل والمفاخر . فاذا ارادوا تصوير الحرية مجسمة نحتوا لها تمثال امرأة . وهكذا فعلوا بتمثيل الاتحاد والبلاغة والعمل وغيرها من الفضائل الاخرى فانهم يمثلونها بصورة امرأة . والفرنساويون من اكثر الامم احتراماً للمرأة

المرأة الفرنساوية

اخرجوا المرأة من ظلمات الجهالة واطلقوا سراحها واعترفوا بحقوقها وساووها بالرجل ما لهُ وما عليهِ . فبرزت من خدرها وتعاطت اعمال الرجال وسابقتهم في كثير من اعمالهم لانها اقل اجرة من الرجل وكثر استخدامها في ما تستطيعهُ من المناصب والمهن . فمن النساء عندهم بائعات في المخازن وعاملات في المناجم والمصانع والمعامل وخادمات في المنازل وكاتبات في المتاجر والشركات وفي بيوت التلغراف والتلفون والبريد وحاسبات في المصارف . وقد تعاطين اهم المهن العلمية كالمحاماة والطب والتحرير والشعر والتأليف والوعظ والعمل في معامل الكيمياء والبكتريولوجيا وغير ذلك .

واشتأن الجمعيات العلمية والادبية والاندية الاجتماعية . وألفن الاحزاب السياسية للمطالبة بحقوقهن . وتعاطين كثيراً من الصنائع الحقيرة او المتعبة فهن غارسات في الحقول ومنظفات في الشوارع - حتى سوق المركبات فقد شاهدنا واحدة منهن تسوق مركبة بالاجرة في شوارع باريس فادهشنا ذلك فاخبرنا صديق كان معنا ان في باريس ١٢ سائقة مثل هذه

والسبب في نزول المرأة هذه المنزلة عندهم ان الفتاة الفرنساوية تنشأ في منزل والديها كما ينشأ الغلام تتعلم كما يتعلم ويطلب منها ان تتكسب بالشغل كما يتكسب هو . وهي تجالس الرجل وتحادثه وتباحثه في كل موضوع كانها رجل مثله وتسافر للسياحة والاكتشاف وحدها لا ترى في ذلك بأساً اوغرابة مما لم نألفه في بلادنا . فان فتاتنا تتعلم اولا تتعلم ثم تمكث في منزل والديها في انتظار نصيبها للزواج وزينتها الحشمة والحياء ولا يخطر لاهلها ان تعمل عملاً . فهي اما ان تتزوج او تبقى عانساً في بيت ابويها ولا تشتغل الا نادراً . واكثر شغلها للتعليم او الخياطة ونحوها وقل ان تتعاطى عملاً آخر . ومهما بلغ من حريتها فهي لا تخرج الى غير معارفها وذوي قرباها

اما الافرنجية فحالما تخرج من المدرسة تهتم الى السوق كما يهتم الشاب فاذا ساعدها النصيب تزوجت فيشغلها الزواج عن الارتزاق الكسب بعمل زوجها . والا فانها تشتغل هي ايضاً . ولا يخفى ما في ذلك من تضاعف الايدي العاملة في الامة الفرنساوية اي ان العمال من الجنسين نحو ضعفي العمال عندنا بالنسبة الى عدد السكان

والمرأة الفرنساوية في القرى والبلاد الصغيرة مثال الاقتصاد والترتيب والعطف على اولادها والامانة لزوجها وكذلك المرأة في العائلات الراقية من الطبقة الوسطى والعليا . لكن هذه الحرية ادت في المدن الكبرى الى تشويه ذلك الجنس اللطيف في طبقة معينة من العامة . وهذا التشويه آخذ في الامتداد ويخشى ان يجرّ الى انقلاب اجتماعي وخصوصاً في باريس ام المدائن الجميلة

كنا نشكو من جهل الفتاة الشرقية وحجبها ونحسد الفتاة الافرنجية على تعلمها وحريتها فلما رأينا حالها في باريس انقلبت شكوانا وكدنا نرضى بالحجاب والجهل — انهم اساؤا الى ذلك المخلوق اللطيف بتلك الحرية المتطرفة . ارسلوا المرأة الى الاسواق تخالط الشبان وتبايعهم وتساومهم وتعاشرهم وهي ضعيفة حساسة فتعرضت لمفاسد كثيرة . واغراها الشبان بالمال فخدعوها . فلما خرجت من صف الحرائر خدعتهم . ثم آل امرها الى ضياع العمر في الشوارع والازقة لا تجد رزقاً الا باشهواء

الشبان . وفي القاهرة مثال مصغر من تلك الطبقة يعرف ببنات الرصيف . اما هناك فانهن الوف ولا تكاد تخلو منهن حديقة او متنزه او شارع ولا سيما في اثناء الليل ولا حرج عليهن بحجة الحرية الشخصية . والحكومة الفرنساوية تبيح الفحشاء على شروط وضعتها وقوانين سنتها . فاباحت للمتجرين بالاعراض ان يتخذوا المنازل والقصور ويتخذون فيها الغواني اصنافاً والواناً يعرضونهن عرض السلع او الاثاث بلا عيب ولا حياء ولهم سماسرة في ايديهم شهادات من الحكومة تخول لهم مباطاة تلك المهنة . ولهذه الطائفة من المتهتكين مجالس واندية وجرائد وكتب لترويج تلك البضاعة . وليس ذلك مباحاً في انكلترا . ولكن مصر اقتدت فيه بالفرنساويين كما اقتدت بسواه من اسباب تمدنهم . وما كان اجدرنا ان نأخذ الحسن النافع من اسبابه ونعرض عن القبيح الضار

الاوساليات المصرية

ومن قبح هذه الحرية في باريس ان من تلك الشباك الجهنمية كثيراً في حي يعرف بالحي اللاتيني (Quartier Latin) وفيه مركز المدارس العالية التي ترسل مصر شبانها ليتلقوا فيها الحقوق او الطب او غيرها . ولا بد وحة لهم عن الاقامة هناك والتعرض لتلك الاخطار في المدارس والملاعب حيث يلاقي الشبان بالشابات . فلا ينجو من ذلك الخطر الا قوي الارادة ثابت العزيمة ، ولكن الانسان ضعيف ولا سيما الشاب القادم من بلاد لا يرى فيها المرأة الا متحجبة وهو في بلاده بعيد عنها ومصر فيه يمنعه الخجل من مخاطبة غير المحجوبات . اما في باريس وكل شيء فيها مباح فهو يرى الشبان والشابات في الطرق ازواجاً (غير مطهرة) ذكراً وانثى بلا حرج ولا خجل يتداعبون ويتغازلون . ويجد من رفاقه من يغريه على الرذيلة ويحببها اليه باسم الحرية فاذا اقتحم غيره بالضعف . فهل يلام أولئك الشبان على السقوط ؟ وانما اللوم على الذين يرسلونهم الى تلك المدارس . واذا كان لا بد للحكومة المصرية او الآباء من ارسال ابنائهم الى مدارس فرنسا فمن الخطأ ارسالهم الى باريس وتعريضهم لتلك الاخطار

على ان هذه الطبقة من النساء ليست كلها من اهل تلك العاصمة فان فيهن كثيرات من اهل الارياف الفرنساوية او من خارج فرنسا . وبعضهن من روسيا والمانيا وغيرهما . ويندر بينهن القادمة الى باريس بقصد العهارة . وانما يعد اكثرهن اليها الارتزاق ببعض المهن فيتعرضن للوقوع في تلك الفخاخ ويدفعهن الفقر على الوقوع فيها . لان البائسة في عزتها واجرتها فرنكان او ثلاثة في اليوم تنفقها على الطعام واللباس وامامها تقع نظرها كل يوم على عشرات من شبيهاتها في الخلقة او اقل منها جمالاً وكل

منهن قد تأبط زندها شاب كساها احسن الاقمشة وزينها باجمل الحلي . فاذا قويت هذه البائسة المسكينة على محاربة الحسد فانها لاتقوى على مدافعة من يتعرض لها من أولئك الشبان الذين يغرونها بالمواعيد العريضة . ويتحسسون اليها باطراء جمالها وشكوى الغرام وغير ذلك فتقع في الشراك . ولا يعاشرها ذلك المغرم الا مدة ثم ينتقل الى سواها . فتصبح غير قادرة على العمل في مهنتها الاولى ويهون عليها الارتزاق من امثال ذلك الشاب . واعتبر كيف تكون حالها متى ذهب شبابها وذوى جمالها !

فالعلة الاصلية في شيوع التهتك بباريس انما هو اطلاق سراح الفتاة ومساواتها للرجل وتكليفها الارتزاق مثله واباحة الحكومة الفحشاء رسمياً . وزد على ذلك ان الفتور الديني شائع في فرنسا حتى اصبح شبانها يعدون العهارة ضرباً من التجارة ولا فرق عندهم بين الفحشاء والتمتع بسائر ملاذ الحياة كالطعام والشراب والسماع ونحوها . فيغرون المرأة على ذلك فتطيعهم . وليس اقبح من فتور المرأة في الدين لانها اقرب الى التقوى من الرجل واكثر تمسكها من طريق الدين خوف العقاب . وهي دقيقة الاحساس سريعة التأثر فاذا لم يشتمل قلبها بالتقوى والرهبة من العقاب خيف عليها السقوط اذ ليس لها ما للرجال من قوة الارادة . ومع ذلك فانه اكثر سقوطاً منها لكن الناس لا يعيبون سقوطه كما يعيبون سقوطها . وذلك من جملة مظالم نظام الاجتماع

في شوارع باريس الوف من الفتيات لولا هذه الاسباب لكن امهات وربات عائلات يربين ابناءهن رجال المستقبل على الفضيلة بدلاً من ضياع شبابهن في الرذيلة وضياع معهن الوف من الشبان بلا عقب . لان هذه الاباحة من اكبر اسباب العقم في فرنسا اذ يمسك الشبان عن الزواج تخلصاً من متاعبه وهمومه واكتفاء بلاذه الوقتية بثمن قليل لا مسؤولية بعدها ولا تعب . فلا نبالغ اذا قلنا ان فرنسا بين يدي خطر اجتماعي يهددها ولا تخرج منه الا بعد انقلاب عظيم

بلغ عدد اللقطاء في باريس للعام الماضي ثمانية عشر الفاً لا يعرف آباؤهم فهم من نتائج هذه الرذيلة . من نتائج الافراط في الحرية والفتور في الدين . ان الجهل والحجاب يضران المرأة ويؤخران الهيئة الاجتماعية عن اسباب المدنية . لكن الحرية الزائدة مع العلم او بدونه تفسد المجتمع الانساني وتضر بالعائلة . وحال فرنسا الاجتماعي اكبر شاهد على ذلك لان احصاءها يكاد يكون الآن كما كان منذ اربعين سنة . ولم تبق امة الا تضاعف احصاؤها في اثناء هذه المدة

خلقت المرأة أماً تدبر العائلة وتربي الاولاد . وتعليمها ضروري للقيام بمهمتها

الطبيعية في الشؤون العائلية . واما تكليفها باعمال الرجال فانه خارج عما خلقت له الا اذا اضطرت اليه لاسباب قهرية . ولكننا نرى بعض كبار العلماء يجيزون لها كل عمل يعمله الرجل وان تتعاطى كل صناعة اومهنة لانها مساوية له . وبعضهم الف كتباً في هذا الموضوع خلاصتها ان المراة يجب ان تعمل كل اعمال الرجال من صناعة او علم او تجارة او زراعة بحجة تضاعف الثروة بتكاثر الايدي في العمل . وهو راي نظري لا ينطبق على حاجة المجتمع الانساني . اذا نزل الرجل والمراة الى السوق من يربي الاطفال ويخدمهم ويعنى باحوالهم ؟ فان قيل ان المراضع والخدم يفعلون ذلك قلنا ان الطفل لا تربيه الا امه . واذا فرضنا قيام الخدم مقامها فالنفقات التي يستلزمها استخدامهم تستغرق ما تكتسبه المراة بالعمل خارج بيتها

ومهما بلغ من ارتقاء الجنس البشري في الاكتشاف والاختراع فانه لا يقوى على قلب نظام الاجتماع — وهذا النظام يقضي على الام ان تربي طفلها بحيث لا يخرج من دائرة عنايتها . وان يكون هو اهم اشتغالها مع تدبير بيتها وليس ذلك بالشيء اليسير . ان القيام بشؤون العائلة لا يقل اهمية عن اعظم عمل من اعمال الرجال في التجارة او السياسة او الصناعة او غيرها

الخلاصة

في مدنية فرنسا وغيرها من مدنيات اوربا حسنات كثيرة يجب علينا اقتباسها والاستفادة منها . ولكن فيها سيئات يجب تجنبها والابتعاد عنها . فالحسنات التي يحسن بنا اقتباسها هي :

١ معرفة الواجب ٢ المحافظة على الوقت وصدق المواعيد
٣ تهذيب الاخلاق العامة بالتربية الصحيحة
٤ تعليم المراة وتثقيفها
٥ ترقية التعليم والتوسع في الآداب ٦ العمل والجد

اما ما يجب علينا تجنبه من ادران تلك المدنية فاهمه :

١ الافراط في الحرية واستخدامها في غير موضعها
٢ ما يخالف الخشمة الشرقية . على ان نأخذ من العلم والتربية القدر الملائم لعاداتنا
٣ الفتور في الدين والمجاهرة بالكفر فانه من اس ذلك الخراب

وسنتكلم عن متاحف فرنسا وآثارها في ما يلي

الاكاذيمية العربية

او المجمع العلمي العربي

اقتراح على وزير المعارف

اللغة العربية

اللغة كائن حي خاضع لناموس النشوء والارتقاء ينمو بالتنوع والتجدد والتحول والتوالد على ما تقتضيه الاحوال الاجتماعية والعلمية والسياسية . واللغة العربية تاريخ يؤيد هذه الحقيقة ولو توفرت [illegible] بحث لرأينا لكل لفظ تاريخاً مر به في ادوار يسر وعسر وتقلب بين سعادة وشقاء وان [illegible] الالفاظ [illegible] ماتت وقامت الوف اخرى مقامها . ويرجع [illegible] ذلك الى [illegible] الانقلابات الاجتماعية او العلمية او غيرها فيصيب اللغة تغيير [illegible] اهم التغييرات التي اصابت لغتنا في عصر التاريخ وقع في صدر الاسلام على اثر الانقلاب الديني بحدوث المعاني الدينية والاجتماعية . يليه تغيير رافق الانقلاب السياسي بانشاء الدولة الاسلامية والحضارة الاسلامية في انحاء العالم العربي . وتغيير اقتضاه نقل العلوم من اللغات الاعجمية بما فيها من المصطلحات العلمية . وغير ما استلزمه اختلاط العرب بالامم الاخرى من اقتباس الالفاظ والمعاني مما يطول شرحه

وانما نريد الآن التغيير الأخير الذي اقتضاه دخولنا في المدنية الحديثة اقتداء بالافرنج . فنقلنا علومهم وفنونهم وقلدناهم في كثير من آدابهم الاجتماعية واحوالهم السياسية والادارية فاقتبسنا معاني كثيرة لا نعرف لها الفاظاً عربية تؤديها . فنهج كل كاتب منهجاً في النقل او التعريب واختار بعضهم للمعنى الحديث لفظاً يرى انه يؤدي الغرض المطلوب واختار غيره غيره . فاختلفت مختاراتنا وتضاربت حتى اصبح للمعنى الواحد عدة الفاظ على ما تراه في الناقلين . فبعضهم وضع لفظاً من عند نفسه والبعض الآخر استخرجه من كتب العرب القدماء ومنهم من استبقى اللفظ الاعجمي على حاله . فادى ذلك الى

فوضى الانشاء وتضليل القرآء واصبحت اللغة في حاجة الى من ينظر في امرها ويتلافى الخطر الذي يهددها . واليك امثلة من بواعث تلك الحاجة

الالفاظ العلمية · يدخل فيها مصطلحات العلوم الطبيعية وما تفرع منهـا على اختلاف مواضيعها مما حدث أو اتسع في هذا العصر كالطبيعيات والكيمياء والتاريخ الطبيعي والجيولوجيا والبيولوجيا . وعلوم النفس والاجتماع والاقتصاد السياسي والفلسفة الادبية والعقلية وغيرها . فان لكل من هذه العلوم مصطلحات لفظية لمعان حدثت في هذا العصر لم يكن العرب يعرفونها فلم يكن لها الفاظ في لسانهم . أو ربما كان لها الفاظ اهملت بتوالي الاجيال فلا نصل اليها الا بالبحث والتنقيب . وقد اشتغل المترجمون في النهضة الاولى على ايام محمد علي في التنقيب عنها فاستخرجوا كثيراً منهـا ادخلوه في مترجماتهم . وفعل مثل ذلك ايضاً المشتغلون بنقل هذه العلوم في المدرسة الكلية لاميركية في بيروت . ولكنهم اختلفوا في كثير من المصطلحات التي وضعوها للمعاني المتشابهة فاختار هؤلاء لفظاً لهذا المعنى واختار اولئك غيره وكلاهم وصل اليه بالاجتهاد . فمن مصطلحات علم النبات مثلاً

الاصطلاح المصري	الاصطلاح السوري	الاصطلاح المصري	الاصطلاح السوري
العصيلة الخيبية	الصيوانية	الرقص السنجي	الخوريا
العاب	القصب	حنف القدم	قدم فدعاء
نوت	كبش	مغص معوي	قولنج
زر	برعم	الجسم المندمل	الجسم الصلب
عضو التذكير	السداة	عين السمكة	مسمار
الريشة	سويق الجنين	داء الحرقفة	مرض الورك
الشيكوريا	الهندباء	لحين	كرياتين
جذر كروي	قرم	حمى الدنج	ابو الركب
لفافة ظرفية	كويس	غروين	املسين
ذيب	رجيلة او زند	سيانوز	الزراق
خيط عضو التأنيث	قلم	بشرة مخاطية	اشيليوم
الشوكران	الكونيوم	طفح جلدي	نفاط

الاصطلاح المصري	الاصطلاح السوري	الاصطلاح المصري	الاصطلاح السوري
خوخ	دراقن	هربس	قوبا
عضو التأنيث	مدقة	مدة التفريخ	مدة الحضانة
برقوق	خوخ	ألم عصبي	نفرالجيا
طلع	لقح	نتانة الفم	بخر
توت ارضي	كبش التمش	فقاعة	بجال
عرق الذهب	ايبكاك	التهاب رئوي	ذات الرئة
القرنفل العطري	كبش قرنفل	ضربة الشمس	رعن
لبين نباتي	كاوتش	ومن مصطلحات الطبيعيات وغيرها	
ومن المصطلحات الطبية		الجير	الكلس
التسمم الكحولي	هذيان السكارى	القوة المركزية	قوة التباعد عن المركز
القنب الهندي	الفراح	حلزوني	لولبي
المبنج	الكلوروفورم	عتة	محل
منّ القبيطي	من المطوس	زوغان النور	استقطاب النور

وقس على ذلك سائر المصطلحات التي يطول بيانها. ولا يخفى ما يترتب على هذا الاختلاف من الالتباس. ويظهر ذلك أيضاً في الالفاظ الادارية وفي جملتها مصطلحات الحكومة فإن بين مصطلحات الحكومة المصرية والسورية بوناً عظيماً وأمرها مشهور لا يحتاج الى بيان. وهكذا يقال في العلوم الحادثة لهذا العهد وقد اخذ الكتاب في نقلها الى العربية كعلم الاقتصاد السياسي وعلم الاجتماع وعلم النفس (البسيكولوجيا) ونحوها . فهذه لا بد من اختلاف الناقلين في انتقاء الالفاظ المؤدية لتلك المعاني . وبعضها يحتاج الى اعمال الفكرة قبل تعريبه مثل قولهم من مصطلحات علم النفس Subconscious و Subjective و Objective و Association وقولهم من اصطلاح علم الاجتماع Genetic و Telic و Institution و Régime

المصطلحات السياسية — وعليك بالمصطلحات السياسية والصحافية التي كثيراً ما يلتبس فيها النقل لعدم الاتفاق على لفظ معين لها. فلم نتفق حتى الآن على لفظ يميز بين Conference و Congress وبين Entente و Alliance وبين Convention و Treaty وبين Souverain و Suzerain وبين Colonie و Dependance

وبين Marine و Sailor وقس على ذلك مصطلحات الجندية البرية والبحرية كقولهم Yeomanry و Militia واسماء السفن الحربية كالطرادة والنسافة والمدمرة ونحوها فان كثيراً منها لا يزال ملتبساً . ومن هذا القبيل المصطلحات المالية والادارية كقولهم Deposit و Crédit و Exchange ونحوها مما لم نتفق على الفاظ عربية تؤديه بلا التباس . وهكذا في سائر المصطلحات العصرية

الالفاظ المولدة — وهناك طائفة من الالفاظ العربية المولدة اقتضاها سير التمدن الحديث ولا نجد مدلولاً عليها في اللغة الفصحى مما استعمله العرب قديماً ولا نجدها في كتب اللغة . مثال ذلك لفظ « معجم » بمعنى قاموس فان اصل معناها « المنقط بالسواد » ومنه حروف المعجم وهي الحروف المنقطة التي تختص اكثرها بالنقط من بين حروف سائر الامم . فصار معناها بالاستعمال الكتب المرتبة مواده على احرف الهجاء . مثال لفظ « قاموس » وهذه ايضاً ليست اصلية لهذا المعنى فانها وضعت في الاصل اسماً لمعجم الفيروزابادي [illegible] معناها [illegible] اعظم موضع فيه سمى الفيروزابادي كتابه به لحيط اتساعه ثم اطلق على كل معجم . وكان العرب يسمون القواميس « كتب اللغة » . وقولهم « المدنية » بمعنى [illegible] ليس له هذا المعنى في القاموس . ولكن [illegible] من عبارة الكتاب المتقدمين وفي مقدمة ابن خلدون والمقريزي . وقس على ذلك طائفة كبيرة من الالفاظ العربية استعملها الكتاب في اثناء التمدن الاسلامي لمعان جديدة لم يذكرها القاموس فهذه ينبغي ضبطها . واعتبارها مولدة كما فعل علماء اللغة بغيرها من نوعها

فاللغة بهذا الاعتبار في حال من الاضطراب والتشويش لانخرج منها الا اذا بادرنا الى اصلاحها وهذا العمل لا يستطيعه فرد واذا استطاعه فلا يرجى ان يتبعه الكتاب في ما يراه او يدعو اليه . لان كل كاتب مفتون بذات افكاره فلا بد من جمعية تتولى هذا العمل . وقد شعر ادباء اللغة بهذه الحاجة وانشأوا الجمعيات لهذا الغرض منها المجمع العلمي الشرقي في بيروت والمجمع اللغوي العربي بمصر منذ بضع وعشرين سنة واهتم نادي دار العلوم بهذا الموضوع ايضاً منذ بضع سنوات فقرر الفاظاً ومصطلحات كثيرة لكنها لا تشيع على اقلام الكتاب اذا لم يكن لها صفة رسمية . فلا بد من تأليف جمعية تكون لها صفة رسمية وهذا ما اردنا اقتراحه على نظارة المعارف المصرية

نظارة المعارف

اما اختصاصنا نظارة المعارف المصرية بهذا الاقتراح فسببه ان مصر كما قلنا مراراً هي مركز العالم العربي ومابرحت ملجأ اللغة العربية من قرون متباعدة وهي التي حافظت على الآداب العربية في اثناء عصر الانحطاط . وهي التي بدأت بالنهضة العربية في اثناء هذا التمدن . واقتدت بها البلاد الاخرى في الشام وغيرها . وهي اليوم ارقى البلاد العربية مدنية وصحافة وأدباً . فبعد ان ضربت الذلة على هذه اللغة اصبحت مصر ملجأها الوحيد للخروج من هذا المأزق . ولا سيما بعد ان أخذ سعادة ناظر المعارف في احياء الآداب العربية . وهو أول من تصدى لذلك من وزراء هذه النظارة كما يتضح لك ما يلي -

توالى على نظارة المعارف بضعة عشر ناظراً اولهم مختار بك أحد المتخرجين في أوربا من زمن محمد علي تولاها سنة ١٨٣٦ وآخرهم هذا العهد حشمت باشا . فالنظارة قاسمت منذ ٧٦ سنة تقلبت في تاريخها على ثلاثة ادوار

الدور الاول : يبدأ من ولاية محمد علي برئاسة مختار بك المذكور وينتهي في زمن الخديوي اسماعيل . وكانت تلك النظارة تعرف في اثناء ذلك الدور باسم « ديوان المدارس » وكان اعضاؤه من ابناء المصريين والارمن الذين تخرجوا في مدرسة باريس بامر الحكومة المصرية وبعضهم من الفرنساويين . وكان الغرض الاول من انشاء هذا الديوان التدريس الحربي لاخراج ضباط مصريين . ثم اتسعت دائرة التعليم فانشأوا المدارس المختلفة من ابتدائية وعالية للضباط والموسيقى والمشاة والفرسان والطبجية والبحرية والطب والهندسة والكيمياء والزراعة والالسن وغيرها . وكانت قاعدة التدريس فيها اللغة العربية فنبغ العلماء والاطباء والقواد في كل علم وفن باللغة العربية ولا تزال أمثلة في مؤلفاتهم في المكتبة الخديوية حتى الان

الدور الثاني : يبدأ بنهضة التعليم الثانية في زمن اسماعيل وينتهي بالاحتلال . وفيه تشكل مجلس النظار سنة ١٨٧٧ على الشكل المعروف الان . وتحددت النظارات وفي جملتها « نظارة المعارف » بدلاً من « ديوان المدارس » . وكان اسماعيل راغباً في انشاء

المدارس فاكثر منها على يد وزيره علي باشا مبارك واتسعت دائرة العلوم والفنون . ثم افضت الولاية الى المغفور له توفيق باشا وفي ايامه حدثت الثورة العرابية التي افضت الى الاحتلال الانكليزي

الدور الثالث . يبدأ بالاحتلال وينتهي بوزارة حشمت باشا الوزير الحالي . وحدث في اثناء هذا الدور تغيرات هامة في التدريس وطرق التعليم اهمها ان التعليم تحول فيها من اللغة العربية الى اللغات الافرنجية الانكليزية أو الفرنساوية . وانصرفت العناية من التعليم العالي الى الابتدائي بانشاء الكتاتيب ونحوها . واقفلت الارساليات الى اوربا وابطل التعليم المجاني وقلت العناية بتعليم آداب اللغة العربية . فكان لذلك وقع سيء لدى الامة وارتفعت اصوات الجرائد والمجلات تطلب ملافاة ذلك . فاقترحت الجمعية العمومية على الحكومة سنة ١٩٠٧ ان تجعل تعليم العلوم في مدارسها باللغة العربية فاجابها ناظر المعارف يومئذ سعد باشا زغلول بمنشور تعمد فيه ويبين افضلية التعليم باللغات الاجنبية بالنظر الى حالة مصر لكنه وعد ان يبذل جهده في اجابة طلبهم . وقد فعل لكنه لم يستطع شيئاً كبيراً

الدور الرابع — وهو الذي نحن فيه يبتدئ باسناد هذه النظارة الى حشمت باشا . ويمتاز هذا الدور عما تقدمه بامور أهمها :

١ انهُ جعل التعليم في المدارس المصرية بالعربية في مدرسة الزراعة بالجيزة وفي مدرسة مشتهر المتوسطة التي انشأها . ومدرستي التجارة والمحاسبة . فضلاً عن المدارس الابتدائية والثانوية . فان التعليم فيها اصبح كله في اللغة العربية

٢ انه اعاد قلم الترجمة لتعريب الكتب كما كان في زمن المغفور له محمد علي باشا وقد ترجم في السنتين الماضيتين ١٢ كتاباً في فنون مختلفة

٣ ادخل علوماً جديدة فنية تلائم حال الجمهور من حيث اعمالهم اليومية وارتزاقهم ومن حيث ترقية اخلاقهم وآدابهم

٤ اخذ في احياء آداب اللغة العربية . وهذا لم يتصدَّ لهُ وزير قبله فقرر طبع بعض الكتب العربية النادرة واخذ في اصلاح المكتبة الخديوية . وكثيراً ما سمعناه يشكو من حال اللغة العربية واحتياجها الى الاصلاح أو الضبط ولذلك تجاسرنا على عرض هذا الاقتراح عليه

اقتراح

نقترح على سعادته انشاء مجمع علمي او اكاذيمية تتولى هذا الاصلاح وغيره مما يسهل عليه الطريق الذي يسعى فيه لاحياء الآداب العربية . كما فعلت الدول المتمدنة في اوربا منذ اجيال . ما من دولة متمدنة الا ولها اكاذيمية لهذا الغرض اشهرها الاكاذيمية الفرنساوية التي انشأها ريشليو وزير لويس الرابع عشر في القرن السابع عشر . والاكاذيمية الانكليزية هي جمعية الآداب الملوكية انشأها الملك جورج الرابع سنة ١٨٢٥ وقد الحقوا بها سنة ١٩١٠ لجنة سموها اللجنة الاكاذيمية على نسق الاكاذيمية الفرنساوية الغرض منها النظر في ما تحتاج اليه اللغة الانكليزية وآدابها من الاصلاح في الانشاء والالفاظ والاخذ بناصر الادباء وتنشيطهم وتقدير الجوائز لمستحق المكافأة منهم وغير ذلك . وهكذا يقال في سائر امم التمدن

فنقترح انشاء مجمع او جمعية او اكاذيمية غرضها اصلاح اللغة العربية وضبط ما دخلها او يدخلها وما تولد او يتولد فيها من الالفاظ الحديثة على شكل يعم استعماله في العالم العربي . لاننا علمنا بالاختبار طويلاً ان كتاب اللغة العربية في انحاء العالم كله حتى في فارس والهند وغيرها يشعرون بهذه الحاجة ونحن نرى ان تتألف هذه الاكاذيمية من اهل الادب على اختلاف طبقاتهم . بحيث يكون فيها العالم اللغوي والكاتب الصحافي والباحث الطبيعي والطبيب والمؤرخ والشاعر وعارفو اللغات الشرقية وامهات اللغات الافرنجية ولا سيما اليونانية واللاتينية . وان يكون لهذه الجمعية اعضاء مراسلون في اطراف العالم العربي يشتركون في هذا العمل . فيعرضون ما يرون الحاجة ماسة الى اصلاحه أو ادخاله أو تعريبه من الالفاظ أو المعاني أو نحت الالفاظ الجديدة التي يصعب تصريفها مثل تلغراف وتلفون فتشتق لها افعالاً من لفظها يسهل استعمالها ونحو ذلك

والاكاذيمية تنظر في مايعرض عليها من الالفاظ او الاوضاع وتعين اللجان اللازمة لدرسها وتقريرها ثم تعرض ذلك على الجمعية فما اقرت على استعماله بالاكثرية يعلن في الصحف ويدون في الكتب المدرسية بمصر . وينشر في سائر العالم العربي بواسطة الاعضاء المراسلين ثم تشتغل بوضع معجم على النسق الحديث بحذف الالفاظ المهملة الصحيحة التي حكم عليها ناموس الارتقاء بالدثور واضافة الالفاظ الجديدة من المعرب

او المنقول او المنحوت او المولَّد مما تكون المجمعية قد قررته . وترجع في مواد القاموس الى اصولها التحليلية فتبين اصل كل مادة من اي لغة هو . وتتسع اعمال هذه الاكاديمية مع الزمن بحيث يكون لها ما للاكاذيميات الافرنجية من تقرير الجوائز المالية او الفخرية او الاخذ بناصر الادباء في نشر آثارهم او غير ذلك مما لا يمكن تعيينه الآن اذ من العبث ان نطيل الكلام في موضوع لا يزال في حيز الفكر . فاذا جاز هذا الاقتراح قبولاً عدنا اليه وتوسعنا في درسه ويحسن بالادباء الخوض فيه لاستجلائه بالبحث والمناقشة والله ولي الامر

حديث مع القمر

او نظرة في الوجود

النور المالئ الفضاء يدفع الفكر البشري الى فوق . والسكون السائد على صفاء الطبيعة يخدّر الجسم فتنطلق الروح من سجنها المادي الى موطنها الحقيقي

تركت الوادي وتسلقت الاكمة لارى تبدد الغيوم امام هبوب النسيم وكيف يجلى الجمال الطبيعي بعد هدوء العاصفة

وما عسى ان يجذب الفكر في سكون الليل سوى ملك الليل . اليس مسير هذا البدر في هذا الفضاء يدعو الانسان الى الفكر ؟ هذه ملايين من السنين مرَّت ولا نزال نشاهد ما شاهده ابناء القرون الخالية وسيشاهده بعدنا ابناء القرون الآتية ويتساءلون عما نتساءل . اما الحقيقة فواحدة نجهلها وسيجهلونها لان البشر بشرٌ والالهة التي تعرف الحقيقة ذهبت ولن تعود

اجل يا بدر — ان جمال محياك لا يسمح لافكاري ان تبتعد عنك فهل لك ان تكون محدثي الليلة وتسرَّ الي شيئاً جديداً ؟ انت الموحي لمخيلة الشعراء بنات الافكار والفاتح لقريحة المفكرين ابواب التأمل والبحث — لا اعلم . اتحسب طلبي جنوناً لاني مخلوق ضعيف يدبُّ على وجه هذه الارض الواسعة التي تسلطتَ على ابنائها اجيالاً طويلة فكانوا لك عبيداً وكنت لهم الهاً ؟ فاذا عجزت عن ان تعرّفني حقيقة

نفسي فانا اقص لك كل ما تريد ان تعرفه عن نفسك

كلانا ابناء هذه الارض ايها البدر ويلذ لي ان احادثك كما يحادث الاخ اخاه فاسمع لاشرح لك حقائق يثبتها العلم ويؤيدها البرهان

كان دوران الارض منذ ملايين من السنين اسرع مما هو الآن . فاستطال جانب منها بقوة التباعد عن المركز وانفصل عنها ومساحته خمسة الاف مليون ميل مكعب قذف به الى الفضاء فاخذ يدور حول أمه . واذا شئت ان تدعم الحقيقة بالبرهان فانظر الى مايسمونه الاقيانوس الباسيفكي . واعلم ان ذلك الفراغ الهائل كان مهداً لذلك الابن المنفصل

مرت القرون الطوال واجتازت الارض من عصر الى عصر وطرأت عليها تغيرات ادت الى تكون جرثومة الحياة بها فنشأت تلك الجرثومة درجات متفاوتة حتى كان منها حيوان تفوّق على سواه بالادراك دعي الانسان

ونقل الينا التاريخ انه وجد اولاً في بقاع جميلة خصبة اسمها بلاد الكلدانيين . وكان هؤلاء اول من رفعوا ابصارهم الى السماء ليبحثوا عما فوق فادهشهم بهاء طلعتك وجمال شعاعك وكنت يومئذ كما انت الان جزءاً تاماً في فضاء هذا الكون فلم يملكوا انفسهم عن ان يسجدوا امام عظمتك وانحنوا لك الجباه . وكانت تلك الاجيال عصرك الذهبي اذ كان البشر يعبدونك ويقدمون لك الذبائح ويبنون لك الهياكل يمجدون بها قوتك المجهولة . فجرهم ذلك الى عبادة الاجرام السماوية وانت في مقدمتها

وما زال الفلاسفة يخبطون فيك خبط عشواء الى اواخر القرن السادس عشر اذ قام في ارض الرومانيين شيخ اسمه غاليلو فكان اول من ادار تلسكوباً اليك . واخبرنا حقيقة علمية عنك فصح امرك من ذلك الحين وانكشفت حقيقتك وتغير نظر الناس فيك

ان ذلك الجانب الذي انفصل عن الارض ليعيش مستقلاً عنها هو انت ايها البدر وقد يسمونك بدراً لمبادرتك الشمس بالطلوع كانك تستعجل المغيب لتظهر للعالم بهاءك . فاذا اشرقت عند مغيبها كنت بدراً وسموا ما يظهر مضيئاً منك لاول ليلة هلالاً . وقد علمنا الآن ان السعد فقط هو الذي يرينا اياك جميلاً باهراً

انك على مئتي الف ميل منا ايها القمر ومع ذلك فنحن نعرف عنك اكثر مما نعرف عن اواسط افريقيا مع قربها منا . نعرف كل تغيير يطرا عليك ونقيس علو جبالك وانخفاض وهادك ونتفحص سهولك الفسيحة فنجدها مجدبة لا ماء فيها .

وقد رأينا رسمك مصوراً بالفوتوغراف . ولا يمرُّ يوم لا اراك فيه مرسوماً على صفحات المجلات التي يقذها البحث عنك . فاذا انت ايها البدر اكلف الوجه كثير الحزون والاحديد . ليس فيك ما يقرُّ العين او يشرح الصدر . ما انت الا براكين فاغرة افواهها لتقذف ناراً وكبريتاً

وما اطول ايامك ان يومك كاربعة عشر يوماً من ايامنا هل يسكنك اناس مثلنا ؟ من يدري ؟ قد يكون عندك احياء على ادنى الصور والاشكال . وقد تمكن علماء الفلك في هذه الايام الاخيرة من مشاهدة نقط بيضاء عند قطبيك تظهر شتاء وتختفي صيفاً يظنونها ثلجاً . وقد عرف الناس ايام خسوفك من عهد بعيد وهم يتنبئون به قبل حدوثها . وكانت العامة تظن احمرارك وقت خسوفك دليلاً على خجلك لكنهم عرفوا اليوم انه ناتج عن نور الشمس المار في هواء الارض فينكسر ويصلك بعضه فينيرك بهذا اللون الاحمر

انت تدور حول الارض كما تدور هي حول الشمس فقل لي ايها البدر . ألك علاقة بما يطرأ على رصدنا من المد والجزر وتقلبات الجو ؟ ان كثيرين لا يزالون ينسبون اليك هذه التغييرات . او لعلها من قديم وردت الى الحديث في اكثرها . ان ايام نقصك اكثر من ايام كمالك وهذا دليل واضح على ان الكمال لا يوجد بعالم الطبيعي مطلقاً

لكن ما لنا ولهذا الحديث ايها البدر . انه حقيقة والحقيقة تؤلم ونحن نتألم منه كل ما يؤلم . فدعني اروي لك شيئاً من آراء العامة فيك . فتشت في خرافات الشرقيين القدماء لعلمي انهم لم يتركوا شيئاً لم يعرفوه فوجدت عجوزاً حنكها الدهر فسألتها ما هذا البدر يا خالتاه ؟ فقالت هو غلام شرير عصى أمه فلعنته ودعت عليه بالتيه كما فعل الله ببني اسرائيل فهو لا يزال تائهاً . قلت وما هذه النجمة الصغيرة التي لا تفارقه كيفما توجه نراها مسرعة وراءه ؟ قالت اعلم يا بني ان لكل كائن في الوجود نجماً يحرسه — هكذا كان الاسكندر ونابوليوس قيصر وبوناپرت ولم يسقطوا من سماء مجدهم حتى افل نجم سعدهم فكانت نهاية الامر بهم

فعدت الى الطبيعة ايها البدر فتركت المجتمع وانفردت بنفسي بعيداً عن الناس وانت تحلي بعظمتك فوق البساتين والمروج الخضراء فكدت اسجد امام ذلك المنظر المهيب لو لم يستوقفني صوت تقطعه الزفرات . فالتفت فابصرت تائهاً من بني الانسان اسند ذراعه الى جذع شجرة وهو ينظر اليك بنفس حزينة وفؤاد كانه يشاهد فيك رسم الذي يهوى فيخاطبك قائلاً :

يا ايها القمر الباهي بطلعته … هل انت نور الدجى المدعو بالقمر
وكان يلوم نفسه على هذا الاستفهام الانكاري فيستدرك قائلاً :
ام انت نور محياها قد انعكست … انواره فبدت للعين كالبصر
وقفت وقفة الخشوع اراعي شعور تلك النفس التي آلمها الحب . وتحولت الى الجهة الاخرى وانا اشعر بتأثير ذلك الهدو والسكون فوجدت فتى مستلقياً على ظهره ينظر اليك ويحدق النظر فيك ولم ادر ما كان يجول في خاطره لكني سمعته ينشد :
استر جمالك عنا ايها القمر … فما القلوب حديد لا ولا حجر
فنظرت اليك فاذا انت سائر بين طغمات من النجوم لا تحصى كقائد يستعرض جيوشه لا يبالي بتأوهات هؤلاء البشر . ورأيتك تحيط بك غمامتان صغيرتان فتخرج من بينهما كانك برغم حركته حرارة الشمس فاراد البروز من بين الاوراق . وشاهدت غيمة اخرى كانها خافت على وجهك الجميل ان تحدقه انظار الناس فترامت عليك وجعلت نفسها حجاباً لك ولا عجب فان التحجب من شأن البدور
عدت الى نفسي ايها البدر وجلست كي احد ودتك المشتاق المتأمل وافتكر فقلت في نفسي مساكين هؤلاء البشر وانهم اهل خيال يتصورون الوهم حقيقة . كيف تكون حالتهم لو عرفوا ان البدر الذي يحبونه ويعبدونه ويحسون الساعات الطوال امامه يتغزلون بهاء طلعته ويشبهون وجهه بوجه من يحبون ما هو الا ارض جافة وجبال قاحلة لا تنبت عشباً ولا يجري فيها ماء ؛ لكن هؤلاء يجدون سعادة الا باوهامهم وهم مسرورون باعتقاداتهم وان كانت خطأ . وحرام علينا ان نشوش عليهم تلك الاعتقادات والاوهام . يكفي انهم عائشون براحة بال وهدو ضمير . اما نحن التعساء الذين لاح لنا بارق من نور الحقيقة فقد اصبحنا نكره الاوهام لانها لا تذاق عقولنا وبتنا لا نجد سعادة الا في البحث عن الحقيقة ومعرفتها . وخير للمرء ان تكون له بساطة هؤلاء العامة وافكارهم . ان ذلك ادعى الى سعادته من ان يعرف حقائق علمية تزيد في اسباب شقائه
ان هذا الكائن الضعيف الذي تراه يدب على وجه هذه البسيطة لا يزال منذ البدء يفتش عن الحقيقة . لكن ما الذي استطاعه بعد طول البحث ؟ اسمع قليلاً ايها البدر فاحدثك عن هذا الكائن واشرح لك ما اعرفه عن حقائقه
ليست الاكتشافات التي يعثر عليها كل يوم الا معرفة بسيطة تزيد طمعه بحب الدنيا . والعالم لا يصل الى كماله بشخص الانسان . ولو امكن ذلك لوصل على عهد افلاطون

وارسطو ومن تقدمهما . اي كان على وجه هذه البسيطة وهي ذرة سابحة في الفضاء ؟ لنفرض انا انتقلنا بقوة الاختراعات الحديثة الى كرة اخرى صغيرة من كرات هذا الكون . الا نرى ارضنا هذه حقيرة ؟ ان الحقيقة موجودة ولا يمكننا ان نثبت من وجودها . نحن ننظر الى عقائد الاولين ونعدها خرافات ومن يعلم كيف ينظر ابناء القرن الثلاثين الى ما نسميه حقائق . ايها البدر — ان علة العلل هي عقدة العقد ، وبعد ان يجاهد الانسان طويلاً في سبيلها يعتل ويموت معترفاً ان الله اقدم الكائنات وليس له ابتداء

اعد نظرك على القرون التي مرَّ بها الانسان تجد البحث عن حقيقة الحياة فكراً شاغلاً كل عقل وهذا الفكر لايزال في نظر اهل القرن العشرين كما كان في نظر اهل القرن الاول — لان في حياة الانسان قوة يجهلها الانسان تفعل كما تشاء وستكون هذه القوة آخر ما يكتشفه الانسان بل هي مجموع كل القوى البشرية ومتى عرف كل القوى فقد وصل الى معرفة تلك القوة

صحيح ان الله لم يوجد شيئاً الا واوجد عقولاً تدركه . لكن ملايين من السنين ستزحف على ارضنا قبل ان توجد تلك العقول . ان شعب الله لا يزال كما قال نيوتن عن نفسه « يجمع حصى من الشاطئ » والطبيعة كما قال سنيكا « لا تكشف اسرارها دفعة واحدة »

حبذا ايها البدر لو امكن ان تنتشر الحقيقة في هذا العالم المظلم انتشار شعاعك في هذا الفضاء الواسع . لكن هذه احلام نتسلى بها مع مرور الاجيال . ولا تغرك مسحة هذه المدنية الجديدة انما هي قشور خارجية حكها قليلاً فيظهر لك الجوهر الخفيف يرتفع الانسان بعقله وعلومه ومعارفه وما هي الا لحظة حتى يسقط الى اسفل السافلين . بكرت بالامس مبتعداً عن المجتمع الانساني وقعدت بين يدي البحر لاتمتع بمناظر الطبيعة فوجدت نسراً يحلق في الفضاء ويبسط جناحيه فوق السهول والمروج الخضراء فحسدته ووددت هنيئاً لهذا الطائر . ان جمال الطبيعة الرائق تحت قدميه ولا شك انه يفتش عن نقطة جميلة يهبط اليها . ولكن عجبي كان شديداً ايها البدر لما رأيت ذلك الطائر هبط الى اسفل الوادي يطلب جثة منتنة

هذه هي حالنا ايها البدر . ومع ذلك فلا انكر عليك ان القرن العشرين بهجة القرون تقدم به العالم تقدماً باهراً وعمرت به الارض حتى اصبحت جنة غناء . لكن ذلك لم يكن الا ليبعدنا عن الحقيقة فيجعل العالم عالماً ماديا محضاً . فترى هؤلاء الناس

يركضون منهمكين باشغالهم واموالهم . ان اعمالهم تأكلهم قبل ان يأكلوا ثمار اعمالهم . فتراهم يزاحمون طيور السماء ويرفعون انينهم في الجو وقد ملأوا الفضاء عمراناً حتى حجبوك ايها القمر عن ابصار العباد . واستعاضوا عن نورك الجميل بانوار الغاز والكهرباء . ان كثيرين في هذه المدن المزدحمة بالسكان لا يعرفون ما هو القمر ولا يبالون به وقد يموتون ولا يعرفونه مرة في حياتهم انهم يبتعدون عن الطبيعة فيقتلون جمال النفس وهو اسمى الظواهر البشرية

ولم يكفهم الفضاء فنزلوا جوف الارض يسكونه واقلقوا راحة الهوام والديدان . انهم يجربون سكنى القبور وهم احياء . وقد تفننوا في امور معيشتهم الى حدّ غريب اما انا فقد سئمت هذه الحياة فخذني اليك لاسكن في كهوف جبالك واعيش بعيداً عن هذا العالم . لعلي احوّل ترابك الجافة بقوة النشاط والاجتهاد الى ارض خصبة جميلة

هناك حيث تتلطف قوة الجاذبية يمكنني ان اهيم واطوف في فسحتك الهادي بكل راحة بال وهدو ضمير لا يؤذيني الماضي ولا يخيفني المستقبل . ومتى حان اجلي اسلم نفسي الى ذرات تربتك والتحف الى الابد

نعم ايها البدر . . . . اني في احلام الشعراء الذهبية فصوغ من شعاعك سلماً ارتقي به اليك واجعلك ارضاً جديدة لآدم جديد

(نيويورك) توفيق مفرّج

المرأة الاميركية

وترقية الهيئة الاجتماعية

اصبح للمرأة الافرنجية شأن كبير في اصلاح الهيئة الاجتماعية وترقيتها المادية والادبية . فاخذت تتعاطى شؤون الرجال واوشكت ان تسبقهم في بعضها . وربما امتازت المرأة الاميركية بنشاطها وتفرغها لذلك العمل السامي . فقد انشأت ستة آلاف نادٍ في العالم الجديد تحتوي على مليون عضو والغاية من تلك الاندية ترقية الأمة على العموم بتحسين الصحة العمومية وتربية الاطفال على الطرق الهيجينية وتنظيف الشوارع ومحلات بيع البقول واللحم وانشاء المكاتب والمدارس وغيره

تأسست تلك الاندية منذ بضع وعشرين سنة فقط لكنها انت بعوائد تستغرق اضعاف هذه المدة . التفت الاعضاء اولاً الى الصحة العمومية فعُهدن بتنظيف

دَين روسيا على الدولة العثمانية

﴿ مناوس . البرازيل ﴾ قسطنطين افندي حبيب

كم هو مقدار الدين الباقي لدولة الروس على الدولة العلية من اصل الغرامة الحربية

﴿ الهلال ﴾ كان الباقي من هذه الغرامة سنة ١٨٩٨ مبلغ ٢٤٥١٣٠٠٠ ليرة عثمانية على ان يدفع منها في ١٤ يناير من كل سنة قسط قيمته ٣٥٠٠٠٠ ليرة فالاقساط المدفوعة من تلك السنة الى اليوم ٢٤ قسماً في ٣٥٠٠٠٠ الجملة ٨٤٠٠٠٠٠ ليرة . فيكون الباقي على الدولة العلية من تلك الغرامة نحو ١٦٠٠٠٠٠٠ ليرة عثمانية

هل بالطلول

﴿ زحلة . لبنان ﴾ جميل افندي فريجة

من هو ناظم القصيدة المشهورة بالبتيمة التي مطلعها :

هل بالطلول لسائل ردُّ ام هل لها بتكلم عهدُ
درس الجديد جديد معهدها فكأنما هي ريطة جرد

﴿ الهلال ﴾ لم نقف على اسمه ولكن يظهر من قصيدته انه من تهامة يدل على ذلك قوله :

ان تتهمي فتهامة وطني او تنجدي ان الهوى نجد

وقد نشرنا هذه القصيدة وسبب نظمها في الهلال صفحة ١٧٥ سنة ١٤

معاهدة الصلح

بين الدولة العلية وايطاليا

التي امضيت في اوشي

المادة الاولى — تتعهد الحكومتان بانهما على اثر توقيع هذا العهد تتخذان في وقت واحد التدابير اللازمة بمنع الحرب وترسلان مندوبين الى محل القتال للتثبت من تنفيذ تلك التدابير

المادة الثانية — تتعهد الحكومتان بان تصدر على اثر توقيع هذا العهد اوامرهما الى ضباطهما وجنودهما وموظفيها الملكيين بالرجوع فالحكومة العثمانية تأمر الضباط

والجنود والموظفين العثمانيين في طرابلس و بنغازي بان يرجعوها والحكومة الايطالية تأمر الذين في الجزر من جنودها وموظفيها بان يعودوا منها ولكن عودتهم من تلك الجزر لا تكون الا بعد ان يبرح الضباط والجنود والموظفون العثمانيون طرابلس وبنغازي

المادة الثالثة — يتبادل الفريقان الرهائن والاسرى في اقرب ما يمكن من الوقت

المادة الرابعة — تتعهد الحكومة الايطالية بان تصدر العفو التام عن جميع أهالي طرابلس وبنغازي . وتتعهد الحكومة العثمانية بان تعفو عن اهالي الجزر الذين قاتلوا مع الايطاليين أو وقعت عليهم شبهة في موالاة ايطاليا . وانما يستثنى من العفو اصحاب الجرائم المرتكبة ضد الحقوق العمومية . وبناء عليه لا يجوز ان يحاكم احد من اية طبقة كان او ان يصادر في شخصه او املاكه او حقوقه بسبب ماقام به من اعمال سياسية او حربية او ما ابداه من الآراء في مدة الحرب وجميع الذين سجنوا او نفوا لشيء من ذلك تطلق حريتهم بلا تأخر

المادة الخامسة — ان جميع المعاهدات والاتفاقات من اي نوع او شكل سواء كان قد عقدت او كانت جارية واوقفت تعود كما كانت قبل الحرب ويعود مركز الحكومتين بعضهما ازاء بعض ومركز جميع رعاياهما كما كان ايضاً

المادة السادسة — تتعهد ايطاليا بانها تقبل عقد معاهدة مبنية على اساس الحق الاوربي العام اي انها تقبل ان تدع لتركيا كل استقلالها الاقتصادي فتتصرف من الوجهة التجارية والحركية كما تفعل الدول الاوربية بدون ان تكون مقيدة بالامتيازات القنصلية او غيرها مما هو نافذ في هذا الوقت . على ان مثل هذه المعاهدة لا تعقد بين ايطاليا وتركيا الا بعد ان يعقد مثلها بين الثانية والدول الاخرى

وتتعهد ايطاليا فوق ما تقدم بأن تقبل زيادة الرسوم في جمارك العثمانية الى ١٥ في المئة من قيمة البضاعة وتقبل ايضاً احتكارات جديدة وزيادات على رسوم البترول وورق السيجارة والثقاب (عود الكبريت) والكحول وورق اللعب بشرط ان تعامل مصانع الدول الاخرى بمثل هذه المعاملة فيما يتعلق بالاحتكار . على انه يلزم ادارة الاحتكار في تركيا ان تستورد بضائع ايطالية بشرط ان يكون ثمنها موافقاً لحالة السوق في وقت الشراء

المادة السابعة — تتعهد الحكومة الايطالية بان تلغي بوسطاتها في البلاد العثمانية حينما تلغي الدول الاخرى التي لها مكاتب بريد بوسطاتها ايضاً

المادة الثامنة — تتعهد ايطاليا منذ الان بانها توافق وتؤيد تركيا حين تطلب

الحكومة العثمانية من الدول الغاء الامتيازات في بلادها واتباع الطريقة الدولية في ذلك

المادة التاسعة — تعيد الحكومة العثمانيـة جميع الايطاليين الذين قضت ظروف الحرب باخراجهم من وظائفهم وتدفع اليهم رواتب المدة التي انقطعوا فيها عن الشغل ولا ينال الضرر احداً من الذين يحق لهم معاش التقاعد بسبب ذلك الانقطاع . وتستخدم الحكومة العثمانية من جهة اخرى نفوذها لدى مصلحة الديون العمومية والبنوك والشركات والسكك الحديدية وغيرها من المعاهد التي يؤثر فيها نفوذها لتحملها على معاملة الموظفين الايطاليين مثل معاملتها لهم

المادة العاشرة — تتعهد الحكومة الايطالية بأن تدفع كل عام الى مصلحة صندوق الديون العمومية لحساب الحكومة العثمانية مبلغاً من المال يساوي متوسط مادفعته اليه ولايتان في كل سنة من السنوات الثلاث التي تقدمت الحرب . ويتفق مندوب عثماني ومندوب ايطالي على هذا المبلغ الذي يجب دفعه . واذا وقع خلاف في هذا الشأن يحال على لجنة تحكيم بينهما يحكم اول برجح الاصوات واذا بقي الاتفاق مع ذلك غير ممكن يعين كل فريق من المتعاهدين دولة والدولتان المعينتان تختاران الحكم المرجح للاصوات ويحق لمصلحة الديون العمومية ان تطلب ابدال القسط السنوي المذكور بمبلغ موحد يؤخذ عنه فائدة ٤ في المئة . وتقبل الحكومة الايطالية ان لا تكون قيمة القسط السنوي اقل من مليوني فرنك

المادة الحادية عشر — ينفذ هذا العقد منذ التوقيع عليه (الجريدة)

يلزم لادارة الهلال

الاعداد الآتية من مجلة الهلال : العدد ٢ من سنة ١٣ و ١ من سنة ٢ و ٣ من سنة ١٥ و ١ و ٢ و ٦ من ١٦ و ١ و ٨ و ٩ من سنة ١٧ و ١ و ٢ و ٣ من سنة ١٨ و ١ و ٢ و ٧ من سنة ١٩ و ٤ من سنة ٢٠ فمن كانت لديه هذه الاعداد او بعضها يرسلها لادارة الهلال بثمن يتفق عليه

قائمة مكتبة الهلال

لسنة ١٩١٣

صدرت قائمة مكتبة الهلال لسنة ١٩١٣ وهي ترسل مجاناً لمن يطلبها

وبلغنا ان الحكومة عازمة على تحقيق هذه الامنية . واذا لم تعمل (لا سمح الله) فانها تقضي على آمالنا باحياء هذا الفن في العربية

ولا ذنب للجوق في ذلك لانه باذلٌ اقصى الجهد في التقدم نحو الامام واختيار الروايات المفيدة على ما يلائم اذواق الحضور . وليس هذا بالامر السهل لاختلاف الجمهور عندنا في الذوق والمشرب وتفاوتهم في التربية والمعرفة . ولذلك فاذا اختار اصحاب الجوق رواية ولم يتفق الحضور كافة على استحسانها فليس ذلك ذنباً لهم لانهم لا يدخرون وسعاً في انتقاء ما يظنونه مفيداً ولو كان غريباً على الحضور . كما فعلوا هذا العام فانهم ادخلوا ضرباً من الروايات لم يسبق تمثيله في المرسح وهي تمثيل روايات تهذيبية باللغة العامية من قلم المرحوم عثمان بك جلال . وهي خطوة حسنة في هذا الفن لان للغة العامية وقعاً في النفس غير وقع اللغة الفصحى . وهم عاملون على انتقاء روايات يمثل احوال العرب ومناقبهم كلفوا بعض الادباء بتأليفها ليكون التمثيل عربيًا من كل وجه عملاً برغبة سمو الامير . والجملة ان اصحاب هذا الجوق عاملون على اتقان التمثيل واختيار احسن المواضيع — ولا يجدي ذلك نفعاً ان لم تأخذ الحكومة بايديهم لتتم أمنية سمو الامير اعزه الله باحياء هذا الفن

مطبوعات جديدة

جرائد ومجلات وروزنامات

﴿ الصديق ﴾ مجلة ادبية تاريخية روائية تصدر في الاسكندرية في منتصف كل شهر لمنشئها عبد الحميد افندي سالم بدل اشتراكها ٣٠ غرشاً

﴿ الهلال ﴾ مجلة اسلامية مصورة تصدر باللغة الاوردية في كلكته بالهند مرة في الاسبوع لمديرها ومحررها احمد المكنى بابي الكلام الدهلوي . وهي متقنة الطبع كبيرة الحجم بدل اشتراكها ثماني روبيات في السنة . ونودُّ لو اضاف صاحبها الى اسمها لفظاً آخر يميزها عن مجلتنا كأن يسميها « الهلال الهندي » مثلاً كما سمى الشيخ عبد العزيز جاويش جريدته في الاستانة « الهلال العثماني » وذلك اولى من وقوع الالتباس

﴿ الصحة ﴾ مجلة صحية طبية تصدر في نيويورك مرة بالشهر لمنشئها يوسف افندي بيرودي الصيدلي بدل اشتراكها ريالان اميركيان او عشرة فرنكات

﴿ حراب الحاوي ﴾ جريدة هزلية انتقادية تصدر في بونس ايرس بالارجنتين اسبوعيًا لمحررها نعمان افندي منذور الحاماتي بدل اشتراكها بالخارج ٢٠ فرنكاً

﴿ الشعب ﴾ جريدة جامعة تصدر في عين زحلتا (لبنان) لمنشئها رشيد افندي نخله ومديرها زيدان افندي ضاهر توزع مجاناً

﴿ المنارة ﴾ المرقسية مجلة دينية اسبوعية تصدر في الخرطوم لصاحبها القس مرقس سرجيوس بدل اشتراكها خمسون غرشاً

﴿ النتيجة السنوية ﴾ صدرت الرزنامة السنوية لجمعية النشأة القبطية الارثوذكسية عن سنة ١٦٢٩ للشهداء وهي السنة السادسة عشرة لصدورها

﴿ تقويم طوالع الملوك ﴾ صدر هذا التقويم لسنة ١٣٣١ هجرية لصاحبه السيد محمود الفلكي وهو يطلب من مجلة طوالع الملوك بالقاهرة

كتب في مواضيع مختلفة

﴿ الهدية الفهمية في تذليل صعوبات اللغة الانكليزية ﴾ هو كتاب نفيس يدل اسمه على موضوعه. والناشئة العربية في غاية الافتقار اليه تأليف محمد افندي فهمي المغربي بنظارة الحربية. جعله قسمين الاول في المصطلحات العمومية لاستعمال الالفاظ حسب موقعها من الجملة . ورتب فيه هذه الالفاظ على الاحرف ودل على كل اصطلاح بجملة تدل عليه مع ما يقابله في معربه. والقسم الثاني يشتمل على مصطلحات الحكومة المصرية رتبها حسب النظارات وفروعها. فبدأ بنظارة الحقانية ويدخل تحتها من اصطلاحات المحاكم الاهلية والمحاكم الشرعية والمحاماة . ثم نظارة الحربية وفروعها كاقسام الجيش وانواع الالبسة والحركات الحربية وادواتها وغير ذلك . فنظارة المعارف واصطلاحاتها حسب الفروع ويدخل فيها مصطلحات العلوم وهذا باب واسع . فنظارة الاشغال فالمالية فالسكك الحديدية والتلغرافات فمصلحة الصحة والسجون وغيرها . والكتاب نحو ٥٠٠ صفحة في ذيلها فهارس للابواب يسهل الاستعمال . فهو لايستغني عنه طالب او اديب في بلد اصبحت اللغة الانكليزية داخلة في كل عمل من اعماله الرسمية وغير الرسمية .فنحث طلاب اللغة الانكليزية على اقتنائه وخصوصاً خدمة الحكومة فانه يغنيهم عن بحث كثير وقد قضى مؤلفه اعواماً عديدة في جمعه وضبطه جزاه الله خيراً وهو يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة عشرين غرشاً واجرة البريد غرشان

﴿ الكفيل بسرعة التحويل ﴾ تأليف محمد افندي امين الديك بمدرسة خليل اغا بمصر يشتمل على جداول لتحويل النقود والموازين والاطوال والسطوح ولتعيين ثمن السبائك الذهبية وثمن المصوغات وارشادات مختلفة وملحق لتعيين ما يختص بالكسور القيراطية للفدان من الثمن وقد وضعه مؤلفه على اسلوب يسهل استعماله

﴿ مجالة المتأدب ورسالة لقط الحكمة ﴾ هما كتابان في مجلد واحد لصالح افندي حمدي حماد يشتمل الاول على نوادر ووقائع تمثل الفضائل وتهدي الى سبل الرشاد في الادب والحكمة . والثاني مجموع حكم نثرية ومواعظ شعرية منقولة عن قائلها . وفي ذيل كل حكمة او عظة اسم قائلها والكتاب من خيرة كتب الادب وهو يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة خمسة غروش والبريد غرش

﴿ حكم النبي محمد ﴾ تأليف الفيلسوف تولستوي في اقوال النبي وشيء عن الاسلام واوربا . نقله من الروسية سليم افندي قبعين وهو يطلب من حضرته بمصر

﴿ امثال الشرق والغرب ﴾ هو مجموع امثال حكمية من اقوال فلاسفة الشرق والغرب مرتبة حسب المواضيع تأليف يوسف افندي توما البستاني وفيه امثال القدماء والحديثين في كل موضوع وامثال صينية ومراكشية واقوال الحكماء من الاسكندر ووصايا وعظات مختلفة وهو يطلب من حضرة المؤلف

﴿ خريطة الحرب البلقانية ﴾ طبع اخوان صابونجي اخوان المصورون المشهورون خريطة عربية كبيرة للحرب البلقانية الحاضرة موضحة بالالوان . وهي تطلب من حضرتهم بمصر وثمن الخريطة خمسة غروش

﴿ امتيازات الطوائف المسيحية ﴾ هو كتاب قانوني شرعي يشتمل على امتيازات المسيحيين في الدولة العثمانية الفه باليونانية المحامي ... فوتيادس ونقله الى العربية الاستاذ غطاس افندي قندلفت مدير المدرسة الانكليزية في البلمند بلبنان ظهرت اولاً في مجلة الحوادث بطرابلس ثم نشرت في كتاب على حدة وتطلب من حضرته

﴿ روح المصور ﴾ هي رواية اخلاقية تأليف جورج هونيه الكاتب الفرنساوي الشهير نقلها الى العربية الدكتور علي بك البقلي التهامي لما تشتمل عليه من اسباب التهذيب وترقية الاخلاق . وهي تطلب من معربها بمصر

﴿ الاسلام والاصلاح ﴾ هو تقرير رسمي رفعه السير رتشارد وود قنصل انكلترا في تونس الى ناظر خارجيتها . وقد نقله الى العربية محب الدين افندي الخطيب المحرر في المؤيد ويطلب من حضرته

(مناهج الالباب المصرية في مباهج الآداب العصرية) تأليف رفاعه بك الشهير جمع فيه فنوناً عديدة نقلها من العربية والفرنساوية ومما اختبره بنفسه . بينها حقائق كثيرة جزيلة الفائدة . اعيد طبعه في المطبعة الاميرية . ويطلب من محمد بك رفاعة بمصر وثمن النسخة عشرون غرشاً ولطلبة العلم بنصف القيمة

الهلال

الجزء الثالث من السنة الحادية والعشرين

اول دسمبر (ك ١) سنة ١٩١٢ و٢٢ ذي الحجة سنة ١٣٣٠

فتوح العثمانيين

في شبه جزيرة البلقان

في القرنين الرابع عشر والخامس عشر للميلاد

نظراً للحرب الناشبة الآن بين الدولة العثمانية ودول البلقان رأينا ان نأتي على تاريخ استيلاء العثمانيين على تلك البلاد والاسباب التي حملتهم على ذلك اوساعدتهم عليه لمقابلة بين تلك الفتوح وهذه الحرب وليتبين للقارئ اختلاف الامم باختلاف الاعصر وتبادل الدول بتداول الايام . ونقدم الكلام في بيان حال بلاد البلقان لما حل العثمانيون عليها

البلقان قبل الفتح العثماني

كانت بلاد البلقان قديماً امارات مستقلة تتنازع وتتحارب . فلما مدت الدولة الرومانية رواقها على العالم المتمدن دخلت هذه البلاد في حوزتها وصارت جزءاً منها . ولما انقسمت تلك الدولة الى قسميها الشرقي والغربي دخلت بلاد البلقان في سيطرة الدولة الرومانية الشرقية التي عرفت بعد ذلك بالدولة البزنتية نسبة الى عاصمتها بزانتيوم وهي القسطنطينية

المملكة البيزنتية

كانت المملكة البيزنتية او المملكة الرومانية الشرقية في اول امرها تشتمل على شبه جزيرة البلقان وآسيا الصغرى وما بين النهرين والشام وفلسطين ومصر وبرقة وعاصمتها القسطنطينية . واملاكها في البلقان عبارة عما يعرف الآن ببلاد اليونان ومكدونية والبانيا والبلغار والسرب والجبل الاسود والفلاخ وبغدانيا والبوسنة والهرسك وجنوبي روسيا اوربا . ولما آذن نظام العمران بتقهقرها اخذت تلك البلاد تنسلخ عنها رويداً رويداً اما بالفتح من الخارج او بالاستقلال من الداخل . كما اصاب الدولة الرومانية الغربية وغيرها من الدول الكبرى في الشرق والغرب ـ سنة الله في خلقه

نزل عليها الجرمان والسلاف والآوار من الشمال فاحتلوا جزءاً كبيراً من اعالي البلقان . وهاجمها الفرس من الشرق فافتتحوا ما بين النهرين . ثم اكتسحها العرب من الجنوب ففتحوا الشام وفلسطين ومصر وبرقة . فلم ينتصف القرن السابع للميلاد حتى انحصرت المملكة البيزنتية في آسيا الصغرى والقسم الاسفل من جزيرة البلقان المعروف الآن بمكدونية والسرب وبلاد اليونان . ودخل في حوزتها ايضاً بعض اطراف ايطاليا في صقلية ولمبارديا . بحيث يحدها من الشمال جبال البلقان والبحر الاسود ومن الجنوب البحر المتوسط ومن الشرق جبال طوروس ومن الغرب البحران الادرياتيكي والمتوسط . وخرجت اطراف ايطاليا من حوزتها بعد قليل

ثم ظهرت الدولة السلجوقية فمدت سلطانها في آسيا الصغرى فاخرجت معظمها من حوزة الروم . فدخل القرن الثالث عشر للميلاد وقد تقلص ظل الروم او الدولة البيزنتية عن كثير من ولاياتها في آسيا الصغرى . فلما نشأت الدولة العثمانية في آخر القرن الثالث عشر كانت المملكة البيزنتية محصورة بين جبال البلقان والبحر المتوسط في ما يعرف الآن بمكدونية والبانيا (وهي البلاد الباقية في حوزة العثمانيين قبل انتشاب هذه الحرب) وبلاد اليونان وقسم من غربي آسيا الصغرى يعرف الآن بولايات ايدين وخداوندكار وخوجلي وقسطموني

فلما نهض العثمانيون لفتح بلاد البلقان لم يحاربوا البيزنتيين فقط بل حاربوا ايضاً من يجاورهم من البلغاريين والسربيين والبوسنيين والمجريين والالبان وغيرهم من الامم التي كانت قد خرجت من سيطرة الروم او انشأت دولاً لنفسها واليك خلاصة احوالها

المجر

واهم تلك الممالك يومئذ المجر او هونغاريا . والمجر قوم من التتر نزلوا ضفاف الدانوب في اوائل القرن العاشر للميلاد وحاربوا الجرمان الذين كانوا هناك ونازعوهم على البلاد فملكوها . وتولى منهم عدة امراء اعظمهم الدوق ارباد تولى الملك في اعقابه . واول من تنصر منهم الدوق جيشا الاول في النصف الاخير من القرن المذكور واخذ ينشر النصرانية في قومه

ثم تحضر المجر واشتد ساعدهم فاشتغلوا بالفتح فاتسعت مملكتهم وعمرت وبلغت قمة مجدها في عهد لويس الاعظم (من سنة ١٣٤٢ — ١٣٨٢ م) من بيت انجو بنابولي . فدخلت بولندا في حوزتها واصبحت مملكة المجر تمتد جنوباً الى وراء الدانوب وخضعت لها البندقية وادت الجزية

عامة المجر

فلما مات لويس هذا اختلف اصحابه على الملك وتنازعوا على النفوذ وطال تنازعهم واشتبكت الحروب الاهلية ولم تستقر الحال الا على يدي سجسموند الملك (من سنة ١٣٩٢ — ١٤٣٧)

ثم نبغ هونيادس القائد العظيم الذي حارب العثمانيين كما سيجيء فصارت الدولة الى ابنه متياس وكان اهلاً للسلطة فدافع العثمانيين جهده واخذت الدولة بعده بالتقهقر فدخلت كلها في حوزة العثمانيين في اواخر القرن الخامس عشر

البلغار

والبلغار اصلهم من التتر زحفوا من ضواحي بحر قزوين في فرقتين اقامت احداهما على ضفاف الفولكا وهم البلغاريون البيض . ونزلت الاخرى غرباً واستقرت على ضفاف الدانوب سنة ٦٨٠ م ويعرفون بالبلغار السود . واختلط هؤلاء بالاوار والسلاف بجوارهم واندمجوا فيهم . ولذلك فهم لا يعدون من التتر الا اسماً واكثر دمهم سلافي . ودخلت بلغاريا في حوزة الروم وخرجت منها غير مرة آخرها سنة ١١٨٧م فاستقلت وما زالت مستقلة حتى فتحها العثمانيون سنة ١٣٨٩ بعد واقعة قوصوه الآتي ذكرها

ومما يحسن ذكره ان العرب عرفوا البلغاريين من عهد الدولة العباسية في اوائل القرن الرابع للهجرة على يد رحالة مسلم اسمه احمد بن فضلان مولى محمد بن سليمان رسول الخليفة المقتدر العباسي الى ملك الصقالبة فانه سافر الى بلاد البلغار وذكر ما لاقاه في الطريق اليها وكان ملكها قد بعث الى المقتدر يسأله ان يبعث اليه من يفقهه في الدين ويعرفه شرائع الاسلام — وهو يسميه ملك الصقالبة . وهذا مثال من قول الرحالة في وصفه قبوله : فلما كنا من ملك الصقالبة على مسيرة يوم وليلة وجه لاستقبالنا الملوك الذين تحت يده واخوته واولاده فاستقبلونا ومعهم الخبز واللحم والجاورس وساروا معنا . فلما صرنا منه على فرسخين تلقانا هو بنفسه فلما رآنا نزل فخر ساجداً شكراً لله وكان في كمه دراهم فنثرها علينا ونصب قباباً فنزلناها وكان وصولنا اليه يوم الاحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من المحرم سنة ٣١٠ﻫ وكانت المسافة من الجرجانية وهي مدينة خوارزم سبعين يوماً فاقمنا الى يوم الاربعاء في القباب التي ضربت لنا حتى اجتمع ملوك ارضه وخواصه ليسمعوا قراءة الكتاب . فلما كان يوم الخميس نشرنا المطردين الذين كانا معنا واسرجنا الدابة بالسرج الموجه اليه والبسناه السواد وعممناه . واخرجت كتاب الخليفة فقرأته وهو قائم على قدميه ثم قرأت كتاب الوزير حامد بن العباس وهو قائم ايضاً وكان بديناً فنثر اصحابه علينا الدراهم . واخرجنا الهدايا وعرضناها عليه ثم خلعنا على امرأته وكانت جالسة الى جانبه — وهذه سنتهم ودابهم . ثم وجه الينا فحضرنا قبته وعنده الملوك عن يمينه وامرنا ان نجلس عن يساره واولاده جلوس بين يديه وهو وحده على سرير مغشى بالديباج الرومي . فدعا بالمائدة فقدمت اليه وعليها لحم مشوي فابتدأ الملك واخذ سكيناً وقطع لقمة فاكلها وثانية وثالثة . ثم قطع قطعة دفعها الى سوسن الرسول فلما تناولها جاءته مائدة صغيرة فجعلت بين يديه — وكذلك رسمهم لا يمد احد يده الى اكل حتى يناوله الملك فاذا تناولها جاءته مائدة ثم

قطع قطعة وناولها الملك الذي عن يمينه فجاءته مائدة ثم ناول الملك الثاني فجاءته مائدة ، وكذلك حتى قسم الى كل واحد من الذين بين يديه مائدة واكل كل واحد منا من مائدة لا يشاركه فيها احد ولا يتناول من مائدة غيره شيئاً . فلما فرغ من الاكل حمل كل واحد منا ما بقي على مائدته الى منزله فلما فرغنا جئنا بشراب العسل وهم يسمونه السجو فشرب وشربنا ... »

السرب والبوسنه

والسرب قوم من السلاف نزلوا سربيا فاكتسحوها واخرجوا الاوار منها في القرن السابع ثم دخلت في حوزة الروم ثم خضعت لبلغاريا ثم عادت الى سلطة الروم سنة ١٠١٨ واستقلت سنة ١٠٤٣ وحالفت المجر لمحاربة الروم . ثم صارت دولة قوية وسمي اميرها ملكاً سنة ١٢١٧ وفي اواسط القرن الرابع عشر اشتد ساعدها فتحت مكدونيا والبانيا وتساليا وقسماً من بلغاريا وسمي ملكها يومئذ « امبراطور السرب واليونان » ولما بطل عزمه بموته تعددت وانقسمت وتقهقرت وانتهت حياتها بدخولها في حوزة العثمانيين على اثر واقعة قوصوه وما يليها

رجل وامرأة من البوسنه

والبوسنه اصلها قبيلة من السلاف ايضاً هاجرت من الشرق في القرن السابع وتوالى عليها امراء منها الى القرن الثالث عشر فدخلت في سلطان المجر ثم السرب ثم استقلت سنة ١٣٧٠ وبلغت قمة مجدها سنة ١٣٧٦ عند انحلال الدولة السربية واوشكت ان تخلفها لولم يداهمها العثمانيون بواقعة قوصوه الشهيرة . ثم اخذت بالخضوع لهم من سنة ١٤٦٢

الروم

اما الروم او البزنتيون فانتابت دولتهم احوال شتى اهمها انها دخلت في حوزة الصليبيين في حملتهم الرابعة من سنة ١٢٠٤ – ١٢٦١ م وصارت في اثنائها لاتينية او غربية تولاها اولاً الكونت بلدوين قائد الحملة الصليبية الرابعة واقتسم الصليبيون المملكة البزنتية وتنازعوا على قسمتها لكن سلطتهم لم تدم الا ٥٧ سنة والشعب لا يريدهم . وفي سنة ١٢٦١ غلبهم عليها الامبراطور ميخائيل باليولوغوس صاحب نيس واعاد الدولة الرومانية الشرقية وتوالى اعقابه عليها نحو قرنين نشأت في اثنائها الدولة العثمانية وفتحت تلك المملكة كما سيجيء .

الروم العثمانية

نشأت الدولة العثمانية في أواخر القرن الثالث عشر للميلاد بحسب الحصري . وكان القسم الشرقي منها في حوزة السلاجقة والغربي في سلطنة الروم كما تقدم . فافتتح عثمان اول سلاطينهم بلاد السلاجقة في الشرق واخذ في فتح القسم الغربي واخراجه من سلطنة الروم . وخلفه ابنه اورخان سنة ١٣٢٦ ميلادية وسار على خطواته ففتح بروسة وجعلها عاصمة مملكته وانشأ جند الانكشارية وهو اول من وطئ جنده اوربا من سلاطين آل عثمان . واتفق في ذلك الوقت ان كنتاكوزين وصي الامبراطور يوحنا الرابع صاحب القسطنطينية كان رجلاً حازماً قام بالوصاية حق القيام . فوشى بعض الحاسدين به واوغروا صدر الامبراطور وأمه عليه فخلعاه . فغضب وجاهر بمعاداة الدولة والملك . ومن جملة مساعيه انه استنصر الاتراك فنصروه فتغلب على الامبراطور يوحنا وتولى عرش القسطنطينية مكانه وسمى نفسه يوحنا الخامس . فكان ذلك وسيلة لطمع العثمانيين بتلك الدولة الهرمة فوجهوا عنايتهم الى فتحها

واول من نهض لذلك الامير سليمان بن السلطان اورخان . ذكروا انه رأى في الحلم كأن شريطاً من الفضة هبط من القمر الى حجره ثم امتد حتى وصل بين اسيا واوربا فتفاءل بذلك خيراً . وبحث عن اقرب نقطتين بين تينك القارتين مما يلي بروسة فاذا هي بوغاز الدردنيل . فاصطنع قاربين من جذوع الشجر شدهما بعضها الى بعض بسيور من جلد البقر وركب عليهما مع ٤٠ من اصحابه وقطعوا الدردنيل الى حصن على مرحلة ونصف من غاليبولي اسمه تزيمبي هان عليهم فتحه لتجمع الاروبة آكاماً حوله من اقذار الاهلين ومزابلهم . وتقاطر الاتراك بعد ذلك افواجاً . وبعد ثلاثة ايام صارت حامية

ذلك الحصن ٣٠٠٠ عثماني . واتفق بعد برهة حدوث زلزال هدم اسوار غاليبولي وما يليها من الحصون فهان عليهم فتحها كأن الطبيعة اعانتهم عليها . واستبشروا بذلك فاعادوا الاسوار والحصون وجعلوا غاليبولي معسكراً يحشدون فيه الاجناد ويبعثون بها الى داخلية البلاد . لكن سليمان لم يتمتع بثمار هذا الفتح فسقط عن جواده وهو في الصيد فتوفي وتوفي ابوه اورخان بعده حزناً عليه سنة ١٣٦٠ م

فتح ادرنة

فخلفه ابنه الآخر السلطان مراد ويعرف بمراد الاول فاخذ في مواصلة الفتح بأوربا . واهم اعماله انه فتح مدينة ادريانوبولي امنع مدائن المملكة البيزنتية في ذلك العهد وجعلها قصبة ملكه بعد بروسة وسماها « ادرنة » . وبلغ عدد الاسرى من الروم في ذلك الفتح مبلغاً فاحشاً حتى بيع الاسير بـ ١٢٥ اسبرا (غرشاً) وهو السعر الذي صاروا يحاسبون عليه بيت المال في خمسه الذي يخصه من الغنائم

فوقع فتح ادرنة وقعاً سيئاً في اوربا كلها . فاعلن البابا اوربان الخامس يومئذ حرباً صليبية اتحد فيها ملكا النمسا والمجر وامراء السرب والبوسنة والفلاخ لدفع هذا الفاتح الغريب . وجردوا جنودهم الى ادرنة . وقبل وصولهم اليها بيومين باغتهم العثمانيون وهم في حال عربدة فمشتوا شملهم وتفرقوا ودهموا غرقى في نهر مريتزا سنة ١٣٦٣ وانما نجا ملك المجر (لويس) بصعوبة بعد ان اوشك ان يذهب قتيلاً بحد السيف . وكان قد نذر كنيسة يبنيها للعذراء اذا نجا فوفى نذره

فوقع الرعب في قلوب ملوك البلقان وامرائه . وفي اثناء ذلك عقدت اول معاهدة بين العثمانيين والاوربيين — نعني معاهدة جمهورية راغوسة . ولم يكن السلطان مراد يحسن الكتابة لتوقيع اسمه فغمس كفه بالحبر وطبعها في اعلى العقد . ويظن بعضهم ان ذلك هو اصل رسم الطغراء في المكاتبات الرسمية العثمانية . ولكننا بينا في غير هذا المكان ان الطغراء اقدم من ذلك

ولما استقر المقام للسلطان مراد في ادرنة اخذ في تحصينها وتزيينها . فبنى فيها قصراً فخماً وابنية كثيرة . واقام هناك الى سنة ١٣٧١ ثم اضطر للرجوع الى اسيا لبعض الشؤون الدولية لكنه ما لبث ان عاد الى اوروبا . وكان قد حاصر ابولونيا بضعة عشر يوماً فصبر اهلها على الحصار . فهمّ السلطان بالرجوع عنها واذا بجانب من الاسوار يتساقط من نفسه ففتح للعثمانيين ثغرة دخلوا منها الى المدينة ونهبوها . وكانت ابولونيا حصناً منيعاً زاد العثمانيين منعة وجرأة فحملوا على نيسا احدى اربع قلاع من امنع

قلاع المملكة البيزنتية وفيها ولد الملك قسطنطين الكبير. فحاصرها السلطان مراد ٢٥ يوماً وفتحها وعاد الى ادرنة ظافراً غانماً . واستقر هناك ستة اعوام لا ينهض لفتح وانما جعل همه اصلاح مملكته وتنظيمها

فخاف جان باليولوغس صاحب القسطنطينية عاقبة ذلك النصر فاستنصر البابا اوربان الخامس . وذهب بنفسه الى رومية واعترف بفساد تعاليم الكنيسة الشرقية ارضاء للبابا فاذنوا له بتقبيل قدمه ويده وفمه وان يقود بغلته بابهامها . فوعده البابا بخمس عشرة سفينة و ١٥٠٠ فارس والف رام . ولم يجده ذلك نفعاً لان جماعة من مداينيه قبضوا عليه في البندقية وهو راجع الى بلده فاضطر ابنه مانويل ان يبيع كل ما يملكه ليفتدي اباه من ذلك الاسر . فلم ير باليولوغس بداً من استعطاف سلطان العثمانيين فلما وصل القسطنطينية ارسل ابنه الثالث تيودور الى السلطان مراد وتقدم اليه ان يدخله في جنده . فرضي السلطان بهذا التنازل وتجدد الصلح

واصاب الملكين على ذلك مصيبة متشابهة لتمرد احدهما اندرونيكوس على ابيه باليولوغس وساوجي بن ابيه السلطان مراد . فتعاون الابنان على اخضاع الابوين فظفر مراد بابنه وقتله وقبض اندرونيكوس على ابنه واكتفى بفقء عينيه بالخل الغالي

وشعر مانويل ابنه الآخر بثقل وطأة العثمانيين على ابيه فعمل على خلع نيرهم وكان حاكماً على سالونيك فجمع رجالاً اغراهم بمواعيده اذا ظفروا بالثورة . فاطلع السلطان على مؤامرتهم قبل الشروع بالعمل فجرد جيشاً امره ان يستولي على سالونيك ففر مانويل منها الى القسطنطينية خوفاً من غضب السلطان فلم يقبله فلجأ الى لسبوس وكانت في حوزة الجنويين فاقفلوا ابوابها في وجهه فلم ير مندوحة عن المثول بين يدي السلطان واستعطافه فعفا عنه واعاده الى ابيه

واقعة قوصوه

وشغل السلطان بعد ذلك بولاياته الاسيوية فاغتنم البلغاريون والسربيون غيابه وانتقموا لانفسهم بقتل ٢٠٠٠٠ من العثمانيين فاسرع الى البلقان لينتقم من اعدائه فالتقى الجيشان في سهل قوصوه وجيش السلطان اقل من الجيوش المتحالفة عليه . بدأت المعركة والرياح تسفي الرمال في وجوه العثمانيين وتعشي عيونهم . فضاق السلطان ذرعاً فصاح من اليأس « انصرني اللهم او امتني فاذهب شهيداً » وكان دعاؤه اجيب فتساقطت الامطار وذهب الغبار فاشتد العثمانيون واستبشروا وامر السلطان بالهجوم . وكانت ميسرتهم قد تضعضعت لكن ابنه بايزيد كان يقاتل في الميمنة فاسرع

بفرقة من رجاله انجد بها الميسرة وارجع الفارين ـ وكانت واقعة هائلة . قال المؤرخ سعد الدين «ان ساحة القتال كانت مغطاة بالعمائم والرؤوس كأنها حديقة من السوسن»

والمعركة في ابانها اسرع رجل من اشراف الصربيين الى معسكر العثمانيين حتى اخترق حرس السلطان وهو ينادي انه يحمل سراً يريد ان يسره الى السلطان . فأمر بتقريبه فتقدم واكبّ على قدمي السلطان كأنه يريد تقبيلها وطعنه بخنجر في قلبه وسلم نفسه للحرس لايبالي ماذا يفعلون به . فقتلوه شر قتلة . مات السلطان في تلك الواقعة لكن العثمانيين فازوا بها وقبضوا على لازار ملك الصرب وقادوه اسيراً الى خيمة السلطان وهو يلفظ النفس الاخير فأمر باعدامه . فلما سمع لازار الامر بقتله مشى بين يدي الجلاد ثابت الجنان وهو يقول «احمد الله لانه اراني عدوي يموت قبلي مقتولاً بيد بطل باسل من رجالي» جرت هذه المعركة سنة ١٣٨٩ وانتهت بخضوع الصرب والبلغار والمجر واكثر ملوك البلقان وامرائه

تمكن الذل والفساد من الروم

وخلف مراداً ابنه بيازيد فعمد الى الانتقام عن ابيه فبعث الى اتيان بن لازار واجبره على الخضوع له والاعتراف بسلطته على جزية يؤديها من المال والرجال

ولم يبق لدى بيازيد من ينازعه السيادة على البلقان الا صاحب القسطنطينية . وكان اصحابها يتخاصمون على بقية تلك الدولة والسلطان يساعدهم مرة ويعاهدهم مرة ويتوسط بينهم اخرى . وكان اندرونيكوس المتقدم ذكره لم يفقد كل بصره فاخل الثاني فكتب الى بيازيد سرّاً يستنصره على ابيه . فاغتنم بيازيد هذه الفرصة ونصره ودخل القسطنطينية بستة آلاف فارس واربعة آلاف راجل قبضوا على جان وابنه مانويل واودعوهما السجن ونصبوا اندرونيكوس على عرش القسطنطينية على ان يؤدي جزية سنوية مقدارها قناطير مقنطرة من الذهب والفضة

لكن الجزية لم تكن تدفع في حينها . وتمكن جان من الفرار فلجأ الى بيازيد وطلب اليه ان يعيده الى ملكه فيدفع اليه الجزية في حينها ويقدم له فوق ذلك ١٢٠٠٠ رجل باسلحتهم الكاملة في كل ربيع . فرضي ورأى ان يستخدم اول جند اتاه من هذا السبيل في اخضاع مدينة الاشهر (فيلدلفيا) وهي المدينة الوحيدة التي كانت باقية للروم في آسيا الصغرى . فذهب الجند وهم من رجال الامبراطور وحاصروا تلك البلد وهو من مملكته : فدافعهم اهل البلد وصبروا على الحصار وجاهدوا في الدفاع فالح الجند اليوناني في التضييق عليهم والامبراطور نفسه اول من اجبرهم على التسليم ومنعهم من الدفاع عن وطنهم

فلما رأى بايزيد ما بلغ من ذل اولئك القوم وتفانيهم في طاعته امرهم ان يفتحوا جزائر الارخبيل اليوناني وقد فعلوا ففتحوا تلك الجزائر باسمه . على ان جان باليولوغس الامبراطور الشيخ كان مع خضوعه بالامر الشاهاني يسعى سراً في تحصين القسطنطينية خوفاً عليها . ولم يجد الاحجار الكافية للاسوار فهدم بعض الكنائس واستخدم حجارتها في التحصين . وعلم بايزيد بذلك فامره ان يكف عن التحصين وهدده فعظم ذلك على الامبراطور حتى مات حزناً

استنصار الفرنساويين

وكان مانويل في حوزة السلطان ففر الى الاستانة لاستلام عرش ابيه فغضب السلطان من فراره فحاصر القسطنطينية وقطع علائقها مع غيرها فضايق اهلها . ثم اضطر السلطان ان يبعث جنداً لمحاربة المجر وملكهم سجسموند فتغلب المجريون فعظم ذلك على السلطان فتأهب للانتقام وحمل على المجر . فاحتاط سجسموند للدفاع احتياطاً مردوداً . استنجد جيوش اوروبا لتشترك معه في المدافعة وبعث الى شارل السادس ملك فرنسا يستنصره فلباه . فقصد الدانوب بجيش جرار حتى حاصر نيكوبوليس وهي اول مرة احتك فيها الفرنسويون بالاتراك وكان الفرنسويون بقيادة كونت دي نافير وهو شاب في الثانية والعشرين من عمره وجيشه مجهز بالسلاح ولكن ينقصه الحنكة . وقد احتقروا عدوهم وانصرفوا عن الاستعداد الى اللذات . ثم ما لبثوا ان ادركوا قوة ذلك العدو فتحمسوا واخترقوا جند المشاة وقتلوا منه عشرة آلاف راجل وخمسة آلاف فارس . فصاروا الى الانعطاف والاستخفاف ثم وصلوا الى جند ثالث يقوده بايزيد بنفسه وفيه اقوى رجاله فلم يستطع الفرنساويون الوقوف امامه . فتغلب العثمانيون عليهم وابادوهم عن آخرهم واسروا الكونت دي نافير . وكان المجريون في اثناء ذلك واقفين لا يحاربون فدعروا وطلبوا الفرار وتركوا ملكهم وشرذمة من رجاله يدافعون عن انفسهم . فاعجزهم الثبات ولم ينج سجسموند الا بالجهد الكثير فقطع الدانوب بقارب

انتصر العثمانيون في هذه الحرب لكنهم خسروا فيها ٦٠٠٠٠ مقاتل . ولما وقع نظر السلطان على جثثهم في ساحة القتال بكى وامر بقتل الاسرى الذين كانوا في حوزته من الاعداء وعددهم ١٠٠٠٠ رجل . ولم يستبقوا الا الكونت دي نافير وبعض اصحابه طمعاً بالفدية . فافتداهم الامراء المسيحيون بمبلغ ٢٠٠٠٠٠ دوكات . واجتاز العثمانيون بعد هذه المعركة الى ستيريا وهونغاريا وهم ينهبون ويقتلون ويحرقون . لكنهم لاقوا من الاهالي مقاومة شديدة حملتهم على الاقتصار . وعزم بايزيد على

الرجوع نحو القسطنطينية ليتم فتحها وكانت لا تزال محصورة . فبعث يهدد الامبراطور ويتوعده

واوشك الامبراطور ان يسلم لو لم يشتغل بايزيد عنه بعدو اشد وطأة واصعب مراساً جاء يهدد اسيا ـ نعني تيمورلنك الفاتح المغولي الشهير سليل جنكيز خان . فاضطر بايزيد الى ملاقاته في اسيا . واحتدمت بينهما حروب انتهت بالقبض على بايزيد في قفص من حديد سنة ١٤٠٣ وطرأ على تيمورلنك ما بعثه على الرجوع الى سمرقند فحمل اسيره معه فمات في الطريق بضربة الشمس . فلما بلغ خبر موته الى تيمور قال « انا لله وانا اليه راجعون » واذن ان تنقل جثته الى بروسة . وظل هو سائراً الى بلده بعد ان قضى سبع سنين يقتل وينهب حتى كسا اسيا الصغرى بالجثث والانقاض

دخل القرن الخامس عشر للميلاد ولم يبق للروم من ممالكهم البيزنتية الا القسطنطينية والمورة . وما لا يعتدُّ به من المواقع الاخرى في بلاد اليونان . غير الامارات البلقانية المستقلة التي لم تخضع للعثمانيين بعد مثل الباب والجبل الاسود . واصبحت المملكة العثمانية يومئذ تشتمل على اسيا الصغرى ومعظم بلاد البلقان

فلما توفي بايزيد وانسحب تيمورلنك تولى محمد بن بايزيد اعالي اسيا الصغرى ووضع اخوه سليمان يده على البلقان وصالح مانوئل صاحب القسطنطينية وتزوج ابنة اخيه . واقام اخوهما موسى في بروسة ثم تنازع الاخوة على السلطة ففاز بها محمد وهو السلطان محمد الاول . فسارع منويل وسائر امراء البلقان الى تهنئته والتقرب اليه . وكان ميالاً الى السلم فعقد البندقيون معه صلحاً ودخلت راغوس تحت حمايته فارتاح من قبيل اوربا لكنه تعب من جهة اسيا ولم يرَ بداً من تجريد السلاح لتسوية شؤونها

ولما جاء الى اوربا وجد سفن البندقية تصادر السفن العثمانية خلافاً للمعاهدة فبعث عمارة خرجت من الدردنيل وجعلت تطارد سفن البندقيين . فجاء صاحب البندقية بعمارته يطلب مقابلة السلطان ليتفاهما عن سبب هذا الخصام . فلما وصل غاليبولي لقيه الاسطول العثماني ولم يفهم قصده فاطلقوا عليه النبال فاجابهم بالمدافع وانتشبت واقعة سنة ١٤١٦ انتهت بفوز البندقيين . فاستولوا على ٢٧ سفينة عثمانية قتلوا رجالها بين يدي نسائهم واولادهم ونهبوا ما فيها . ومع ذلك فان محمداً رضي بعقد الصلح مع القوم . ولعله فعل ذلك ليتفرغ لاخماد ثورة نشبت في محل آخر

وتوفي السلطان محمد سنة ١٤٢١ بالسكتة فخلفه ابنه مراد الثاني وهو في الثانية

عشرة من العمر . فاستصغره مانويل وطلب اليه تنفيذ عقد زعم انه من السلطان محمد يعهد اليه فيه ان يربي اثنين من ابناء السلطان في قصره . فأجاب السلطان مراد رسول مانويل بقوله «قل لمولاك ان شريعتنا تحظر على المسلمين ان يربوا اولادهم عند الكفار» فأخذ مانويل يسعى في مناوأة مراد ودسائس . فاحب مراد ان ينتقم منه فحمل على القسطنطينية وحاصرها ووعد رجاله نهبها والاستيلاء على ما فيها مكافاة لجهادهم في فتحها . لكن اهلها تكاتفوا رجالا ونساء واطفالاً في الدفاع عنها وحدثت ثورة داخلية في اسيا شغلت مراداً عن الفتح فتحول لاخادها . وحارب حروباً اخرى لا محل لذكرها هنا فاز فيها العثمانيون واعادوا الكرة الى اوربا . فدخل امير السرب وامير بابا في طاعتهم ودفع لهم صاحب البوسنة جزية ٠٠٠ ٢٥ دوكات . واخترقوا السرب الى ترنسلفانيا وحاصروا هرمنشتاد فقاومهم فيها هوينادس البطل المجري الشهير — وهي المرة الاولى التي لقيهم فيها ساحة الحرب فحملهم على رفع الحصار بعد ان خسروا ٠٠٠ ٢٠ رجل وطاردهم الى ما وراء الدانوب

هوينادس القائد المجري

فعمد مراد الى الانتقام فجرد حملة ثانية ردها هوينادس على الاعقاب . فذاع خبر انتصاره على العثمانيين بين امراء النصرانية في بلاد البلقان فتقاطروا اليه يطلبون الانضمام تحت لوائه وتوقعوا التخلص من العثمانيين على يده . فتألف منهم جند هائل

يقوده ملك المجر لادسلاس نفسه فعبروا الدانوب جنوباً وقطعوا جبال البلقان والتقوا بالجند العثماني في سهل يلوبس فتغلبوا عليه واضطر السلطان مراد ان يطلب الصلح فاشترطوا تخليه عن بلاد كثيرة كانت في حوزته وعقد معاهدة اقسم فيها مراد بالقرآن ولادسلاس بالانجيل ان يعملا بها

معركة وارنا

فركن مراد الى الراحة وانصرف الى اللهو وعهد بامور الدولة الى ابنه محمد وسنه ١٤ سنة وانسحب الى بروسة ليقضي باقي حياته بالراحة والسكينة . فاغتنم لادسلاس الفرصة لنقض الصلح استناداً على فتوى من البابا اوجين الرابع وحل بجند عظيم تحت قيادة هونيادس اخترق بلغاريا الى وارنا فحاصرها . وبلغ ذلك مراداً فخرج من ملهاه باربعين الفاً من الرجال الاشداء تحت قيادته واخرج المعاهدة التي نقضها لادسلاس ونشرها على قناة رفعها كالراية ومشى بها الى الحرب . فانتشبت المعركة سنة ١٤٤٤ فقتل ملك المجر فقتل جنده وكر راجعاً القهقرى وهونيادس يحاول جمع شملهم عبثاً . فانكسروا شر انكسار . وكان في جملة القتلى نائب البابا الذي حل الفتوى بنقض الصلح

ذكروا ان مراداً قال وهو ينظر الى القتلى بعد المعركة « اني لا ارى الا شباناً مضرجين بدمائهم الا يكن في هذا الجيش احد من الشيوخ ؟ » فاجابه احد رجاله « لو كان بينهم شيوخ لم يرتكبوا هذا الجهل بنقض الصلح » ووضعوا راس لادسلاس في العسل وارسلوه الى بروسة

فتح المورة والبانيا

فتنازل مراد عن الملك لابنه محمد فاحتقر الانكشارية سنه وتمردوا فعاد مراد الى السلطة واخذ الثورة وقاص المتمردين . ثم شغل الانكشارية بحملة جردها على المورة سنة ١٤٤٧ ففتح كورنثية عنوة كما فتح سلانيك وطيبة فسلمت سائر البلاد بلا حرب واصبحوا يؤدون الجزية . وقد اسر منهم ٦٠٠٠٠ مقاتل دخلوا في الرق وبيعوا بيع العبيد

وفي السنة التالية جرد السلطان مراد على البانيا فالتقى هناك بهونيادس مرة اخرى لكن سعد هذا المجري فارقه من واقعة وارنا فانتشب قتال قرب بزود دام ثلاثة ايام وفي ختام اليوم الثالث تحول الفلاخ وهم ٨٠٠٠ مقاتل من جند هونيادس وانحازوا الى الجند العثماني . فرجحت كفة العثمانيين بعد ان خسروا ٤٠٠٠ قتيل . ولم يكد العثمانيون ينجون من سيف هونيادس حتى ظهر اسكندر بك القائد الالباني واسمه

الاصلي جورج كستريوت ولد سنة ١٤٠٤ ونشأ في البلاط العثماني واعتنق الاسلام وسمي اسكندر بك

اسكندر بك الالباني

قضى هذا الرجل نحو عشرين سنة وهو يجاهد في سبيل استقلال وطنه فاحب مراد ان يتخلص منه فحاصر كروايا عاصمة ذلك البلد يومئذ سنة ١٤٥٠ وكان اسكندر بك معتصماً مع رجاله في جبل على مرحلتين من كروايا فأتمر معهم على عمل لم يجرا عليه سواه — وذلك انه عزم ان يباغت العثمانيين ليلاً فلبس رجاله قمصاناً بيضاء ليتعارفوا بها في الظلام . ونزلوا على العثمانيين وهم نيام واعملوا فيهم قتلاً . ولما اصبح الصباح هب العثمانيون مذعورين وقد فشلوا . ويقدرون عدد الذين قتلوا منهم في تلك الليلة بثمانية آلاف . ونظراً لوعورة تلك الارض الجبلية راى السلطان ان يرجع عنها . فعارضه اسكندر بك في طريقه مراراً وحاربه . ولم يصل الجند العثماني الى مأمنه الا بعد ضياع ثلاثة ارباعه : واثر ذلك الانكسار بالسلطان فتوفي وهو في التاسعة والاربعين من عمره بالسكتة في ادرنة

خلفه ابنه محمد سنة ١٤٥١ وهو محمد الثاني فاتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣ وبفتحها انقضت بقية الدولة البيزانتية وثبت قدم العثمانيين في اوربا ونظراً لاهمية ذلك الفتح لا بأس من بسطه

فتح القسطنطينية

الاستانة الآن ثلاثة اقسام اسكودار في الشرق واستانبول في الغرب وغلطة وبيرا في الشمال . واما في زمن الفتح فلم يكن منها الا استانبول وهي مثلثة الشكل راسها في

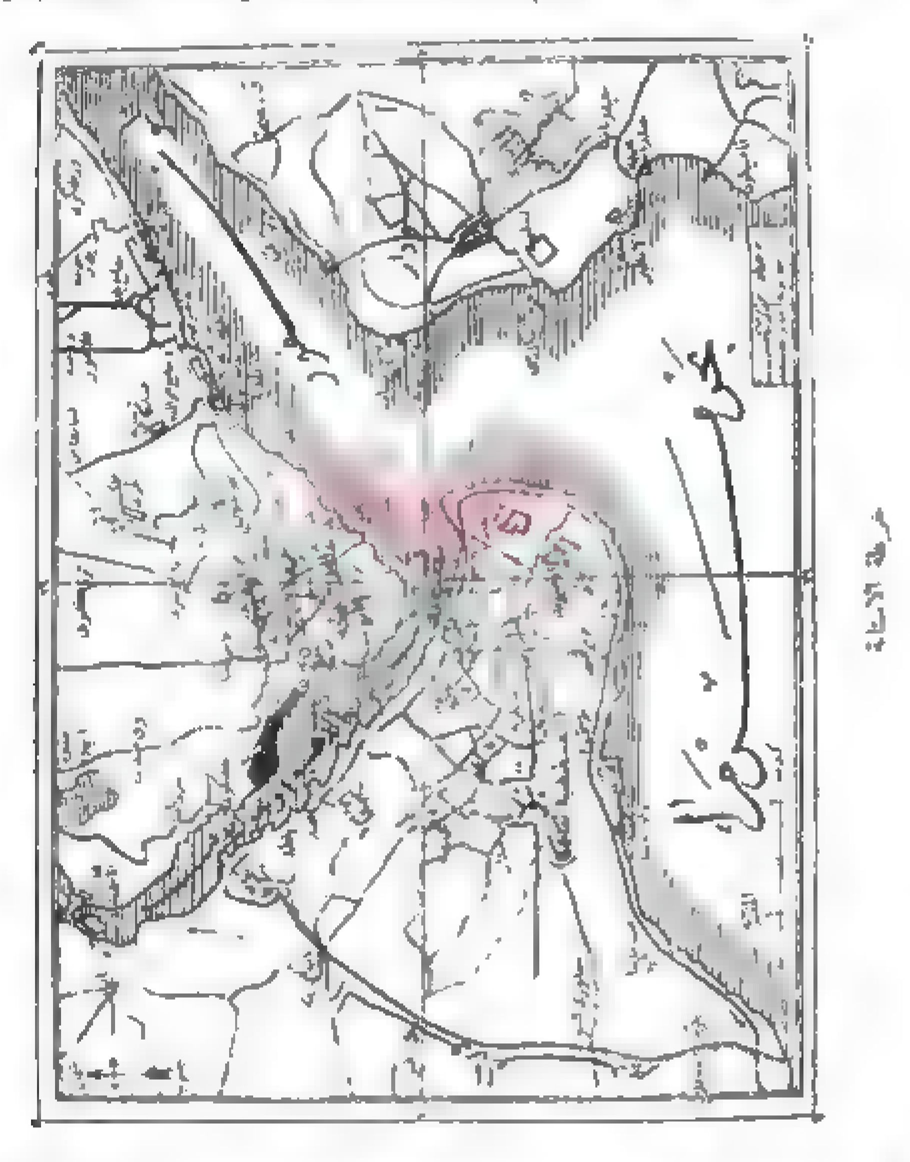

الشرق وقاعدتها في الغرب يحدها قرن الذهب من الشمال وبحر مرمرا من الجنوب وقاعدتها سور متين موصل بين الماءين بما يشبه مدينة الخرطوم . واشهر ما يهمنا

ذكره من اجزائها السور القديم فانه يبتدىء في الشمال بايوان سراي وينتهي في الجنوب وراء السبع القلاع وفي وسطه باب اسمه طوب قبواي باب المدفع نسبة الى مدفع نصبه العثمانيون هناك يوم الحصار وكان يسمى هذا الباب قبلاً باب رومانوس . وفي شماليه باب ادرنه وفي جنوبيه باب سيلوري . وترى في طرف استانبول من الشرق بناء يسمى ضريحانة . وفي نحو ذلك المكان كانت سراي امبراطور الروم والى غربيها جامع اياصوفيا وكان قبل الفتح كنيسة على اسم القديسة صوفيا . وترى خارج السور في الشمال الغربي مكاناً اسمه ايوب اصله قبر ايوب الانصاري الذي قتل في حصار القسطنطينية على عهد بني امية

فلما افضى العرش العثماني الى محمد الثاني كان على القسطنطينية الامبراطور قسطنطين دراغوزس باليولوغس فاتى سفيره الى ادرنه لتهنئة السلطان محمد فرحب به ووعده بالمحافظة على السلم. لكنه اخذ يتأهب لفتح القسطنطينية بتعبئة الجنود . وفي ٦ افريل سنة ١٤٥٣ حمل عليها بخمسين الف مقاتل بمدافعهم واسلحتهم وعسكر عند اسوار الاستانة وبعث عمارة بحرية مؤلفة من ٤٢٠ سفينة في البوسفور محاصرة المدينة بحراً . وفي القسطنطينية يومئذ ١٠٠٠٠٠ نفس فيهم الرجال والنساء والاطفال والرهبان والسوقة وكان صاحب القسطنطينية الامبراطور رجلاً شجاعاً صادق الغيرة على وطنه فثبت في الدفاع عن عاصمته ثبات الابطال . فلما رأى الجند العثماني محيطاً بمدينته أمر وزيره باحصاء الرجال الذين يستطيعون الدفاع فبلغوا ٤٩٧٠ رجلاً رومياً وما بقي اخلاط لا يعتمد عليهم الا الفين من اهل جنوا يقودهم رجل من اشرافهم اسمه حنا يوستنياني فاوعز الامبراطور الى وزيره ان يكتم ذلك الاحصاء خوفاً من الفشل وامره ان يفرق الاسلحة في الناس ويقيمهم في الحصون والقلاع . اما البحر وخصوصاً المينا في قرن الذهب فقطعوه بسلسلة ضخمة من الحديد توصل بين استانبول وغلطة يتولى حراستها بعض السفن اليونانية والايطالية . واما السور فكان مزدوج البناء ووراءه خندق عمقه مئة قدم يتولى قيادته الامبراطور بنفسه . ومن اسلحة الروم السيوف والنبال والبنادق والمدافع

ولم يكن يخفى على العثمانيين شيء من اخبار الروم وتضعضع احوالهم . اما الامبراطور فصمم ان يبذل ما في وسعه من الدفاع الى آخر نسمة من حياته وضافره على ذلك يوستنياني . وقد اتفق المؤرخون على بسالة هذا الامبراطور وثباته ونشاطه . وكان العثمانيون قد هدموا برجاً من ابراج باب رومانوس بمدفعهم فسقطت انقاضه في

الخندق ثلاث مرات فهان عليهم المرور فوقه فتسلقوا الاسوار فدافعهم الروم دفاعاً حسناً حتى حال الليل بينهما فعاد العثمانيون على امل ان يعيدوا الكرة في الصباح وهم يحسبون الفوز لهم لامحالة . فاصبحوا والخندق قد نظف من الانقاض فعلموا ان الامبراطور لم ينم ليلته وهو يحث رجاله على استخراجها

ثم جاء القسطنطينية مدد من المورة وسائر الارخبيل اليوناني وصقلية في السفن وفيها المؤنة والذخيرة والرجال . فاشتد ازر الروم وثبتوا في الدفاع . ومما زاد المدينة امتناعاً اقفال ميناها عند قرن الذهب بالسلسلة الضخمة مع سهر سفن الروم هناك ليمنعوا دوارع العثمانيين من الدخول فايقن السلطان ان المدينة لا تؤخذ الا اذا هوجمت من البر والبحر معاً

فارتأى السلطان محمد الفاتح رأياً يكاد يعد تنفيذه من المعجزات ـ وذلك انه لما رأى المدينة محتمية باسوارها من جهة البر وبدوارعها من البحر وانها لا تؤخذ الا اذا هوجمت من البر والبحر معاً وان دوارعه ممنوعة عن قرن الذهب بالسلسلة الحديدية عزم على نقل عماريه من البوسفور الى قرن الذهب عن طريق البر الى غلطه . ولا يخفى ما يحول دون هذا المشروع من الصعوبة والاقدام لان المسافة بين مرسى سفنهم في البوسفور والمكان الذي عزموا على نقلها اليه في قرن الذهب نحو ستة اميال . فضلاً عن وعورة الطريق وفيها مرتفعات ومنخفضات والغابات من الشجر الغض مما لا يتيسر جر السفن عليه والناس يحملونها . واقتضت همة هذا الرجل العظيم ان يبني في تلك المسافة طريقاً من الواح الخشب متعادية يدهن سطحها بالشحم تسهيلاً لانزلاق السفن عليها . وشرعوا في العمل في اول الليل فرفعوا السفن فوق ذلك الطريق وجروها فوق الاخشاب على محادل اذا تدحرجت سهلت انزلاقها فقضوا تلك الليلة في جهاد وهم يحذرون ان تعلم بهم حامية المينا . فلم يصبح الصباح الا وقد سبحت العمارة العثمانية في قرن الذهب ورجال الحامية لا يعلمون . فلا تسل عما تولى الامبراطور ووزراءه من الفشل لما رأوا عاصمتهم محصورة من البر والبحر معاً

وما زال العثمانيون يطلقون القنابل على الاسوار من الجانبين اربعين يوماً حتى ضاقت المدينة ذرعاً عن تلقي القنابل فاخترقت اسوارها وتهدم كثير من ابراجها وفي جملة ما تهدم منها اربعة ابراج عند باب روماوس فثار جند الروم على امبراطورهم يطلبون العلوفة والاموال مضاعفة فانتزع آنية الكنائس ودفعها

اليهم . فحزن لذلك جنده وقد الرعب من نفوسهم حتى تحققوا ان الساعة قد دنت وان يومهم [illegible] لا الامل [illegible] في الدفاع [illegible] الاسوار [illegible]

اما العثمانيون فانهم جعلوا يستعدون للهجوم على المدينة هجوماً [illegible] وعينوا له يوم ٢٩ [illegible] من تلك السنة (١٤٥٣) فامر السلطان [illegible] في مدة ٢٧ منه الى [illegible] وبعث منادين في معسكره [illegible] يحثون الجند على الاقدام [illegible] وثبات [illegible] ومن قوله [illegible] لو كانت [illegible] اجنحة [illegible] وعد [illegible] مضاعفة الاجور [illegible] من المدينة [illegible] الاسلاب وخزائن الذهب [illegible] مكافأة [illegible] جهاده »

فقضى [illegible] الصلاة والصوم . واما [illegible] الدعوات الى الله والتضرع الى [illegible] من عاد الامبراطور واصراره على [illegible] وقد [illegible] العثمانيون من [illegible] ٢٨ منه [illegible] الامبراطور [illegible] من [illegible] على [illegible] الدفاع الى آخر نسمة من [illegible] متحمساً [illegible] كل [illegible] منهم الى [illegible] الاسوار [illegible] الاجر لا يعلمون [illegible] الامبراطور [illegible] فتناولوا القربان المقدس استعداداً للدروع الى العالم الثاني . ثم دخل قصره [illegible] قليلاً [illegible] في [illegible] ويشجعهم

وفي ٢٩ منه [illegible] العثمانيون من [illegible] حتى دنوا من الاسوار [illegible] فقتل [illegible] منهم [illegible] في الخندق . وكانوا [illegible] من [illegible] وهم لا يعلمون [illegible] وصوت [illegible] كالصاعقة وهو يحرضهم على [illegible] في احدى [illegible] من مكانه [illegible]

[illegible] خلف عقبة [illegible] فامنح فيه قتلاً [illegible] حرجت [illegible] لا يقتضي
[illegible] عن مركزك ونحن في [illegible] على [illegible] وهو [illegible]
[illegible] في الطريق [illegible] الدخول [illegible] وتحول نحو [illegible]
من ثغرة فتحت في السور [illegible] حتى [illegible]
وكانت الاسوار قد [illegible] في كثير [illegible]
دخولها قاصياً [illegible] القسطنطينية [illegible] وكان
[illegible] من [illegible] الكشري [illegible] هجم في
جماعة من رفقه [illegible] كأسيال من الثغور
التي فتحت في السور [illegible] حتى [illegible] ارتدوا نحو
[illegible] ودخل [illegible] من جهة [illegible] الا قليل حتى
اصبحت المدينة في قبضتهم [illegible]

[illegible]

اما الامبراطور فلما تحقق دخول العثمانيين عاصمته خلع ارجوانه وانخرط في الجماهير فاصابته نبلة من يد لم يعرفها احد فسقط مدرجاً بدمائه

ودخل السلطان محمد المدينة على جواده ووزراءه وقواده محدقون به حتى وصل كنيسة اياصوفيا فدخلها وصلى فيها فصارت جامعاً من ذلك الحين . وبفتح القسطنطينية تمَّ فتح العثمانيين لشبه جزيرة البلقان الا اماكن قليلة فتحوها بعد ذلك على ايدي سلاطينهم العظام ولا سيما السلطان سليمان القانوني (سنة ١٥٢٠—١٥٦٦) فانه فتح رودس وحاصر فينا . والسلطان سليم الثاني فتح قبرص . وغير ذلك مما يطول شرحه

واذا امعنت النظر في فتوح العثمانيين لتلك البلاد تبين لك انها رغم تكرارها وطولها لم تكن راسخة ولا كان خضوع تلك الامم لنير العثمانيين ثابتاً متواصلاً وانما كانوا يخضعون قهراً ريثما يتأهبون لخلع الطاعة . وما زال ذلك شأنهم حتى آذن ناموس الاجتماع بضعف العثمانيين فقامت تلك الامم لناوأتهم واخذت تخرج من طاعتهم الواحدة بعد الاخرى كما تقدم في الهلال الماضي

انتقال الافكار

والشعور عن بعد

تمتاز المدنية الحاضرة وهي الحديثة في وجهتها المادية . فمدنية اليوم قائمة بالعلم ومظاهرها مادية محضة من معامل ضخمة وآلات ضخمة ووسائل للنقل برية وبحرية ونحو ذلك . والعلم الحديث يسعى في تحويل قوى الكون كلها الى مادة فالطبيعة عند فريق من العلماء مادة مركبة بشكل مخصوص وحركة مخصوصة . والظواهر العقلية في نظرهم من عمل الدماغ كما ان الهضم من عمل المعدة المعوية

ذلك هو مجرى العلم الحديث لا سيما في القرن الماضي ولعله من قبيل رد الفعل على اثر المباحث النظرية العقيمة والمناقشات الكلامية الطويلة التي تعرض لها اهل القرون الوسطى ومن تقدمهم — والعقل البشري كالرقاص اذا تحرك انتقل من جهة الى الاخرى ولا يزال يخطر بين الطرفين وتقصر خطراته حتى يتوازن ويعتدل في موقعه . فالعلم انتقل في ابحاثه من النظريات المجردة عن الحس ثم الى المواضيع المادية

غضة . وقد اخذ اليوم في الاعتدال بين الطرفين . وخير الامور الوسط

ومنذ بضع عشرات من السنين تنبهت افكار الناس ، وخصوصاً في انكلترا الى ظواهر نفسية يتعذر اسنادها الى المادة وحدها كالتنويم المغنطيسي وانتقال الافكار والشعور عن بعد ومناجاة الارواح وغيرها فانشأوا في انكلترا جمعية للبحث في تلك الظواهر والنظر في حقيقة النفس وقواها المختلفة سموها جمعية الابحاث النفسية (Society for Psychical Research) التحق بها طائفة من اعاظم الرجال نخص بالذكر منهم المستر بلفور احد رؤساء الوزارة الانكليزية ترأس الجمعية سنة ١٨٩٣ والمستر غلادستون الشهير والسر وليم كروكس العالم الطبيعي والدكتور ولاس شريك داروين في مذهب النشوء والارتقاء والسر اوليفر لودج رئيس جامعة برمنجهام اليوم وغيرهم ممن يضيق المقام عن ذكرهم . وانتظم في هذه الجمعية كثيرون من غير الانكليز منهم الاساتذة برغسون وجانيت وريشه من الفرنساويين ووليم جيمس الاميركاني وكلهم من اعلام الثقات . ولا نريد بسرد هذه الاسماء البرهان على صحة آراء اصحابها وانما نريد بيان مكان هذا البحث من الاهمية

على ان بعض العلماء هزأوا بهذه المباحث واخرجوها من دائرة العلم الصحيح . حتى ادعى بعضهم ان البحث فيها تقهقر الى خرافات القرون المظلمة . وتطرف بعض رجال الدين من الجهة الاخرى وزعموا ان هذه الظواهر خارجة عن نواميس الطبيعة وفوق ادراك الانسان فلا يجوز له ان يبحث في ما يعجز عقله عن ادراكه — وهذا الاعتراض يتلاشى من نفسه اذا بحثنا حقيقة المراد بالنواميس الطبيعية . كثيراً ما نعني بقولنا فوق الطبيعة ما لا تدركه قوانا العقلية أو ما نعده محالاً بالنظر الى معارفنا . على ان اموراً كثيرة كانت مستحيلة في نظر الاقدمين فاصبحت اليوم حقائق ثابتة . ويكفيك مثالاً على ذلك التلغراف اللاسلكي . فالنواميس الطبيعية تشمل ما في الكون كله ليس فوقها شيء ولا تحتها . حتى ان اللاهوتيين انفسهم قالوا ان « العجائب » لا تضاد السنن الطبيعية وانما تجري على سنن مجهولة . اما العلماء الهازئون بهذه الابحاث فهم من الماديين الذين لا يقبلون الا المحسوس . فالحواس الخمس في مذهبهم هي وحدها طرق المعرفة . ولكن ما نسميه « اثيراً » — وقد سلم بوجوده اكثر العلماء

لا يدرك بالحواس وهم يبنون عليه الملالي والقصور في تعليل الظواهر الطبيعية . وقد قال أحد العلماء « لو ادعى احد القدماء وجود الاثير لاتهموه بالجنون » فلا يجوز حينئذ ان نعد ما لا تدركه حواسنا خارجاً عن دائرة العلم

ويعترض آخرون بشذوذ الحوادث المخالفة لما نعرفه من نواميس الطبيعة ويتخذون عدم اختبارهم لها شخصياً حجة لانكارها . على ان كثيراً من الظواهر الطبيعية نادرة الحدوث ولو فكروا قليلاً لرأوا ان اكثر معتقداتهم العلمية ليست مبنية على اختبارهم الشخصي ولكنهم اخذوها عمن وثقوا به من رجال العلم . فاننا نصدق بوجود مدينة بكين ونحن لم نرها . ومما يجدر ذكره هنا ان احد رؤساء جمعية الابحاث النفسية السر وليم كروكس اشتهر في المباحث الطبيعية وله فيها اكتشافات كثيرة وثق بها العلماء تماماً . فلما انصرف الى المباحث النفسية واكتشف اموراً لا تقل اهمية عن اكتشافاته في العلوم الطبيعية لم يكترث العلماء بها ... لا نعرف ... من لا اهمية بالنظر الى ميل الناس الى تعليل الامور ... وهذا ما حملني على كتابة هذه المقالة

انتقال الافكار

من العاب ... حركات ... وقد شهدناها في بلادنا ايضاً — لعبة يسميها الافرنج « قراءة الافكار » يخرج شخص ويضمر له الحاضرون شيئاً يطلب منه ... كأن يضع يده على كرسي او يستخرج محفظة او ما شابه ذلك . ثم تربط عيناه بحيث لا يرى شيئاً فيدخل ويده في يد شخص من الحاضرين يعرف الامر المتفق عليه فيقرأ افكاره ويقوده الى المكان المطلوب . هذا ما يحصل حسب الظاهر وحقيقة الامر ان الشخص الثاني هو الذي يقود الاول ولا يشعر فهو في الظاهر مقود وفي الحقيقة قائد . لانهم يشترطون عليه وهو ممسك بيد المضمر له ان يوجه فكره الى الشيء المضمر فتحدث في عضلاته حركة لا يدركها هو وانما هي نتيجة ذلك التفكير فتقود صاحبه الى الموضع المطلوب وهو لا يشعر . فاللعبة ليس فيها شيء من قراءة الافكار . ولكن هناك حوادث يستحيل تعليلها على المبدإ السابق . مثال ذلك حادثة رواها احد اعضاء جمعية المباحث النفسية جرت له مع ابنة قسيس انكليزي اسمها ... قال :

« وضعت الفتاة في غرفة ملاصقة للغرفة التي كنا فيها لكي لا تعرف شيئاً بواسطة حواسها ثم اخذت اكتب اسماء بعض الاشياء الموجودة في البيت وطلبت اليها ان تخبرنا بها دون ان نذكر اسماءها فكانت النتيجة كما يأتي : اصابت في جلب فرشة للشعر وكأس نبيذ وبرتقالة ثم اخطأت في جلب شوكة في المرة الاولى واصابت في الثانية . واصابت ايضاً في جلب تفاحة وسكينة وكأس ماء وخطأت في صحن . ثم طلبت منها ان تلفظ اسماء المدن التي كنت اكتبها فاصابت في ستة منها واخطأت في ثلاثة »

وجرب علماء آخران تجارب اخرى مع هذه الفتاة فطلبا اليها ان تخبرهما عن اوراق لعب كانا ينتقيانها تباعاً فصحت في عشر مرات من ١٤ مرة

وكان القائمون بهذه التجارب من العلماء المعروفين يتخذون كل الاحتياطات اللازمة لمنع الغش . ولا يمكن نسبة هذا النجاح الى الصدفة لان الصدفة قد تصح مرة في المئة أو المئات من المرات لا في عشر من اربع عشرة مرة . واذا اخرجنا الصدفة لم يبق الا امكان وجود غش من المجربين وهذا تنفيه شخصيتهم لانهم في الغالب من ذوي المقامات العالية في عالم العلم والادب ومشهورون بصدقهم ونزاهتهم

واليك حادثة جرت مع سيدة عرفت بقدرتها على قراءة الافكار : اتوا بمواد حادة الطعم كالملح والفلفل والخردل وجلست السيدة بعيدة عنهم مربوطة العينين . واخذ احد الحاضرين يذوق المواد واحدة واحدة وطلبوا منها ان تعين طعم كل مادة كما تشعر به عند وضعها في فم ذلك الرجل . فكانت تذكر طعم هذه المواد بالتمام . لكنها بعد ان ذكرت الخردل لم تشعر بطعم ما بعده وقالت « ان طعم الخردل لا يزال على لساني لحدته » . ففي هذه التجارب وامثالها كان الشخص القارىء للافكار في حالته العادية . ولكن الافكار تنتقل ايضاً في اثناء التنويم المغنطيسي واليك البيان .

لحظ المنومون منذ انتشر التنويم المغنطيسي مشاركة في الحس بين المنوِّم والمنوَّم فكتب استاذ في جامعة لندن سنة ١٨٥٠ يقول . « لا يدرك المنوَّم شيئاً مما يطرأ على حواسه وانما يشعر بما يحصل لمنوِّمه . فاذا وضع في فمه انتال مثلاً لا يشعر به ولكن اذا ذاق منوِّمه قليلاً منه شعر به وشكى من حدته . كذلك اذا نزعت شعرة من رأسه فانه لا يشعر بها اما اذا نزعت شعرة من شعر منوِّمه أنَّ وتألم » على ان العلماء لم يعيروا

هذه الامور التفاهم في ذلك الوقت

قال السر باريت احد رؤساء جمعية المباحث النفسية سابقاً :

« انتبه الى حوادث انتقال الافكار قبل سنة ١٨٧٠ وكنت الى ذلك الحين في جملة المشككين في صحتها لكني كنت شديد الميل الى اكتشاف حقيقتها . ودعاني صديق لي في يوم من تلك السنة وعنده احد المنوّمين فاقتنعت من يومئذ بصحتها بعد أن توالت التجارب عندي ونفت كل ريب عندي وهذا تفصيل التجارب . اتينا ببعض اولاد القرية واجلسناهم في غرفة واعطينا كلاً منهم ورقة طلبنا اليه ان يحدق نظره فيها فلم يلبثوا على ذلك برهة حتى نام واحد منهم لما كلفته به وأمررت يدي على جبينه ووجهه فزاد سباته وشرعت أتحقق نومه ففرقت بين جفنيه ولمست حدقته باصبعي فلم تتحرك . ثم وضعت قليلاً من الملح في فمي فابتدرني قائلاً « لماذا تضع الملح في فمي » ثم اكلت قليلاً من السكر فقال « هذا احسن افضل من الاول » واخذت مواد غير الملح والسكر وهو يميزها كلها كأنه يذوقها . وقمت بتجارب اخرى دلت على صلة بين المنوِّم والمنوَّم مثل ذلك . ونومت فتاة ووضعت ورقة لعب طي كتاب وسألتها اذا كانت ترى شيئاً في الكتاب فقالت « ارى نقطاً حمراء » فطلبت ان تعدها فاجابت « انها خمس » وكانت الورقة خمسة الديناري . وفي مرة اخرى كتبنا اعداداً على قطع من الورق وسحبنا منها كما تسحب اوراق اليانصيب فكان المنوّم يصيب في الغالب فحملتني هذه الحوادث وغيرها ان اقدم الى « الجمعية البريطانية لتقدم العلوم » مذكرة قلت فيها : ان التجارب التي قمت بها برهنت ان فكرة المنوّم تتولد لها صورة في ذهن المنوَّم تختلف درجة وضوحها ولكنها تردُّ غالباً الى الفكرة الاصلية

الشعور عن بعد

والشعور عن بعد من قبيل انتقال الافكار لكنه يحصل على مسافات بعيدة . ونبدأ منه بحادث جرى بين سيدتين انكليزيتين من اعضاء جمعية المباحث النفسية اسماها ميلز ورامسدن . اتفقت هاتان السيدتان على ساعة معينة في كل يوم تنصرف الاولى فيها الى ارسال بعض الافكار لصديقتها والثانية تتفرغ لاستقبالها وهما على مسافة ٢٠ ميلاً . واتفقتا ايضاً ان تدون السيدة رامسدن يومياً ما يصل اليها من الافكار التي

ارادت نقلها في دفتر مخصوص مع ذكر احوالها الشخصية وقتئذٍ . فلما يصلها كتاب السيدة رامسدن كانت تكتب محتوياته ازاء مذكراتها الشخصية لاجل المقابلة فكانت المذكرتان في الغالب متفقتين . وكانت السيدة ميلز تستشهد المأتما تفعله مما تشعر صديقتها به . وقد فحص هذه الاوراق بعض العلماء واقتنعوا بصحتها . ويلاحظ هنا ان التجارب تنجح بالاكثر اذا لم ينتظر النجاح فان زيادة القلق وخوف الفشل يجران الى الفشل

وقد اجرت السيدتان المذكورتان تجارب اخرى على مسافات اطول من ٢٠ ميلاً منها الحادثة التالية : كانت السيدة ميلز يوماً في جمعية المباحث النفسية وبجانبها رجل على عينيه نظارة فخطر لها ان تجعل صديقتها تشعر بصورة النظارة ولما رجعت الى البيت كتبت في دفترها « ٢٧ اكتوبر . النظارات » وارسلت اليها صديقتها تذكرة قالت فيها : « ٢٧ اكتوبر النظارات » وفي مرة اخرى كانت السيدة ميلز ترسم يداً فارادت نقل صورة اليد الى ذهن السيدة رامسدن فارسلت هذه اليها في اليوم نفسه تذكرة قالت فيها : « ٢٠ نوفمبر رأيت يداً سوداء » وكانت عند السيدة ميلز وهي ترسم تلك اليد زائرة شهدت لرسمها اياها

وكانت السيدة رامسدن مرة في سكوتلاندا وصديقتها في انكلترا في ضيافة واحدة من قريباتها لها ابنة صغيرة تحبها السيدة ميلز ولم تكن السيدة رامسدن تعرفها ففي ٣١ اكتوبر سنة ١٩٠٧ ارسلت هذه من سكوتلاندا الكتاب الآتي .

« اظنك تريدين ان ارى فتاة شعرها الاسمر مسترسل على ظهرها ومشدود بشريطة وهي جالسة الى طاولة ويظهر انها منهمكة في العمل ... تقص ورقاً وثيابها بيضاء وعمرها على تخميني يتراوح بين الثانية عشرة والثالثة عشرة » . وهذا الوصف مطابق للحقيقة وقد شهدت ام الفتاة بصحته

ان كل ما ذكرناه من قبيل التجارب المقصودة . ولكن هنالك حوادث عديدة تحصل عفواً مثال ذلك الكتاب الآتي ارسلته سيدة الى جمعية الابحاث النفسية قالت :

انا ساكنة مع زوجي في شارع لبتن نمرة ١٥ في لندن . كنت في ٧ فبراير سنة ١٨٩١ نائمة بعد الظهر فاستيقظت فجأة كاني اسمع زوجي يئن من الالم فقمت مضطربة لاراه فلم اجده والساعة وقتئذٍ في منتصف الساعة الرابعة . واتى زوجي في الساعة السادسة

واستلفت نظري الى جرح اصابه في جبينه فبادرته قائلة « انا اعلم في أي ساعة جرحت ، كان ذلك في منتصف الساعة الرابعة فاني سمعتك تئن . فاجاب « نعم ذلك هو الوقت بالضبط فاني نظرت الى الساعة عند اصطدامي » والشاهد المذكور اعلاه ادناه حضر هذه الحادثة بيني وبين زوجي لوبرا هاريسون الشاهد هنري هوتون

وهذا حادث آخر يشبه الاول :

استيقظت الآنسة كنج يوماً وهي تسمع صديقة لها اسمها مس جونس تقول « تعالي اليّ يا عزيزتي اني مريضة جداً » فتأثرت من هذا الصوت ونهضت فكتبت كتاباً لصديقتها وكانت على بعد ٢٠٠ ميل منها تخبرها بما جرى لها فاجابتها . « وددت ان اكتم مرضي عنك ولكن الصدفة الغريبة تحثني الى اخبارك فاني شعرت صباح الاحد بالم شديد حتى توقعت قرب اجلي وكانت صورتك امامي فمددت يدي نحوها وخاطبتها اقول « تعالي اليّ يا عزيزتي اني مريضة جداً » اوليس هذه الصدفة غريبة ؟ »

تعليل انتقال الافكار

هذه امثلة من حوادث انتقال الافكار . ولكن بعد ان اكتشف التلغراف اللاسلكي سهل على الناس الاعتقاد بانتقال الافكار وكان يصعب عليهم من قبل تصديق شيء ليس له عندهم ما يقيسون عليه . ولكن هل من تشابه حقيقي بين التلغراف اللاسلكي وانتقال الافكار ؟ من المعلوم ان الاول ينتقل بواسطة تموجات في الاثير فهل هذا الاثير أو غيره ينقل التموجات الصادرة من الدماغ ؟

اذا كان انتقال الافكار يحدث بواسطة تموجات في مادة أو شبه مادة فلا بدَّ من اتباعها قانون التموج العام وهو ان التموجات تنتشر في دوائر متتابعة فلا بدَّ من ضعفها كلما بعدت بنسبة مربع المسافة أي على بعد ١٠ مرات من مصدر التموجات تضعف قوتها مئة مرة . فانتقال الافكار الى اميال عديدة يلزمه قوة عظيمة وليس هذا هو الواقع فان انتقال الافكار يحصل بدون عناء أو جهاد على اختلاف الابعاد . واذا كانت الامواج تتوقف على قوة المرسل فالقول في محتضر على شفا الموت ينقل شعوره او فكره اميالاً

لهذه الاسباب يعتقد جماعة من العلماء بوجود نفس مستقلة عن الجسد لا نعرف

عنها الا ما نشعر به ونحن مستيقظون . وهم يعتقدون ان قوى النفس بعضها يدرك وبعضها لا يدرك كالنور اذا حللته صار الى الوان مختلفة ترتسم في الطيف الشمسي لا تدرك العين منها الا ما ترامى داخل الطيف وليس هو كل ما يتألف منه النور بل هناك الوان لا تنفذ من امواجها العين فلا تراها . والنفس أيضاً قوى لا نعرف منها الا ما ندركه ونحن في يقظة ولكن لها مظاهر أخرى تبدو في اشتغالنا او النوم المغنطيسي . وفي تنقل الافكار والجنون وغيرها من الحوادث غير المادية كحوادث تعدد الشخصية ومناجاة الارواح وما شاكل ذلك

وقد انكر كثيرون من علماء الماديين على علم النفس استقلاله وارادوا أن يعتبروه تابعاً لعلم وظائف الاعضاء . فالعقل عندهم الا وظيفة العضو المسمى دماغاً — على أن هذه المباحث فتحت مجالاً للنظر وجعلت لعلم النفس منزلة بين سائر العلوم وأنا افحصنا الدماغ وجدناه مركباً من خلايا كسائر الانسجة الحيوانية . فمن أين لهذه الخلايا تلك القوى الغريبة التي ... صعباً ... على الماديين حله مهما تبحروا في تعليله ... المذاهب المادية . على انا لا نزال نحوم حول ... الحقائق حتى نتمكن في المستقبل من تعليل ظواهر ...

أن مذهب النشوء والارتقاء جميل ومعقول بل هو أفضل تعليل لاصل المخلوقات ونشوئها وأقرب ما يتناوله العقل . ولكنه لا يعلل الا قليلاً من المواضيع . مثال ذلك عندما نصعد في سلم الكائنات حبة درجة درجة لا نجد حداً يفصل النفس عن سواها واذا سألنا المذهب المذكور عن حقيقتها وعما هي اصلها في عالم الحبة او دجاجة تلدها وتعذر عليه الجواب

اميل زيدان

يلزم لادارة الهلال

الاعداد الآتية من مجلة الهلال : العدد ٢ من سنة ١٣ و ١ من سنة ٢ و ٣ من سنة ١٥ و ١ و ٢ و ٦ من ١٦ و ١ و ٨ و ٩ من سنة ١٧ و ١ و ٢ و ٣ من سنة ١٨ و ١ و ٢ و ٧ من سنة ١٩ و ٤ من سنة ٢٠ فمن كانت لديه هذه الاعداد او بعضها يرسلها لادارة الهلال بثمن يتفق عليه

توزيع الاطيان

على الفلاحين

تاريخه في القطر المصري

اهتمت الحكومة المصرية باصلاح الارضين الغامرة في القطر المصري وخصصت مبالغ طائلة لاصلاح نحو مليون فدان من الاطيان . ستوزعها على الفلاحين قطعاً صغيرة لاحيائها واستغلالها

وقد تم في الشهر الماضي اصلاح قطعة في جهة بيله من مديرية الغربية مساحتها ٦٥٠ فداناً قسمتها الى قطع لا يزيد مساحة الواحدة منها على خمسة افدنة واحتفلت بتوزيعها على صغار الفلاحين احتفالاً رأسه اللورد كتشنر عميد انكلترا . الا ٤٠ فداناً اعطيت للمديرية لتبني فيها مدرسة زراعية عملية . والغرض من توزيع هذه الاطيان اعانة الفلاحين الفقراء القادرين على اصلاح الارضين البائرة وتوسيع نطاق العمران . وبلغ عدد القطع ١٢٠ وزعوها على ١٢٠ فلاحاً بالقرعة على شروط مذكورة في عقد ايجار او بيع لمصلحة الجانبين . فحواه ان الحكومة تمنح الفلاح هذه القطعة بالايجار ثلاث سنوات باجرة الفدان غرش واحد في السنة وهو يتعهد باصلاحها . فاذا تمكن من ذلك قبل انقضاء السنوات الثلاث جددت له الايجار بعشر سنين اخرى يدفع في اثنائها مئة وخمسة غروش عن الفدان ايجاراً في السنة ومبلغاً اضافيًا يعادل الضريبة التي تقرر على الارض التي من نوع هذه القطعة . فاذا احسن العمل في هذه المدة جددت له الحكومة ايجاراً لباقي حياته باعتبار اجرة الفدان خمسة غروش فضلاً عن المبلغ الاضافي المتقدم ذكره ويلغى العقد بموت الفلاح . وللحكومة ان تجدده لابنائه او غيرهم . واما اذا لم يستطع الفلاح اصلاح الارض في الوقت المعين فسترجع الحكومة الارض منه

وقد ذكرنا هذا المشروع بامثاله في هذا القطر من عهد المغفور له محمد علي باشا ويلحق ذلك تاريخ تمليك الاطيان المصرية وهذا ما اردنا بيانه في هذه المقالة

الاطيان المصرية قبل محمد علي

يمتنع اصحاب الاطيان اليوم باطيانهم يستغلونها كما يشاؤون ويبيعونها لمن يشاؤون لارقيب عليهم ولامانع يمنعهم وانما يشترط عليهم القيام بما عليهم من الضرائب للحكومة . وليس ذلك قديماً في تاريخ العمران وانما هو من محدثات هذا التمدن — كانت الارض في التمدن القديم ملكاً للسلطان او الحكومة وانما كان الفلاحون يستغلونها ويقومون بما عليها من الاموال ولايملكونها اي لا يتصرفون ببيعها

كذلك كان شأن مصر لما فتحها المسلمون فاقروها على ماكانت عليه اي انها ظلت في ايدي الذين يستغلونها من الفلاحين الا الارضين التي كانت لرجال الدولة الذاهبة او لرجل قتل في الحرب . فهذه اجيزوا اقطاعها لمن شاؤوا على ان يؤدي عشر مالها لبيت المال او اكثر او اقل على ما يتراءى للخليفة . وقد يقطعون بعض البقاع لا يأخذون عليها مالاً . فلما خرجت السلطة من الخلفاء الى السلاطين جعلوا الاقطاع عاماً . واول من فعل ذلك في الاسلام نظام الملك وزير الدولة السلجوقية فانه رأى الدولة قد اتسع نطاقها فاستحسن ان يخفف عنها الانفاق فحولها الى اقطاعات يقطعها الى الجند . واقتدى به السلاطين بمصر من عهد الايوبيين . ووصف المقريزي ارض مصر في ايامه (في القرن التاسع للهجرة) فقال انها تنقسم الى سبعة اقسام : قسم يجري في ديوان السلطان . وقسم اقطع للامراء والاجناد . وقسم جعل وقفاً على الجوامع والمدارس والخوانك وعلى ذراري واقفي تلك الارض . وقسم يقال له الاحباس وهي اراض في ايدي قوم يأكلونها عن قيامهم بمصالح مسجد او نحوه . وقسم صار ملكاً يباع ويشرى ويورث ويوهب لانه مشترى من بيت المال . وقسم لا يزرع للعجز عن زراعته . وقسم لا يشمله ماء النيل فهو قفر

فلما فتح العثمانيون مصر في القرن العاشر للهجرة نزع السلطان سليم من ايدي المماليك ماكان لهم من الارض بوضع اليد او الارث وفرقها في جنده الذي خلفه بمصر وفي المماليك الذين انحازوا اليه وهي البقاع المعروفة بالرزق وتسمى رزقة بلا مال . ثم استبد الامراء المماليك بمصر واستأثروا بالقوة وفسدت الاحكام والارض لا تزال على اجمالها ملك الحكومة وانما يمتنع اصحابها بريعها وللحكومة حصة من ذلك الريع . لكن فساد الاحكام شغل الناس عن الزراعة فقلت الجباية وتعسر جمعها والحكام في ذلك العهد انما يلتمسون السلطة طمعاً بالمال فعمدوا الى طريقة « الالتزام » وهو تضمين الخراج لاناس يتولون جمعه عن الحكومة ويشاركونها في نفوذها . فلم يزيدوا الاهالي الا ضغط

وعسفاً — وذلك ان الحكومة كانت تعرض خراج البلاد بالمزايدة لمن يضمنه من اهل النفوذ فيضمن احدهم بلدًا او بضعة بلاد . فاذا وقع عليه المزاد اعطاه كبير امراء المماليك المعروف بشيخ البلد عهداً بذلك يسمونه « تقسيط » ويصحبه بأمر يسمونه « فاميك » وهو عبارة عن خطاب من الحكومة الى اهالي البلاد الواقع في التزام ذلك الملتزم توصيهم به ان يطيعوا الملتزم ويؤدوا له الخراج . والملتزم يدفع للخزينة في مقابل ذلك مالاً معجلاً ويقوم مقام الحكومة في السيادة والامارة في البلاد الداخلة في التزامه . وله ما عدا ذلك بقعة من الارض يستغلها لنفسه لا يدفع عنها شيئاً تسمى اوسية (جمعها اواسي) وعلى الاهالي ان يحرثوها له ويزرعوها ويحملوا اليه غلتها بلا اجرة . فضلا عن منافع اخرى . وكان الالتزام في بادئ الراي لمدة محدودة ثم جعلوه مدى العمر فلا ترجع الارض للحكومة الا بعد وفاة الملتزم . فكان الانتفاع بغلة الارض مقسوماً بين الحكومة والملتزمين . والفلاح عبد رق يعمل بقوته ويشقى بعمله

الاطيان المصرية في عهد محمد علي

ذلك كان شأن الارض لما صارت البلاد الى المغفور له محمد علي باشا فابطل الالتزامات فعادت الاطيان للحكومة واقفل على الملتزمين باب الارتزاق . فرتب لهم رواتب يقبضونها من الحكومة تحت اسم « فايض الالتزام » وترك لكثيرين منهم اواسيهم كما كانت من قبل بشرط ان ينتفعوا بها في اثناء حياتهم ثم تؤول الى الحكومة بعد موتهم

اما الاطيان التي عادت الى الحكومة فاهتم محمد علي باستثمارها بالحرث والزرع وهما يحتاجان الى الرجال . فمسح البلاد سنة ١٨١٨ ولم يدخل في المساحة الا القرى التي كانت تزرع في ذلك العهد وهي لا تزيد على ربع ما يزرع الآن . وفرق جانباً كبيراً من الارض الممسوحة في الفلاحين القادرين على الاستثمار . فاعطى بعضهم ثلاثة افدنة وبعضهم اربعة او خمسة وليس اكثر . فقبل الفلاحون تلك العطايا رغم ارادتهم وهم يفضلون رفضها خوفاً من عجزهم عن تأدية خراجها اذ لم يتعودوا العمل لانفسهم . واعطى جانباً آخر من تلك الارض لمشايخ البلاد لا يزيد مقداره على اربعة في المئة من مساحتها سموها مسموح المشايخ . وعين لهم رواتب يقبضونها من الحكومة ليساعدوه في تعمير القطر بحمل الفلاحين على العمل . واعطى قسماً من الارض الممسوحة ايضاً لبعض كبار رجاله مكافأة على بعض الاعمال . وبقيت بقاع كثيرة من البلاد لم تدخل في المساحة ولا يمكن الانتفاع بها الا بعد التعب لبعدها عن النيل فسميت « ابعديات » فوهبها

محمد علي لرجاله المذكورين واشترط عليهم اصلاحها واستثمارها ولم يضرب عليها ضرائب بالكلية . واعطى لاعضاء العائلة الخديوية ابعديات كبيرة تسمى في اصطلاحهم « جفالك » وهي اكبر من الابعديات كثيراً

وكانت الابعديات تعطى بمجرد صدور الامر بذلك للروزنامه من محمد علي وهذا مثال من تلك الاوامر صدر سنة ١٨٢٩ وهو :

« قد احسن الى چوربجي ولي الدين اغا بمائة فدان بلا مال من الاطيان الخرس بناحية شلقان التابعة لمديرية القليوبية . فعند معلوميتكم هذا تبادروا بحسب ما اقتضته ارادتنا بتحرير واعطاء السند اللازم بذلك وقيد الاطيان باسم الاغا الموما اليه »

اما الاطيان الممسوحة التي وزعت في الاهالي فتوالى عليها في عهد محمد علي احوال مختلفة من ثقل الخراج وضرب الضرائب . فضلاً عن ذهاب كثيرين من الاهالي في الحروب لبلاد العرب والسودان والمورة والشام فيطول غيابهم والخراج مفروض على ارضهم فآل الامر الى تراكم المتأخرات عليهم والحكومة في حاجة الى النقود للقيام بمشروعاتها العسكرية وغيرها . فاضطر محمد علي الى نحو ما اضطر اليه المماليك قبله من الالتزام فعهد سنة ١٨٤٠ الى بعض كبراء دولته وامراء حكومته وقواد عساكره ممن اثروا في خلال ذلك من غنائم الحرب وغيرها ان يضمنوا خراج تلك الارض فيديرون زراعتها ويستغلونها بشرط وفاء ما عليها من المتأخرات وما يستحق عليها من الضرائب الجديدة وتوعدهم بشد العقاب اذا لم يقبلوا وسميت تلك الالتزامات « عهد » سنة »

والفرق بين العهد والالتزامات ان المتعهد لم يكن له ان يجبر المزارع على دفع ما هو مربوط على قطع الارض التي بيده في دفاتر التاريع ولم يكن الفلاح شأن في الارض التي يستغلها بل هو اشبه باجير عند صاحب العهدة

فلما تولى عباس باشا الاول رأى لاولئك المتعهدين نفوذاً خاف منه على سلطانه فاصدر سنة ١٨٥٠ امراً بحل تلك العهد وارجاع الارضين الى اصحابها . ولم ينفذ ذلك الامر نفوذاً تاماً الا بعد زمن . فالارض التي مسحت ووزعت على الاهالي لاستغلالها تأخذ عليها الحكومة ضريبة تعرف بالخراج وتسمى الاطيان الخراجية والابعديات والجفالك الخارجة عن المساحة التي انعم بها محمد علي على الامراء والوجهاء والكبراء لما ضربت عليها العشور عرفت بالاطيان العشورية

على ان بعض اصحاب الاطيان الخراجية تقاعدوا عن استغلالها وعجزوا عن اداء خراجها فاستخرجتها الحكومة من ايديهم وسميت (متروك) وانعمت ببعضها

سنة ١٨٦٧ على العساكر الاتراك الذين انفصلوا من خدمة الجيش بعد الحروب . وانعمت الحكومة ايضاً باطيان اخرى على قبائل العربان المنتشرين حوالي القطر المصري ليزرعوها . وانعمت بمثلها ايضاً لبعض المرفوتين من خدمة الحكومة وغيرهم

وما زال الانعام بالارضين جارياً الى آخر ايام اسماعيل سنة ١٨٧٩ فاصدرت الحكومة قراراً من مجلس النظار ان لا تعطى الاطيان بعد ذلك بطريق الانعام . وظلت الاطيان الخراجية التي في ايدي الاهلين يستغلونها ولا يملكونها حتى اصدرت الحكومة العثمانية ارادة شاهانية بالترخيص للاوربيين بامتلاك الارضين في انحاء المملكة العثمانية الا الحجاز فرأت الحكومة المصرية ان تقتدي بها رغبة في الحصول على مال تسدد به ديونها فاصدرت سنة ١٨٧١ لائحة المقابلة وهي ان يدفع ارباب الاطيان اموال ست سنوات عن عموم اطيان القطر المصري وسمت هذا المال « مقابل » او « مقابلة » على ان يدفع دفعة واحدة او على دفعات لا تجاوز ست سنوات . وفي مقابل ذلك يخفض مجموع المال السنوي على الاطيان الى النصف تخفيضاً مؤبداً . ومتى تم دفع المقابلة اصبحت الاطيان ملكاً صحيحاً لاربابها يجوز فيها التوارث والهبة والاسقاط والوصايا والوقف . على ان الدفع لم يتم كله واعترض ذلك حوادث مختلفة لا محل لذكرها هنا انتهت بامر عال سنة ١٨٩١ تحول الملكية الصريحة في الاطيان الخراجية سواء كان اربابها قد اتموا دفع ما عليها من المقابلة او لا

توزيع الاطيان

فترى مما تقدم ان الانعام بالاطيان المصرية تكرر في عهد العائلة الخديوية حتى صدر الامر بمنعه سنة ١٨٧٩ لكنها لم تر بدًّا من الرجوع اليه على كيفية رأت فيها خيرا للبلاد . وكانت قبلاً تهب الاطيان بالانعام للمقربين ونحوهم فاصبحت بعد ذلك تنظر في الهبة لمصلحة الاهلين وتعمير الارض كما فعلت سنة ١٨٨٤ فوهبت بقاعاً لم تسبق مساحتها ولا هي من املاك الميري يسمونها « خارج الزمام » ويدخل فيها البراري وحواجز الجبال والمستنقعات وجعلوها ثلاث درجات (١) البقاع غير المزروعة التي لا يترتب على استغلالها نفقات باهظة فتعفى من الضريبة ثلاث سنوات (٢) البقاع المالحة والمستنقعة التي تقتضي النفقة والمشقة لاستثمارها فتعفى من الضريبة ست سنوات (٣) البراري التي تزيد فيها النفقة والمشقة على ذلك وتعفى عشر سنوات . وبعد انقضاء مدة الاعفاء من الضريبة يربط عليها المال حسب درجتها

والاطيان الموهوبة المتقدم ذكرها محصورة في مديريات البحيرة والشرقية والفيوم

ويدخل في ذلك ارض واسعة بمديرية البحيرة مساحتها ٤٩٠٠٠ فدانٍ في براري حوش عيسى والبوطة تألفت لها سنة ١٨٨٦ شركة عرفت بشركة زرفودا كي . وعرفت الاطيان بعد ذلك بالاطيان النوبارية نسبة الى الترعة النوبارية التي مرت فيها واحيتها . ورغب الناس والحكومة في احياء امثال هذه البقاع فاصدرت الحكومة امراً في سنة ١٨٩٤ فحواه ان من يتعهد بردم مستنقع او بركة او تجفيفها بشروط يقررها مندوبو الحكومة تصير تلك الارض ملكاً له في مقابل ما ينفقه في ذلك السبيل

وقس على ذلك تصريح الحكومة سنة ١٩٠٠ لشركة بيو احيشن لاصلاح كثبان الرمل والجزر البور الكائنة في مجرى النيل بحيث تجعلها صالحة للزراعة من غير ان تتحمل الحكومة نفقة او تبعة تحت شروط مدونة في الامتياز

وآخر مشروعات الحكومة لاحياء الزراعة المصرية مشروع الامس نعني اهتمام الحكومة بالانفاق من خزينتها على صرف المياه عن المستنقعات حتى تنكشف الارض فتقسمها قطعاً صغيرة توزعها على صغار الفلاحين

وذلك انها قررت اصلاح قطعتين كبيرتين من اطيان القطر المصري تصرف المياه عنهما احداهما في مديرية البحيرة والاخرى في الغربية مساحتهما نحو مليون فدان ستنفق في اصلاحها نحو مليونين ونصف من الجنيهات في اثناء اربع سنوات . وقد شرعت في العمل فتم لها اصلاح ٦٥٠ فداناً في الغربية وزعتها بالشكل الذي تقدم في صدر هذه المقالة . وهذا غير ما كانت تفعله الحكومة من الانعام بالارضين من قبل . ان الانعام على هذه الصورة لم يسبق له مثيل والمراد به خدمة مصلحة الفلاح راساً ولا سبيل الى تزاحم المضاربين

المتحركات الصناعية

مترجمة عن الفرنساوية بتصرف بقلم الخوري جرجس توما كاهن ارثوذكس عكا

في مستشفى براتونو الفرنساوي آنستان تسمى كل منهما مموازيل كلار (Clair) « ضيا » احداهما ممرضة حقيقية حية من لحم ودم . والثانية شخص يتحرك بالصناعة لكنه كثير الشبه بتلك . يخترعه طبيب المستشفى الخاص المسمى « روبر هاردنر » فالآنسة « ضياء » الصناعية امامها طاولة صغيرة عليها ادوات الجراحة يجرها المخترع المذكور الى امام احد اسرة المرضى ويخاطبها قائلاً « ايتها الآنسة ضيا اعطيني الملقط »

فقد الفتاة يدها الصناعية وتأخذ الملقط المطلوب فتسلمه للطبيب . فيقول لها هذا « اعطيني المشراط » فتعطيه اياه بلا تردد كأنها تفهم ما يقول

وهذا الاختراع من ابدع ما في المتحركات الفنية ومدعاة لاعجاب الاطباء والمرضى والممرضات . . وهو بلا شك فخر عظيم للمخترع لم ينسج على منواله حتى الآن . وبهذه المناسبة نذكر لمحة تاريخية عن امثال هذه المتحركات الصناعية خدمة للعلم وفكهة للقراء :

ما اجل افكار الاطباء الذين يصرفون كل قواهم لاختراع ما ينفع الانسان فان الدكتور روبر هاردنر طبيب المستشفى المذكور قد اعمل فكرته وانشأ آلة تخلد له ذكراً عاطراً . وبالنسبة لاعجابه بالانسة ضباء ممرضة ذلك المستشفى اراد ان تكون الآلة ممثلة شخصها وطلعتها وحركاتها وقوامها فضلاً عن ملابسها وزيها الجميل . . . وقد اسعده الحظ فنجح في مهمته كل النجاح فاخرج للناس اثراً شاهداً ببراعته وفضله واستعداد المستشفى الاسعد الذكر وممرضته اللطيفة النشيطة

لم يكتف المخترعون في القرنين السادس عشر والسابع عشر بوضع ساعات كبيرة تعين الساعة واليوم والشهر والسنة بل اضافوا اليها اشخاصاً صور الملائكة تظهر على برج الساعة الكبير فتصفق مالابواق (عوض قرع الجرس) نفخاً متواصلاً او تصفق باجنحتها حتى يتوهم الناس ان قد قامت قيامتهم وان الساعة قد اتت

ولم يكن اختراع المتحركات الصناعية محصوراً في القرنين المذكورين وما بعدهما بل كان قبل المسيح بعدة قرون . قال اولوجل ان ارشيتاس [1] الفيلسوف اليوناني الذي عاش قبل المسيح بنحو ٤٠٠ سنة اخترع حمامة تستطيع ان تطير . ويروي كيكرشر احد نوابغ القرن الخامس عشر انه اخترع ذبابة من الحديد كان اذا افلتها من يده دارت في البيت وعادت اليه . وقد صنع جان مولر نسراً من الحديد طار امام الامبراطور مكسيمليان يوم دخوله مدينة نورمبرغ باحتفال عظيم في ٧ حزيران (يونيو) سنة ١٤٧٠ . قال احد المؤرخين حدث في نابولي من اعمال ايطاليا حر شديد تولد بسببه ذباب كثير افسد الاطعمة وضايق الناس فصنع الاسقف فيرجيل ذبابة كبيرة من النحاس تمنع دخول الذباب الى المدينة . . . — قال المؤرخ وبقيت ذبابة فيرجيل ثماني سنوات تشتغل في مكانها وفي هذه السنوات الثماني لم يتدنس لحم الاطعمة بذبابة وهذا

(١) ولد هذا الفيلسوف في مدينة تارانت سنة ٤٤٠ ق . م . ومات سنة ٣٦٠ وهو على ما يقال مخترع البرغي والبكرة

من الغرابة بمكان بل هو من المدهشات التي تكاد لا تصدق

ثم ان راهبين احدهما روجر باكون والثاني توماس بونجي اشتغلا سبع سنوات لصنع راس يماثل راس الانسان متكلماً وقد نجحا اخيراً . اما الراهب البير الكبير والعالم اللاهوتي الشهير احد فلاسفة الالمان فقد استطاع ان يعمل شخصاً خشبياً متحركاً يقيمه وراء الباب ليفتحه كلما طرقه طارق . فاتفق ان توماس داكين قصد زيارة هذا الراهب في غرفته ولما فتح الباب ورأى وراءه شخصاً صناعياً يرفع له الرلاج استولى عليه الخوف وظن ذلك من صنع الشيطان فرفسه وضرب به الارض فحطمه تحطيماً

ودوسكارت رجل المتحركات اخترع تمثالاً بصورة ابنة سماها « فرانسين » كانت تقضي بعض حاجاته في البيت . . . ولما عزم على السفر بحراً اخذها في صندوق خشبي فانتبه الربان بالصندوق لكثرة محافظة دوسكارت عليه فكسروه فوجدوا فيه ابنة صناعية تشبه البشر صورتها وحركاتها . . . فاجفل الربان من هذه اللعبة الشيطانية ورماها في البحر

ومما يجدر بنا ذكره ان الاب ميكل اصطنع رأسين من النحاس يتكلمان وعرض اختراعه على جمعية العلوم الفرنساوية عام ١٧٨٠ فشهدت بحذقه ومهارته ولما طلب الى الحكومة ان تشتريهما رفضت فاسقط في يده واخذ مطرقة من الحديد وسحق الراسين فلم يبق لنا الا ذكر هذا الاختراع الذي هو جد الاختراع الحالي « الفونوغراف »

على ان فوكانصون يفضل على كثيرين ممن ذكرناهم لانه ادهش العالم بمخترعاته المتحركة وقد انتخب عضواً في جمعية العلوم البارزيسية سنة ١٧٨٢ . قيل انه غضب مرة من مدير احد المصانع الحريرية فصنع حماراً صناعياً يحوك قماشاً من الحرير الملون . اما ما اخترعه هذا المتمس داهية المتحركات الصناعية فكثير اهمه واشهره ثلاثة (١) الشخص العازف بالمزمار (٢) الضارب الطبل (٣) البطة

فالعازف بالمزمار كان طوله متراً و١٥ سنتيمتراً وهو يستطيع ان يعزف ١٢ لحناً على ان الناظر اليه وقت العزف ويرى حركات اصابعه وشفتيه ولسانه يكاد لا يصدق انه آلة صناعية . وضارب الطبل على الحان شتى تقارب العشرين كانت يدهش الناظرين بحركات يديه . اما البطة فهي اغرب مخترعاته لانها كانت تقلد كل حركات الطير .. فتسبح في الماء وتصفق بجناحيها وتأكل وتهضم الطعام وتبرز كما تفعل الطيور الحية مما ادهش باريس وسائر العالم نحو ثلاثة ارباع القرن وبقي سر هذا الاختراع مطوياً لان المخترع قدم اختراعه الى الجمعية العلمية وكشف لاعضائها سر الضاربين بالمزمار والطبل وكتم

سر البطة . . وبعد وفاته لم تلتفت الامبراطورة ماري الى مخترعاته المذكورة فاشتراها مدير احد الملاعب ليعرضها على الناس وطاف بها اوروبا ثم طمست آثارها فلم يعد يعرف عنها شيء الى سنة ١٨٤٠ حيث وجدت البطة وحدها في مستودع احد البيوت القديمة في برلين عاصمة الالمان فاصلحت وارسلت الى باريس وعرضت في القصر فعهدت الجمعية العلمية الى روبر هودين احد العلماء المدققين ان يخترق قلب هذا الاختراع ويكشف الستار عن سر الهضم المدهش . . وهاك ما جاء في تقريره بعد البحث والتدقيق قال :

« اذا قدم لهذه البطة حبوب في وعاء اخذت تأكل منها . فحركة منسرها (منقادها) تسهل دخول الحبوب والماء متتابعة في انبوبة وراء المنسر حتى تستقر في وعاء اشبه بالحويصلة امام البطن . وتتلى هذه الحويصلة مرة كل ثلاث اكلات او اربع . . فاذا امتلأت طرحت ما فيها بحركة خفية . اما البراز الذي تخرجه فهو فتات خبز مجبول بالماء وملون بالاخضر يجمع في مستودع صغير مخفي في جوف البطة فيدفعه دافع من الرصاص فيبدو من اخرج كأنه نتيجة ذلك الهضم .

ثم طلب من فوكانسون ان يخترع افعى صناعية تمثل في رواية كليوباطرة لتحفظ في خزانة التحف والفنون الجميلة وتسعده لتمثيل رواية هذه المملكة . فصنعها طبق المرغوب ولدى التمثيل شهد الجمهور حية تسعى نحو كليوباطرة وهي تصفر صفيراً شديداً رددت قاعة التمثيل صداه حتى دنت منها ولدغتها لدغة قتالة وقعت منها ممثلة هذا الدور كأنها مائتة فاشفق الجمهور على الممثلة وظنوها ماتت حقيقة

وناهيك بالشخص المتحرك اللاعب بالشطرنج الذي حير اوروبا في اواخر القرن الثامن عشر واوائل التاسع عشر . ومخترعه البارون ولفجان كامبلان المجاري . وسبب اختراعه ان احد الثوار البولونيين المسمى القبطان بوروسكي التقى بفصيلة من جنود كاترينا الثانية فهزمتهم مثخناً بالجراح واختبأ في منزل كامبلان صديقه الحميم فاراد هذا ان يخلصه فابعده عن مملكة هذه الامبراطورة القاسية . وكان بوروسكي من ابرع اللاعبين بالشطرنج فاخترع له كامبلان شخصاً متحركاً خبأ بوروسكي في داخله واعلن اختراعه شخصاً يلعب بالشطرنج فطار صيته وقصده اللاعبون فقهرهم كلهم حتى ان الامبراطورة كاترينا اجبرت كامبلان على المثول بين يديها مع الشخص المعلوم . . . لتنظره وتلاعبه . . ثم سار الى المانيا ومنها الى كل اوروبا قال احد المؤلفين في المتحركات الصناعية عن هذا الشخص الصناعي انه غالب كل الاحياء البارعين بهذا الفن مدة ثلاثين

عماً من جبال اورال الى الاوقيانوس الاتلانتيكي ومن البحر المتوسط الى المانش والبلطيك . كل من كان له المام بلعب الشطرنج جرب اللعب مع هذا الشخص وكلهم غلبوا الا رجلاً فرنساويا تغلب عليه سنة ١٧٨٨ بكل صعوبة . وقد رغب الامبراطور نابوليون ان يراه ويكون شريكاً له في اللعب . فنازله احد الحاضرين ونقل حجر وضعه في غير موضعه عامداً ليغالطه فرده الشخص الى مكانه فعاد العمل ثانية فاصلحه له فزاد عليه ثالثة فمد الشخص يده كانه مغتاظ وبعثر كل قطع الدولة فنهض نابوليون وهو يقهقه ضاحكاً . وقد بلغ من هذا الاختراع ان ظهر واكتشفت طريقة المرآة الفنية التي كانت داخل الشخص وبها كان يوسكي يرى كل حركة من الخارج فيجيب عليها بايدي الشخص المتحركة

على ان مخترع نصب الآلة ... قد خدم العلم والانسانية خدمة تذكر فضلا عن تخفيفه عناء الخدمة عن ... وصار ... الناس موضع الدهشة والفخر والاعجاب

محمود شوكت باشا

فرنسا وانكلترا وسويسرا

عمرانها ونظام حكومتها وحضارتها ومتاحفها

وسائر احوالها الاقتصادية والاجتماعية

من رحلة لصاحب الهلال هذا العام (تابع)

اولاً – فرنسا

٧ – آثارها

المراد بالآثار عادة ما يخلف عن الامة من الابنية والتماثيل وغيرها من المصنوعات المحسوسة الدالة على عظمتها او مهارتها كالآثار المصرية واليونانية والرومانية . ولكن للامة آثاراً معنوية تتناقلها الامم عنها وتقتدي بها فيكون لها اثر حيٌّ في تمدنها ونظام اجتماعها او علومها وادابها فيذكرها لها التاريخ . كما يذكر احرف الهجاء للفينيقيين والادب والفلسفة لليونان والشريعة للحموراپيين واليهود والقواعد السياسية والحربية للرومان ونهوض امم الشرق للعرب . فآثار الامة الفرنساوية اما معنوية او محسوسة :

١ – آثار فرنسا المعنوية

فآثار فرنسا المعنوية في هذه المدنية كثيرة منها :

١ الحرية واستقلال الفكر : ان للفرنساويين الفضل الاول في نشر روح الحرية باوربا وغيرها . وهم قدوة الامم في بث هذه الروح على اثر نهوضهم لخلع نير الملكية والمناداة بالحرية والاخاء والمساواة

٢ استخدام اللغة الفرنساوية في المخاطبات الرسمية بين الدول المتمدنة . فانهُ من آثار نفوذ الدولة الفرنساوية في العالم المتمدن

٣ الالفاظ الفرنساوية السياسية والعلمية والادبية في لغات اوربا فانها من ادلة تفوُّق الفرنساويين في هذه الشؤون واقتباس تلك الامم عنها

فضلها على الشرق

٤ لفرنسا فضل خاص على الشرق الادنى من اوجه كثيرة تظهر آثاره في اخلاق اهله وآدابهم . اذ لم يكن لهم علم باسباب المدنية الحديثة قبل اواخر القرن الثامن عشر اذ حل عليه بونابرت يريد اكتساحه كما اكتسحه الاسكندر قبله . لكنه لم يأته بالعدة والسلاح فقط بل نقل اليه بذور التمدن واصول المعارف . فارفق حملته الحربية بحملة علمية جمعت نخبة علماء فرنسا في ذلك الحين . لم يوفق بونابرت في فتوحه الشرقية فعاد على اعقابه وظلت تلك البذور كامنة حتى نهض من رجال الشرق من احسن تعهدها وتربيتها فنمت وكان منها ما كان من نهضة مصر والشام . فالسوريون والمصريون والاتراك والفرس لما همّوا بهذه المدنية كان معظم تعويلهم في اقتباسها على الامة الفرنساوية . فتعلموا لغتها وترجموا علومها وقلدوها بآدابها وعاداتها واخلاقها — كذلك فعل المصريون على يد محمد علي باوائل القرن الماضي فان الاصلاحات التي احيا بها القطر المصري كان اكثر تعويله فيها على الفرنساويين . استخدم جماعة منهم في التعليم والتنظيم . مثل الموسيو جومار مهندس الفرنساوي ارشده في الارساليات العلمية الى فرنسا . والدكتور كلوت بك انشأ له المدرسة الطبية وسليمان باشا (الجنرال سيف) نظم له الجندية ولينان باشا مهندس القطر الخيرية . وهناك عشرات من رجال العلم والادب الفرنساويين استخدمهم محمد علي في نهضته . ونقل كثيراً من الكتب الفرنساوية الى اللغة العربيـة . واقتبس طرق الفرنساويين في المدارس والجندية وفي الزراعة والصناعة وغيرها

واقتدى به خلفاؤه على العرش الخديوي ولاسيما اسماعيل فانه استخدم كثيرين منهم في الادارة والتعليم . واشهرهم ماريت باشا مؤسس المتحف المصري . ولا يزال هذا المتحف في عناية الفرنساويين الى اليوم

والفرنساويون اول من انشأ جريدة بمصر (فرنساوية) وهم اول من اسس مجمعاً علمياً فيها (institut) واول من نقل اليها ادوات الطباعة — نعني المطبعة التي اتى بها بونابرت في حملته وكان يطبع عليها منشوراته واوامره بالعربية . فلما اراد محمد علي ان ينشئ المطبعة الاهلية كانت تلك المطبعة اساساً لعمله

واعتبر ذلك ايضاً في سوريا فان للفرنساويين شأناً خاصاً فيها لانهم دخلوا في شؤونها منذ بضعة قرون ولا يزال السوريون حتى الآن يقلدون فرنسا في اسباب هذه المدنية وقد نقلوا اهم آدابها الى العربية . وقلدوا شعراءها وادباءها وبعضهم يعرف عن تاريخ آداب اللغة الفرنساوية اكثر مما يعرف عن آداب اللغة العربية . الا التمثيل فان

مزون النقاش اقتبسه عن الايطاليان لكن من جاء بعده عوّل في اتقانه على الفرنساويين

ولما نهض الاتراك في الاستانة لاقتباس المدنية الحديثة كان اكثر اعتمادهم في نقل الآداب الحديثة على الفرنساويين . فنقلوا عن روسو ومونتسكيو وهوغو وغيرهم . واكثر الافكار الحديثة التي اقتبسها الشرقيون في القرن الماضي اخذوها عن ادباء الفرنساويين

وهكذا فعل الفرس لما اخذوا في نهضتهم باواسط القرن الماضي فان ناصر الدين شاه ارسل سنة ١٨٥٤ اربعين شابًا من ادباء الفرس واهل العصبية الى فرنسا لتلقي العلوم كما فعل محمد علي قبله . وعاد هؤلاء الى بلادهم وعملوا على نشر العلم بانشاء المدارس على اختلاف مواضيعها . وهكذا فعل ايضاً في تنظيم الجند فانه نظمه على النمط الفرنساوي وبعث الى فرنسا ٢٠ ضابطاً تخرجوا فيها على ذلك التنظيم

٣ — آثار فرنسا البنائية

اما الآثار البنائية في فرنسا فانها كثيرة لا يمكن حصرها وانما نقتصر على ما شاهدناه منها في باريس وليون . وهو كثير يدخل فيه القصور والجسور والميادين والكنائس والمراسح والاضرحة نكتفي بفذلكة عامة عنها ونخص بالوصف اهمها

فالكنائس في باريس عديدة تزيد على ٧٠ كنيسة اشهرها نوتردام

نوتردام

هي كنيسة قديمة العهد اعيد بناؤها في النصف الثاني من القرن التاسع للميلاد ثم جددت في النصف الثاني من القرن الثاني عشر ولم يتم بناؤها الا في منتصف القرن الثالث عشر مع اضافات وتجديدات لحقت بها بعد ذلك . واجل ما فيها من حيث فن البناء واجهتها تم بناءها سنة ١٢٤٠ بشكلها الذي تراه في الرسم

مساحتها ١٣٠ متراً طولاً في ٥٠ متراً عرضاً و٣٥ متراً علواً قبتها قائمة على ٧٥ سارية كبيرة اكثرها مستدير الشكل رومانية . والمنبر في الصدر قائم على ١٠٨ اعمدة صغيرة متقنة الصنعة والنقش . وفي ارض الكنيسة وجوانبها عدد كبير من الاضرحة للمشاهير ولا سيما اساقفة باريس . واهم ما في هذه الكنيسة مما يهمّ القراء الاطلاع عليه خزانة تحفها . وهي غرفة بنيت سنة ١٨٥٠ فيها تحف اكثرها حديث ليس له اهمية فنية وانما اهميتها بانتسابها الى مهديها . منها كاس مقدس من الذهب اهداه نابوليون الثالث للكنيسة . ومن التحف القديمة صندوق منقوش ينسب للقديس توماس بكت

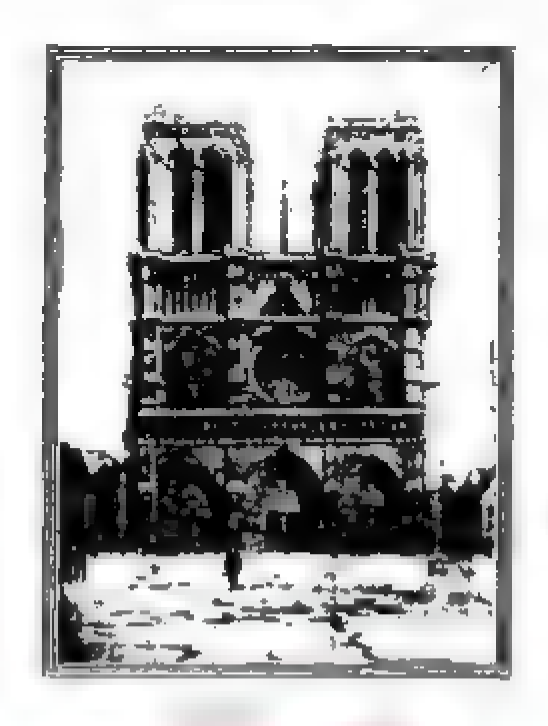

واجهة كنيسة نوتردام في باريس

على طرز القرن ١٣ ومن الآثار الثمينة الصليب المذهب الذي حمله القديس فنسان دي بول قرب فراش لويس الثالث عشر وهو يحتضر. والرداء الذي اتشح به نابوليون بونابرت عند تتويجه. ولكنيسة نوتردام برج علوه ٦٩ متراً

كنيسة لافورفير في ليون

ورأينا في ليون كنيسة قديمة العهد تعرف بكنيسة نوتردام دي فورفير يحج اليها الناس من اطراف العالم المسيحي ناورنا. قائمة عن تل علوه ٢٩٧ متراً يصعدون اليها بتراموي كهربائي يجر بالاسلاك الغليظة يرجعون بتاريخ نشأتها الى القرن التاسع. ثم تجددت مراراً آخرها في اواخر القرن الماضي. وقد احتفظوا بكثير من البناء القديم. طول الكنيسة من الداخل ٦٦ متراً في عرض ١٩ متراً وانما استلفت نظرنا ما على جدرانها من الصور الكبيرة المرسومة بالفسيفساء طول الواحدة بضعة امتار في مثلها عرضاً مرسومة في الاجيال الوسطى. منها صورة معركة بحرية جرت سنة ١٥٧١ في مضيق لبانت قرب كورنثية بين اسطول السلطان سليم الثاني العثماني واساطيل اسبانيا والبندقية وجنوى ومالطة والبابا بيوس الخامس. وهي معركة شهيرة في تاريخ الدولة العثمانية انتهت بفشل العثمانيين. كانت العمارة العثمانية مؤلفة من ٣٠٠ دارعة بقيادة القبودان مؤذن زاده علي باشا. والعمارة المسيحية مؤلفة من ٧٩ دارعة بقيادة دون

جوان دوتريش و١٢دارعة للبابابوس بقيادة مارك انطوان كولوما و١١٤دارعة بقيادة فابيو الندقي . غير الحد الاسباني . ولما التق الجيشان في ذلك المضيق تبادلوا اطلاق المدافع فصيب القبودان العثماني بقبلة قتلته فشل جنده . وتوقف العثمانيون عن مواصلة الفتح عرماً كما توقف العرب عن الايغال في اوربا بعد واقعة بواتيه التي عليهم فيها شارل مارتل قبل ذلك بثمانية قرون

وقد مثل المصور تلك المعركة وفيها سفن الجيشين ومواقعهم حتى انتهت باحتراق سفن العثمانيين . وكل ذلك بالفسيفساء الملونة ولا تزال واضحة مع انها صنعت منذ نيف وثلاثة قرون

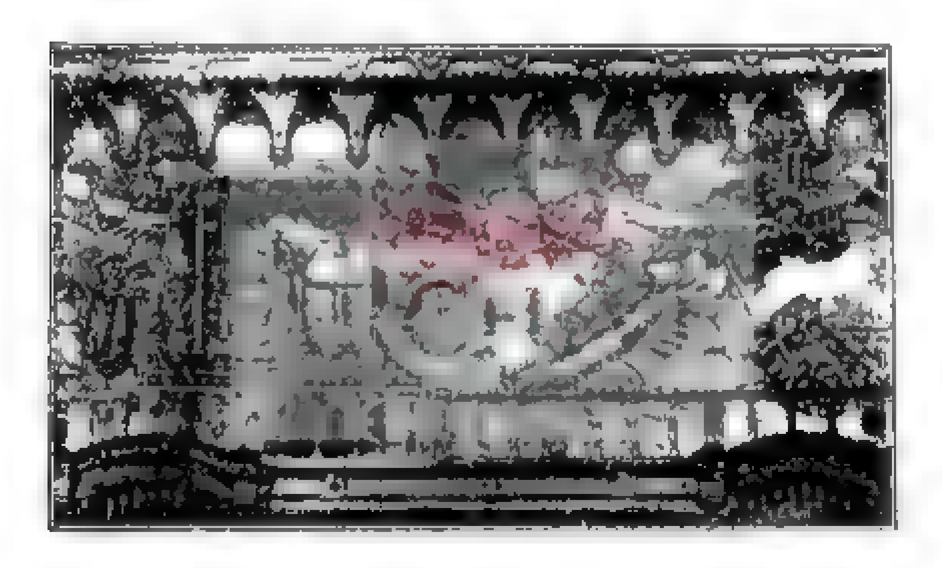

معركة مضيق ليبانت معمولة في كنيسة لافورمير

وهناك صور اخرى مثل هذه تمثل بعض الحوادث الدينية . منها وصول القديس بوتين الى ليون . وبعض تلك الصور كاد يمحى من طول الزمن

قصر الانفاليد في باريس

وفي باريس من التماثيل او الانصاب في الشوارع العمومية عدد كبير ذكرناه في غير هذا المكان . فنكتفي هنا بذكر اهم ضريح يعظمه الفرنساويون ويشاركهم في تعظيمه سائر الامم نعني ضريح نابوليون بونابرت في قصر الانفاليد

وقصر الانفاليد بناء فخيم مؤلف من قاعات عديدة بعضها متاحف للاسلحة التاريخية وبعضها لمعروضات اخرى . اهمها القبة التي تتضمن ضريح نابوليون الاول

سنعود اليها بعد الايجاز في وصف اهم ما يحويه قصر الانفليد من الآثار والتحف وان كانت هذه من قبيل المتاحف لكننا نذكرها هنا على سبيل الاستطراد

ففي ساحة القصر مدافع تاريخية منها ١٧ مدفعاً من جزائر العرب عليها كتابة عربية الى احد جانبيها مدفع صيني والى الجانب الآخر مدفع كوشنشيني . غير مدافع نمساوية صبت في فينا بالقرن السابع عشر حملها نابوليون الى باريس سنة ١٨٠٦ ومدفع حمل في معركة سباستبول سنة ١٨٥٦ وغيرها

قبة الانفاليد بباريس وفي داخلها ضريح نابوليون الاول

اما القصر فقد بناه لويس الرابع عشر . بدأ به سنة ١٦٧١ مساحته ١٢٦ ٩٨٥ متراً مربعاً عرض الواجهة ٢١٠ امتار انشيء ليقيم فيه المتقاعدون من الجند الفرنساوي يسع ٧٠٠٠ جندي . وقد تغير الغرض المراد به بعد ذلك . واستخدموا قاعاته للمتاحف العسكرية منها متحف الطبجية والمتحف التاريخي . وفي متحف الطبجية نحو عشرة آلاف قطعة من البنادق والمدافع القديمة والحديثة مرتبة حسب انواعها بينها الاعلام والادراع والخود . وفي جملتها الساحة المالية من اوائل القرن السادس عشر . وبين

الاعلام على جان دارك . وفيها اسلحة البوربونيين من لويس الرابع عشر فما بعده وبينها سيوف فرنسيس الاول وهنري الثاني وشارل التاسع وغيرهم شيء كثير

وهناك اسلحة شرقية في قاعة خاصة بخزائن يختص كل منها بامة من امم الشرق فيها امثلة من اسلحتها مثل ملقا والهند والصين واليابان والبلقان وسركاسيا ومراكش وتركيا من السيوف والبنادق . بينها بندقية امر نابوليون بصنعها في روتردام على الخصوص لسلطان مراكش . غير كثير من البنادق التركية وبنادق بربرية حملوها من سرقوسة سنة ١٨٠٨ وبنادق عربية وخناجر فارسية . وخزانة خاصة بالاسلحة الاسلامية فيها ادراع عربية على كل منها اسم الله منقوش بالعربية

وقاعات للالبسة الحربية باختلاف الامم الاسيوية والافريقية واصناف الناس بينها المركبة التي نقلوا عليها عظام نابوليون من جزيرة القديسة هيلانة

اما المتحف التاريخي ففيه الاسلحة التي لها قيمة تاريخية في جملتها اربعة من سروج المماليك غنمها الفرنسويون في معركة الاهرام سنة ١٧٩٨ . وسيف نابوليون الاول وقبعته وطبنجته وكرسيه وديباج له احرقته رصاصة في معركة واترلو . وفي قاعات اخرى تذكارات من حروب الجزائر (سنة ١٨٣٠ - ١٨٥٧) وحروب القرم سنة ١٨٥٤ وحرب ايطاليا سنة ١٨٥٩ والصين سنة ١٨٦٠ والمكسيك سنة ١٨٦٢ وحرب فرنسا وبروسيا سنة ١٨٧٠ كل قاعة لنوع من الآثار بعضها للثياب والبعض الآخر للاسلحة او الرسوم او الحلي غنمتها من حروبها في المستعمرات بالجزائر ومراكش والصحراء والسينغال والسودان ومداغسكر والهند الصينية وتونكين والصين . بينها رايات من وداي ومجوهرات الحج عمر من النيجر وسيف مرصع لامبراطور انام اخذ منه سنة ١٨٨٥ وغير ذلك

ضريح نابوليون في قصر الانفاليد

هو عبارة عن قبة علوها ١٠٧ امتار تشتمل على ضريح نابوليون وكنيسته . والقبة عليها من الخارج نقوش مذهبة يشرق عليها القادم من بعد . اذا دخلتها وجدت في وسطها ضريح نابليون وبين يديه هيكل الكنيسة . والى جانبي الضريح اضرحة جماعة من قواد لويس الرابع عشر . وبين يدي الكنيسة اربعة مذابح مستديرة يدخل اليها من قناطر سفلية صغيرة فيها اضرحة اعضاء اسرة بونابرت . ولا يستطيع الواقف عند ضريح ذلك الرجل العظيم الا الاعتبار والتأمل في ما انفقه القوم في تعظيم ضريحه وما نصبوا حوله من الاعلام والتماثيل . ان الدهشة تستولي على المتأمل من ميل البشر

الى تعظيم الفاتحين . لا تقدر وانت واقف بين يدي ضريح هذا النابغة الا الصمت والذهول لما يتجلى على المكان من الوقار كانك ترى بونابرت واقفاً بين قواده ووزرائه وكلهم مطرقون رهبة واجلالاً — وقفنا برهة ونحن نراجع تاريخ صاحب هذا الضريح فتبين لنا انه اكثر القواد طمعاً في السيادة واقدرهم على القيادة واشدهم استهواء

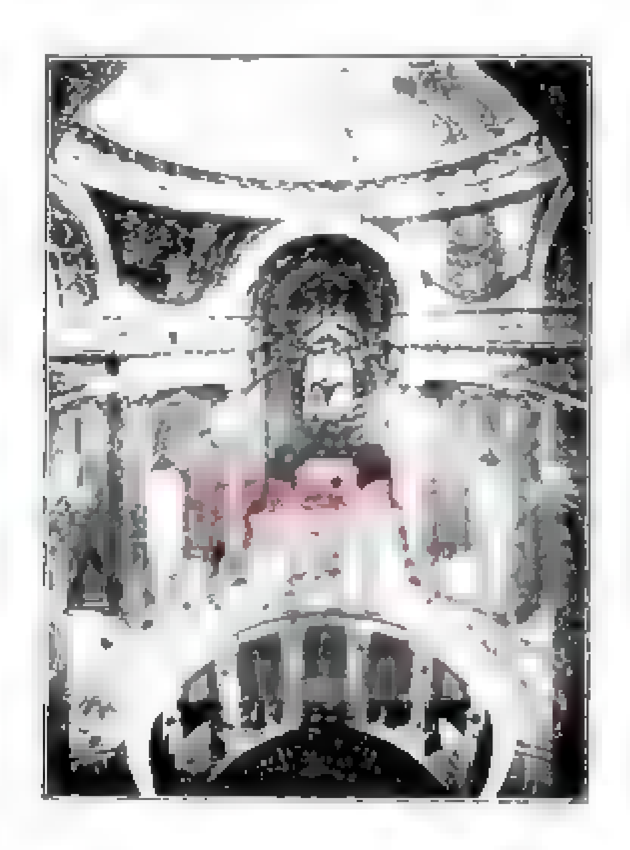

الكنيسة داخل القبة وامامها الضريح

رجاله حتى كانوا يلقون انفسهم في النار تقرباً في طاعته ولا يبالون . قضى نابوليون اواخر القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر وهو يحارب ويجالد فقلب العروش ودوخ الممالك وبثر التيجان وقتل النفوس . وقد مضى على سقوطه قرن ولا يزال العلماء مختلفين في تقديره كان الدهشة لا تزال آخذة بعقولهم . اما الذي سلمه ولا خلاف فيه فهو ان نحو مليونين من الناس قتلوا في سبيله له او عليه . وعقب تلك الحمى الاجتماعية ردُّ فعل عاد ببعض النفع للمجتمع البشري لا نظنه يعوض تلك الخسارة

اما الضريح فانه قائم تحت منتصف القبة على قاعدة من الرخام في حجرة من الرخام مستديرة كالحفرة قطرها ١١ متراً وعمقها ستة امتار لاغطاء فوقها . وفي وسط الحجرة

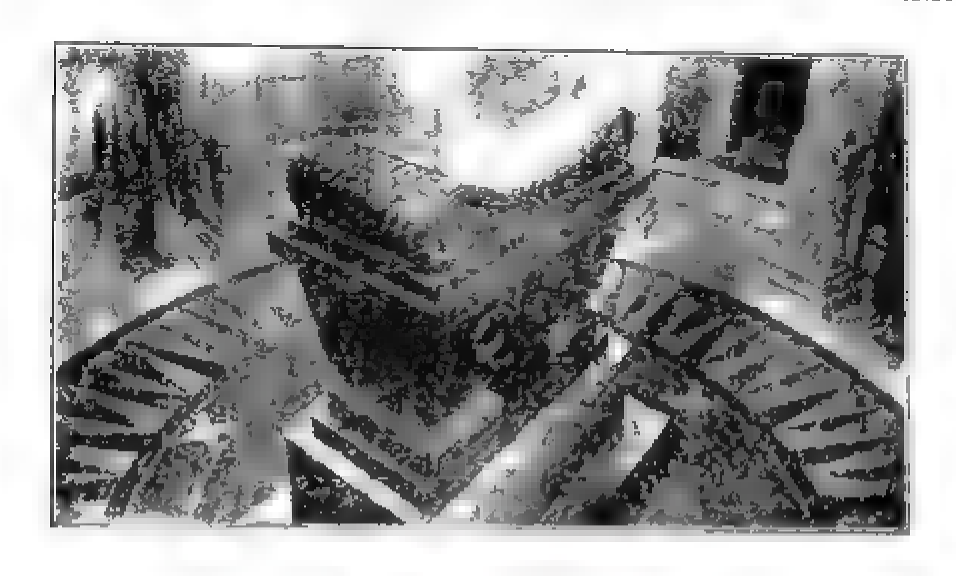

ضريح نابوليون في وسط الحجرة

قبر نابوليون يحتوي على بقاياه التي نقلت من جزيرة القديسة هيلانة سنة ١٨٤٠ وقد بني ذلك الضريح من سنة ١٨٤٣ — سنة ١٨٦١ وطول الضريح من الاعلى اربعة امتار في عرض مترين وعلوه اربعة امتار ونصف وهو مؤلف من خمس قطع من البورفير (الرخام [illegible]) [illegible] وسم التاج واسماء المواقع الكبرى التي قاتل فيها نابوليون وهي [illegible] واهرام ومارنكو واوسترليتس ويينا وفريدلاند وواغرام وموسكو . وحول الضريح تماثيل منتصبة عددها ١٢ ترمز عن انتصارات نابوليون الكبرى . وعشر نقوش رخامية وست حزم فيها ستون راية مما اكتسبه من اعدائه . وفي داخل قبة الانفاليد كثير من تماثيل العظام كالقواد وغيرهم من اصحاب بونابرت

القصور والمراسح وغيرها

ومن قبيل الآثار في باريس القصور وهي عديدة كقصر الاليزة وقصر اللوفر وسيذكر في الكلام عن المتاحف . وكذلك قصر لوكسمبرج والتروكاديرو والبانتيون وغيرها . ومنها المراسح وهي اربعون مرسحاً وفيها الاوبرا الشهيرة . ومن قبيل الآثار ايضاً منازل العظماء من مشاهيرهم كمنزل اوغست كونت الفيلسوف الشهير ومنازل بلزاك وبفون وكوفيه وهوغو . وفي كل منها آثار صاحبها من طاولة وسرير ومكتب وقلم وكتاب وغير ذلك . ووصف كل منها يستغرق فصلاً خاصاً وليس ذلك غرضنا هنا . ومنها الميادين او الساحات العمومية وهي نحو ستين ساحة اشهرها ساحة الاوبرا وساحة الريبوبليك ولاكونكورد والتروكاديرو والكوك وغيرها وسنتكلم عن المتاحف في الهلال القادم

صحة العائلة

عوارض التسنين وعلاجها

يولد الطفل وله عشرون سنًّا مغلفة بأكياس عظمية في قاعدة اللثة يكسوها النسيج الخلوي ثم الغشاء المخاطي وهي مرتكزة في أسناخ الفكين ثم تنمو السن نموًّا صاعدًا لأن حدورها محدود فلا تزال تنمو حتى تزرع النسيج الخلوي والمخاطي وتظهر في سطح اللثة وهي أسنان اللبن وتدعى الأسنان الزمنية أو المؤقتة لأنها لا تلبث أن تقع وتقوم مقامها الأسنان الدائمة وعدد الأسنان المؤقتة عشرون سنًّا تختلف من ظهورها كما يأتي:

١ قاطعتان في الفك السفلي يظهران في الشهر السادس الى ٩

٢ أربع قواطع في الفك العلوي يظهرن في الشهر ٩ الى ١٢

٣ قاطعتان في الفك السفلي تظهران في الشهر ١٢ الى ١٥

٤ أربعة أنياب في كل فك تظهر في الشهر ١٨ الى ٢٤

٥ أربعة أضراس في كل فك تظهر في الشهر ٢٤ الى ٣٠

وبعبارة أوضح ان الطفل اذا بلغ حولاً كاملاً يجب ان يكون له اثنتا عشرة سنًّا واذا بلغ حولين يجب ان يكون له ست عشرة سنًّا واذا بلغ حولين ونصف حول يجب ان تكون أسنانه عشرين سنًّا وهي عدد الأوجه الزمنية التي نحصر كلامنا فيه

مما لا ريب فيه ان زمن ظهور هذه الاسنان قابل للتغيير. فالاستاذ هولت عرف ثلاثة اطفال من صلب واحد ولدوا باسنان ظاهرة وذكر طفلاً من اصلاب متفرقة كان معدل ظهور اول سن فيها في الشهر الثالث والرابع. وقال ان نظام ظهور الاسنان أقرب الى الاعتدال من ازمان ظهورها على ان الاختلاف في هذا الزمن كثير الحصول واشده وضوحاً في الاطفال الذين أو المصابين بنقص في نمو دماغهم. والسن قد تشق اللثة وتظهر بدون عوارض موضعية. ولكن الغالب قبل ظهورها بمدة قصيرة ان يظهر على اللثة احمرار وتورم قد يمتد الى النسيج المخاطي في الفم كله ويصحبه زيادة افراز اللعاب

وانزعاج خفيف في الجسم وهذه العوارض تزول حالما تظهر السن على سطح اللثة

وقد يولد الطفل وله سن او سنان ظاهرتان كما تقدم وهذا نادر لا يعتد به . وقد تظهر اسنانه في الشهر الثالث او الرابع او لا تنبت له سن للشهر الثامن عشر . ويكون نموه في الحالات المار ذكرها حسناً . ومن المحتمل ان يكون سبب تأخير ظهور الاسنان في بعض الاطفال بعد بلوغهم السنة الاولى مرض الكساح . والطفل الذي ينمو على لبن امه تظهر اسنانه قبل الذي ينمو على الرضاعة

ومن الاعتقادات الشائعة من قديم الزمان ان معظم الامراض التي تعرض بالاطفال اسبابها الرئيسية التسنين ولذلك نرى الام تشاهد طفلها يموت امامها وهي مغلولة اليدين لا تبدي حركة تساعده بها على المرض الذي يهدد حياته ظناً منها انه بدور التسنين وليس به مرض يدعو الى القلق او الاشفاق . والاستاذ هولت صرح ان خمسة وتسعين بالمئة من الاطفال [illegible] مما يصيبون بمرض او اضعف في طور التسنين . اذ لا يبعد ان يكون [illegible] وحمية بدنية من مرضاه فقط تعذر عليه اسناد سبب مرضهم ووجوب [illegible] الى غير التسنين

والعوارض التي تسبق ظهور الاسنان في الطفل احمرار لثته وتورمها وزيادة افراز لعابه ونفوره من الثدي واضطراب عام واستمرار على البكاء وعدم اكتراثه بالاشياء التي تقدم له والالم يمنعه ان ينام نوماً هادئاً فيصير نومه قليلاً ومتقطعاً وحرارة جسده تزداد درجة ونصف درجة او اكثر . ويرافق هذه العوارض في بادئ الامر امساك وضعف . وكلها تزول غالباً في اليوم السادس او السابع اي عندما تظهر السن فيعود الطفل الى ما كان عليه سابقاً من الصحة . وكثيرون من الاطفال لا يشكون الماً ولا انزعاجاً في حال التسنين حتى ان الام تبغت من ظهور السن ولا تشعر به الا بعد ان يمضي على ظهوره ايام . والاسهال الذي يرافق هذه العوارض عادة ناتج عن تحمل معدة الطفل فوق طاقتها في مثل هذه الاحوال فيؤدي ذلك الى سوء الهضم فالقيء . فالاسهال

ولما كان الاطفال اكثر تعرضاً للامراض الوافدة وسواها في الزمن الذي يتطرق فيه ظهور الاسنان كان ذلك سبباً كبيراً لرسوخ ذلك الاعتقاد الفاسد في عقول الامهات والآباء منسبة كل انحراف يصيب الطفل الى التسنين فالى هذه الفئة نكتب هذه المقالة

اذا لحظت في طفلك العوارض التي تقدم ذكرها أو بعضها وهو في الشهر الرابع فما فوق فلا بأس عليك اذا قلت انه دخل في دور التسنين. ولكن يجب ان تنتظري زوالها في بضعة ايام على اثر ظهور الاسنان . واذا طالت كلها أو بعضها اياماً بعد ظهور الاسنان فاستشيري الطبيب . واذا استمرت العوارض خمسة ايام ولم يظهر في آخرها سنٌ استشيري الطبيب وهو يطلعك على اسباب مرض طفلك . وهو في الارجح غير التسنين فيتدبر بحكمته درء اضراره . واذا ثبت له بعد الكشف والمراقبة الدقيقة ان علة هذه الاعراض التسنين فقط لا يعدم وسيلة في اسعاف السن على الظهور

اما العلاج الذي التمس تنفيذه على يدك يقوم بالشروط الآتية :

١ عندما تلاحظين في طفلك نفوراً من الرضاعة فتشي عن الاسباب التي دعته الى ذلك . فاذا رأيت لثته حمراء قاتمة متورمة ويكثر من ادخال يده فمه فاعلمي انه دخل في دور التسنين فلا تحاولي جبره على الرضاعة

٢ انقصي اوقات رضاعته وكميتها الى نصف المعدل الذي كان عليه

٣ اغسلي ثديك مرة بعد اخرى بقطعة قطنية مبللة بالمحلول وتجففيها قليلاً قبل استعمالها

٤ اذا طرأ عليه غير النفور من الرضاعة كالقيء والاسهال وازدياد في افراز اللعاب استشيري الطبيب حالاً لان ذلك يدل على فساد دخل في نوع الغذاء أو في كميته أو في الاثنين معاً . ويحسد الطفل على شدة تعرضه واستعداده للامراض الوافدة يتغلب عليها ويقاوم الطوارئ الحادثة وبالحالة اذا نشأ على القواعد الصحية فلا التسنين يزعجه ولا الامراض تصادف محلاً يصلح لبث بذورها فيه فترتد عنه بالخيبة والله الواقي

مصر الدكتور شحاشيري

قائمة مكتبة الهلال

لسنة ١٩١٣

صدرت قائمة مكتبة الهلال لسنة ١٩١٣ وهي ترسل مجاناً لمن يطلبها

مصر اليوم

L'Egypte d'Aujourd'hui

الكونت قريصاتي

هو كتاب في مصر وزراعتها واحوالها الاقتصادية والسياسية ومصادرها المالية وزونها العقارية وديونها . الفه بالفرنساوية الكونت قريصاتي مدير البنك الفرنساوي المصري بباريس ضمنه درساً دقيقاً مبنياً على الاحصاءات والتقارير الرسمية . واوضحه بالخرائط والجداول بالمقابلة بين مصر وسائر الدول . بدأ بتحديد مصر الجغرافي والاقتصادي ووصف النيل ومنابعه والفيضان واسبابه وكيف تكوّن وادي النيل وطبيعة التربة المصرية وخصبها وتحليل مائها . وعقد فصلاً في الاقليم المصري من حيث هوائه وحرارته والفصول الاربعة وتأثير ذلك في الزراعة وبين الحاصلات المصرية بحسب الفصول ونسبة ذلك الى الري وطريقته . واوضح درسه بالجداول ذكر فيها الايام اللازمة لكل غلة حسب الفصول وخلاصة ذلك كما يأتي :

زراعة الشتاء	المدة اللازمة	غلة الفدان بالفرنك
القمح	١٨٠ يوماً	٩٠٠
الشعير	١٦٥ »	٨٨٠
الفول	١٣٥ »	٧٥٤
العدس	١٥٠ »	٨٥٥
برسيم (اربع مرات)	٢٩٥ »	١٦٥٠
زراعة الصيف		
قطن	٩ اشهر	١٨٠٠
قصب السكر	سنتان	٣٦٠٠
رز سبعيني	٧٠ يوماً	٦٩٨
» سلطاني	١٨٠ »	١٠٤٧
زراعات متوسطة		
ذرة تركية	١٢٠ يوماً	٥٩٣
» اخرى	١٠٠ »	٥٧٨

وافرد فصلاً للقطن المصري واصله وقال ان الاهتمام بزراعته لم يظهر الا من سنة ١٨٢٠ بعد ان ادخل محمد علي نوعاً منه نقله من الحبشة على يد الموسيو جومل الباني الفرنساوي وهو القطن المصري الذي عليه المعول في الزراعة المصرية ولم ينجح زرعه في غير مصر مثل نجاحه فيها . وقابل بين غلة القطن المصري وغلة الاميركي فوجد غلة الاول اكثر من ضعفي غلة الثاني . وان غلة القطن المصري البالغة اكثر من ستة ملايين قنطار يصدر اكثر من نصفها الى انكلترا والباقي الى سائر العالم

ثم تكلم عن الفلاح المصري وطبائعه وتصرفه من حيث غلاته وامواله والسبيل الى ترقيته وتربية مواهبه. فهو في نظره قوي صبور قنوع لكنه ساذج قصير النظر كثير التمسك بالخرافات فلو تثقف تضاعفت غلة ارضه . وبين كيف تضيع دراهمه وذكر السبيل الى اصلاحه. ثم انتقل الى البحث في ارض مصر بالنسبة الى عدد السكان فأتى على تاريخ ذلك وان سكان مصر على الاحصاء الاخير ١١,٢٨٧,٣٥٩ منهم ٩٢٥٩٤٨١ من اهل الريف واحصى اصحاب الاملاك بالنظر الى الفدادين المزروعة. فكانا هي على هذه الصورة:

	عددهم	مساحة املاكهم
اصحاب الاملاك من الوطنيين	١٣٤٩,١١٨	٤٧٦٤ ٥٥٠ فداناً
« « « الاجانب	٦ ٨٨٢	٦٨٢ ٥٠٩ فدادين
اطيان الدومين	١	١٥٥ ١٠٣ «
	١ ٣٥٦ ٠٠١	٥ ٦٠٢ ١٥٩

واثبت بالاحصاء والمقابلة ان القطر المصري من اكثر البلاد ازدحاماً . وقابل بينه وبين اشهر الممالك المتمدنة . فوجد معدل السكان في الكيلو متر الواحد في الولايات المتحدة ١١ نفساً وفي المجر ٧٤ وفي فرنسا نحو ٧٤ نفساً وفي النمسا ٩٥ وفي المانيا ١٢٠ وفي انكلترا ١٣٣ وفي بلجيكا ٢٢٧ نفساً . اما في مصر ففي الكيلو متر نحو ٣٣٦ نفساً . واحصى اصحاب الاطيان الوطنيين والاجانب وقابل بين عددهم سنة ١٨٩٦ وسنة ١٩٠٩ فوجد عددهم جميعاً كان سنة ١٨٩٦ نحو ٧٦٧ ٠٠٠ مالك يملكون نحو ٥ ٠٠٠ ٠٠٠ فدان فصاروا سنة ١٩٠٩ نحو ١٣٥٦ ٠٠٠ يملكون ٥ ٦٠٠ ٠٠٠ فدان اكثرهم من الوطنيين كما تقدم . ومن هؤلاء ١ ٠٢٧ ٤٢٥ نفساً من اصحاب الخمسة افدنة فما دونها

وبين في فصل آخر تاريخ الميزانية المصرية ونسبتها الى السكان وما يلحق الشخص

الواحد من الضرائب . فوجد ان الشخص كان يلحقه ١١١ غرشاً سنة ١٨٨٠ فصارت ٩٢ غرشاً سنة ١٩٠٩

ودرس الحالة القضائية وافاض في الحالة الاقتصادية ولا سيما التجارة الخارجية وبنى احكامه فيها على الاحصاءات المتتابعة من سنة ١٨٨٦ — ١٩١٠ وخلاصة ذلك ان الوارد كان سنة ١٨٨٦ نحو ٣٣١ ٨٤٨ ٧ جنيهاً فصار ٨٢٦ ٥٥٢ ٢٣ جنيهاً سنة ١٩١٠ والصادر كان ٥٧٣ ١٩٨ ١٠ فاصبح ٤٦١ ٩٤٤ ٢٨ جنيهاً وبلغ مجموع الوارد في تلك المدة ٩٨٤ ٤٦٤ ٣٥٠ والصادر ٨٤٠ ١٣٥ ٤١٦ جنيهاً

ثم بحث في اسباب الازمة المالية بمصر . وهو يرى ان اسبابها اخلاقية اكثر مما هي اقتصادية . وتعليله ان صعود اثمان القطن استلزم ارتفاع اسعار الارضين وتأيد ذلك بعد عقد الاتفاق الانكليزي الفرنساوي سنة ١٩٠٤ لاطمئنان اصحاب الاموال الى احوال مصر السياسية . فرأى الفلاح ثروته تتضاعف في بضعة ايام فتوهم الناس تلك الزيادة تشمل ارض البلاد ايضاً . لان قيمة تلك الارض في نظرهم تتوقف على ثروة الامة وزيادة عدد السكان وهما متوفران في ذلك الحين . فظنوا تلك الزيادة لا حدّ لها فتورطوا في المضاربة وانشاء الشركات وتساهلت المصارف بالتسليف فحدثت الازمة

وبحث ايضاً في انواع المزروعات حسب مساحة الارضين فكانت مزارع الذرة مساحتها ٧٤٥ ١٧٩٦ فداناً يليها مزارع القطن وهي ٠٥٥ ٥٩٧ ١ فداناً فالبرسيم ٧٩٣ ٥٣١ ١ فالقمح فالفول فالشعير فالرز فغيرها

وذكر تاريخ مزارع القطن وما تغلب عليها واسباب صعود اثمانها وهبوطها وافاض في وصف الاصلاحات اللازمة لدفع ما يقف في سبيل الزيادة . وفي جملتها الاصلاح الاخلاقي بترقية احوال الفلاح وتعليمه والاكثار من المدارس الزراعية العملية

ثم قدر ثروة مصر العقارية بالقياس على مقدار ما تدفعه من الضرائب فبلغت قيمة الاطيان الزراعية وحدها نحو ٠٠٠ ٠٠٠ ٥٨٨ جنيه وقيمة ارض البناء نحو ٠٠٠ ٠٠٠ ٧٧ جنيه وجملة ذلك نحو ٦٥٠ مليون جنيه

ونظر في الديون الرهنية بالنسبة الى قيمة الارض المرهونة . وفصل الكلام في ذلك بالجداول والاحصاءات فبلغ دين مصر نحو ٠٠٠ ٠٠٠ ٥٢ جنيه فقابل بينه وبين ديون سواها من الامم المتقدمة فكانت مصر ارفق حالاً من غيرها وهذا جدول يتضمن ديون اشهر الامم بالنسبة الى ثروتها العقارية والارقام تدل على نسبة الدين الى مئة من الثروة :

مصر	٩.٠٠	في المئة	رومانيا	٢٢.٠٠	في المئة
اسبانيا	١٠.٠٠	»	النمسا	٣٧.٠٠	»
فرنسا	١٠.٨٠	»	نروج	٣٧.٠٠	»
ايطاليا	١٦.٠٠	»	بروسيا	٣٩.٠٠	»
الولايات المتحدة	١٧.٠٠	»	روسيا	٤٠.٠٠	»
المجر	٢٠.٣٧	»	انكلترا	٥٠.٠٠	»

فيظهر من ذلك ان مصر اقل الامم المقدمة ديناً وانكلترا اكثرها ديناً . وقابل بين سكان هذه الممالك وحاصلاتها من الحنطة . وغير ذلك من الجداول المفيدة والابحاث التي تفتقر الى سعة المعرفة والصبر والهمة . فالكتاب فريد في بابه يحسن نقله الى اللغة العربية لتعميم نفعه

طبائع الجنادب

شغل أهل المدائن الكبيرة عن درس العوالم التي دونهم – عوالم الحشرات والحيوانات المنحطة — بمطالب عالمهم الخاص ولوازم مدنيتهم فاصبحوا لا يكترثون بتلك الحشرات ولا يعرفون عنها ما يستحق الذكر . ولو فكرنا في الهوام الصغيرة التي تحوم حولنا لرأينا فيها عادات وغرائز ودواعي وحوائج مثلنا

على ان بعض اهل النظر والبحث ادركوا فائدة درس الحشرات وطبائعها فوجهوا اليها التفاتهم . ونذكر في طليعتهم جان هنري فبر الفرنساوي الذي سماه داروين « الملاحظ الذي لا مثيل له » وقف هذا العالم حياته لهذا الدرس فانصرف اليه منذ العاشرة من عمره وهو اليوم في التسعين . قضى معظم حياته منزوياً في قريته بجنوب فرنسا

بعيداً عن معترك الحياة يقضي يومه في الحقول تارة وفي غرفته أخرى مدوناً ملاحظاته واختباراته . وكانت ثمرة اتعابه كتاباً في عشرة مجلدات ذكر فيه خلاصة ابحاثه واكتشافاته عن طبائع الحشرات والهوام — ان حياة كهذه تكرس لخدمة العلم لجديرة بالاعتبار والاجلال . وقد رأينا ان نلخص من كتب ذلك العلامة القطعة التالية وهي تختص بطبائع نوع من الجنادب يسميه العامة « حمار اليهود » او « فرس النبي » قال :

الجنادب

يسمي فلاحو فرنسا هذه الحشرة « المتضرع الى الله » وكان يسميها اليونان « النبي » وسمتها في علم الحيوان « الجندب المتدين » فقد اتفق العلم والنقل في وصفها بالتدين والخشوع والصمت . ولكن شتان بين هذا الوصف والحقيقة ، فان ذلك المخلوق الضعيف المتمسك في الظاهر بالدين هو مفترس كاسر لا يقتات الا من الحشرات الحية خلافاً لسائر بني جنسه فهو بينهم كالنمر بين الانعام . ولا شك ان شكله الخارجي يدعو الى العطف لاول وهلة فهو جميل المنظر حسن الشكل نحيف القد اخضر اللون

دقيق الاجنحة صغير ولكن لكن له سلاحاً قوياً هو قائمتاه الاماميتان وكل منهما مؤلفة من ثلاثة مفاصل تنقسم بها القائمة الى ثلاثة اقسام ينبت في القسمين الاولين شوك مختلف الطول في صف متناسق يجعل القائمتين كالمنشارين . فاذا قبض على حشرة ان تقع بينهما احدثت فيها جروحاً واصبحت عديمة الحراك فيفترسها الجندب كما يظهر في الشكلين ٢ و٣

والجندب وقت استراحته يطوي قائمتيه المذكورتين تحت جسمه (ش ٤) فاذا وقع نظره على حشرة بالقرب منه انقلب ذلك الحيوان الخشوع المتضرع الى وحش ضار فيثب من مكانه وثبة دونها وثبة الاسد ويبسط اجنحته ويمد قائمتيه (ش ٥) فتقع الحشرة المسكينة بين يديه ولا مرد لها . قال الكاتب : لكي اتمكن من درس طباع تلك الجنادب بالتدقيق ربيت [illegible] منها في غرفتي ووضعت منها زوجاً زوجاً وفرداً فرداً في شبه اجراس من نسيج السلك الرفيع [illegible] منه من [illegible] واحرص واخفي خميرة وقطع من [illegible] لا [illegible] [illegible] ولا [illegible] معاً

والاناث اكبر حجماً من الذكور واقوى [illegible] كانت تفترس كل ما يقع تحت يدها من [illegible] والفراش وغيرها مما كنت اضعه في تلك الاجراس [illegible] عندما يقع نظر الجندبة على جرادة مثلاً — وقد تكون الجرادة هذه اقوى منها [illegible] من مكانها وتقف وقفة مخيفة هي خاصة بتلك [illegible] تراها ممثلة في شكل (٥) كأن الجندبة فارس جرد سيفه يطلقه على عدو متقدم بين يديه . وقد شعرت اول مرة شهدت ذلك الانقلاب الغريب بدهشة ممزوجة بشيء من الخوف . فبعد ان تفتح الجندبة اجنحتها تخرج صوتاً كالفحيح كانه نفخة الافعى . وتنتصب على قوائمها [illegible] الخلفية وترفع مقدمها الاماميتين كانها شهرت سلاحاً على خصمها . فترى هذا الموقف رهبة وعاقبة من ذلك ان توقع الرعب في قلب الجرادة . وهذا ما يحصل فعلاً فان الجرادة تتولاها الدهشة امام ذلك المنظر العظيم فتجمد في مكانها من الخوف لا تعرف كيف تدافع عن نفسها وقد تكون اقوى جسماً واشد بطشاً من عدوتها . فمن الغريب ان الجرادة التي لا تتوقف حشرة في الوثب والطيران ترتعد فرائصها امام الجندبة وتلزم مكانها كانها تسلم نفسها غنيمة باردة حتى يلتهمها الجندب ؟

لا تستغرب ايها القارئ فروسية هذه الحشرة فاليك ما هو اعظم من ذلك وضعت بضع اناث في وعاء واحد ولم تمض برهة حتى رأيت اثنتين منها اخذتا تتعاركان لسبب لم افهمه وانتهت المعركة بان القوية أكلت الضعيفة بشراهة وتلذذ على ما بدا لي . وكان معها في ذلك الوعاء حشرات غريبة كانت اولى بالافتراس من بني جنسها . وكثيراً ما ينتهي هذا العراك بانسحاب احد الفريقين مطأطئ الرأس معترفاً بانكساره

واذا وضع ذكر وانثى معاً يبدأ الذكر بمغازلة رفيقته وابداء هيامه وهي لا تتحرك كأنها لا تعبأ به . لكنه بعد برهة يقبل عليها وقد ابدت له علامات الرضى ويبقيان كأنهما جسم واحد مدة ست ساعات بتصابيهما بلا حراك . وبعد ان يفترقا مدة لا تتجاوز اربع وعشرين ساعة يلتقيان ثانية لكن الانثى هذه المرة لا تستقبل الذكر كزوج هائم بل كضحية لذيذة الطعم تأكلها وتنوم عليها . وقد خطر لي ان اراقب ما يحصل لذكر ثانٍ اذا وضعته مع الانثى نفسها (بعد رملها) فكانت شحة عينها فانها الحقت هذا بذاك بعد ان [illegible] من معاشرته مرة [illegible] . وحصل مثل ذلك لثالث ورابع وخامس [illegible] في اسبوعين [illegible] يا له من غرام قتال !

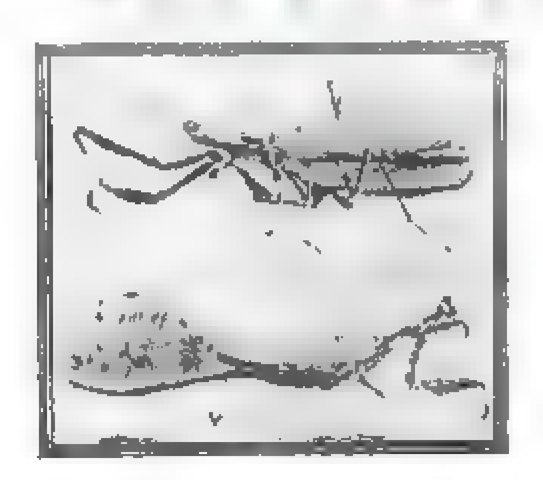

بقي ما هو اغرب من كل ما ذكر فوجدت يوماً يتطر ذكر يلقح انثى وهو بلا رأس وبعد التحري وجدت الانثى واضعة رأسها تنهش جسم حبيبها الولهان ولا يزال به رمق من الحياة يقضيه في اشباع غرامه (ش ٦) نعم رأيت هذا بعيني ولا ازال دهشاً مما رأيته حتى اليوم . ولله درُّ من قال « ان الحب اقوى من الموت » اهـ   ا . ز .

سعيد الشرتوني

صاحب معجم اقرب الموارد

ولد سنة ١٨٤٨ وتوفي سنة ١٩١٢

فجع عالم الادب في اوغسطس الماضي بوفاة المرحوم الشيخ سعيد الشرتوني صاحب آخر معجم من معاجم لغة العرب . والمعاجم لايتصدى لتأليفها الا اصحاب الهمم العالية والعلم الواسع . ومع كثرة اشتغال العرب بلغتهم وادبها من صدر الاسلام الى الآن لم يزد عدد ما بين ايدينا من المعاجم الكبرى على بضعة معاجم اقرب الموارد من جملتها فلا غرو اذا افردنا فصلاً لترجمة المؤلف ووصف معجمه

ولد رحمه الله في شرتون بالشوف من اعمال لبنان سنة ١٨٤٨ من عائلة كسروانية الاصل ونشأ مثل سائر اهل القرى ولم يتعلم لقلة المدارس في ذلك العهد . ولو لم يصبه حادث غريب بعثه على الفرار الى عبيه مقر المرسلين الاميركيين يومئذٍ لقضى حياته مثل سائر اترابه ولم ينبغ ولا كان له ذكر في عالم الادب . ولكنه بفضل تلك المحنة

الدينية ترشح للاشتغال بالعلم . والحادث المشار اليه انه رأى وهو في الثالثة عشرة من عمره فتاة من اهله تتسلق شجرة تين في بستانهم فرشقها بحجر فخافت فسقطت فماتت فخاف العقاب وطلب النجاة فاستقرت قدماه في مدرسة عبيه وقد اخذهُ التعب والجوع والخوف فآواه اصحابها الاميركان وعلموه سنتين . ثم انتقل الى مدرسة سوق الغرب الانكليزية اتم دروسه فيها . ووجه عنايته خصوصاً الى اللغة العربية فانصرف الى درسها فخرج من تلك المدرسة وبيده مهنة يمكنه الارتزاق بها فطلب للتعليم في مدرسة عين تراز للروم الكاثوليك فقضى فيها بضع سنوات فقضى مثلها في دمشق الشام وهو يزداد معرفة وشهرة فاستقدمه الآباء اليسوعيون الى بيروت للتعليم في مدرستهم وعلم ايضاً في مدارس اخرى . ورأى اليسوعيون ميله الى اللغة العربية فعهدوا اليه بتصحيح مطبوعاتهم فقضى في ذلك نيفاً وعشرين سنة وهو ينقب ويراجع ويحقق فجرّهُ ذلك الى مزاولة كتب اللغة العربية وكان ذا حافظة وعي غريب ومال الى تأليف معجم فيها اقترحه عليه الآباء اليسوعيون

وكان المرحوم بطرس البستاني قد اصدر قاموسه محيط المحيط وتداولته الايدي لسهولة البحث فيه فنسج معجمه على منواله ونقله في كثير من مواده . لكنه احسن ترتيبه وتبويبه فوضع كل مادة او ما يشتق منها في صدر السطر بين نجمتين لسهولة التفتيش . وحذف منه الفاظ المولدات وما يلحقها عملاً بإشارة اصحاب الاقتراح في تأليفه وقد ذكر المعاجم التي عول عليها في تأليف معجمه الا محيط المحيط كأنه اعتبره ناقلاً عن سواه من امهات المعاجم ولكنه لم يصلح ما فيه من الاغلاط المنقولة عن الامهات أو فاتت مؤلف محيط المحيط

صدر اقرب الموارد في مجلدين كبيرين سنة ١٨٨٩ ثم تبين للمؤلف رحمه الله ان معجمه لا يكون وافياً ما لم يلحقه بذيل يتم به عمله فالحقه بذيل طويل في نحو ٤٥٠ صفحة . ضمّنهُ ما كان قد اهمله من الكلم الواردة في كتب العرب وما لم يدونه اسماء من الالفاظ واصلح ما وقع في كتابه من الخطأ اللغوي وغيره وكأنه تعجل في وضع هذا الذيل ايضاً فالحقه بتنبيه واصلاح وتكملة في نحو ١٥٠ صفحة كبيرة . فيظهر من ذلك ان المؤلف لما عمد الى وضع اقرب الموارد لم يكن غرضه تأليف معجم مطول لكنهُ

سبق الى ذلك ببواعث اخرى على انه بذل جهداً كثيراً في تأليفه وله فضل في كثير من مواده . واذا اعيد طبعه وادخلت الاصلاحات في اماكنها واغفلت المواد المهملة التي قضت سنة الاجتماع بموتها وادخلت المصطلحات الجديدة التي تولدت في هذه المدنية مع تصوير ما يعرض من اسماء النبت والحيوان لتمييزها — كان هذا التأليف النفيس اقرب الى حاجة الناشئة من طلاب اللغة

وللمترجم مؤلفات اخرى مدرسية في الادب والانشاء والنحو واللغة مثل كتاب المبين للتمييز والمعلم في الانشاء ونجعة اليراع في الالفاظ المترادفة وحدائق المنثور والمنظوم ومطالع الاضواء في مناهج الكتاب والشعراء في المعاني والبيان وكتاب في انتقاد غنية الطالب لاحمد فارس الشدياق ومقالات علمية ولغوية واجتماعية في الجرائد والمجلات وكلها مفيدة لكن اهمه سيجي بمعجمه

وكان رحمه الله ذكي الفؤاد قوي الذاكرة صبوراً على العمل . وكان اشتغاله قاصراً على اللغة العربية وعلومها وله المام باللغة الانكليزية لكنه لم يتوسع في مطالعة آداب الافرنج ولذلك كان محافظاً في انشائه على اسلوب العرب المسجع مع مراعاة السهولة . على ان اسلوبه يختلف باختلاف المواقف وكثيراً ما يميل الى البسط وقد يتوخى التعبيرات الغريبة والالفاظ المهجورة في مواقف يرى الحاجة في التعويض فيها اولى

صخرة التنديل

كتب الينا يوسف افندي كريم من سان جوان بارجنتين ان صخرة هائلة تعرف بصخرة التنديل يبلغ وزنها الوفاً من الطنات مرتكزة على نقطة صغيرة على قمة جبل عال تحرك حركة خفيفة وكانوا يحققون ذلك بزجاجات يضعونها في الفراغ بجوار نقطة الارتكاز فلا تلبث ان تتحطم . وكثيراً ما كان الناس يتسلون بهذه التجربة . والصخر مع ذلك ثابت في مركزه . ذكروا ان بعض الحكام في اواسط القرن الماضي اراد ان يزيحه من مكانه فاحاطه بامراس غليظة شدها الى عشرات من الثيران

الهلال

الجزء الرابع من السنة الحادية والعشرين

اول يناير (ك ٢) سنة ١٩١٣ و٢٣ محرم سنة ١٣٣١

المؤتمرات الدولية

والمملكة العثمانية

او كيف خرجت الممالك البلقانية من سيادة الدولة العلية

ذكرنا في الهلال الماضي فتوح الدولة العثمانية في شبه جزيرة البلقان في القرنين الرابع عشر والخامس عشر. ونظراً لقرب انعقاد المؤتمر الدولي في لندن الآن لابحث في حل المملكة العثمانية بعد حربها مع دول البلقان رأينا ان نأتي على اهم ما تقدمه من المؤتمرات الدولية التي عقدت لمثل هذا الغرض وما ترتب عليها من المعاهدات التي قضت بتقلص ظل الدولة العثمانية عن البلقان وغيرها من القرن السابع عشر حتى الآن

خروج المجر والقرم

بلغت الدولة العثمانية قمة مجدها واوسع سلطانها في زمن السلطان سليمان القانوني باواسط القرن السادس عشر . وكانت مملكة بعيدة الاطراف يحدها من الشمال ممالك النمسا وبولونيا وروسيا . ومن الجنوب بحر العرب والحبشة والسودان . ومن الشرق اذربيجان ولورستان . ومن الغرب البحر الادرياتيكي والبحر المتوسط والصحراء الكبرى . وكانت اعلامها تخفق في اسيا واوربا وافريقيا على الاناطول وارمينيا

وجورجيا وما بين النهرين والعراق وسوريا وجزيرة العرب ووادي النيل وبرقة وطرابلس الغرب وشبه جزيرة البلقان . وتشتمل هذه الجزيرة يومئذ على بلاد المجر والفلاق والبغدان وبلغاريا والبوسنة والصرب والبانيا والروملي او مكدونية وبلاد اليونان . وكانت اعلامها تخفق ايضاً في شمالي البحر الاسود على بلاد القرم وما يجاورها وشركاسيا وقوقاسيا وما يليها . ويدخل في هذه المملكة من البحور البحر الاسود وبحر مرمرا وبحر ايجي والبحر المتوسط والبحر الاحمر وخليج فارس

في القرن السابع عشر أفاقت اوربا من سباتها . ورأت امتداد الدولة العثمانية في اوربا خطراً على ممالكها . ولاسيما جيرانها في النمسا وروسيا فجعلت كل منهما تسعى في مناوأتها وتقليص ظلها . فطمعت النمسا في المجر وطمعت روسيا في ما يجاورها من البلاد بينها وبين البحر الاسود . واستعانتا على اغراضهما بالتحريض والدسائس والتضامن مع الدول الاخرى . فظفرت النمسا بمرادها بمعاهدة دولية عقدت في كارلوفتس سنة ١٦٩٩ بين الدولة العلية وعدة دول متحدة عليها يومئذ وهي النمسا وروسيا وبولندا والبندقية . وبمقتضى هذه المعاهدة خرجت المجر من سيادة الدولة العلية وصارت تابعة للنمسا . واما الروس فظفروا بمرادهم سنة ١٧٧٤ بمعاهدة أبرمت بين الروس والعثمانيين في قينارجة تنازلت فيها الدولة العلية عن بلاد القرم للروسيين . ثم حاربوها بالاتحاد مع النمسا حرباً خسر فيها العثمانيون ٢٠٠٠٠٠ نفس واحتاز الروسيون على ما بقي من شواطئ البحر الاسود الشمالية بمعاهدة الاستانة التي عقدت سنة ١٧٨٤ وغيرها

فلما ذاقت هاتان الدولتان لذة الفوز على العثمانيين وكانت مطامعهما لا تُحد زادت مطامعهما فيها ووافقهما سائر دول اوربا على اخراج العثمانيين من اوربا بالكلية . واخذوا يتحدثون بالمسألة الشرقية لكنهم تركوا تلك المهمة للروس والنمساويين فتحالفتا واخذتا في تحريض الصرب وغيرها على النهوض . فنهضوا وكانت الحرب سجالاً والنزاع متواصلاً عدة سنين انتهت بمعاهدة بلغراد سنة ١٧٣٩ ثم معاهدة زشتوي سنة ١٧٩١ فبخارست سنة ١٨١٢ نال بها الفلاق والبغدان والصرب بعض الامتيازات . ودخلت بسارابيا في حوزة الروس مع اماكن أخرى عند مصب الدانوب

اسباب النهضة

وكانت هذه المعاهدات تمهيداً لسلخ تلك البلاد وغيرها من ممالك البلقان عن الدولة العثمانية فلما جاء القرن التاسع عشر بعد ان تخلصت اوربا في اوائله من بونابرت وحروبه . فوجهت عنايتها الى المسألة الشرقية ولاسيما بعد ان رأت ضعف الدولة

العثمانية وفساد امورها لاضطراب داخليتها واختلال جنديتها . وقد ذهب ما كان لها من الهيبة في زمن السلاطين الماضين . فاصبحت تلك الدول تستحث امارات البلقان على الثورة بحجة ما ينالها من الظلم . وهي الى أوائل القرن التاسع عشر لا تزال خاضعة للعثمانيين وقد تمكن التباغض بينها وبينهم بسبب التباعد الجنسي والاختلاف الديني . وكان الاتراك قد اخضعوا امم البلقان وملكوا رقابهم بالقوة والبطش لكنهم لم يملكوا قلوبهم . فما زال هؤلاء مدة خضوعهم يعدون سلطان العثمانيين عليهم موقتاً ، ويتوقعون حلول يوم عاجلاً او آجلاً والدول الاوروبية تساعدهم على تحقيق هذه الامنية بطرق مختلفة . كان التنافر الجنسي وحده كافياً للتباغض بين العثمانيين الاتراك وبين رعاياهم الرومان والصرب والبلغار واليونان ولكل منهم لسان لا يفهمه التركي ولا هم يفهمون لسانه . فكيف اذا ضمت اليه التباعد الديني . ساد الاتراك هناك بضعة قرون ولم يمتزجوا بتلك الامم لغة ولا دماً وظلت هذه الامم محافظة على لغاتها واديانها والدول النصرانية تشد ازرهم وتسعى في [illegible] فلا غرابة في خروجهم بل الغرابة ان تستطيع الدولة العثمانية حفظ تلك السلطة عليها ثلاثة قرون متوالية و[illegible] حروب فيها متواصلة

قد عمدت [illegible] الى [illegible] الشرقية وتحريض الامم البلقانية على العثمانيين روسيا [illegible] وقد [illegible] في [illegible] القرن التاسع عشر على تسميتها لاشتراك الروس مع تلك الامم في الجنس والدين وحكاك [illegible] لها بالجوار وحاجتها الى شاطىء تتصل منه الى الشرق . ثم انتبهت سائر دول اوربا في اوائل القرن التاسع عشر الى موقع المملكة العثمانية بالنظر الى المواصلات بين اوربا وآسيا . والدول يومئذ قد نهضت للتوسع في التجارة او الاستعمار . واكثرهن سعياً في هذا السبيل انكلترا بسبب املاكها في الهند وفرنسا تأييداً لحقوقها على مسيحيي الشرق . فاصبحت الدولة العثمانية قذى في حلق اوربا واصبح هم الاوربيين التخلص منها وصار الغرض من المسألة الشرقية حل المملكة العثمانية واستقلال الممالك البلقانية . فلا غرابة اذا رأيناها تنصر كل ناهض عليها

استقلال اليونان ومعاهدة ادرنة

وكان اول الناهضين من تلك الامم في القرن التاسع عشر اليونان (من سنة ١٨٢٠ — ١٨٢٩) وهم أكثر الدول البلقانية نقمة على العثمانيين لانهم ذوو مجد سابق سلبهم اياه الاتراك . وما زالوا في اثناء خضوعهم لهم يتضجرون ويتململون حتى تثقفوا واستنارت عقولهم بالعلم في اوائل القرن المذكور . فتنبهت فيهم الحاسة الوطنية وتمنوا الاجتماع

والاتحاد وهم امة واحدة تجمعها لغة واحدة ودين واحد . فتكاتفوا والفوا جمعية سياسية سموها « ايبسيلانتي » تعاهدوا فيها ان يبذلوا ارواحهم في سبيل انقاذ وطنهم من الاتراك

نهضوا للثورة سنة ١٨٢٠ واستمروا الروس فلم ينصروهم ولا دخلوا في شؤونهم . فثبت اليونان في حرب العثمانيين سبع سنين وانكلترا تمدهم بالمال والمتطوعون يفدون عليهم من سائر الانحاء . وكانت حرباً شديدة تخللتها المذابح والحرائق . لكن اليونان انقسموا في ما بينهم فرجحت كفة الاتراك واستنصروا محمد علي باشا والي مصر فامدهم بعمارة وجند بقيادة ابنه ابراهيم . فغلب اليونان في ميسولونجي واسقط في ايديهم . وكادوا يمضون ضياعاً فقامت انكلترا وفرنسا وروسيا لنصرتهم فانفذت اساطيلها الى شواطئ المورة . ولم يكن غرضها الحرب وانما ارادت ارهاب المصريين واسطولهم . فلم يخف ابراهيم فحدثت واقعة بحرية انكسرت فيها العمارة المصرية في نافارين سنة ١٨٢٧ واحتل الفرنسويون المورة وعلنت الروس الحرب فنشبت الحرب على العثمانيين (من سنة ١٨٢٨-١٨٢٩) واكتسحوا بلادها من الشمال . فتحوا ادرنه ومن بعدها حتى وصلت طلائعهم الى الآستانة . فاضطر السلطان الى عقد معاهدة ادرنة القاضية باستقلال اليونان واخضاعها للباب العالي ولبلاد الصرب وطلب استقلالاً ادارياً تحت رعاية العثمانيين . فاكتفت . وسنذكر ذلك عودة على البلقان

ويلي معاهدة ادرنة مؤتمر لندن بشأن مصر سنة ١٨٤١ وقد ابرم معاهدة قضت بمنح مصر استقلالاً ادارياً مع توارث الملك في الاسرة المحمدية العلوية . وكان مؤتمر لندن مؤلفاً من سفراء انكلترا والنمسا وبروسيا وروسيا فقرروا قراراً بشأن توارث الحكومة المصرية في الاسرة المحمدية العلوية بعثوا به الى الباب العالي وعليه صدر الخط الهمايوني بامتيازات مصر المعلومة في ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ ولا محل للقول فيها لان غرضنا هنا الكلام عن امارات البلقان بنوع خاص

حرب القرم ومؤتمر باريس

ويلي ذلك مؤتمر باريس سنة ١٨٥٦ بعد حرب القرم وفيه ابرمت المعاهدة بين روسيا والدولة العثمانية . وسبب تلك الحرب ان انكلترا اخذت جانب العثمانيين وتعمدت احياء دولتهم فاتخذت نفوذها وصداقتها وسيلة لتحسين احوالهم فحملت رشيد باشا وزير السلطان عبد المجيد في اوائل حكمه على اصدار منشور بمعنى التسوية بين الرعايا العثمانيين . وتحسنت احوال الدولة فانتظمت الجندية وانشئ البنك العثماني على النسق

الاوربي . فانتعش العثمانيون وظهر على الدولة رونق الحياة فاستاءت روسيا لانها كانت تسعى في تنفيذ وصية بطرس الاكبر من الاجهاز على ذلك « الرجل المريض » وهي لا تتوقع به شفاء . وكانت قد بذلت جهدها في تحريض انكلترا على اقتسام تلك الغنيمة ولم تفز فعزمت على القيام بهذا العمل وحدها . فطلبت من السلطان سنة ١٨٥٣ حق حماية المسيحيين الارثوذكس في تركيا فلم يجبها . فجردت جندها وحلت على المملكة العثمانية فاحتلت رومانيا فغضبت انكلترا . وكان امبراطور فرنسا (نابوليون الثالث) يومئذ متغيراً على قيصر الروس لاسباب مذهبية تتعلق بالقبر المقدس بين اليونان واللاتين فوافق انكلترا على مناصبته . فاتحدت الدولتان على نصرة العثمانيين وجرت حرب القرم وحاصرت هذه الدول الثلاث حصون سبستبول سنة وفيها معظم قوة الروس البحرية وبعد عناء شديد فتحوها . ولكن الروسيين كانوا قد اخلوها وتمكنوا من الانسحاب واحراق الاسطول

وتوفي القيصر نقولا في اثناء الحرب وخلفه القيصر اسكندر الثاني وعقد مؤتمر باريس سنة ١٨٥٦ وبه سفراء تركيا وانكلترا وروسيا وفرنسا وسردينيا فابرم معاهدة تقضي بالمحافظة على سلامة المملكة العثمانية مع حياد البحر الاسود بحيث لا يكون لروسيا الحق بان يكون لها اسطول حربي فيه . واطلاق حرية الملاحة في الدانوب واستقلال رومانيا الاداري

مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨

هو اهم المؤتمرات بالنظر الى المملكة العثمانية لانه فصل في أمور طال زمن الجدال فيها وبحث في المسألة الشرقية مطولاً . وسبب عقده ان الروس عادوا الى مسألة المملكة العثمانية واقتسامها والانتقام منها فعادوا الى التشكي وانتهى ذلك باشهار الحرب سنة ١٨٧٧ وكانت الدول التي نصرت العثمانيين في حرب القرم قد اوعزت اليهم ان يجروا الاصلاح في المملكة واصدر السلطان عبد المجيد سنة ١٨٥٦ خط كلخانة المساوي بين المسيحيين والمسلمين . ولكن تلك المساواة لم يمكن اخراجها الى حيز العمل فضعفت حجة الانكليز والفرنساويين في الدفاع عن سلامة الدولة العثمانية . فلما غلبت فرنسا سنة ١٨٧٠ في حربها مع بروسيا اغتنمت روسيا الفرصة وطلبت اعادة النظر في معاهدة باريس وتنقيحها وان يؤذن لها بانشاء عمارة في البحر الاسود . وكان مسيحيو البلقان قد عادوا الى الشكوى من معاملة العثمانيين فشجعتهم روسيا وزعمت أنها ناصرة لهم في تنفيذ الاصلاحات المتفق عليها وشهرت الحرب على تركيا . وظلت انكلترا وفرنسا على الحياد . فتت العثمانيون

ثباتاً لم يكن يتوقعه منهم اعداؤهم . وانقسم جند الروس الى شطرين أحدهما شرقي زل على ارمينيا والآخر غربي هبط على بلغاريا . وكلا الجندين لقي عذاباً شديداً من المقاومة . فانتهى الاول الى ارضروم ووقف الثاني عند بلافنا وفيها عثمان باشا الغازي . فدافع عنها دفاعاً طارد ذكره في الآفاق . ولكن العدو سطا اخيراً فتقدم الجند الروسي حتى هدد الاستانة . لكنه وقف هناك لان الدول تصدت له وحالت دون دخوله الاستانة . وعقدت معاهدة في سان استفانو في مارس سنة ١٨٧٨ بين الروس والعثمانيين لم تقبل الدول بها واشار بسمارك بعقد مؤتمر دولي . فعقد في برلين في تلك السنة تحت رئاسته وقرر معاهدة برلين المشهورة . وهي تقضي باستقلال رومانيا وسربيا والجبل الاسود استقلالاً تاماً وان تكون بلغاريا ولاية ممتازة تحت رعاية الدولة العثمانية . ولم يبق للباب العالي من ولايات البلقان الا الروملي ومكدونيا والبانيا . وقضت المعاهدة ايضاً ان تحتل النمسا البوسنة والهرسك وان تضاف تساليا الى اليونان . وكانت انكلترا تعهدت لتركيا في هذا المؤتمر [illegible] جزيرة قبرص

خلاصة معاهدة برلين

وتتألف معاهدة برلين من ٦٤ مادة الاثنتا عشرة الاولى منها تختص بامارة البلغار والشروط التي تم الاتفاق عليها في شأنها وبيان حدودها بالتدقيق . والمادة ١٣ الى ٢٢ بشأن ولاية الروملي الشرقي وحدودها وشروطها . والمادتان ٢٣ و ٢٤ تشتملان على تعهد الباب العالي باجراء النظامات في جزيرة كريت وانه اذا وقع اختلاف بينه وبين اليونان تتوسط الدول في حسمه . والمادة ٢٥ عهد بها الى النمسا ان تتولى ادارة البوسنة والهرسك وان تبقى بني بازار للدولة . والمادة ٢٦ الى ٣٣ تبين اعتراف الباب العالي باستقلال الجبل الاسود على شروط مدونة هناك مع وصف حدوده الجغرافية وما ينضم اليه من البلاد وشروط التجنيد والديون

وفي المادة ٣٤ الى ٤٢ الاعتراف باستقلال امارة السرب وحدودها وما يشترط عليها من حيث سكانها وعدم التمييز بين الجنسيات والاعتقادات . وهذا الشرط تكرر عند الكلام عن استقلال كل ولاية . وكذلك من حيث المشروعات التي كانت الدولة آخذة بها قبل الحرب كالسكك الحديدية ونحوها

المادة ٤٣ الى ٥٧ تختص باستقلال رومانيا وبيان حدودها واشتراط عدم التمييز بين الرعايا في الدين او الجنس وغير ذلك . ومن حيث وضع الضرائب وان لها الحق بعقد اتفاقات مع الدول الاخرى لتسوية مسألة الامتيازات ونحوها . ومن حيث

المشروعات التي شرع بها قبل الحرب وعن نهر الطونة والسفر فيه وشروطه

المادتان ٥٨ و ٥٩ تتضمنان تسليم الباب العالي لروسيا بلاد اردهان والقارص وباطوم ومرساها في آسيا الصغرى وجميع البلاد بين التخوم الروسية والعثمانية القديمة

المادة ٦٠ تتعهد روسيا فيها بارجاع اودية شكراد ومدينة بايزيد الى تركيا وارجاع قطور الى مملكة ايران . المادة ٦١ تتعهد فيها الباب العالي باجراء الاصلاحات في ارمينيا

المادة ٦٢ الى ٦٤ تتعهد فيها باطلاق حرية الاديان وعدم التمييز بينها في المعاملات الادارية او القضائية وغير ذلك . ثم الامضاءات . وقد نشرنا صورة مؤتمر برلين في صدر هذا الهلال . وهذه اسماء النواب الذين تألف المؤتمر منهم :

نواب الدول في مؤتمر برلين

عن تركيا : تيودوري باشا ناظر الاشغال ومحمد علي باشا سرعسكر وسعد الله بك سفيرها في المانيا

عن انكلترا : دزرائيلي رئيس الوزارة والماركيز سالسبوري ناظر الخارجية واللورد رسل سفيرها في المانيا

عن المانيا : بسمارك رئيس الوزارة ودوبولو مستشار الداخلية والبرنس هوهنلو سفيرها بباريس

عن النمسا : الكونت اندراسي الوزير الخاص والكونت كارولي سفيرها في المانيا والبارون دي هايمرلي سفيرها بايطاليا

عن فرنسا : هنري وادنطون وزير الخارجية والكونت دي سان فاليه سفيرها بالمانيا وفيلكس دسبرز ناظر الخارجية

عن ايطاليا : الكونت كورتي وزير الخارجية ودولوني سفيرها بالمانيا

عن روسيا : البرنس غورتشاكوف وزير الخارجية والكونت دوشوفالوف سفيرها في انكلترا ودوبريل سفيرها بالمانيا

نقد معاهدة برلين

وهذه المعاهدة مع طولها وتفصيلها لم تكن كافية لاستتباب الامن في البلقان لان الدول التي استفادت من هذا المؤتمر زادت طمعاً وشراهة . فالنمسا اصبحت باحتلال البوسنة والهرسك ذات شأن في جزيرة البلقان واصبح همها مناظرة روسيا على نفوذها في بلغاريا والصرب وطمعت ايضاً في سلانيك . وايطاليا استفادت من استقلال جارها الجبل الاسود فطمعت بالبانيا واصبحت تنظر الى البحر الاحمر . اما المانيا فخافت

أنكلترا وفرنسا في الانتفاع من تركيا . واصبحت من سنة ١٨٩٠ صاحبة النفوذ الاكبر في الاستانة . واصبح امبراطورها صديق السلطان عبد الحميد وناصره . وصارت مصالح الالمانيين تقدم على سواها . واشهر مشروعاتهم التي نالوها بفضل تلك الصداقة سكة حديد بغداد

واما الممالك البلقانية الحديثة فقد احدثتها هزة العصر واكثرها حديثة النعمة في الاستقلال فاحدث تطلب المزيد . كانت رومانيا تشمل الفلاق والبغدان مع نوع من الاستقلال الاداري وامراؤها مسيحيون . وفي سنة ١٨٦١ اتحدت الامارتان رغم الدولة العلية وسائر الدول وصارتا دولة واحدة يحكمها امير واحد . ثم استقلت استقلالاً تاماً سنة ١٨٧٨ . واعتبر ذلك في السرب ايضاً فان تاريخها عبارة عن سلسلة ثورات وحروب . وما زالت حتى نالت استقلالها النهائي سنة ١٨٧٨

اما البلغار فان معاهدة برلين جعلتها امارة مستقلة تحت رعاية الدولة تدفع لها جزية سنوية . في سنة ١٨٨٥ضمت الروملي الشرقي اليها ، وصارتا دولة واحدة حاربها السرب او حاربت [illegible] . وفي سنة ١٨٨٦حدثت ثورة [illegible] في البلغار طرد فيها اميرها وخلفه [illegible] الحالي وله مطمع في مكدونيه لان اهلها اكثرهم بلغاريون وهو [illegible] عن [illegible] جيرانه اليوم لهذا الغرض . واما اليونان فاستقلت سنة ١٨٢٩ وما [illegible] [illegible] الامم او البلاد ولا سيما تسالي وكريت وبعض مكدونيه [illegible] سنة ١٨٨١ ثم حاربت العثمانيين سنة ١٨٩٧ انتصاراً لكريت فغلبوها لكن الدول تداخلت والزمت الدولة العثمانية ان تعترف باستقلال كريت الاداري

ولما اعلن الدستور سنة ١٩٠٨ تنبهت الامم العثمانية واغتنم الطامعون منهم اشتغال الدولة بشؤونها الداخلية . فاعلن البلغاريون استقلالهم التام وضمت النمسا البوسنة والهرسك اليها ضماً تاماً . فصار التوازن البلقاني اختلالاً جرّ الى الحرب الجارية الآن وقد اتحدت فيها بلغاريا والسرب واليونان والجبل الاسود لمحاربة الدولة العثمانية والنصر حتى الآن في جانب الجيش المتحد لانهم يكتسحون بلاداً اهلها شركاؤهم في اللغة والدين . فتقدم البلغاريون مصطفى باشا وقرق كليسه وحصروا ادرنه ووصلوا الى جتالجة . واحتل اليونان سلانيك وحاصروا يانينا . واحتل السرب نوفي بازار واسكوب ومناستير وغيرها . واحتل الجبليون برانة وتوزي وحاصروا اشقودرة . وقد تقررت هدنة للنظر في عقد الصلح واجتمع مندوبو الدولة العثمانية والدول البلقانية في لندن لهذه الغاية . وسيعقد بعد ذلك مؤتمر دولي لتسوية سائر المسائل العثمانية

فرنسا وانكلترا وسويسرا

عمرانها ونظام حكومتها وحضارتها ومتاحفها

وسائر احوالها الاقتصادية والاجتماعية

من رحلة لصاحب الهلال هذا العام (تابع ما قبله)

اولاً – فرنسا

٨ – متاحفها

المتاحف او مستودعات التحف . [illegible] من مستحدثات هذا التمدن احدثته الامم الراقية [illegible] معارف الناس وترقية نفوسهم . ولا نعني بهذا انها تتعدى القرن الماضي [illegible] كانوا [illegible] يحرزون التحف في قصورهم للتفاخر [illegible] التحف [illegible] وهيكل قدس ودلفي واثينا [illegible]

متاحف الفاطميين

وكان للعرب حظ وافر من هذه التحف [illegible] فيها على جمع التحف الفنية لكنهم اضافوا اليها كثيراً من الآثار التاريخية والصناعية . ففي متاحف الفاطميين بالقاهرة منذ نحو ثمانمائة سنة . وكانوا يسمونها الخزائن كخزانة الجوهر وخزائن الاسلحة والفرش والامتعة والبنود . وقد يظن لاول وهلة انها من قبيل مخازن اللوازم الحربية ونحوها . لكن [illegible] من المتاحف لانها كانت تشتمل على كثير من التحف التاريخية المنسوبة لاصحابها من الخلفاء او الامراء . كالكؤوس البلور التي عليها اسم هارون الرشيد . وبيت هارون الرشيد الخز الاسود الذي مات فيه بطوس . وحصير الذهب الذي يظن انه جلست عليه بوران بنت الحسن بن سهل للمأمون وزنه ١٨ رطلاً . ورقعة للشطرنج والنرد حجارها من الجوهر والذهب والفضة . وكان في خزائن الفرش مقطع من الحرير الازرق التستري العرقوبي

غريب الصنعة منسوج بالذهب وسائر الوان الحرير كان المعز لدين الله امر بعمله في سنة ٣٥٣ هـ وفيه صورة اقاليم الارض وجبالها وبحارها ومدنها وانهارها ومسالكها شبه الخريطة . وفيه صورة مكة والمدينة مبينة للناظر وعلى كل مدينة وجبل وبلد ونهر وبحر وطريق اسمه بالذهب أو الفضة أو الحرير وكتب في آخره « مما امر بعمله المعز لدين الله شوقاً الى حرم الله واشهاراً لمعالم رسول الله في سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة والنفقة عليه اثنان وعشرون الف دينار » . وبيت ارمني احمر منسوج بالذهب عمل للمتوكل على الله لا مثيل له ولا قيمة صار الى تاج الملوك . وصار اليه ايضاً بساط خسرواني دفع اليه فيه الف دينار فامتنع من بيعه

وكان في خزانة السلاح درع المعز لدين الله وسيف الحسين بن علي ودرقة حمزة بن عبد المطلب وسيف جعفر الصادق . وكان عندهم في خزائن اخرى مندبل القائم بامر الله العباسي وغير ذلك . وناهيك بالجواهر والحلي الثمينة مما لم يعهد له مثيل عند غيرهم . هذه كلها ذهبت بالفتن في اثناء تحوله العاصمة . ومن بقي ذهب بذهاب الدولة

على ان هذه التحف كانت مقفلة لا يدخلها غير اصحابها فلا نفع للناس منها وكذلك ما كان من هذا القبيل في الاجيال الوسطى في اوربا . وقدم من انشأ المتاحف دوره وفيها الآثار الصناعية والعلمية والتاريخية كوسيمو الاعظم في فلورنسا بالقرن السادس عشر للميلاد اي بعد ذهاب هذه النفائس بخمسة قرون ويليه متحف البابا ليون العاشر في الفاتيكان في ذلك القرن . والايطاليان اسبق دول اوربا الى هذه المنقبة مثل سبقهم الى انشاء المدارس الطبية وهي ايضاً مما اقتبسوه عن العرب . وقلدت بهم سائر امم اوربا . فاخذ الامراء والملوك يجمعون التحف والمصنوعات ونحوها في خزائن بلا ترتيب ولا غرض معين غير التفاخر بها . ولم تتحول الغاية من جمعها الى منفعة الجمهور الا في القرن الماضي . وفي باريس من هذه المتاحف عدد كبير سنأتي على وصف اهمها وبيان ما شاهدناه فيها مما يهم قراء الهلال

متاحف باريس

في باريس نحو اربعين متحفاً يمكن جمعها تحت عدة رؤوس حسب الغرض منها او ما تحويه من الآثار او التحف . منها متاحف عامة فيها كل انواع التحف من المصنوعات على اختلاف فنونها ومن الآثار التاريخية والفنون الجميلة وغيرها اهمها متحف اللوفر . ومنها متاحف فنية يراد بها تنشيط الفنون الجميلة كالرسم والحفر والتصوير مثل متحف لوكسمبرج . ومتاحف حربية لعرض الاسلحة ونحوها كالمتحف العسكري

في قصر الانفاليد وقد تقدم ذكره . ومتاحف علمية او هي معارض لعرض الجاميع الجيولوجية والتشريحية والحيوانية والنباتية ونحوها . ومتاحف دينية يراد بها الاحتفاظ بالآثار الدينية الكنائسية كمتحف جيمي . ومتاحف تاريخية وغيرها . غير المتاحف الخصوصية التي تقدمت الاشارة اليها بين الآثار مما ينسب الى اصحابه من المشاهير في منازلهم كمنزل هوغو واوغست كونت وغيرهما . ولنبدأ بوصف ما شاهدناه في اهم متاحف باريس

متحف اللوفر

تاريخه

هو اعظم متاحف باريس واهمها من حيث بنائه وما حواه من التحف . ولانشائه تاريخ يطول بنا ايراده وانما نقول بالاجمال ان اسمه مشتق من اسم غابة كانت هناك لصيد الذئاب تسمى لوبارا واسم الذئب في لسانهم « لوب » فسمي المكان « لوبرا » ثم لوفر . ويقال ان اصل ذلك البناء وضعه فيليب اوغست في اوائل القرن الثالث

جانب من ظاهر قصر اللوفر

عشر في حلقة سور باريس . ثم اتخذه شارل الخامس مستودعاً لذخائره وكتبه وجعله منزلاً لائقاً بالملوك . لكن ذلك البناء لم يبق منه شيء وانما بقي ما بناه فرنسوا الاول سنة ١٥٤٦ واتصل العمل بعده على عهد هنري الثاني (١٥٤٧ — ١٥٥٩) ومن خلفه . وفي جملتهم كاترين مديتشي ارملة هنري المذكور واولادها . وهنري الرابع وغيرهم . ولم يتم بناء هذا القصر الا في زمن نابوليون الاول فانه امر سنة ١٨٠٥ بترميمه كله واتم ذلك نابوليون الثالث . فاتسع القصر اتساعاً لا يضاهيه فيه قصر من قصور

العالم فان مساحته التي عليها البناء نحو ١٩٨٠٠٠ متر مربع اي ثلاثة اضعاف مساحة قصر الفاتيكان . وينقسم الى قسمين رئيسيين اللوفر القديم واللوفر الحديث ومنه جزء تشغله نظارة المالية . وفي ساحة القصر حدائق حشوا التماثيل في اركانها ــ فيبدأ الزائر يهتم بذخائر اللوفر قبل دخوله فضلاً عما يشاهده من فخامة البناء واتقان صنعه

اما الذخائر والتحف التي يتضمنها ذلك القصر فهي مفرقة في طبقاته حسب انواعها ومواضيعها . ففي الطبقة الارضية الآثار الرخامية ونحوها مما يثقل حمله . ومن جملتها الآثار الاسيوية والمصرية ومنحوتات الاجيال الوسطى واوائل النهضة الى هذا العصر . وفي الطبقة الاولى فوق الارضية معارض الصور الزيتية وسائر الفنون الجميلة من منحوتات ومسبوكات ومن سائر المصنوعات الثمينة قديمة وحديثة . وفي الطبقة الثانية معرض التصوير ايضاً ومعرض البحرية . وفي الاجنحة وغيرها معروضات اخرى

اما تاريخ اتخاذ قصر اللوفر متحفاً فيرجع الى القرن السادس عشر بعد نهضة التمدن الحديث [illegible] الملوك [illegible] وضع فيه [illegible] تحف و [illegible] ثمينة واكثرها من ايطاليا . ولكنه لم يجمع فيه ما يستحق الذكر الا في زمن نابوليون الاول وقد جمعه بالغنائم من [illegible] وغيرها [illegible] الى ذلك المتحف . وما زالت تجتمع التحف [illegible] يعد من اعظم متاحف العالم . وهو لسعته لو [illegible] ساعتين على الاقل فكيف بعرض ما فيه او وصفه ؟ ولذلك فانا سنقتصر على ما يهم القراء منه

المنحوتات

في متحف الرخاميات القديمة في الطبقة الارضية من البناء ٣٠٠٠ قطعة مفرقة في قاعات عديدة نذكر منها على الخصوص قاعة الآثار الافريقية وفيها آثار شمالي افريقيا مصر وقرطجنة وتونس والجزائر . وقاعة الآثار الرومانية واليونانية على اختلاف الاعصر والمواضيع من تماثيل الاشخاص والوقائع صناعتها تدهش المتأمل . منها تمثال شاب جالس وهو عار ينزع شوكة من اخمص قدمه ملامحه واضحة لدرجة غريبة . ومنحوتات تمثل عادات الرومان واليونان من جملتها رجل عاد من الصيد فنزع رداءه وعلقه على غصن شجرة وعلق صيده بجانبه واخذ يلاعب كلابه فاوثب من صيده يوهمها انه يدفعه اليها ثم يرجعه . وتمثال آخر رجل اخذ يلبس نعاله وهو يشدّ سيورها غير عادات الرقص والموسيقى وتماثيل لعظماء او الرموز الدينية او الميثولوجية بينها تمثال فينوس ميلو ويعدونه اتقن تماثيل اللوفر وقد تغزل به الشعراء والكتاب

منذ القديم . واعجبوا باتقان صنعه رغم نقص ذراعيه . وهو تمثال الزهرة جلبوه من ميلوس . وفي بعض القاعات تمثال نصفي لاسكندر المكدوني الكبير ورأس هوميروس وتمثال ابولون وديانا وباخوس ورمز عن النيل بديع الصنع

المنحوتات الشرقية

وقسم الآثار الاسيوية منها قاعة لاشور فيها الثوران الاشوريان الضخمان مما نصبه الاشوريون عند ابواب هياكلهم كما ينصب المصريون ابا الهول . والثور الاشوري رأسه رأس انسان رمز عن العقل وله قوائم الثور واجنحة النسر دلالة على القوة . وهناك كثير من الجلاميد الاشورية عليها الكتابة المسمارية باللغة الاشورية

الثور الاشوري

ومن جملة تلك الآثار الخاص ببلاد السوس وفي جملتها مسلة حمورابي الشهيرة وعليها شريعته منقوشة بالحرف المسماري . وقد ذكرنا ترجمتها في السنة ١٣ من الهلال . وهي اقدم مدونات من الشرائع معروفة (نحو سنة ٢٢٥٠ ق م) ومسلة نرام سين ملك اكاد (سنة ٣٧٥٠ ق م) وعليها صورة ذلك الملك يطارد اعداءه . والملك ميشتوسو ومسلته (نحو ٤٠٠٠ سنة ق م) وغير ذلك

وفي قاعة الآثار الفينيقية عدة نواويس فينيقية من الرخام الاسود والابيض تشبه النواويس المصرية بينها ناووس اشمونصر ملك صيدا عليه كتابة فينيقية هي اطول ما وجدوه من الكتابة على النواويس . وقاعة للآثار [illegible] الفرنسية فيها شيء من

المصنوعات القديمة كالتماثيل والاعمدة والاقداح . وقاعة الآثار الاسرائيليــة استلفت النظر فيها على الخصوص مسلة ميشا ملك مواب في القرن التاسع قبل الميلاد وعليها كتابة موابية تصف حروب هذا الملك مع اليهود . وهي اقدم الآثار للكتابة الابجدية التي وقفوا عليها حتى الآن

وقاعة الآثار المصرية ويعدُّ ما فيها من الآثار المصرية من اهم ما في المتاحف الاوربية من نوعها . في مدخلها تمثال ابي الهول عظيم الحجم منحوت من الصوان عند مدخل القاعة . وهناك ضريح تاهو من صنع العائلة الخامسة والعشرين المصرية وهو اتقن ما صنع في ذلك العصر . وتمثال سيتي الثاني وسلك حوتب . ومثال (نسخة) منطقة الابراج المصرية التي وجدوها في دندرة . وتمثال رعمسيس الثاني . وقاعة خاصة بمكتشفات مريت باشا في السرابيوم بمصر وتمثال العجل ابيس

ومتحف القرون الوسطى وعهد النهضة الاخيرة فيه من التماثيل والمنحوتات المتقنة ما يدهش الناظر [illegible] آنج النحات الايطالي الشهير ومنها تمثال [illegible] ميشال آنج في اوائل القرن السادس عشر [illegible] يريد ان يمثل بهما الفضيلة مقيدة . وتمثال [illegible] سنة ١٣٨٠) وتمثال امرأته جاندي بوربون [illegible] للمنحوتات الحديثة يضيق المقام عن ذكرها فضلاً عن وصفها

معارض الصور

وفي الطبقة الاولى من اللوفر معارض الصور الزيتية وغيرها مما يستحيل الافاضة فيه . ولا يقدر الكاتب على وصف ما في صوره من دقة الصنع ما لم ينقل الصور نفسها وهي تزيد على ٣٠٠٠ صورة يختلف حجمها من بضعة امتار طولا الى اقل من متر. وكلها لمشاهير المصورين على اختلاف الاعصر والبلاد والامم . ويعدُّ هذا المعرض اغنى معرض من نوعه في متاحف العالم واهمها . وفيه طائفة من اتقن ما صوره الايطاليون والهولنديون والفرنساويون وغيرهم . ومجموعة مدهشة من الصور الزيتية على القماش . ولصور رفائيل مجموعة حسنة مرتبة حسب تدرجه في اتقان هذه الصناعة وفي جانبها صورة القديس جورجيوس يقتل التنين وصورة الملاك ميخائيل وغيرهما

ومن صور المصورين الاسبانيين شيء كثير نقلت من اشبيلية ومدريد فيها صورة الطفل مرغريت رسم فيلاسكس . وهناك صورٌ من احسن ما صنعه الاسبانيون

والهولنديون ولاسيما جان فانديك الشهير ورامبران وفرنساك ومن المعروضات الالمانية لهولبين وغيره . وللانكليز في هذا المعرض ٣٥ صورة بعضها لوبلس وكونستابل ورونتن وريبولد وغيرهم وغير ذلك مما يعجز القلم عن وصفه . ونعترف بعجزنا عن وصف ما ألم بنا من الدهشة عند وقوفنا امام هذه المصنوعات البديعة . ولم يدهشنا اتقانها اقل مما ادهشنا كثرتها . فان قاعة واحدة منها طولها ٣٧٥ متراً جدرانها مغطاة بالصور الزيتية المتلونة الاقدار والاشكال متراصة بعضها فوق بعض . وفي جملة هذه الصور صورة جوكوندة الشهيرة التي سرقت بالامس وشاع امرها

وبالاجمال فان تلك الصور بعضها يمثل المشاهير من الرجال او النساء . والبعض الآخر يمثل العادات كمجلس طرب بين اهل القرى في القرن السابع عشر . وولادة امير وفتاة عائدة من المدرسة . ومأتم دفن . وبيع اللحوم . او الحوادث التاريخية كموت سابيك . وموت [illegible] . وضرب موسى الصخرة بعصاه . والعذارى الثلاث . وصلب المسيح . وتمثال [illegible] . ومحكمة [illegible] . او مناظر الطبيعة كمناظر الثلج في الطبيعة . ومنها [illegible] على جواد وصورة [illegible] . او الميثولوجيا مثل هركيل و[illegible] . ومنها صور [illegible] تغطي جدار الغرفة كله . ومن [illegible] المصورين [illegible] وريشو ودروبسق ودلتبنورتو و[illegible] ورفائيل ودآنو وكوربت ومابر وغيرهم كثيرون

والرسوم التي تمثل العادات الشرقية في هذا المعرض قليلة منها صورة تمثل استقبال سفير بندقي في القاهرة بملابسه الرسمية في القرن السادس عشر . رسمه بليني طولها ثلاثة امتار بعرض

وهناك قاعات عديدة كل منها تختص بمصور شهير جمعت مصوراته معاً وتسمى القاعة باسمه مثل قاعة فانديك وقاعة روبنس وقاعة فرانس هال وغيرهم . وغير القاعات المنسوبة الى البلاد كقاعة الايطاليين وقاعة الهولانديين والفرنساويين . والمراد بها بيان ما تمتاز به كل امة من الفن بالتصوير لفائدة طلاب هذه الصناعة من التلاميذ او الهواة وللفن الفرنساوي عدة قاعات حسب الاعصر كل قرن على حدة الى القرن التاسع عشر

معارض المصوغات والجوهرات

وفي هذه الطبقة من اللوفر قاعة كبيرة يسمونها قاعة ابولون هي احسن قاعات المتحف من حيث بنائها وزخرفها . وقد وضعوا حول جدرانها احسن الاثاث من زمن

لويس الرابع عشر. واقاموا في وسطها مواقف او خزائن (فترينات) وضعوا فيها من الجوهرات والمصوغات أثمن ما في اوربا . منها ابريق من اليشب الاسمر صنع القرن السادس عشر . وابريق او مزهرية من اليشب الشرقي عليه ميناء في غاية الجمال. وابريق من اليشب . وفي فترينة اخرى مجموع مصوغات من عصر النهضة الايطالية وجواهر مصوغة في شكل قبة. وكؤوس من الحاشب عليها ميناء او بلا ميناء. ومصوغات من صنع فرنسا وايطاليا . وادوات كنائسية من العصر القوطي بينها كؤوس من البلور وأطباق من الذهب مزدانة بالميناء صنع البندقية . وعصة فيها ذراع شرلمان صنع المانيا في القرن الثاني عشر. وكأس القديس لويس عربي الشكل عليه نقوش دينية ويعرف بكأس عماد القديس لويس . وغير ذلك من الادوات المقدسة والكنائسية يطول بنا ذكرها نكتفي منها بالجوهرات الملوكية . واول ما استلفت نظرنا منها الماسة تسمى « ريجان »

كأس عماد القديس لويس

هي احسن الماسة معروفة وزنها ١٣٦ قيراطاً ابتاعها فيليب اورليان سنة ١٧١٧ وتقدر قيمتها اليوم بخمسة عشر مليون فرنك . وبجانبه ماسة تسمى مازارين لونها هورتنسي بينهما ياقوتة كبيرة اسمها « كوت دبريطاني » والى اليسار عقد من اللؤلؤ امامه سيف شارل العاشر مرصع بالجواهر الثمينة على غمده الحرف الاول من اسم نابوليون . وهناك مثال لتاج لويس الخامس عشر عليه أمثلة من مجوهراته . وبجانبه تاج نابوليون الاول صنع سنة ١٨٠٤ تقليداً لتاج شارلمان احجاره قديمة . وبينهما لوح تاريخي لذكرى صلح تيشن سنة ١٧٧٩ صنع المانيا . وامامه ساعة امير الجزائر اخذت منه سنة ١٨٣٠ وبردش إكليرن دي مديتشي من الالماس. وقس على ذلك عشرات من القطع الثمينة المصوغة

بالذهب او الفضة والمرصعة بانواع الحجارة الكريمة من قديم وحديث صنع فرنسا او اسبانيا او غيرهما من القرن الحادي عشر فما بعده وبها اوسمة ومداليونات مختلفة الاشكال

وبجانبها قاعة اسمها قاعة المصنوعات فيها المصنوعات القديمة قبل النهضة الاخيرة (انتيكا) وبها خوذة عالية من الحديد الموشى بالمياه من زمن الرومان . وعقد اتروسكي وقضبان وجدت في بوسكوريال قرب نابلي هي ٢٤ قطعة من الصناعة اليونانية الاسكندرية . بعضها لا يزال كأنه صنع بالامس وعدد كبير من الخواتم اليونانية والرومانية والاقراط الاتروسكية وقطع مصنوعة وجدوها في ازمير وغير ذلك . وفي قاعة اخرى صورة زيتية كبيرة تمثل بونابرت في زيارته المطعونين بيافا (سوريا)

وهناك قاعة خاصة بمصنوعات قديمة من البرونز وجدوها في انقاض اليونان وغيرها من الامم الاوروبية القديمة وقاعات كل منها خاصة بملك من ملوك فرنسا فيها رياشه وادواته . احداها للويس الرابع عشر واخرى للخامس عشر والسادس عشر . وكل منها تحوي ما يستغرق وصفه عدة صفحات . ومعرض مرسوم فيه ٥٠٠٠٠ رسم من اقدار مختلفة وضروب متنوعة . وآخر لمصنوعات الاخشاب وسطى وقاعة للتحف اهداها روتشيلد للوفر [illegible] قيمتها [illegible] مليون فرنك [illegible]

مصنوعات شرقية

وقاعة خاصة بالتحف [illegible] دمشق في القرن السادس عشر واخرى من القاهرة وعلبة عليها نقش باللغة العربية يقرأ [illegible] بطل الامام عبد الرحمن الناصر صاحب قرطبة نحو سنة ٩٦٧ م . ومصابيح للمساجد . وكأس عليه اسم ابو المظفر يوسف الايوبي سلطان حلب سنة ١٢٣٦ — ١٢٦٠ م

ومعرض التحف الاسيوية منها قاعة لسوس وبلاد الكلدان وبابل وفينيقية . اهم ما فيها مسلة فينيقية للاله اشمون واخرى آرامية تعرف بمسلة تيماء ببلاد العرب . وتماثيل كثيرة من زجاج فينيقي ومصنوعات فارسية قديمة وعقود من الذهب وقطع نقود وحلى في ضريح من البرونز من القرن الرابع قبل الميلاد . ونقود برثانية ومصنوعات سلوقية وتماثيل اشورية من عصر سرجون الاول بينها خريطة مجسمة لنومولس في بلاد السوس (سوزيانا) مثلت فيها الاودية والجبال . وقاعة اخرى للتحف المصرية القديمة وفيها قطع نباتية من زمن ارتكزرسيس . ومعارض لادوات الحدادة والتماثيل المصرية وللآلهة المصرية [illegible] الميثولوجيا المصرية . ومعارض الصناعة القديمة في ممالك التمدن القديم ولا سيما بلاد اليونان

وفي قصر اللوفر جناح خاص بمعروضات الشرق الاقصى مما وهبه الفضلاء لخدمة الجمهور وكل قاعة باسم مهديها بعضه للصين او اليابان او فارس ولاسيا السوس (سوزيانا) مما يطول بنا شرحه . وشاهدنا عند مدخل اللوفر قاعة فيها قطع من جدران فينيقية مصورة بالفسيفساء عثر عليها رينان سنة ١٨٦٣ في كنيسة القديس خريستوفورس قرب صور (سوريا) عليها رسوم حيوانات من ارانب وطيور واسود وبقر واسماك . منها قطعة على الارض طولها ١٢ متراً . ومثلها سبع قطع تختلف حجماً ورسماً . وضريح من رخام لكاهن قرطاجي وقطع عليها نقوش جاءت من قرطاجة وغيرها

وفي اللوفر من المصنوعات الجميلة المدهشة الابسطة او الستائر (غوبلين) المنسوجة بالصور تجلل الجدران من القرن الخامس عشر فما بعده وهي ثمينة وتمثل صوراً تاريخية

المكتبة الوطنية

المكتبة الاهلية عرضة ... مكان ... لا فائدة في وصفها واني اريد الاشارة اليها ... في معرض ... لاوسعة مجالسها . بناء المكتبة عظيم فخيم ... في وسعه يشغل نحو ١٦٥٠٠ متر مربع . وقفنا في تاريخ ... فقد ... يسمون مجمع الكتب الخطية

عرب على فرسانهم يستعملون ... عن مسودة مخطوطة في المكتبة الاهلية بباريس

وكان للويس التاسع المتوفى سنة ١٢٧٠ مكتبة خصوصية . وكملت شارل الخامس ولويس الثاني عشر . لكن هذه الاخيرة تعد مؤسساً للمكتبة التي نحن في صددها في اوائل القرن السادس عشر . واشتغل خلفاؤه في توسيعها وحشد الكتب وغيرها لكتب فيها حتى صارت الى ما هي عليه الآن . وهي اربعة اقسام كبرى . ١ المطبوعات والخرائط ٢ المسودات الخطية ٣ الرسوم ٤ الاوسمة والتحف القديمة . وفيها قاعة للمطالعة واسعة جداً . في قسم الرسوم نحو ٢٥٠٠٠٠٠ قطعة محفوظة في نحو

١٤٥٠٠ مجلد و ٤٠٠٠ خريطة . وفي قسم المسودات الخطية ١٠٢٠٠٠ كتاب

وعلى بعض المسودات العربية في هذه المكتبة صور مرسومة من القرون الوسطى منها صورة على مسودة قديمة تمثل فرسانا من العرب على افراسهم يستخدمون النار اليونانية

وفي المكتبة معرض للمخطوطات والمطبوعات النادرة بينها خطوط العلماء المشاهير وتواقيعهم ومنهم رابلي وفيلون وراسين وروسو

معرض الاوسمة

هو من حلة بناية المكتبة وله باب خاص من الخارج . سمي كذلك لما فيه من ضروب الاوسمة والنياشين يزيد عددها على ١٥٠٠٠٠ قطعة . ولكن فيه تحفا كثيرة هامة بعضها مصري منها منطقة العروس التي عثروا عليها في دندرة ويرجع تاريخها الى العصر الروماني . ومنها خزائن فيها تحف ثمينة تاريخية مثل ترس شيبيون وعليه من النقوش الميثولوجية

آثار عربية

واهم ما شاهدته هناك فيه من الآثار العربية ويود كل عربي الى رؤيتها اولاً . سيف ابي عبد الله محمد بن علي صاحب غرناطة آخر ملوك العرب في الاندلس الذي غنمه [illegible] في زمن فردينان الخامس عند [illegible] سنة ٨٩٧ هـ)

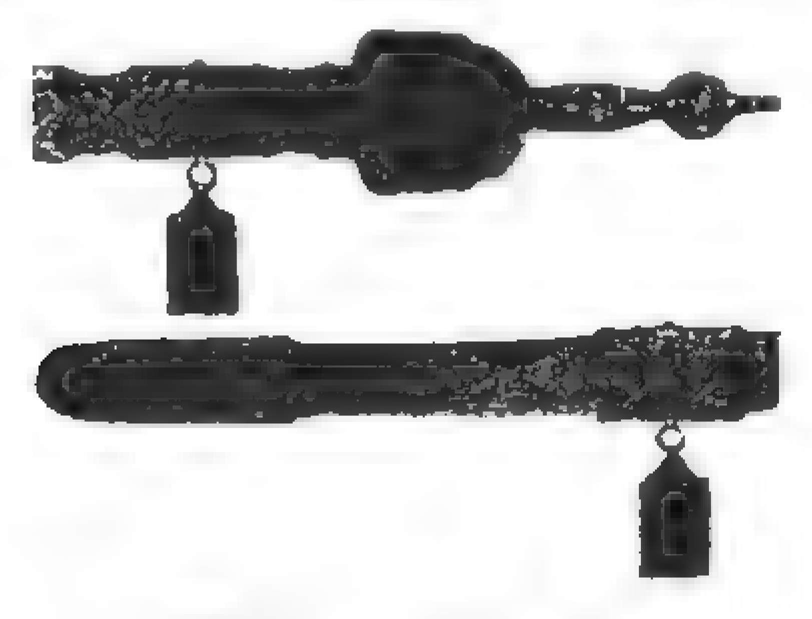

سيف ابي عبد الله محمد بن علي صاحب غرناطة

موضوع في خزانة مع تحف أخرى . فوقفنا عنده برهة وراجعنا تاريخ صاحبه وكيف انقضت دولة العرب من اوربا بانقضائه

ثانياً : هدية هرون الرشيد لشارلمان ملك فرنسا . من المشهور على اقلام الكتاب نقلاً عن كتبة الافرنج ان الرشيد اهدى شارلمان المذكور ساعة دقاقة هي اقدم ساعة في اوربا مع هدايا اخرى . ولم نجد ذكراً لهذه الهدية في كتب العرب القديمة وكنا نتوقع ان نعثر عليها في متاحف اوربا . وقد بحثنا بحثاً دقيقاً في المتاحف التي ترددنا اليها في الصيف الماضي بفرنسا وانكلترا وسويسرا فلم نقف لهذه الساعة على اثر ولا ندري اذا كانت موجودة في بعض المتاحف الاخرى

حجر من رقعة شطرنج اهداها الرشيد الى شارلمان

لكننا عثرنا في متحف الاوسمة الذي نحن في صدده على حجر شطرنج كبير الحجم يمثل فيلاً عليه راكب . وقد عرفوا انه من رقعة شطرنج اهداها هرون الرشيد الى شارلمان وقد رسمناها في الشكل لزيادة الايضاح

متحف لوكسمبرج

هو متحف فني في قصر لوكسمبرج والقصر من افخم قصور باريس . بنته ماري دي مديتشي ارملة هنري الرابع في اوائل القرن السابع عشر . واجهته الرئيسية طولها

قصر لوكسمبرج

٩٠ متراً . وقد رمم مرة وجدد سنة ١٨٠٤ بامر نابوليون الاول . وجعله مقراً لمجلس الشيوخ وجعله غيره لغيرهم لكن نابوليون الثالث اعاده لهم . واقام في هذا القصر كثيرون من الامراء والاميرات وخصص جانب منه لعرض التحف الفنية كما عرضت تحف اللوفر لكن بعض الزائرين يزور القصر لحضور جلسات المجلس باذن خاص . وفي قاعة الاجتماع ٣٠٠ كرسي للشيوخ و٨٠٠ للحضور

واهم ما يهمنا من هذا المتحف ما حواه من المصنوعات الفنية حفراً او نحتاً او تصويراً . وتقسم تحفه الى التماثيل والصور . وفيه طائفة حسنة من السجاد او الاستار المصورة بالنسيج مما يدهش الناظر . ومن العبث ان نحاول وصف ما هنالك لاسباب تقدم بيانها وانما نكتفي بالاشارة الى بعض ما يهم القراء معرفته وجوده

فمن المنحوتات ما يمثل بعض الحوادث التاريخية كتمثال هاجر واسماعيل صنع السحات ايزلين كما يتوقع ان يكون حالهما من وصف التوراة لهما . وقتل قايين لاخيه هابيل . وتماثيل عظماء اليونان والرومان وغيرهم . منها تمثال داود النبي عارياً وفي يده سيف . وقد استوقف خاطرنا تمثال امرأة عربية تطوق على المسيح . ومنها طائفة تمثل

الفضائل او الاخلاق او العواطف كالحرية والفرح والتقوى والحنو والحزن والتألم والخوف والسماحة والمكر والخبث . او تمثل بعض العادات منها فرس عربي وصاحبه بجانبه . وزنجي سوداني عليه عمامة وشملة . وجهه اسود اما الهيئة والشملة فمن الرخام المعرّق الاول يوهم الناظر انه قماش منسوج

وعلى كل تمثال اسم صانعه وفيهم نخبة من النحاتين المعاصرين منهم مولين ودبوا ومارسيه وكوديه وارلين وروودين ودلابلانش وادراك ولاكوريه وبوش وبناسو وهانو وغيرهم

اما الصور فانها تشمل عدة قاعات جدرانها مكسوة بالصور على اختلاف اقدارها مما يزيد طوله على ستة امتار الى اقل من نصف متر . ومن الصور الكبرى صورة في صدر القاعة الاولى تمثل قايين مهاجراً مع اهله وقد قوضوا خيامهم وساقوا امامهم بالواحها واشكالها . وصورة واقعة تاريخية في مراكش فاز فيها السلطان وساق الاعداء اليه امواتاً واحياء . وصورة [illegible] وصورة [illegible] من الموت . وغير ذلك ما يعد بالمئات وكل [illegible] مما لو وصفنا عدة مجلدات وكلها لاشهر المصورين من معظم الامم . و[illegible] في [illegible] وكورمون صاحب صورة قايين وهايل وجرفكس [illegible] صاحب صورة [illegible] ورولنس وكونستان صاحب صورة موقعة مراكش [illegible]

اما السجاجيد او الستائر المعروفة عندهم باسم غوبلين فانها عديدة اكثرها مبسوط على جدران قاعات المنحوتات يزيد عددها على بضع عشرة ستارة قد رسموا عليها بالنسيج صوراً تاريخية او مجالس سياسية . في جملتها صورة لويس الرابع عشر في مجلسه ونحو ذلك . وهي من صنع القرون المتأخرة

متحف كلني

هو في قصر اشبه بالاديرة منه بالقصور . بني في الاجيال الاولى النصرانية يرجع في اصل بنائه الى اواخر القرن الثالث للميلاد ولم يبق من هذا البناء الا غرف الحمام ثم صار في القرن الرابع عشر تابعاً لدير كلني فبنى الرهبان على انقاضه مسكناً لهم على الطرز القوطي . ثم بناؤه سنة ١٤٩٠ على يد الرئيس جاك دامبوار وقد حافظ على شكله . وسكنته ماري ملكة انكلترا ثالثة ازواج لويس الثاني عشر التي تسمى الملكة البيضاء وغيرها . ولما حدثت الثورة الفرنساوية اصبح ابناء ملك الامة . وفي سنة ١٨٣٣ جعله

لعالم الأثري اسكندر سومرار مستودعاً لتحفه واكثرها من مصنوعات الاجيال الوسطى واوائل النهضة ثم صار بعد موته للحكومة

والتحف المشار اليها من اجمل المصنوعات القديمة من كل نوع يزيد عددها على ١١٠٠٠ قطعة فيه كثير من الادوات الكنائسية و منسوجات الدقيقة بيها ضروب من التطريز والتخريم بعضه يشبه كثيراً ما يستحدثه اصحاب الازياء الحديثة في باريس . ولعل هؤلاء قبل ان يستنبطوا زيا جديداً من المنسوجات أو المطرزات يطلعون على ما في هذا المتحف وامثاله من الاروقة القديمة ويستخرجون من مجموعها زياً جديداً .

ومما شاهدناه من التحف ستارة (عوابلين) عليها صورة اصلها رفائيل

وفيه قاعة للقيشاني واشباهه تدهش للتأمل اكثرها فيها من فرنسا واسبانيا وايطاليا . وفيها خزائن مملوءة مصنوعات المدنية من الزجاج والاطباق عليها رسوم بديعة . وأينا على بعضها صورة شمشون ودليلة . وعلى طبق آخر رسم بولون واربس . وعلى غيره ولادة باخوس . وقبة في [illegible] من [illegible] عشر [illegible] . وغيره صنع رودس

تاج ركسيوفنس من ملوك الوسيقوط

وقاعة الادوات [illegible] فيها [illegible] والمسودات و[illegible] من المصنوعات [illegible] المصوغات نسبه [illegible] من [illegible] سنة ١٨٥٨ و١٨٦٠ قرب طليطلة باسبانيا اكبرها مرصع باللؤلؤ والزفير الشرقي وغيرها من الحجارة الكريمة مرتبة بشكل حروف افرنجية ترمز عن اسم ركسيوفنس من ملوك الوسيقوط (من سنة ٦٤٩ — ٦٧٢ م) . ورقعة شطرنج حجارتها من البلور المعدني صنع اسبانيا في القرن الخامس عشر . وهناك طائفة من انواع الاسطرلاب والبوصلة والساعات من القرن السادس عشر والسابع عشر

متحف غريفه

هو متحف خاص من نوعه . فيه تماثيل من الشمع لمشاهير الرجال المعاصرين وغيرهم بملابسهم

وازيائهم . وقد اتقن صنعها حتى يصعب على الزائر ان يميز بين التماثيل المنصوبة منها والوقوف من الزائرين . وفي جملة التماثيل المشار اليها طائفة من رجال فرنسا وغيرهم مثل روشفور وكوكلين وجول كلارسي وموريس بارس وكليانسو وغيرهم . بين وقوف على افراد او ازواج وجماعات كانهم يتحادثون او يلعبون . وقد مثلوا مواقف تاريخية مشهورة مثل عائلة لويس السادس عشر لما بلغها خبر الثورة وقد دخل الفوغاء عليهم . وروبسبير ودانتون وديمولين . وبيلي . ولافيت . ولويس السادس عشر في سجنه . ومحكمة الثورة الفرنساوية وفيها القضاة . ومدام رولان ساعة المحاكمة . لا ينقص احدهما غير النطق والحركة وميرابو في موقف الخطابة . والقبض على شارلوط كوردي . ونابوليون وجوزفين يسمعان الموسيقى . وهما في موقف آخر مع مادموزيل اوغيه . ولويس نابوليون ومرات مع جمهور من السيدات . ونابوليون ساعة موته في جزيرة القديسة هيلانه وغير ذلك . وكل جماعة في غرفة فيها الرياش والالبسة والادوات كما كانت في وقت الحادثة مما يدهش الناظرين

مأتم المسيحيين في القرون الاولى سرًّا تحت الارض

وفي الطبقة السفلى امكنة كالمحاجر والسراديب مثلوا بها احوال النصرانية في اوائل احوالها يوم كان المسيحيون يتكتمون بصلواتهم وطقوسهم وما كانوا يقاسونه من العذاب والاضطهاد . نقل منها صورة مأتم والقوم وقوف حول الميت يصلون عليه ويخافون الخروج منه . لا يغادر الزائر تلك الاماكن الا التهيب لما يظهر في ملامح

اولئك المسيحيين من التقوى والخشوع وصدق الاعتقاد

ورأينا في حلة التماثيل تمثال جان دارك على جوادها بسلاحها وبيدها العلم وقد وقف بجانبها حارسان من رجالها . ومجلس البابا بيوس العاشر في كنيسة سكستين وقد جلس على عرشه وبين يديه الكردينالية بين جالس وواقف وجاث . وبالجملة فان متحف غرفين هذا من متحفات الصناعة . وهناك متاحف اخرى في باريس يضيق المكان عن ذكرها نشير منها الى متحف جيمي وهو من المتاحف الدينية وفيه الآثار الدينية على اختلاف اشكالها باختلاف الامم القديمة والحديثة

مخاطبة طفل

من قصيدة لخليل افندي المطران هنأ بها احد اصدقائه بمولود جديد

اسمع شكاتي [illegible] … [illegible] فيهب الدمع مستقلا
كان [illegible] … من [illegible] العلى منزلا
وكان لا [illegible] … [illegible] فالعمر عن الاولى
وكان [illegible] كل ذي عزة … [illegible] فرد كسر الجحفلا

الى ان قال — انا رجي حياتكم كله … ان [illegible] المجد ولا يجملا
[illegible] دعا يومئذ واحد … فينا عديد الخير مستكملا

الى ان قال اي عجل يجني كن اذا حققوا … آمالنا [illegible] المفصلا
بالعلم والحزم اعتصد واعتقد … لنعدو الارشد والامثلا
انا [illegible] ليوم به … تكون ذاك السيد المؤملا
في ذلك المهد وقد صرت في … ارائك الامكن والارجلا
تذكر الطفل الذي كنته … وحش ذاك الخلق ان يبدلا
اذ كنت في مهدك لا تتقي … لو ان طوداً راسياً زلزلا
ولا تراعي طاعناً قادراً … ولا تحابي بطلاً مبطلا
ولا تثق بالقول حتى ترى … محققاً ما عز ان ينالا
وتجهل الامم بانواعه … كما ترى العقد ان تجهلا
عظائم الدنيا تحب الفتى … في اكثر الاخلاق مستطلا

الاخلاق

ماهيتها علمياً وتهذيبها عملياً

« ان الانسان اعظم ما في العالم
وأعظم ما في الانسان الاخلاق الراقية »

الشرق اجمالاً في حاجة الى الاصلاح والترميم في كل مظاهره الحيوية من صنائع وفنون وعلوم وآداب . ولكن الاصلاح الاعظم الذي يتوقف عليه كل اصلاح يتعلق بالنفوس لانها يطرأ عليها بالجوهر لا بالعرض . فان حاجتنا الكبرى التي ليس فوقها حاجة انما هي الى رجال صحيحي العقول والابدان الى فئة تميز الحق من الباطل ولا تخشى به لومة لائم . و بكلمة واحدة حاجتنا الى رجال يستحقون ان يسموا رجالا . فاذا حصلنا على هؤلاء [illegible] . فالزراعة والصناعة والتجارة والعلم [illegible] هي نتيجة لحالة الافراد . فكانت الامم في تقدمها وتأخرها حسب اخلاقهم وآدابهم .

اقوال العلماء في الاخلاق

يعتقد كثيرون من العلماء « ان غاية التربية القصوى انما هي تكوين خلق طيب » وقد ادرك المصلحون في كل زمان ومكان اهمية الاخلاق فقال احدهم « ان الانسان اعظم ما في العالم واعظم ما في الانسان الاخلاق الراقية » وقال آخر « الخلق الجيد كالماس يؤثر على اي حجر آخر » وقال بتشر الكاتب الاميركي « على المرء ان يفكر في ما عنده من الاخلاق قبل ان يفكر في ما لديه من المال لانه اذا استوفى الاول فقد نال الثاني واحوال المرء تابعة لمبادئه » وقال سميث « ان التاريخ برهان ثابت على ان قوة الامة تتوقف على اخلاق افرادها » وقد عبر شاعر الامير عن هذا الفكر بقوله

« وانما الامم الاخلاق ما بقيت   فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا »

وقال الهلال « المرء باخلاقه لا بذكائه » ونقل من كتاب « نشوء الامم » للعلامة جوستاف لوبون القطعة الآتية تأييداً لما ذكر :

« ان تأثير الاخلاق في حياة الامم عظيم جداً بالنظر الى تأثير الذكاء . كان الرومان مثلاً في ايام انحطاطهم اشد ذكاء منهم في ايام نشأتهم لكنهم بتوالي الازمان اضاعوا اخلاق اسلافهم التي تشيد عليها مجد رومية كالثبات والهمة والتفاني في الدفاع عن الوطن واحترام القوانين فاضاعوا دولتهم . ان مثل هذه الاخلاق يجعل ٦٠ الف انكليزي يسودون على ٢٥٠ مليوناً من الهنود . وفي هؤلاء من هم اكثر ذكاء واحد ذهناً من الانكليز . فاخلاق الانكليز هي التي جعلتهم اوسع الامم استعماراً واقواهم شوكة . فعلى الاخلاق لا على الذكاء تتوقف حياة الهيئة الاجتماعية وبها تقوم الاديان والممالك » ويقال في الدولة العربية وغيرها من الدول نفس ما قيل في الدولة الرومانية

وقد قام في اثناء نهضتنا الادبية الحاضرة جماعة من الكتاب والخطباء يصيحون الاخلاق ! الاخلاق ! فكتب بعضهم عن الاخلاق الحسنة والمبادىء القويمة ؛ ونحن باسطون في ما يلي ماهية الاخلاق ووسائل اصلاحها وطرق تهذيبها عمليا في العائلة وفي المدرسة

ماهية الخلق بسيكولوجياً

خُلق المرء مجموع خلاله العقلية والادبية . وهي تتأتى عن العادة فكما تتكيف القفازات والاحذية على شكل اليد أو الرجل بالاستعمال وان تشابهت اشكالها قبل استعمالها كذلك القوى العقلية والادبية اذا استخدمت في طرق مخصوصة وعلى اساليب معينة تعودتها وصارت تلك الطرق والاساليب ملازمة لصاحب تلك القوى وجزءاً من حياته لا ينفصل عنها وتظهر عفواً في كل حركاته وسكناته . والعمل ما لم يصدر عفواً بلا اجتهاد واعمال الفكرة لا يعدُّ خلقاً . وانما يشترط فيه ان يتكرر مراراً حتى يصير ملكة فيقال له حينئذ خلق

هذا هو المعنى العام للخلق او الاخلاق يطلق على الممدوح والمذموم منها وقد يراد بها الخلق الحسن فاذا قلنا « فلان ذو اخلاق » نعني انه ذو اخلاق حميدة كقوة الارادة

والصدق والامانة وحب الوطن وما شاكل ذلك . وهو المفهوم عادة منها لا سيما عند الافرنج . ولكلمة character عندهم معنى لا تؤديه كلمة خلق او اخلاق عندنا

وقد ميز الفيلسوف كانت بين :

١ خلق الانسان الطبيعي وهو ما تمنحه اياه الطبيعة

٢ خلقه الادبي وهو الذي يتخلق به بارادته

وقد قسم الاستاذ ديوي الاميركي الاخلاق الجيدة في الافراد الى ثلاثة مجاميع يرجع كل مجموع منها الى قوة من هذه القوى : الادراك والعواطف والارادة

فالاخلاق المتعلقة بالادراك هي التي يميز بها الانسان الامور بعضها عن بعض وينزلها منزلتها الحقيقية

ولا يكفي ان يدرك الانسان الحقائق المجردة بل يجب ان ينظر الى وجهتها العلمية وما ينتج عنها وامكان تأثيرها في حياته

والاخلاق المتعلقة بالعواطف هي التي تجعل الانسان حساساً يشعر بقيمة الامور بالبداهة فيحب الحسن منها ويكره القبيح ولا يمكن فصل العواطف عن المعرفة المجردة فهما مرتبطان في حياة الانسان حتى الحقائق النظرية لا بد لاكتشافها من عاطفة تحض الانسان على الاستطلاع كلذة المثابرة على الدرس والتنقيب . ومحبة الحقيقة التي تبنى عليها كل العلوم ليست الا عاطفة

والاخلاق المختصة بالارادة اهمها الاندفاع والصبر والثبات في تنفيذ الاعمال . وقد امتازت المدنية الحاضرة بالاهمية التي تعلقها على الاعمال دون الاقوال

منشأ الاخلاق

ينشأ خلق المرء عن ثلاثة مصادر : الوراثة والبيئة والارادة

اولاً الوراثة : ان الطفل عبارة عن نتاج اسلافه وهو على العموم اكثر مشابهة لاقربهم اليه . فلوالديه المكان الاول ثم والدي والديه وهلم جرا

وقد صوروا ناموس الوراثة بالشكل التالي وهو يبين تأثير الاسلاف في تكوين الطفل كما يأتي :

الوالدان	الجدود	الخ ...
الاب	اب	
	ام	
الام	اب	
	ام	

اي انا اذا مثلنا مجموع الشخص بمربع فنصفه من الوالدين ربع من الاب وربع من الام . ونصف الباقي اي ربع المجموع من والدي والديه وهم اربعة . فلكل والد ابٌ وام ونصف الباقي أي ثمن المجموع لوالدي هؤلاء وهم ثمانية اشخاص وهلم جرّاً . يقل تأثير الاسلاف كلما رجعنا الى خلف . وقد تشذ هذه القاعدة أحياناً فيأخذ الولد من بعض اجداده اكثر مما يأخذ عن ابويه

والطفل لا يرث الطباع نفسها بل يرث استعداداً لها فتسمو بالاستعمال وتزول بالاهمال . ففي الطفل مجموع قوى كامنة يمكن جعلها فضائل أو رذائل بالتربية

ثانياً البيئة : أي ما يحيط بالمرء من المؤثرات الخارجية فانها تأخذ في التأثير على الطفل من ساعة ولادته وهي نوعان : مادية كالارض والطقس والهواء والبناء وما شاكل ذلك . وادبية كالاصدقاء والرفاق والمعلمين ونحوهم . وللرفاق عموماً تأثيرٌ عظيم على الاخلاق . قال سبنسر « المرء يشبه عشراءه اكثر مما يشبه والديه » ومما يدلُّ على تأثير البيئة تشابه طباع اهل الطبقة الواحدة او المهنة الواحدة واختلافهم عن اهل الطبقات الاخرى الذين تحيط بهم بيئات أخرى . فكأن الاخلاق تنتقل من الشخص الى صاحبه . وقد قيل في المثل الفرنساوي « اخبرني من هم رفاقك فاخبرك من انت » وقد قيل ايضاً « لاخلاق المرء ظلٌّ يقع على اخلاق اصحابه كما يقع ظل جسمه على اجسامهم »

ثالثاً الارادة : ليس للمرء ان يختار اسلافه و بيئته فهما مقدران له . ولكن يمكنه بقوة ارادته ان يبرم وينقض ما اورثه اياه والداه او ما اكتسبه من بيئته . لا شك في

ان تأثير الوراثة والمحيط على الاخلاق عظيم جداً ولكن الانسان بجده واجتهاده قادر على مقاومته عند الاقتضاء . ومهما يكن من طيب اخلاق الآباء ومن حسن الاحوال التي نشأ فيها لابد من تداخل ارادته ومصادقتها على ما منح من الطبع والعادات . فلها القول الفصل الذي يتوقف عليه مستقبل المرء . والطريق الوحيد الى اكتساب خلق جديد انما هو « العادة » اي تكرار العمل . فلا يكفي ان نريد الحصول عليه بل يجب ان نستخدم الارادة في تعويد النفس تكرار الخلق المطلوب حتى يصبح ملكة

والارادة قابلة للتقوية لا سيما في الطفولية بان يعوّد المربون الطفل على الثبات في اعماله والسعي في امور معينة يريد بلوغها . على انها لا تصير ارادة شخصية الا بعد ان يغادر الشاب بيته حيث تتوقف اخلاقه بالاكثر على ارادة اهله فتصبح ولا مقوّم لها غير ارادته

تهذيب الاخلاق

عرفنا ماهية الاخلاق ومصادرها فما هي الطرق المؤدية الى ترقيتها وتحسينها ؟ ان اخلاق المرء من قبيل الكائنات الحية تنمو وتقوى بالتمرين وغذاؤها الافكار وتربيتها معترك الدهر . ولما كان الطعام لا يغذي ما لم تتمثله النفس ويصير جزءاً من مادته فكذلك يجب ان يكون غذاء العقول من الافكار التي ستعد الشخص لهضمها . فقد يفيد الفكر عينه فريقاً من الناس ويضر فريقاً آخر كما ان المادة الواحدة قد تكون سماً او دسماً حسب الحيوان الذي يأخذها وحالته الجسدية

والغذاء وحده لا يكفي بل يجب ان يقترن بالعمل والحركة فمعترك الحياة محك الاخلاق ومسرحها وكلما اشتدت احوال المرء وتعقدت نمت اخلاقه ووضحت . حتى تتخذ وجهة معينة فاما ان يستسلم للاهواء والعواصف او يكون صخراً ثابتاً لا تهزه الرياح ولا يعبأ بالزلازل والرعود

واول ما يشترط للحصول على اخلاق جيدة ان يكون الآباء صحيحي العقول والاجساد . وقد افاض الكتبة في الكلام على حقوق الانسان من حرية ومساواة ونحوهما ولكنهم اغفلوا اعظم حق له وهو ان يكون صحيحاً عند ولادته فهذا حق شرعي لكل مخلوق . ويا لجرم الآباء الذين يسيئون واجبهم من هذا القبيل

ويبدأ الطفل من ساعة ولادته ان يخضع لاوامر والديه وقد يدري بها ويفهمها أو لا يدري . وفي امكان الوالدين ان يبثوا في اولادهم الاخلاق الجيدة ويقلعوا منهم البذور الضارة . ولهذه الغاية عليهم :

١ ان يكيّفوا المحيط الادبي حسب ما يعتقدونه صواباً فيقربوا الى الطفل الامور الفاضلة ويبعدوا عنهُ الباطلة

٢ ان يربوا فيه عادات مفيدة واهمها تقدير حقيقة الامور من الوجهة الادبية

٣ ان يضعوا نصب عينيه مثلاً كاملاً يتبعه (ideal)

٤ ان يغذوا عقله بالافكار المفيدة

٥ ان يمرنوا قواه الادبية في الحياة اليومية غير ان يتجاوزوا في تجربته حدَّ الامان لئلا يُغلب على امره . ولا ان يحجزوه عن العالم لئلا تضعف ارادته.

٦ ان يدرسوا سجايا اولادهم وميولهم فيميزوا القويَّ منها والضعيف فيناسبوا بينهما

٧ ان يمرنوا ارادة بنيهم ليتعودوا خوض المصاعب بجسارة

٨ ان يلقوا عليهم النصائح ويرشدوهم سلوك الطريق المستقيم مع بيان اسباب الامور ونتائجها

وبعد ان يغادر الطفل بيته يقع تحت سيطرة المعلم في المدرسة . والمعلمون نائبون عن الآباء يقومون بنفس الواجبات المفروضة على الوالدين — والمدرسة في الحقيقة مكان يستعدُّ فيه الطالب لمستقبل حياته . فيجب ان تكون صورة مصغرة للعالم يتعود فيها ما سيلاقيه عند خروجه منها . هذا هو الغرض من التعليم في الهيئة الاجتماعية وبعض المدارس لا تقوم به حق القيام فتمثل العالم للاولاد بشكل مشوَّه او تريهم عالماً لا يشبه العالم الحقيقي فاذا تركوا المدرسة ودخلوا العالم فشلوا

ويعتقد قوم ان آداب السلوك يجب ان تلقى على التلاميذ دروساً في اوقات معينة كل يوم نعم لا بأس بذلك . ولكن بث الاخلاق في التلميذ لا يأتي من الكتب بل من شخصية المعلم قبل كل شيءٍ لانهُ في نظر التلميذ مستكملٌ كل علم وخلق حميد يقتدي به بكل حركة من حركاته فعليه ان يكون قدوة حسنة في المحافظة على الوقت

وفي الصدق والنشاط والاجتهاد ونحو ذلك . ان كثرة النصائح والمواعظ لا تجدي نفعاً ما لم تقترن بالسلوك الشخصي فهو ابلغ واعظ . ويعوّل بعض الاساتذة على القصاص في تقويم اخلاق التلاميذ . وللقصاص تأثير طفيف على الاولاد قد يمنعهم عن الرذيلة ولكن لا يلبث ان يزول المانع حتى يعود الممنوع . فكل المؤثرات الخارجية من ارهاب وتهديد وقتية العمل . ولا يتغير خلق الطفل ما لم يشعر في داخله بنتائج اعماله ويعرف حقيقة الواجب عليه

فشخص المعلم في المدرسة اهم العوامل في تغيير اخلاق التلاميذ . وقد اغفل الشرق هذا الامر فاصبح تعليم الصغار من المهن المحتقرة لا يقبل عليها الا من اقفلت في وجهه ابواب الرزق . ولا يخفى ان من تلك المدارس الصغيرة وعلى يدي ذلك المعلم الحقير ينشأ رجال الغد وفي قبضة المعلمين مستقبل الامة فلا تزرعوا باولادكم في ايدي معلمين لا يعرفون قيمة الاخلاق اذ كم تعرضونهم لاقتباس الاخلاق الذميمة والطباع الدنيئة . ويجب ان تعلموا حسب امكم هذه الحقيقة البديهية وهي ان على المدرسة تتوقف سعادة الاولاد وحياة الامة

واخيراً عند الاهل والمعلمين ترك الولد لنفسه فيشعر انه حر وان اعماله تتوقف على اختياره الشخصي . ولا شك ان الارادة اهم مكونات الخلق فهي التي تضعه في شكله النهائي اذ هي محور الآراء . والمعلمون في ترقية اخلاق الابناء وتزيينهم بالفضائل فاذا لم يكن لهم ارادة تمكنهم من المثابرة على الخطة التي رسمت لهم عبثاً ذهب التعب . ان العامل الباقي للانسان في سائر حياته انما هو الارادة الشخصية بلا جدال

وقد انكر فريق من العلماء حرية الارادة على الانسان ولكن مهما اثبتت تعاليمهم من الصحة فنحن نشعر — ولا ريب في هذا الشعور — انا احرار في اختيار المسلك الذي نسلكه بل نشعر فوق ذلك اذا حدنا عن الخطة التي نعتقدها صواباً بتوبيخ الضمير . هذه حقائق لا سبيل الى انكارها فلئن كانت حرية الارادة وهماً من الاوهام فنحن نشعر بوجودها وكفى

اميل زيدان

نظام الاجتماع

وهل يمكن قلبه

(حمص سوريا) حنا افندي خباز

قرأت في رحلتكم بهلال الماضي عند كلامكم عن احوال فرنسا الاجتماعية قولكم «ومهما بلغ من ارتقاء الجنس البشري في الاكتشاف والاختراع فانه لا يقوى على قلب نظام الاجتماع وترقيته» «وهذا النظام يقضي على الامم ان تربي اطفالها بحيث لا تخرج عن دائرة عنايتها» فهل ترى انكم تحسبون نظام الاجتماع بحيث لا يقبل الاصلاح ولا التبديل ولا اعلم السبب في ذلك هل مبنى قولكم على اعتباراتكم الشخصية. اني لست من المريدين قلب ذلك النظام لكني ارى النظام الاجتماعي كغيره من الملابسات الانسانية والنزعات الفكرية عرضة للتغير جريا على ناموس التحول الذي نرى عمله في الاكوان [illegible] واذا كان هذا الناموس دخل كل مذهب في الهيئات البشرية [illegible] والاجراءات السياسية فلماذا لا يدخل هذا المذهب في [illegible] الاجتماع اعني ما اوجب [illegible] الاجتماع من حكم هذا القانون [illegible] ولا [illegible] الطبع ولا [illegible] الوضع [illegible] الاقدام على ذلك صريحا

《الهلال》 اجبنا عن مثل هذا السؤال في السنة الماضية جواباً مختصراً ظنناه كافياً لبيان حقيقة ما نريده من رأينا في نظام الاجتماع . وقد تكررت علينا الاسئلة في معنى سؤال حضرة المقترح . فرأينا ان نبسط الكلام في هذا الموضوع دفعاً للالتباس ونجعل اساس بحثنا ناموس التحول او الارتقاء كما فعل حضرته فنقول :

ماهو المراد بنظام الاجتماع

نريد بنظام الاجتماع الشكل الذي انتهت اليه الهيئة الاجتماعية في نظامها الحالي . والامم على اختلاف الاعصر والاجيال ترجع فيه الى قواعد متشابهة فيها كلها . فالامة تتألف هيئتها الاجتماعية من عوامل او قواعد نشأت فيها بطبيعة العمران ترجع الى ستة : العائلة والامة والدولة والكنيسة والآداب الاجتماعية والمدرسة . نشأت كل منها تدريجاً من ابسط احوال الانسان وارتقت بارتقائه وتفرعت وتنوعت على مقتضيات الاحوال لكنها لا تزال في اساسها نحو ما كانت عليه في اول ادوارها . ولا يزال الغرض منها كما كان في اول نشأتها

فالعائلة : هي اساس النظام الاجتماعي . كانت في همجية الانسان تتألف من الام

وطفلها حتى يبلغ اشدَّه فيتركها كما تفعل سائر الحيوانات . ولكن طول مكثه في حضانتها جعله يألفها ويميل اليها والى ما قد يعاصره من الاخوة على تفاوت اعمارهم وهي « العائلة » على مبدأ الامومة تتألف من الام وابنائها وابناء بناتها . ولم يكن يعد من العائلة غير الاخوة والاخوات والاخوال وابناء البنات . ثم مست الحاجة الى التعاون في طلب الرزق وصارت الرئاسة الى الرجل فالتمس الاستعانة بابنائه فصلاً عن اخوته فتحول نظام العائلة من الامومة الى الابوة . ووضعت الشرائع بتوالي الاجيال حسب الحاجة . واقتضت طبيعة المعاش ان تمكث المرأة في المنزل ويخرج الرجل لطلب الرزق لانه اطلق سراحاً منها . وتكفلت هي بتربية الابناء لانهم احوج اليها في طفوليتهم للرضاعة وغيرها . واستلزم ذلك وضع شروط الزواج وحقوق الابناء واختلف ذلك باختلاف طبائع الامم

والامة : نريد بها اهل البلد الواحد او الاقليم الواحد الذين يشتركون في العادات والاخلاق ويتبادلون المنافع ويتعاونون على المعاش . كان الغرض منها في اقدم احوال الانسان التعاون على الصيد و[illegible] ومنذ [illegible] مصادر [illegible] . وكانوا اذا عادوا من صيد اقتسموه . ويدخل في معنى الصيد ايضاً الغزو والغنائم وفيها الاسرى كانوا يقتسمونها . ثم رأوا استبقاء الاسرى [illegible] [illegible] [illegible] يستخدمونهم في مرافق الحياة . فيتبع القوي ويخذل الضعيف . وتمتاز احوال الامة بين البداوة والحضارة وهي تنمو وترتقي وتتفرع حتى تكون فيها الطبقات المختلفة من العمال وارباب الاموال والصناع وغيرهم

والحكومة او الدولة : بدأت عند اول خلاف وقع بين اهل البلد الواحد على اثر صيد او غزو . فكانوا اذا اختلفوا في قسمة الصيد او الغنيمة فزعوا في الحكومة الى اقوامهم ليفصل في الخلاف بينهم وهو واحد منهم يغلب ان يكون اكبرهم سناً . فتولدت حكومة الشيوخ او الآباء وصار الحكم الى الشيخ او الامير . وتوقفت احكام الامراء للقياس عليها او العمل بها في الاحوال المتشابهة . ثم جمعت تلك الاختبارات والتقاليد بتوالي الاجيال بعد تعديلها او تكملتها وصار اصحابها طبقة ممتازة تفرغوا لذلك العمل وهي « الحكومة او الدولة » ولها ادوار تتباين بتباين اخلاق الامم واميالها وسائر احوالها . ثم تفرعت الحكومة الى طبقات بعضها للسلطة الرئيسية وغيرها للحرب وأخرى للتشريع وتقلبت السلطة بين ثيوقراطية وملكية وجمهورية وديموقراطية وارستوقراطية وغيرها بمقتضى طبيعة العمران وناموس النشوء والارتقاء

والكنيسة : نعني بها العامل الديني في نظام الاجتماع . وهي قديمة ايضاً واصلها الاجتماعي على رأي اصحاب النشوء يرجع الى ضعف الانسان واتساع تصورهِ وخوفه من الظواهر الطبيعية التي لا يعرف اسبابها ولا سيما الموت فانه اقدم ما ارعبه من احوال الحياة . لانه يفضي به الى العدم وهو يحب البقاء . فلجأ الى الاقوياء عقلاً يستغيث بهم ويستفتيهم في ما يجهله وهم يفتونه بما يرضيه او يقنعه ويتخذون ذلك وسيلة للسيادة او التكسب . فنشأت طائفة الكهان والسحرة من قديم الزمان . وكانت في اول ادوارها مختلطة بطبقة الحكام وقد يكون الرئيس حاكماً وكاهناً معاً

ولما ارتقى الانسان ارتقت تصوراته من حيث الدين وتكيفت آلهته وتنوعت الادعية والصلوات والاعتقادات بتنوع طبائع الامم واختلاف البيئة وسائر الاحوال . حتى تعددت الاديان وتنازعت . ثم ظهرت الاديان الالهية ولكل منها طبقات من الكهان ودعاة الدين وضروب من الطقوس والمعتقدات كما هو معلوم

والآداب الاجتماعية : يدخل فيها ما يتناوله افراد الامة الواحدة من الاعتبارات الادبية المبنية على الشعور والمتعلقة بالاخلاق . لان الامة لما اجتمعت ولم ترَ بدًّا من التعاون في شؤون الحياة اضطرت الى تعرف ما ترى فيه نفعاً لمجموعها وصيانة لاعراضها مع ما تقتضيه شرائع الامم من التفاوت في الاحكام . وهي ما يعرف بالآداب الاجتماعية او القواعد الادبية . وهي قائمة في الاصل على العادات القومية . ثم صارت قواعد متبعة لا تخلو منها أمة

والمدرسة : يراد بها التعليم والتربية على الاجمال . وهي في اول ادوار العمران عبارة عن توارث الاختبارات وتحولها مع الزمان الى قواعد كلية تطابق حاجات الامة واعتقادها — وهي العلوم في اول نشأتها . وكان للمعابد سلطة عظمى ودخل كبير فيها . وتقلبت العلوم على ادوار مختلفة قبل التاريخ وبعده في الدول الشرقية القديمة بمصر وبابل واشور الى اليونان فالرومان فالعرب فالتمدن الحديث . واختلفت باختلاف الاعصر مما يطول شرحه

علة هذا النظام الاصلية

هذه اهم قواعد الاجتماع نشأت بحكم الطبع جرياً على ناموس الارتقاء . وقد يظهر بعضها لاول وهلة من نتائج المدنية او الحكومة او انها حدثت بالتواطؤ . ولكنك عند اعمال الفكرة تجدها من ثمار مذهب النشوء . لانها مبنية على غرائز في الانسان استلزمت هذه القواعد فتولدت بطبيعة العمران

وجد الانسان ضعيف البدن حاد الذهن واسع الحيلة . ولولا ذلك لانقرض عن وجه الارض لعجزه عن مقاومة العناصر والطوارئ من برد او حرّ او خطر ، كما انقرض غيره من انواع الحيوان البائدة لهذا السبب عينه . لكنه استخدم حيلته العقلية في دفع الطوارئ ومقاومة العناصر . فاقتات بلحوم الحيوانات واكتسى جلودها وحاك شعورها . واكل ثمار الاشجار واستظل باغصانها . ثم بنى المنازل وتعاون بالتئام على الاجتماع في طلب المعاش واستثمار الارض . فلما امن الجوع لذّت له الحياة وتولدت فيه المطامع واصبح همه المطالب السامية (Ideal) . فتكونت طبقة من الاقوياء اصحاب المطامع لا يلذ لهم الا التفوق على اقرانهم او السيادة على سواهم . والتمسوا اعجاب الآخرين بهم وهي « الشهرة » كأنهم رأوا الحياة قصيرة بالنسبة الى مطالبهم فاعتاضوا عن طولها بالتماس الشهرة لانها عبارة عن « اتساع » الحياة . فمن يعيش عشر سنين لا يعرفه الا مئة شخص كالذي يعيش سنة ويعارفه الف شخص

فحب الشهرة او التفوق . [illegible] مع وجود الحيلة العقلية ادى الى تنازع البقاء واصبحت [illegible] وحروب بين اصحاب المطامع اما بالسيف او بالقلم او بالدهاء . فانقسم الناس الى [illegible] و [illegible] وتحاربوا وتناظروا . واقتضى تناظرهم [illegible] وشحذت القرائح ونشأت اكثر القواعد الاجتماعية التي تقدم ذكرها

اما الضعفاء من الناس الذين غلبهم القوي فهم يطلبون طول البقاء مثله لكنهم يعجزون عن نيله بالشهرة ولا يتيسر لهم التمتع بلذائذ الحياة كلها مثل أولئك . فرأوا في الاعتقادات الدينية اكبر تعزية لهم فتمسكوا بها كما سنّها اليهم الكهان او من جرى مجراهم . وتمسك بها سواهم من الاقوياء ايضاً لانها اكبر معز لهم في احوال ضيقهم . وقس على ذلك سائر مقتضيات نظام الاجتماع فانها نشأت بحكم ناموس الارتقاء العام

هل يمكن قلب هذا النظام

قد رأيت ان القواعد الاجتماعية انما تولدت وارتقت جرياً على سنة الارتقاء مجاراة لغرائز الانسان . فهي كالقضاء المبرم لا يمكن تبديلها . ولكن الامة لا تخلو من الناقم على نظامها الاجتماعي ولا سيما في احوال فساده واختلال أموره فقالوا بابداله . وقد حاول بعضهم ذلك منذ القدم فاخفقوا لانهم يعملون على مقاومة المجاري الطبيعية اعتبر ذلك في كل ما حدث من الانقلابات السياسية والاجتماعية والدينية . وهي كثيرة من اقدم ازمان التاريخ الى الآن لم يستطع واحد منها قلب قاعدة من قواعد الاجتماع .

فالانقلابات السياسية التي يراد بها قلب الدولة لم ينتج عنها الا ابدال حكومة بحكومة او تحويل نظام الى نظام: من الملكي المطلق الى المقيد او الى الجمهوري — والدولة لا تزال باقية

والانقلابات الدينية اراد بها اصحابها ابدال دين بدين. ولكن الغالب ان يتحول الدين الجديد بتوالي الاعوام ويتنوع حتى يلائم اخلاق الامة التي انتشر فيها. لان الناس لا يقبلون الدين الجديد ان لم يلائم اخلاقهم وعاداتهم. ولذلك نرى في الاديان الالهية كثيراً من العقائد والطقوس الوثنية التي كانت قبلها

واعتبر ذلك في الانقلابات الاجتماعية وغيرها فان الامة لا تترك آدابها وعاداتها لتتخذ آداباً وعادات جديدة. لكنها اما ترفضها او تعدلها حتى تلائم اخلاقها وحاجاتها. وقس على ذلك سائر ما حاول الناس ادخاله من المبادىء الاجتماعية الجديدة فانك لا تجد دليلاً واحداً على او قاعدة جديدة حلت محل قاعدة قديمة. وانما تبقى وتنتشر بالامتزاج في ما كان قبلها. كأن نظام الاجتماع سيل جارف اذا عارضه معارض ابتلعه وساقه في مجراه

ومن هذا القبيل ايضاً المبادىء الاشتراكية. كان يراد بها في اول ظهورها أن تحل محل النظام الحالي لكنها صارت تتنوع وتتعدل حتى اصبح الغرض منها اصلاح ما فسد من هذا النظام فيأخذ منها ما يلائمه وهو في مجراه. كما كان شأن سائر التغييرات التي أريد ادخالها فيه من اول ظهوره الى الآن

فالسبب الرئيسي في ثبات النظام المذكور انه مبني على غرائز الناس الخلقية لا على عقولهم. اي انهم سيقوا اليه باخلاقهم وغرائزهم لا بعلومهم وفلسفتهم. والغرائز البشرية لا تزال كما كانت من اقدم ازمنة التاريخ. هذه حكم فتاحوتب الحكيم المصري منذ نحو ستين قرناً. وشريعة حمورابي التي دونت منذ نحو ٤٣٠٠ سنة. واشعار ايوب الصديق منذ نحو ٤٠٠٠ سنة. وهذه الياذة هوميروس وامثال سليمان منذ نحو ٣٠٠٠ سنة. وغيرها من الآداب القديمة التي تصف الآداب وتعبر عن الاخلاق اذا طالعتها لا تجد بين اخلاق تلك الامم واخلاق هذا الزمن فرقاً يذكر رغم الفرق العظيم بين علومهم وعلومنا

والاخلاق تتوارث في الاعقاب وفيها ما اضافه اليها الاسلاف من الاعتقادات والعادات. فالشخص الواحد من نتاج العوامل الطبيعية قروناً متطاولة. وقد رسخت القواعد الاجتماعية في خاطره بتوالي الادهر. والامة مؤلفة من الافراد وحظها من الارتقاء يتوقف على اخلاقهم لا على ذكائهم ولا على علومهم. لان العلوم قد

تنضج وتزهو والامة في حال الانحطاط . والذكاء قد يكون في الامة المحكومة المغلوبة . واما الاخلاق الراقية فلا تكون الا في عز الدولة وامان سلطانها وعليهما يتوقف حال الاجتماع

على انا رأينا حضرة المقترح يرجو قلب نظام الاجتماع بواسطة ناموس التحول او الارتقاء . وقد تبين مما تقدم ان هذا النظام انما هو من ثمار ذلك الناموس . وزد على ذلك ان ناموس الارتقاء يقضي على الاحياء ومن يتبعها مما يدخل في سلطانه ان تتغير في النمو والتفرع . والنمو كما لا يخفى اضافة عناصر جديدة الى الجسم الحي فيتمثلها وتصير جزءاً منه ويذهب ما اندثر من الانسجة القديمة . والجسم باق في طبعه وشكله . وهذا هو الواقع في نظام الاجتماع كما رأيت من الامثلة التي اشرنا اليها في كلامنا عن الانقلابات السياسية او الدينية او الاجتماعية . فالآراء الجديدة او العوامل الطارئة انما كانت تضاف الى ما عند الامة فتوسعه وتندمج فيه ولا تقوم مقامه . والتفرع معناه ان يتولد من الكائن كائن آخر من نوعه مع بعض التغير في ظواهره ويبقى محافظاً على الاصل المتفرع عنه . كما حدث في [illegible] العصب الشوكي من [illegible] انواع الحيوان . فهي مهما تباعدت ظواهرها مؤلفة من اعصاب متشابهة [illegible] في شكلها فوظائفها من الحشرات الى الانسان كلها [illegible] واحد ولغرض واحد

وقلب نظام الاجتماع يقتضي ان تهدم القواعد التي ذكرناها . اي ان تستبدل العائلة والدولة والكنيسة بما يقوم مقامها مع بقاء المجتمع الانساني . وهذا ما نراه بعيداً للاسباب التي قدمناها

ولا نعلم ما هي القواعد التي يرى اصحاب قلب نظام الاجتماع ان تقوم مقام النظام الحالي وان كنا نتسم من أقوال بعضهم انهم يرمون الى هدم السلطات السياسية والاستغناء عن المراجع الدينية والمساواة بين طبقات الهيئة الاجتماعية بقواعد او نظامات وضعوها لهذه الغاية . من ذلك ما ذهب اليه أفلاطون منذ بضعة وعشرين قرناً فانه قال بانشاء نظام اجتماعي جمهوري يسمى جمهورية افلاطون وهي ان يؤخذ الاولاد وهم اطفال فيفصلون عن آبائهم ويربون في محل خاص تحت عناية حكومة مؤلفة من الفلاسفة تتولى تربية الرعايا وزواجهم وتعيين عدد مواليدهم والمهن التي يتعاطونها في شبابهم مع المحافظة على المساواة في احوالهم وكذلك الاناث فانها تربيهن كما تربي الذكور لا تحرمهن من مطامع الرجال . وان يعيش الرجال والنساء معاً ويكون الكل شركاء في المسكن والاموال لا فرق بين الغني والفقير لانها تساويهم في المعاملة

والتربية . والجمهورية المشار اليها مهما كانت صغيرة تقسم الى شطرين يقيم في احدهما الاغنياء وفي الآخر الفقراء فاذا طرأت حرب اتحدت على العدو . وقد يقسم الشعب الى طبقات حسب مهنته وتربيته مع تساويهم بالحقوق والواجبات لافرق بين فقيرهم وغنيهم

وقس عليها « اوتوبيا » التي مثلها لسير توماس مور في اوائل القرن الخامس عشر بمدينة فرض وجودها في جزيرة اسمها أوتوبيا زعم ان اميركوس اكتشفها ووصف له معيشة اهلها وانهم ممتعون بالسعادة الكاملة ليس لاحدهم ملك خاص بل يشتغلون معاً بلا أجر معين والحكومة (أو ما يقوم مقامها) تتولى سد حاجتهم بنظام مضبوط لا يعوزه نقص وكل عمل عمومي في تلك الجزيرة يحصل بالانتخاب بين أهلها يتناول الناس طعامهم معاً على موائد مشتركة والثروة فيها محرومة على الافراد

وكذلك « اونيدا » التي قال بها جون نويس في اواسط القرن التاسع عشر واساس تعاليمه ان الناس أخوة لاينبغي أن يتفاضلوا في شيء . فانشأ مدينة أهلها بضع مئات يعيشون عيشة العائلة الواحدة وهم شركاء في كل شيء حتى الاولاد فانهم للجماعة فيربونهم احسن تربية أدباً وصحة . وكتب الاستاذ كولدوين سميث بعد زيارة هذه الجمهورية يقول ان الاولاد فيها صحيحو الابدان حسان الوجوه يربون على طرق صحية (مثل طرق تحسين سلوك ... واللعب واللبس والوقاية من الامراض والعاهات ولا يسمح لهم بتناول شيء من الحلويات التي تثقل المعدة وتفسد هضمهم) وقد عاشت هذه الجمهورية بضع وثلاثين سنة كانت في اثنائها مقصد المتفرجين وعظمت ثروتها وكثرت أموالها المشتركة واراد مؤسسها نويس حلها لانه انشأها ليبرهن للملأ امكان هذا المشروع — أو لعله خاف سقوطها فحولها ١٨٨٠ الى شركة سماها شركة طائفة أونيدة

ويدخل في ذلك ما ارتآه فوريه وغيره من الاشتراكيين من تنظيم الامة على شكل صناعي . وهؤلاء جميعاً انما عمدوا الى القول بقلب نظام الاجتماع نظراً لما شاهدوه من فساد الهيئة الاجتماعية في ازمانهم فارادوا اصلاحها وبالغوا في مرادهم فنحوا الى الطرف الآخر — كما يحدث عادة في مثل هذه الحال — وطلبوا قلب ذلك النظام او ابداله فاخفقوا . ولو التمسوا اصلاحه مع المحافظة على نظامه كما يطلب المعتدلون من الاشتراكيين في هذه الايام لكان عملهم اقرب الى النجاح

فترى مما تقدم اننا لم ننكر على هذا النظام دخول الاصلاح فيه . وانما انكرنا قلبه او ابداله بسواه

انتقال الافكار والنفس

رأي الدكتور شميل

تكرّم عليّ الدكتور شميل بالكتاب التالي :

عزيزي اميل زيدان

يسرني ان اراك غصناً نضيراً لدوحة ابيك . ويسرني ان ارى لك ميلاً خاصاً الى العلوم الطبيعية وفلسفتها كما تدل مباحثك . ولكني الحظ عليك تكلفاً كما دعك الاستقراء الى أبعد مما تريد فيصير كلامك مبهماً بعد ان كان بغاية الوضوح كأنك تحاول الترفع حينئذ لمحظور فتلعثم ثم تزعم ان العلم الطبيعي هو المتهم كأنك تريد ان تذكّر القارئ بان هناك علماً آخر لا يسمو ولا يتعذر عليه الجواب . والقارئ في غنى عن هذا [illegible] كبر بل عن هذا [illegible]

فان سمعت مني و[illegible] لا تعرفون [illegible] خدمة حقيقية لا يشوبها اختلاط ولا تكدر صفوه [illegible] المناقشة عليه وكنت لا احب ان نبلغ فيه الحدّ الذي يرمينا عليك هجر الخطة التي يعوّل عليها الكتاب الشرقيون خاصة في الادب والعلم حتى الساعة وهي المزج بين العلم والمذاهب في الخلق ولا يلزم في نشر العلم غير ذلك . الا اذا كان الغرض منه الانحياز الى احد الجانبين بالنفي او الاثبات وحينئذ يلزم ان يكونا صريحين

نعم يجوز التردد ولا يحظر على الباحث ان يقف موقف السائل ولكن هذا لا يجيز له ان يرتد حالاً الى الضدّ ليقيم من الضعف قوّة وقد يكون هذا الضعف غير حقيقي عن نظر محدود في الجزئيات كما يظهر لنا جلياً لو ردّت الاشياء الى أصولها الكبرى الكلية . وانه لأفضل بكثير ان يبقى هذا التردد في نفس الباحث من جعله ذريعة للعبث بالصحيح حتى يقوم عنده اليقين مقام الشك فيثبّت الشيء حينئذ بالصراحة التامة ان شاء

واياك ثم اياك ان تقدم على أي علم كان بمبادئ سالفة مقرَّرة وقضايا مسلمة

تقصد ان تؤيدها او تنفي سواها بها فان ضرر ذلك عظيم جداً على العلم . فالعلم صعب وبسيط معاً . بسيط اذا اقدمت عليه بالبساطة وقررت الاشياء فيه كما هي . وصعب للغاية اذا أقدمت عليه وانت مشبع بالمبادئ المختلفة

وكأنك فهمتني فاني لا ادعوك الى جانب دون آخر بل الى تثبيت قدمك في الجانب النافع المفيد واذا كان ليس للعلم الطبيعي غير فضل ربط الكائنات من ادناها الى اعلاها برباط واحد بسيط لحصر قوى الانسان في دائرة واحدة وتخليصه من مذاهب المبادئ المتعددة التي لا تقع تحت ضابط والتي بني عليها حتى الساعة علومه وعاداته وكل شيء آخر موضوع لكيانه . وهو كل سر العلوم الطبيعية وسر تقدمها . فكل ما هو معلوم لنا اليوم وكل ما هو منتظر منها غداً لا يخرج عن ناموس هذا السر فكان العلم الطبيعي اليوم في سرده العظيم وفي كلياته الكبرى شيء مقرر ناضج لا يحتاج الى اكتشاف سر آخر ومن الاكتشافات والاختراعات المنتظرة الا تبسط في العمل وتوسعه في سر هذا العمل لا يجعل الشعور ان يقول ان الغوامض الطبيعية الدقيقة كثيرة عمي ... شيء منها خارجة عن هذا السر المعلوم اليوم

أقول ذلك تسحطالك لا ... لاني ... فيك من حسن الاستعداد الى صحيح العلم وصحة الحكم ما حبب لي مخاطبتك لا لقصد المناقشة بل على سبيل النصيحة وانت في سن كله نشاط وآمال والمستقبل اليوم لك واقبل سلام مولك

مصر ٥ دسمبر سنة ١٩١٢ الدكتور

شبلي شميل

ولما كنت شديد الرغبة في استقصاء الظواهر العصبية الغامضة كالتنويم المغنطيسي وانتقال الافكار وغيرهما كتبت الى الدكتور الفاضل مستفهماً عن تعليل تلك الظواهر بمبادئ العلوم الطبيعية التي يعتقد صحتها فاجابني بكتاب قال فيه

« ان قولي لك ان العلوم الطبيعية صحت لا اريد ان اقول انهم وصلوا فيها الى كل ما يرجى منها أو انه لا يعرض لنا فيها أمور لم يهتد الى كيفية تعليلها على وجه خاص لا يقبل اختلاف نظر او خروجاً فيها عنها وانما اردت ان اقول ان كل ما في الطبيعة من جماد ونبات وحيوان حتى الانسان واصل العقل الذي هو « اوار » لمادة

الدماغ الطبيعي — اذا جاز لنا مثل هذا التعبير المتساهل فيه فيزيولوجياً — هي جميعها خاضعة لنفس النواميس الطبيعية البسيطة المقررة كالجاذبية والحرارة والنور الخ . أي انها تسير في كل افعالها على وتيرة واحدة فلا الامراض العصبية ولا الاحكام العقلية ولا قراءة الافكار عن بعد ولا الشعور عن بعد مع غرابتها الظاهرة خارجة عن الخضوع لنواميس معلومة لا تخرج عن سنن الطبيعة نفسها . وبقولي ذلك لم اقصد الا اننا وقفنا على السرّ الاعظم الذي يربط الاكوان بعضها ببعض من ادناها الى اعلاها أي على وحدة القوة التي هي سبب تحولاتها المختلفة . واني اوجه نظرك على نوع خاص في قراءة الافكار والادراك عن بعد الى ما جاء من هذا القبيل في مقدمتي الثانية وفي « اختلاط دهن هستيري » في الشفاء وفي مقالة « مناجاة الاحلام وفزع الاوهام » في الجزء الثاني من المجموعة مما يلزم منه ان يكون ما نراه غريباً خاضعاً للقياس . واذا كنا لسنا فيه دائماً كذلك فلحوادث ضعف في وجوده » (انتهى)

اشكر للدكتور شميل عنايته بما كتبت وما كنت لاقدم على تذييل كتابته بشيء من عندي لعلمي ابي لست في مرتبة الى مجاراته في مناقشته وهو من فهارمة هذه الابحاث واول من جاهر برأيه في هذه المواضيع باللغة العربية ولكني احب ايضاح رأيي الذي نشرته وايقاف القارىء على اختلاف الآراء في هذا الموضوع — واني ابسط اوجه الاتفاق والاختلاف بيننا بكل صراحة وبساطة .

اسلم مع الدكتور شميل ان من يتصدى للابحاث العلمية يجب ان يترك المبادىء السابقة المقررة والقضايا المسلمة التي ورثها عن آبائه أو اقتبسها من محيطه . وقد قلت ذلك مراراً في المقالات القليلة التي كتبتها في الهلال لاني اكره التسليم الاعمى بدون تفكير

واوافقه في ان النواميس الطبيعية ينبغي ان تشمل ما في الكون من جماد ونبات وحيوان لا شيء فوقها أو تحتها أو خارجاً عنها . لان الانسان المفكر لا يقدر ان يتخيل نواميس متناقضة في عالم واحد

واسلم ايضاً بفضل العلم الطبيعي في ربط الكائنات من ادناها الى ارقاها وفي تحسين احوال الجنس البشري . وان اكتشافات القرون الاخيرة واختراعاتها المدهشة من ثماره

واعتقد كذلك ان مذهب النشوء والارتقاء أفضل تعليل — بل هو التعليل

الوحيد المعقول حتى الآن لاصل الكائنات وبيان صلاتها

واقول اخيراً بعلاقة الظواهر النفسية باعمال الدماغ . اي ان احوال العقل من تفكير وشعور وتخيل وغير ذلك يقابلها احوال مخصوصة في الدماغ

قد يظن القارىء بعد ما تقدم انهُ لم يبق وجه للخلاف بيني وبين حضرة الدكتور. والحقيقة ان الموافق على المبادىء المتقدم ذكرها لا يتحتم عليه ان ينكر كل شيء غير المادة وظواهرها لان مجال البحث لا يزال واسعاً . فالذي يقول ان طالب العلم يجب ان يترك ما علق في ذهنه من مبادىء مقررة بدون اثبات قد يرجع الى بعض تلك المبادىء اذا تحقق صحتها . ومن يسلم بوحدة النواميس الطبيعية وشمولها ما في الكون قد يعترف بجهله بعض تلك النواميس . والذي يعترف بفضل العلوم الطبيعية كالطبيعيات والكيمياء وعلوم الحياة وصحة مبادئها لا يجوز له ان ينفي مبادىء العلوم الاخرى اذا كانت مبنية على احكام العقل . فاعتقادنا علاقة الدماغ بأعمال العقل لا يعني حتماً ان تلك الاعمال « يفرزها » الدماغ كما تفرز الغدد اللعابية اللعاب . ولا شك في ان كثيرين من العلماء اليوم مع قولهم بتلك المبادىء لا يرجعون بكل شيء الى المادة وحدها . ولكن الخلاف في نظري يرجع الى هذه النقطة .

« ما هو مقدار النواميس الطبيعية التي كشفت بالنسبة الى ما لا يزال غامضاً منها ؟ »

يرى الدكتور شميل ان العلم الطبيعي قد احاط بنواميس الكون الرئيسية ولا محل لنواميس غيرها . فالمبادىء المقررة اليوم هي في نظره كافية لتعليل كل الظواهر التي تبدو لنا . وعنده ان مذهب النشوء والارتقاء هو اهم المبادىء الطبيعية المتعلقة بعالم الاحياء وكل الظواهر التي تبدو فيه — ومنها التنويم المغنطيسي وانتقال الافكار وما شاكلها — يجب ان تطبق عليه وتعلل به لانها لا تخرج عن كونها احوالاً مخصوصة من الدماغ مهما يكن من غرابتها وصعوبة ادراكها بهذا الشكل . انهُ يبحث في هذه الظواهر وهو يعتقد ان لا بدَّ من تعليلها بالعلوم الطبيعية اذ لا محل عنده لنواميس غير نواميسها المعروفة

ولكن لماذا هذا القيد ؟ لماذا يحتم حضرة الدكتور ان يعلل تلك الظواهر بالمبادىء القليلة التي يعرفها ؟ قد يصعب على الناس عادة قبول امر جديد لا علاقة له بما الفوه او علموه . ولكن العالم الباحث يستعد لقبول كل غريب جديد . والا فهو داخل في

جملة الذين يطلبون العلم لاثبات بعض المبادىء المقررة في ذهنهم . وضع الدكتور شميل اساساً لآرائه وابحاثه ان مبادىء العلم الطبيعي المعروفة كافية لتعليل غوامض الكون فيجب ان يدخل تحتها كل معلوم ومجهول. أليست هذه طريقة القدماء في الانتقال من القواعد العامة المقررة الى الحوادث الخاصة المفردة لتطبيقها عليها (deduction) ؟ مع ان فضل العلم الحديث يرجع الى جمع الحقائق المتفرقة وترتيبها واستخراج القوانين العامة منها (induction)

هذه هي الطريقة الفضلى لتعليل الظواهر النفسية الغريبة . وقد ذكرت ذلك في المقالة الاخيرة عن انتقال الافكار حيث قلت : « اننا لا نزال نجهل ماهية النفس وعلى العلم اليوم ان يوالي جمع الحقائق حتى يتمكن في المستقبل من تعليل تلك الظواهر »

قد يقول الدكتور ان التسليم بوجود نفس تضاد ما نعرفه من العلوم الطبيعية ولذا يجب رفضها باتاً

ولكن لننظر الى ذلك من الوجهة المادية نفسها . يعتقد الماديون ان العالم كان خلواً من الحياة ثم نشأت الحياة فيه من المادة . افلا يجوز ان يأتي وقت تنشأ فيه من الحياة قوة جديدة « نسميها النفس » والفرق بين المادة والحياة اكبر من الفرق بين الحياة والنفس

لا اعني بكلامي هذا اثبات وجود النفس وانما اريد ان العلم في الوقت الحاضر قاصر عن اثبات ذلك أو نفيه . وان كان كثيرون من العلماء يجزمون بوجودها كما يجزم آخرون بعدم وجودها ولكن غرضي ان وجود نفس (ولا اعني بها شيئاً معيناً محدوداً) لا يناقض العلم وان هناك مجالاً واسعاً للبحث والاستقصاء

واملي بعد ما تقدم ان يعذرني القراء اذا اظهرت تردداً أو شكاً في مسائل غامضة كالتي تصديت للكتابة فيها . اذ لا نعرف حقائق مقررة ثابتة سوى الحوادث المفردة (facts) فهي يقينية وليس كذلك تعاليلها . فالباحث يجمع حوادث متفرقة لا ريب عنده فيها بحد ذاتها فاذا اراد ربطها واستخراج قانون شامل يعللها به فتعليله محتمل الاخذ والرد . ويزيد رجحان تعليله كلما كثرت الحوادث المؤيدة له . وقد لا يبلغ درجة اليقين ابداً . فمبادىء العلم الطبيعي بعضها بلغ درجة من الرجحان تقرب من اليقين ولكن كثيراً منها لا يزال قابلاً للنقض

وقد لحظ عليّ الدكتور شميل ابهاماً بعد ان كنت واضحاً صريحاً فلم يكن ذلك مني بجملة الرأي اعام لاني اضن بالعلم ان يكون العوبة في ايدي مدونيه . ولكنني لا ارى بدًّا من التردد عندما انتقل من بسط الحقائق الثابتة الى تعليلها فلا اقدر ان اكون دائماً « صريحاً نفياً أو اثباتاً » ولكنني الجأ احياناً الى الشك والاقرار بالعجز واقول بكل اخلاص « لا ادري » . وحسبي عذراً على ذلك اني لست أول تائه في اسرار هذا الكون العجيب اميل زيدان

عشرة آلاف كلمة على بيضة

كتب الينا حضرة علي بك ناصر الدين صاحب جريدة الصفاء التي تصدر في لبنان عن شاب مجتهد اسمه نجيب افندي سعد [illegible] كتب نحو عشرة آلاف كلمة على سطح بيضة بخط دقيق [illegible] العين المجردة [illegible] . وارْكز البيضة على لولب يدار في كرسي من زجاج . [illegible] في ظهر نسر من البروز باسط جناحيه وواقف على [illegible] الجريح . وتشتمل تلك الكتابة على ما لا يسعه اربعة صفحات . [illegible] السلطانية ثم تمهيد في ما بعث الكاتب على كتابة هذا الاثر يزيد على عشرة اسطر بقطع الهلال . ثم فاصلة وبعدها مواد القانون الاساسي كلها باللغة التركية ثم هذه المواد في اللغة العربية . فتاريخ اعلان الدستور للمرة الاولى والثانية . وعبارة مسهبة بين الكاتب فيها ما يعنيه بوضع تلك البيضة على قوادم النسر تدخل في بضعة اسطر . تليها قصيدتان لرئيس تحرير الصفاء في الدستور والجيش العثماني ابياتهما ٥٩ بيتاً . ثم تاريخ كتابة هذا الاثر وخريطة الممالك المحروسة واسماء امهات المدن العثمانية

ومما يستحق الاعتبار ان الكاتب لم يستعن بالمكبرات في كتابته . ومع ذلك فالاحرف كثيرة الوضوح حتى حلقات العين والميم والواو فضلاً عن نظافة الفراغ بين السطور او الحد . وللكاتب آثار كتابية غير هذه تستوقف الخاطر فانه كتب مرة ٦١ كلمة على حبة أرز ونال بذلك الجائزة الاولى من معرض زحلة منذ بضع سنين . فهو مفطور على الدقة اليدوية ولو أُتيح له تربية هذه الموهبة في بعض الصنائع الدقيقة لكان من النابغين . ولا مجال لهذه المواهب الا في أوربا

صحة العائلة

زمن الفطام

يعطف الطير على فراخه عطف الام على طفلها فينقطع الى اسعافها واسعادها لا يبالي بالمشاق ولا يكترث بالاخطار التي يتعرض لها في سبيل غذائها. يلتقط حبوب الحقل ويعود بها الى وكره حيث يوزعها على صغاره بالسواء

ويهبط على عين ماء فيأخذ منها ما يستطيع اخذه ليبرد به حرّها. وقد يقع هدفاً لسهم يقضي عليه وهو في جهاده الشريف او يكتب له لقاء فيظل مثابراً على تأدية ما يسميه نحو ذاك حتى اذا ان يأتي الزمن الذي يصبح به صغاره قادرة على اعالة نفسها فيمسك عن اسعافها وتعدو هي مسؤولة من ذلك الوقت عن شؤون قوتها واطفاء غليلها. والحاجة تدفعها الى المخاطرة فلا تتمر احدها وتضرب مع بعضها سعياً وراء الرزق حتى تصيبه. لا عيب ولا مشقة في نظرها اذا حل الصغير في رعاية امه وقد انارت الطبيعة بصيرته فتم العطف على صغاره وادرك انه حتى عليه شخوص فقام به خير قيام بغير ان ينتحل المعاذير فيعهد بتربيتها لسواه أو يتركها وشأنها للتقادير. كان يجلب لها الطعام ويساعدها على مصفه وهي صغيرة فلما نما ريشها واشتد ساعدها اجبرها على الخروج من أكنتها بامساكه عن جلب قوتها الضروري لحياتها فطارت لتقع على قوت تتناوله وماء تطفئ ظمأها به

ان هذه العناية بالصغار قد اغفلها عدد كبير من الامهات. فالمثريات منهن تتخلين عن اطفالهن الى المرضعات فلا يعرفن عنهم شيئاً — ولا هن امهات يتأثرن لكلامنا. والمتوسطات فئتان فئة مالت الى الاقتداء بالمثريات وفئة اقتدت بالفقيرات. وهؤلاء اقرب الى الامومة الصادقة لكنهن ابعد عن الحقيقة الواجبة. فالام من هذه الطائفة اعمتها المحبة لطفلها واضلها العطف عليه عن تفهم ما يجب عليها نحوه فساءت اليه وهي لا تدري. اشركته بطعامها وهو في الشهر الثاني أو الثالث من عمره. وتساهلت معه في ارضاع ثديها وقد بلغ السنة الثالثة أو الرابعة. اعرف غلاماً بلغ السادسة وهو لا يزال يكب على صدر امه كانه في الشهر السادس. ان معدل وفيات الاطفال في السنة الاولى أكثر

عهداً منها في السنة الثانية . وأكثر من الاثنين في الاشهر الثلاثة الاولى واسباب ذلك كله الاختلال في نظام تغذيتهم وقصر نظر في كيفية انتقالهم من لبن الثدي الى غيره من الغذاء حسب ما يقتضيه الحال والسن

يفطم الطفل عن الثدي تدريجاً لا دفعة واحدة مراعاة لصحته وصحة الام معاً . والفطام فجأة يقود أحياناً الى تلبك المعدة وسوء الهضم . ولا ينتظر حدوث هذه النتيجة الا في ظروف خاصة مثل ان يعطى المفطوم لبن غير ممزوج بالقدر اللازم من الماء أو طعام لا قبل لمعدته بهضمه . وتجنب الفطام في فصل الصيف افضل ولكن اضراره لا توازي الاضرار الناجمة عن الاستمرار في ارضاعه من الثدي بعد الوقت المناسب . ومعظم الامهات يرضعن اطفالهن سنتين أو أكثر وبعضهن يقتصرن على ارضاع اطفالهن بضعة اشهر فقط لما يعتريهن من الضعف والسقم في زمن الرضاعة . على ان القاعدة الصحية للطفل وللام ان يتدرج الطفل الداخل في الشهر التاسع الى الفطام باستبدال وجبة من لبن امه بارضاعه وجبة لبن البقر على نسبة النصف لبن والنصف ماء مع كمية قليلة من السكر في كل اربع وعشرين ساعة في الاسبوع الاول . اما في الاسبوع الثاني والثالث فيعطى وجبتين من الرضاعة في كل اربع وعشرين ساعة . وفي الشهر الحادي عشر يقلل قدر الماء الى ثلث كمية اللبن وتزاد الوجبات الى ان يبلغ الحول

ويلاحظ غالباً على الاطفال في هذا الزمن وقوف نموهم بدون سبب واضح . ولا يظهر ل ذلك الا بالميزان لعدم وجود عوارض مرضية ظاهرة . فاذا تأكدنا نقص وزن جسده فالفطام فجأة مفضل في هذه الظروف على الاخذ به تدريجاً . والاستاذ هولت ذكر حادثة عن طفل خسر ثلاث ليبرات بمدة قصيرة وكان عمره ستة اشهر فقط . ولم يصحب هذا الهبوط عوارض مرض من الامراض ففطم عن الثدي وفي بضعة اسابيع استعاد ما كان قد خسره من الوزن وظل نموه مستقراً . وظهر بعد ذلك ان امه كانت حاملاً

والفطام فجأة يحسن في ظروف كثيرة ولا سيما في اثناء الامراض التي قد تنتاب الام كالتيفويد والتهاب الرئتين أو داء السل أو التهاب الثدي ونحوها . والشائع بين امهاتنا اذا اصيب أحد الثديين بالتهاب كان الثدي الملتهب نصيب الطفل . فيلتزم بالتقامه لتخفيف التهابه . وتكتفي الام بهذا العلاج حتى يتبين لها علاج اصلح . والمفطوم عن الثدي يفتقل الى الرضاعة فيطلق عليه نظام سائر المغتذين بهذه الآلة

ويجب عند مباشرة الارضاع بها ان تكون كمية اللبن والماء متعادلة كما قدمنا .
وقد يصعب على الام في البدء ان تعود طفلها على غير لبنها . ولكن الجوع الذي
احرج فراخ الطير من أكنانها يساعدها على اقناعه بقبول الرضاعة والتسليم لمشيئتها
ومتى الف الطفل غير لبن امه يطبخ له من انواع الدقيق مثل الموصفين أو الارروت
قليل من اللبن والماء وجبة في كل اربع وعشرين ساعة لمدة اسبوع . وتزاد الوجبة
وكميتها في الاسبوع الثاني مع تقليل الرضاعة بالنسبة للزيادة الداخلة على طعامه من
الدقيق . وعلى هذا المنوال يفطم الطفل الرضيع مدة الفطام بلا عناء أو مشقة

وفطام من عاش على الرضاعة يبدأ عندما يبلغ الشهر الثالث عشر ويتناول غذاءه
في الشهر الخامس عشر من الشعاب ولا بأس من ارضاعه مرة في المساء

واليك نظام تغذية الطفل من الشهر ١٢ الى ١٤

(١) الساعة السادسة ونصف صباحاً : لبن ٦ الى ٧ اواق طبية ممزوجة
باوقيتين الى ثلاث اواق منقوع من ماء الشعير او الرز

(٢) الساعة التاسعة صباحاً : عصير البرتقال ٢ الى ٣ [illegible]

(٣) الساعة العاشرة صباحاً : لبن حليب [illegible] من ماء الشعير أو الرز أو
الارغبل من ١٠ الى ١٢ اوقية

(٤) الساعة الثانية بعد الظهر : عصير لحم [illegible] اوقية واحدة الى اوقيتين .
وبياض البيض المسلوق قليل الاستواء وبعد مدة يعطى بيضة كاملة ولبن يضاف الى
مثله نصفه من ماء الرز ٤ الى ٦ أواق

(٥) الساعة السادسة : مثل وجبة الساعة العاشرة صباحاً

(٦) الساعة العاشرة مساء : وجبة الساعة السادسة ونصف صباحاً . ولا يجوز
اعطاء الطفل بين الوجبة والاخرى غير الماء القراح

نظام تغذية الطفل من الشهر ١٤ الى ١٨

(١) في الساعة السادسة ونصف صباحاً : لبن ٨ الى ١٠ أواق

(٢) الساعة التاسعة صباحاً : عصير الفاكهة ٣ أواق

(٣) الساعة العاشرة صباحاً : ملعقة كبيرة وبعد مدة ما تزاد الى ثلاث ملاعق
من الارغبل أو الارروت أو الموصفين يطبخ ثلاث ساعات ويضاف ثلاث أواق من
لبن القشطة وملح . وإذا توجع القشطة يعوض عنها [illegible] كمية لبن عن ثلاث أواق
مع زيادة الدقيق وبسكويت

(٤) الساعة الثانية بعد الظهر : عصير لحم الخروف أوقيتان وبيضة برشت وملعقة رز مطبوخة جيداً ومرق دجاج أربع أواق

(٥) الساعة السادسة بعد الظهر: ثلاث ملاعق كبيرة من الاروروت او العوصفتين تصنع صنعا ساعة يضاف اليها لبن وملح بكمية كافية

(٦) الساعة العاشرة مساء . لبن ٨ أواق الى ١٠ أواق

ومن الشهر ١٨ الى ٢٤ يتدرج الطفل الى الطعام الجامد ويقلل كمية اللبن مع المحافظة الشديدة على الاوقات التي اعتاد أن يتناول طعامه فيها . أما الطفل الذي نشأ على الثدي والرضاعة فزمن فطامه يبدأ في الشهر العاشر ويجري عليه نظام المفطوم عن الثدي الى ان يبلغ الحول . ثم يعامل على الطريقة التي تقدم بيانها . والام الفاضلة تبرهن لنا صدق عطفها على ولدها باحترامها القواعد الصحية في تربيته . اما اللثم والضم والتقبيل وحدها فلا تبعد عنه علة ولا تشفي له عاة

(محل) الدكتور ... شحاشري

حكيم كرنتينة محل

باب الاخبار العلمية

﴿ انقراض الفيل والاسد ﴾ كان الفيل الافريقي منتشراً في صقلية واسبانيا وانقرض منهما قبل زمن التاريخ . وكان في زمن الفينيقيين لا يزال كثيراً في شمالي أفريقيا يسرح أسراباً وقطعاناً في رمط . ثم طرده القرطاجيون والرومان معاً الى أواسط أفريقيا . فلا يوجد الآن في شمالي بحيرة تشاد ولا جنوبي كلاهاري . حتى هناك فانه قليل الا في الغابات البعيدة عن مطامع المستعمرين . ولا يلبث أن ينقرض ان لم يلتفت الانسان الى تربيته والاحتفاظ بنسله . وتكون علة انقراضه احرازه ما لا يمكن للانسان الحصول عليه الا بعد قتله ليزين به موائده ومقاعده . ولهذا السبب كان الاسد أصبر على البقاء منه لكنه آخذ بالتناقص . كان في زمن هيرودوتس كثيراً في بلاد اليونان وظل الى أيام العرب منتشراً في فلسطين وحوران . وقد تقلص ظله عن الهند ولم يبق له أثر في غير العراق العجمي . وانقرض في أوربا وشمالي أفريقيا وجنوبيها ولم يبق الا بين

ذلك النقص : كانت نسبتها في الالف ١٧.٠٩ فصارت ١٩.٠٦ اي ان عدد الوفيات كان ٧٧٧ ٧٠٣ فاصبح ٩٨٣ ٧٧٦ عداً ويعتقد الكاتب ان سبب قلة المواليد تحريض العامة على الاكتفاء بالنسل القليل من وجه اقتصادي وليس عن عجز جنسي في الامة كما ظن بعضهم . وبحث عن سبب كثرة الوفيات فلم يجد لها سبباً سياسياً ولا صحياً ولا دينياً ولم يتقرر عنده السبب الحقيقي . ولكنه يعلق اهمية كبرى على نقص المواليد وزيادة الوفيات خلافاً لسائر الامم المتمدنة . فان الروس مواليدهم في الالف ٤٤.٨ ووفياتهم ٣١.٧ والمجار مواليدهم ٤٢ ووفياتهم ٢٣ فهم من أسرع الامم نمواً . والرومانيون مواليدهم ٤١ ووفياتهم ٢٤ والصرب مواليدهم ٣٩ ووفياتهم ٢٩ والنمسا مواليدها ٣٣.٥ ووفياتها ٢٢.٨ وقس على ذلك

﴿ اسمن امرأة في العالم ﴾ توفيت امرأة في مونتريال كندا وزنها ٧٨٠ رطلاً فقضي لوضعها في الضريح ان تنقل بالآلات الرافعة وان اضعاف عربات الدفن نقلها

مطبوعات جديدة

﴿ طبقات الامم ﴾ للقاضي ابي القاسم صاعد بن احمد بن صاعد الاندلسي . وهو من الكتب النادرة التي عرّف فيها كتّاب العرب وصف علوم الامم . نحو كتاب الفهرست لكنه اوجز منه وعلى اسلوب آخر يبحث في العلوم عند الهند والفرس والكلدان واليونان والروم والمصريين والعرب والاندلسيين وبني اسرائيل . وقد اقتبس منه ابو الفرج الملطي وابن ابي أصيبعة وحاجي خليفة وغيرهم . وكانت النسخ الباقية الى الآن نادرة منها اثنتان في المتحف البريطاني واخرى في ليدن . ووقف الاب لويس شيخو اليسوعي على نسخة عند بعض الوراقين فنشرها تباعاً في مجلة المشرق ثم في كتاب على حدة وبذل جهده في ضبطها وذيلها بمقابلات بين هذه النسخة ونسخ المتحف البريطاني وبملاحظات وجملة فهارس للمواضيع واعلام الرجال واعلام الشعوب والمذاهب والامكنة والبلدان واسماء الكتب وجملة ذلك نحو ١٥٠ صفحة . فنثني على الاب شيخو بما له من العناية في خدمة آداب اللغة العربية بمؤلفه ونشره جزاه الله خيراً

﴿ Les Barmacides ﴾ هو كتاب في تاريخ البرامكة واحوالهم الفه في اللغة الفرنساوية المستشرق الفرنساوي لوسيان بوفا معولاً فيه على المآخذ التاريخية

العربية والفارسية . صدّره الكتاب باسماء الكتب التي عول عليها ثم افاض في امثال البرامكة من عهد المجوسية وفصل الكلام في اسلامهم واعمالهم من برمك فخالد فيحيى فالفضل وجعفر . واسباب سقوطهم وما نجم عن ذلك . وذيل الكتاب بما روي عن البرامكة من الاحاديث والقصص والتعليلات عن امثال اسم برمك . وقائمة باسماء الكتب الافرنجية التي بحثت في البرامكة وفهرس ابجدي . وهو اوفى كتاب في تاريخ هذه الاسرة مبني على بحث ونظر ويطلب من مطبعة لرو بباريس وهذا عنوانها :

Ernest Leroux, 28 Rue Bonaparte, Paris (VI)

﴿ التشريح الجراحي والعلاج الجراحي ﴾ للدكتور محمد افندي عبد الحميد طبيب مستشفى قليوب فصل خاص على آداب اللغة العربية بما سبقه اليها من الكتب الطبية بعد ان تقاعد ارباب الاقلام عن ذلك بسبب اهمال هذه اللغة في المدارس الطبية بمصر والشام . فقد مرَّ على تعليم الطب باللغات الاجنبية في هذه المدارس بضع وعشرون سنة لم يظهر في اثنائها كتب عربية الا بعض الاطباء من محبي هذا اللسان . والدكتور محمد افندي عبد الحميد من كثيرهم عملاً في هذا المجال . وقد اصدر عدة كتب في مواضيع طبية مختلفة ذكرنا بعضها في الهلال ومن ابدعها الآن كتابان احدهما في « التشريح الجراحي » لمؤلفه ريغنس ولوزكيب وقد ترجم جزء الاول منه ودقق في النقل واتقان الرسوم ونشر جميعها ملونة في ٢٦٠ صفحة . والثاني « العلاج الجراحي » تأليف وليم روز والبرت كارلس صدر الجزء الاول من الترجمة العربية مزيناً بالرسوم هو يبحث في الكتريولوجيا والعدوى والمتسعة والالتهاب وفحص الدم والتقرح والغنغرينا . والكتابان متقنا الطبع يطلبان من مكتبة الهلال وثمن كل منهما ١٠ غروش والبريد غرش

﴿ New Practical Grammar ﴾ هو كتاب في الانكليزية لتعليم اللغة العربية الدارجة بمصر . تأليف سقراط سبيرو بك صاحب القاموسين الانكليزي العربي والعربي الانكليزي لهذه اللغة . وقد وضعه على نسق خاص لتسهيل تعلم اللغة العربية الدارجة لعارفي اللغة الانكليزية . ويمتاز بتصوير الالفاظ العربية بالحروف الافرنجية وايراد الامثلة والتمارين . ويطلب من محل لوزاك وشركاه في لندن وهذا عنوانه :

Luzac & Co.,46 Great Russel St. London W. C.

﴿ وصايا الوطن العشر ﴾ تأليف اميل ركيه احد اعضاء المجمع العلمي التربوي . وقد نقلها الى العربية ابراهيم افندي سليم نجار الكاتب المعروف ضمنه

للناشئة العثمانية . لان مؤلفه حلل فيه حب الوطن وعلاقة المرء به تحليلاً عصبياً كانه كيماوي يحلل مادة بين يديه . وهو يطلب من مكتبة الهلال وادارة المقطم وثمن النسخة خمسة غروش والبريد نصف غرش

﴿ Succes in English Composition ﴾ هو كتاب تعليمي لطلاب اللغة الانكليزية تأليف محمد افندي حيرت من متخرجي مدرسة الحقوق الخديوية وناظر مدرسة سوهاج وعباس افندي عبد الفتاح استاذ اللغة الانكليزية فيها . وهو يشتمل على فوائد نفيسة ومحتوية مقسم الى دروس لها تمارين تلائم طلاب هذه اللغة من ابناء هذا القطر

﴿ دروس الفقه ﴾ ان لمحيي الدين افندي الخياط الكاتب المعروف في بيروت عناية خاصة في تأليف الكتب المدرسية في المواضيع الهامة . وقد ذكرنا مؤلفاته المدرسية في التاريخ الاسلامي والصرف والنحو . وبين يدينا كتابه في دروس الفقه وهو يشتمل على ثلاثة فصول في ٣٤ درساً أعني فيها عقائد الاسلام واحكام العبادات على الطريقتين العقلية والنقلية مع سهولة والدقة ويطلب من المكتبة الاهلية في بيروت

﴿ روزنامة سيدة النجاة وتقويمها ﴾ صدرت روزنامة سيدة النجاة وتقويمها لسنة ١٩١٣ بقلم الاب بولس حبيش المعروف الحلبي اليسوعي ويطلب منه في دير القمر لبنان

﴿ تذكار اليوبيل ﴾ كتاب وضعه رزق الله افندي نعمة الله عبود في سيادة المطران اثناسيوس عطا الله مطران ابرشية حمص وتوابعها للروم الارثوذكس بمناسبة مرور ٢٥ سنة منذ تولى مطرانية حمص . ضمنه تاريخ ابرشية حمص وترجمة سيادة المطران واعماله ومشروعاته الخيرية وحفلة يوبيله وما قدم له من الهدايا والتهاني . والحق يقال ان افضال سيادته العمرانية في بلاد حمص على الخصوص واثر همته وغيرته في نفوس الطائفة الارثوذكسية على العموم اشهر من ان تعرف . فانه قدوة الرؤساء في السهر على مصلحة الرعية من الوجهة الاجتماعية التعليمية بانشاء المدارس والجمعيات والجرائد . وبث روح النشاط وتربية النفوس وتهذيب الاخلاق . وقد عرفنا ذلك فيه منذ انشأنا الهلال ولا يزال مثابراً عليه الى الآن . فهو جدير باحترام رعيته وغيرهم من ابناء الوطن السوري . وبين ابناء الناشئة السورية طائفة حسنة من ثمار غرسه جزاه الله خيراً

﴿ الدين والاسلام او الدعوة الاسلامية ﴾ صدرت الطبعة الثانية من الجزء الاول لهذا الكتاب بقلم محمد افندي الحسيني آل كاشف الغطا النجفي . ويشتمل على مواضيع في الاسلام وابحاث في اثبات الصانع ومزايا العدل ومباحث في القضاء والقدر وغير ذلك ويطلب من مطبعة العرفان صيدا (سوريا) وثمن الجزء ١٢ غرشاً

الهلال

الجزء الخامس من السنة الحادية والعشرين

اول فبراير (شباط) سنة ١٩١٣ و٢٤ صفر سنة ١٣٣١

جبل لبنان

تاريخه ونظاماته

واحواله السياسية والاجتماعية والاقتصادية

نظراً لتحدث الناس في شأن لبنان بمسألة تجديد متصرفه ومنحه بعض المطالب رأينا ان نبسط للقراء اصل ذلك النظام ونمهد له بمقدمة تاريخية لما تقدمه من الاحوال وما يرجى له من الخير اذا اعطي ما يطلبه

حدوده وسكانه

اختلفت حدود لبنان باختلاف الاعصر . كان هذا الاسم قديماً يشمل لبنان المعروف الآن وما يحيط به من السهول او المدن في الجهات الاربع مع جبل برحل الذي كان يقيم فيه الاسماعيلية في الشمال ويعرف بجبل النصيرية . فكان يراد بلبنان في ذلك العهد جزيرة ارواد وسهل طرطوس وقضاء حصن الاكراد وسنجق حماه وعكار والزاوية والضنية وطرابلس والكورة وبشري والقويطع والبترون وجبيل والمنيطرة والفتوح وكسروان والقاطع والمتن وساحل بيروت والغرب والشحار والجرد

والمقاصف والعرقوب والشوف واقليم الخروب وجزين وزحلة واقليم التفاح وصيدا وجبل الريحان وشومر وصور وعكا وبلاد الشقيف وبلاد البشارة وصفد ومرجعيون والحولة ووادي ألتيم والبقاع وبعلبك وحمص وجبل القلمون ووادي بردى ودمشق والغوطة ووادي العجم واقليم البلان والجيدور . ويشتمل ذلك الآن على ولاية بيروت ومعظم ولاية سوريا وبعض ولاية حلب ومتصرفية القدس فضلاً عن الجبل نفسه

ثم تقلص ظله شيئاً فشيئاً حتى انحصر بلبنان نفسه . وهو لبنان الشرقي والغربي وبينهما سهل البقاع وما يليه شمالاً الى حمص وجنوباً الى وادي التيم وحاصبيا

ثم انحصر في لبنان الغربي وخرج الشرقي والبقاع من حدوده فاصبح محصوراً بين متصرفية طرابلس من الشمال ومتصرفية صيدا من الجنوب . وبين البقاع او ولاية سوريا من الشرق والبحر المتوسط من الغرب . لا يزيد طوله من الشمال الى الجنوب على مئة ميل في عرض نحو اربعين ميلاً ولا تزيد مساحته على ٥٧٤٠ كيلومتراً مربعاً أكثرها جبال جرداء

واختلف عدد سكانه تبعاً لاختلاف الاعصر واختلاف تلك الحدود . فكان اللبنانيون قديماً اكثر من عشرة ملايين نفس واخذوا يتناقصون حتى اصبحوا لا يزيدون على نصف مليون

وبعد ان كان جانبهم يعول نصف ملايين من الناس عجز عن اعالة بعض المليون فاضطر اهله الى المهاجرة يلتمسون الرزق واصبح اللبناني مضرب الامثال في المواطنة والنشاط والضرب في الارض الى اربعة اقطار العالم

فاللبنانيون منتشرون الآن في اوربا واميركا وفي افريقيا واوستراليا وزيلاندا وفي الشرق الاقصى الى الصين واليابان وجزائر المحيط فضلاً عن الشرق الادنى والمغرب الاقصى . وهم مثال العمل همة واخلاص ولذلك كان النجاح رفيقهم حيثما حلوا وفي اي عمل تعاطوه في الادب أو الصناعة و التجارة أو الادارة . ونرى جماعة كبيرة منهم في مصر واوربا واميركا وصاروا يعدون من كبار التجار واصحاب المعامل . واقتنوا الارضين واستثمروها حتى اصبحت ثروة بعضهم تقدر باموال لبنان كلها . ومع ذلك فهم كثيرو الحنو الى اوطانهم يجاهدون في سبيل حريته واستقلاله بالاموال والاقلام . وبين المطالبين بحقوق لبنان اليوم جماعة كبيرة من اللبنانيين المقيمين في مصر واوربا واميركا يؤلفون الوفود وينشئون المقالات ويبذلون الاموال في هذا السبيل

تاريخ لبنان

لبنان قديم وتاريخه طويل يضيق عنه هذا المكان فنقتصر على الاجمال بما يفي بالغرض المراد من هذه المقالة فنذكر اولاً اصول اهل لبنان ثم تاريخه حسب العصور

اصول اللبنانيين ، تاريخ لبنان الى الفتح الاسلامي

اقدم الامم السامية التي ادركها التاريخ : (١) الفينيقيون عمروا لبنان وسوريا في نحو القرن الخامس عشر قبل الميلاد . وقد خلفوا فيه آثاراً لا تزال ناطقة بذكائهم وعلو همتهم . وهم مخترعوا الاحرف الهجائية التي تفرعت عنها الكتابات المشهورة في العالم المتمدن كله . ومنها نقوش كثيرة على صخوره وآثاره في جبيل وصيدا وصور وعلى النواويس والقبور في المتاحف وغيرها

(٢) الآراميون وقد توطنوا سوريا ولبنان من اقدم ازمنة التاريخ ومن فروعهم السريان والكلدان . واكثر اسماء القرى اللبنانية واوديته لا تزال محفوظة بلسانهم الى الآن

(٣) الحثيون : كانوا أمة ضخمة عززوا على نهرها في جهات حمص وزغرلي وغيرها حاربهم المصريون في القرن الرابع عشر قبل الميلاد . وكانوا يقيمون في سوريا ولبنان وآسيا الصغرى

(٤) العرب : نزل العرب لبنان وسوريا من اقدم ازمنة التاريخ . وانشأوا فيه دولاً قديمة وتوالى نزولهم فيه لاسباب مختلفة اكثرها طلب الخصب او مجرد الانتجاع اشهرها قدومهم للفتح في صدر الاسلام وتتابعهم اليه من ذلك الحين قبائل وبطوناً وعشائر . ثم اصبح لبنان ملجأ للنازحين وملاذاً للمظلومين في الاحقاب الاسلامية الوسطى بعد اكتساح المغول واستبداد دول الاعاجم او هجوم الفاتحين . فاذا وصل الفاتح الى حوران او الشام وخاف اهلها على انفسهم لجأوا الى لبنان . وآخر نزحاتهم الكبرى في عهد السلطان سليم لما جاء لفتح سوريا (سنة ١٥١٦) فان كثيرين من عرب حوران نزلوا غربي لبنان وجنوبيه واليهم ينتسب اكثر العائلات الارثوذكسية هناك

(٥) المصريون . فتحوا سوريا في القرن الرابع عشر ولم يختلطوا بالساميين لكنهم حكموا لبنان وكانت لهم علائق سياسية استدلوا عليها من بردي وجدوه في تل العمارنة فيه مخابرات من امراء صور وصيدا وبيروت وغيرها تدل على خضوعهم لفرعون . ومن آثار المصريين في لبنان نقوش هيروغليفية على صخرة نهر الكلب تقدم فيها القرابين للاله فتاح . ونقش مصري يمثل فرعوناً يقرب القرابين الى اله الشمس وآخر

مع الاله عمون . مما أمر بنقشه رعمسيس الثاني فاتح سوريا يصف بها غزواته

(٦) الاشوريون : وهؤلاء قلما اختلطوا بالاهلين لكنهم فتحوا لبنان في القرن الثاني عشر والقرن الثامن قبل الميلاد وغيرهما وحفروا آثاراً منقوشة عند نهر الكلب

(٧) الفرس : فتحوا سوريا ونزل بعضهم هناك على أثر الاشوريين ولم يطل مقامهم

(٨) اليونان : فتحوا سوريا على يد الاسكندر المكدوني وانشأوا فيها دولة السلوقيين وتكاثر نزوح اليونانيين الى سوريا من ذلك الحين ونزل جماعة منهم في لبنان ومن آثارهم نقوش يونانية في اماكن كثيرة

(٩) الرومان : فتحوا سوريا في القرن الاول قبل الميلاد وحكموها وقد تقدم لبنان في عهدهم تقدماً حسناً . وخلفوا فيه آثاراً كثيرة من الهياكل والقصور عليها النقوش والكتابات على عادتهم في آثارهم حيثما حلوا . يكفي قلعة بعلبك وقد وصفناها في السنة ١٩ من الهلال . وعمروا القرى وغرسوا الكروم وانشأوا الطرق الثابتة بالاحجار الضخمة

تلك هي اشهر الامم التي خضعت بالسابق قبل الفتح الاسلامي . اما بعد الفتح فقد نزح اليهم بعض الشركس وغيرهم من الامم التي أخضعها الاسلام . على ان نزوح العرب واليهود الى سوريا بعد الاسلام ولا يزال حتى الآن

تاريخ لبنان بعد الفتح الاسلامي

ان الفتوح الاسلامية هزت عصبيات الامم وغيرت خطوط الامم . فرفعت اقواماً وحطت آخرين وايقظت أمم الشرق من رقدتها فتنبهت القرائح وعمد الناس الى المهاجرة أو الفتح . فتفارحت الاصوات وتصادمت المطامع فنشأت دول جديدة وتشكلت أمم جديدة . وكان للبنان حظ وافر من ذلك الاختلاط بمن نزح اليه من العشائر والقبائل أو غيرهم أو نشأ فيه من أصحاب المطامع . فاصبح أهله طبقتين (١) الخاصة أو الحكام أصحاب الامر والنهي وهم العشائر (٢) العامة أهل الحرث والخدمة . واستقلت تلك العشائر بالسلطة كل عشيرة في أقليم يتوارث الحكم عليه كبارها من الامراء أو المشائخ وفيهم النصارى والدروز والمسلمون . وكثيراً ما تنازعت تلك العشائر وتخاصمت . وأهم حوادث لبنان بعد الاسلام عبارة عن أخبار التنازع بين امرائها بتوسط الدول المعاصرة أو بدون توسطها مما يطول شرحه . وحباً بالاختصار والايضاح نقسم العشائر التي حكمت لبنان كله أو بعضه الى قسمين كبيرين : الامراء والمشائخ وفيهم النصارى (الموارنة) والدروز والمسلمون . وهذا جدول لاسماء تلك العشائر واجناسها وانسابها واوائل ظهورها في التاريخ

أشهر عشائر لبنان التي ظهرت بعد الاسلام

الامراء

(النصارى)

١	المردة ظهروا نحو سنة ٦٥٠م		
٢	بنو شهاب	(عرب)	سنة ٦٣٣ م
٣	» اللمع	»	١٦٥٠ م

(الدروز)

٤	بنو تنوخ القيسية	(عرب)	٨٢٢ م
٥	» الجنبية	»	١٦٣٠
٦	» بنو ارسلان	»	٧٥٩

([illegible])

٧	بنو معن	(عرب)	١١١٩
٨	» عساف	(تركمان)	١٣٠٧
٩	» سيفا	(اكراد)	١٥٢٨
١٠	سكان راس نحاش	»	١٥٥٨

المشايخ

(النصارى)

١	بنو الخازن	(لبنانيون)	١٥٤٥
٢	» حبيش	»	١٥١٥
٣	» الظاهر	»	١٧٦٠
٤	» الصلح	»	١٧١١
٥	» الدحداح	»	١٧٠٠
٦	» ابي صعب	»	١٩٠٠

(الدروز)

٧	بنو جنبلاط	(اكراد)	١٥٧٢
٨	» العماد	(الموصل)	١٦٦٠
٩	» [illegible]	(عرب)	١٧١١
١٠	» [illegible]	»	١٦١٠
١١	» عبد الملك	»	١٧١١

(متاولة)

١٢	بنو حماد	(عجم)	١٤٨٨
١٣	» آل نصر الدين	(حلب)	١٣٨٣

تلك هي العشائر التي تولت السيادة في لبنان يضاف اليها طبقة من العشائر تعرف بالمقدمين اشهرهم بنو الشدياق ظهروا سنة ١٥٧٤ م غير البيوتات من اهل الثروة والنفوذ ممن لم يحكموا

واكثر هذه العشائر كانت سيادتهم محصورة في مقاطعات من لبنان . على ان بعضها تمكنت من اخضاع سائر العشائر او معظمها وتولت الامارة العامة بامر من السلطان أو الملك صاحب الشام أو بدونه . فنكتفي هنا بالاشارة الى العشائر أو الولاة الذين تمكنوا من السيادة الرسمية على لبنان . ونقسم ذلك الى ادوار الاول من الفتح العربي في صدر الاسلام الى الفتح العثماني سنة ١٥١٦ والثاني من الفتح العثماني الى استقلال لبنان الاداري سنة ١٨٦١ والثالث من استقلاله المذكور الى الآن

١ — تاريخ لبنان من الفتح العربي في صدر الاسلام الى الفتح العثماني سنة ١٥١٦

لم يخضع لبنان للعرب خضوعاً تاماً مدة طويلة ولا عني العرب باخضاعه لما في ذلك من المشقة بلا جدوى فظل مستقلاً بنفسه فعلاً وان دخل بالاسم في سيطرة الدول التي تولت سوريا بعد الفتح الاسلامي . كان معدوداً من المملكة الاموية الى سنة ١٣٢هـ ثم المملكة العباسية فالطولونية فالاخشيدية فالفاطمية فالسلاجقة فالاتابكة فالايوبية فالسلاطين المماليك الى الفتح العثماني . لكنه كان خاضعاً بالفعل لامارات نازعت السيادة فيه اهمها ثلاث وهي : (١) المردة (٢) التنوخيون (٣) بنو عساف التركمان . ولم يكن سلطانهم عاماً على لبنان كله الا نادراً

المردة

فالمردة اختلف المؤرخون في جنسهم والارجح انهم قوم ارسلهم الروم لبنان في اواسط القرن السابع [illegible] العرب [illegible] هجماتهم عن سوريا . وكانوا يقيمون في شمالي لبنان [illegible] جبل [illegible] كانوا [illegible] نفوسهم ١٣٠٠٠ مقاتل غير الاولاد والنساء يشتغلون [illegible] الارض فاذا مست الحاجة الى حرب تجندوا لها . اما اصلهم فيقال انهم من [illegible] و[illegible] العصري ومنهم امراء توارثوا الملك ذكرهم صاحب اخبار الاعيان في جبل لبنان . ولهم مع العرب وقائع مختلفة وخلفوا آثاراً بنائية من القلاع ونحوها وتوالت السيادة فيهم الى زمن الصليبيين فكانوا اعواناً للافرنج في حروبهم وحاربوا جنود السلاطين السلجوقية والايوبية والمماليك مراراً . والمظنون انهم ظلوا حاكمين الى القرن الثامن عشر ثم انقرضوا

التنوخيون

والتنوخيون ويعرفون بامراء الغرب عرب ينتسبون الى ابن ماء السماء صاحب الحيرة . حط بطن منهم بعد الاسلام فقطن البادية بين حلب ومعرة النعمان ثم رحل منهم جماعة الى غربي لبنان في اوائل القرن التاسع للميلاد فراراً من استبداد والي حلب واميرهم اسمه تنوخ ايضاً اقام في حصن سرحمور . واول من ظهر بالسيادة منهم رسمياً بحتر بن علي في زمن مجير الدين سلطان دمشق من الاتابكة البورية سنة ١١٤٧ فكتب الى بحتر ان يبقى على الرسوم المستقرة في القرى المسومة له في الغرب وحدره من

الخلاف فهو تثبت له على الامارة وان كان في غنى عن تثبيته لكن السلاطين يعملون ذلك للاستعانة بهؤلاء الامراء عند الحاجة الى الحرب . ثم صارت سلطنة دمشق الى نور الدين الشهير وقد ناهضه الافرنج فكان من جملة مساعيه في دفعهم انه عهد الى كرامة بن بحتر الملقب زهر الدولة سنة ١١٦٠ م ولاية القيطرة وحذاب في البقاع والظهر الاحمر في وادي التيم وبرجا والمعاصر الدوقية والداوود وشارون وعمل بها وغيرها وعين له علائف لاربعين فرساً . فابلى كرامة بلاء حسناً في محاربة الافرنج فنقموا عليه . وبعد وفاته احتالوا على اولاده فدعاهم صاحب بيروت الافرنجي الى وليمة وقتلهم وحمل رجاله على حصن سرحمور فهدموه وهرب من كان فيه من التنوخيين . وانما نجا منهم غلام سنه حجر صارت الامارة اليه . فلما جاء صلاح الدين الايوبي وفتح بيروت ولاه مكان ابيه واقطعه بلاداً كثيرة وظل هذا واعقابه انصاراً للايوبيين والسلاطين المماليك . واشتهر غير واحد منهم بالشجاعة والدهاء وحاربوا الافرنج وغيرهم . وانقسم التنوخيون في اثناء ذلك الى حزبين يعرفان بالقيسية واليمنية وكان حكام لبنان الذين ذكرناهم من القيسية لكن طائفة منهم انفردت عنهم في اوائل القرن الرابع عشر ... من رجالها علم الدين بن سلمان نزاً من تنوخ الغسنة ... حصر بغداد مع السلطان ... سنة ١٦٣٨ م فانعم عليه بولاية الشوف وتولى الحكم في بعض عقبه الى اوائل القرن الثامن عشر فانقرضوا . أما القيسية فقد ... سنة ١٦٣٣

بنو عساف

وأما الامراء من بني عساف التركمان فاول امرهم يبدأ من سلطنة الملك الناصر محمد سنة ١٣٠٧م من السلاطين المماليك البحرية . وكان اولئك الامراء يقيمون في الكورة فامرهم السلطان المذكور ان ينزلوا ساحل كسروان ليحافظوا عليه من الافرنج . وكان دركهم من حدود انطلياس الى مغارة الاسد وجسر المعاملتين . فكانوا لا يؤذنون لاحد ان يمر على جسر نهر الكلب الا اذا كان معه ورقة الجواز من الوالي او من امراء الغرب التنوخية المتقدم ذكرهم . وكانت منازلهم في انطلياس وحراسهم في نهر الكلب الى برج حوبيه . وقد جددوا عمارة ساحل وحصن في عين طورا وفي سنة ١٣٤٥ امرهم الامير يلبغا الاتابكي ان يسكنوا بيروت مع العسكر الشامية للمحافظة عليها فلما جاء السلطان سليم العثماني سنة ١٥١٥ لفتح الشام وجرت الواقعة بينه وبين قنصو الغوري في مرج دابق مال الامير عساف التركماني الى العثمانيين . فلما تم الفتح للسلطان

سليم تعمير ولاه كسروان وبلاد جبيل . وسنة ١٥١٨ توفي عساف فخلفه ابنه الامير حسن . ثم قامت الخصومة بين اعقابهم على الامارة وانتهى امرهم اخيراً على يد يوسف باشا سيفا الكردي في عكار سنة ١٥٩٠ ولم يطل سلطان آل سيفا هؤلاء فانتهت امارتهم في اواسط القرن السابع عشر

٢ — تاريخ لبنان من الفتح العثماني سنة ١٥١٦ الى استقلاله الاداري سنة ١٨٦١

لما قدم السلطان سليم لفتح سوريا كان في لبنان امارات عديدة من العشائر المتقدم ذكرها وأهمها يومئذ الامراء التنوخيون في الغرب وعليهم رئيسان أحدهما الامير جمال الدين من حزب اليمنية وآخر من حزب القيسية . والامير عساف التركماني في كسروان والامير فخر الدين المعني في ما بين ذلك . فمالوا جميعاً الى العثمانيين الا التنوخيين القيسيين فانهم ظلوا على ولاء ... المصريين ... سليم ... الى الامراء الذين نصروه فاعجبه ... فخر الدين المعني ... بفصاحته ... ولقبه بسلطان البر وولاه الشوف . وهو الامير فخر الدين الاول تمييزاً له عن فخر الدين ... والكبير الآتي ذكره . وولى الامير جمال الدين ... الغرب . و... الامير عساف التركماني على بلاد جبيل وكسروان . ... الفتح فعدُّوا قدوم العثمانيين فرجاً ... الاحوال ... الامراء المعنيون على سواهم حتى صارت الامور اكثرها اليهم وهم أقدم العشائر التي عمت سلطتهم على لبنان بعد الفتح العثماني

الامراء المعنيون

يتصل نسبهم بربيعة بن نزار من عدنان ويقال لهم الايوبيون أيضاً نسبة الى ايوب بعض أجدادهم . رحلوا الى لبنان في زمن لا يعرف أوله لكنهم تكاثروا وكانوا عوناً للمسلمين على الافرنج في اثناء الحروب الصليبية . وقد حاربوا مع المسلمين في انطاكية والسواحل وحاربوا من عاصرهم من الامراء التنوخيين وغيرهم . ولم يظهروا وتتأيد سيادتهم الا بعد الفتح العثماني . وأولهم الامير فخر الدين الأول وكان شجاعاً فلم يمض يسير حتى اصبح لبنان كله من حدود طرابلس الى ضواحي يافا خاضعاً له فتوفي سنة ١٥٤٤ وخلفه ابنه قرقماز . واتفق سنة ١٥٨٤ ان اموالاً كانت مرسلة الى السلطان العثماني مرت بلبنان فنهبت في جون عكار فوقعت التهمة على آل سيفا الاكراد المتقدم ذكرهم لانهم في تلك الناحية . فبعث ابراهيم باشا والي مصر يومئذ الى الامير قرقماز المعني ان يبحث عن الناهبين وأرسل جنداً عظيماً لمقاصة المذنبين وهدد قرقماز .

خاف وفرَّ الى حزين وتوفي هناك وله ولدان صغيران أحدهما يسمى فخر الدين أيضاً فاحتضنهما خالهما الامير سيف الدين التنوخي ورباهما . ولما هدأت الاحوال وشب فخر الدين صارت الامارة اليه على بلاد الشوف واشتهر بالدهاء والبسالة وحارب آل سيفا وتغلب عليهم مراراً وهو فخر الدين الثاني او الكبير وفي ايامه امتدت امرة لبنان جنوباً الى حدود العريش وشمالاً الى حدود حلب وسميت عربستان

وكانت طرابلس قد صارت ولاية عثمانية عليها والٍ اسمه علي باشا جنبلاط تمتد ولايته الى حلب حدثته نفسه بالاستقلال فحاربته الدولة وظفرت به . وكان الامير فخر الدين قد عرف بصداقته فخاف على مركزه واسترضى الوزير بهدية فرضي . وانعم على ولده بسنجقية بيروت وصيدا وغزير . فاخذ اعوانه يسعون فيه عند الدولة وانه يتحصن للخروج عليها . وكان قد تعرف في بيروت الى بعض أهل البندقية وهم يومئذ اصحاب التجارة في الشرق . فلما تحقق الخطر المحدق به من الدولة جمع أمراءه ورجاله واستشارهم في الامر فعلم انهم لا يستطيعون الدفاع عنها . فاضطر الى الفرار بحراً الى أوربا في سفن البنادقة . وكان قد سبق آل مديتشي أمراء فلورنسا . . . فاكرموا وفادته وانزلوه في ليغورنو وكان لوفود ذلك الامير العربي هناك شأن كبير وكثرت الاقاويل في أمره . واغتنم الحبر الاعظم . . . واراد الاستعانة به على مناوأة الدولة وهو لا يجيبهم . . . فقضى في . . . سنة ثم عاد الى توسكانا . . . في الرجوع اليها ورجع بعد غياب خمسة أعوام

وكان الامراء الشهابيون قد استتب لهم الامر في وادي التيم وهم حلفاء الامير فخر الدين فحاربهم حموِد الشام سنة ١٦٣٢ فاستنجدوه فنجدهم وانتصروا على جنود الدولة . فعمدت الدولة الى قهره مستعينة بآل سيفا الاكراد فهاجموه براً وبحراً فهزموا المعنيين من بيروت وصيدا . وتكررت المحاربات في نحو هذا المعنى فانتهى الامر بتغلب الدولة فقتلت الامير فخر الدين وأولاده وفرّ آل سيفا وأخذ نفوذ المعنيين بالزوال . واهتمت الدولة بمناصبة الشهابيين والمعنيين جميعاً وساعدها اعداؤهما من العشائر اليمانية وانتهت المدافعة بفرار الشهابيين من وادي التيم فدخلت هذه البلاد في ولاية الشام وصارت سنجقية . وتوفي الامير أحمد المعني آخر آل معن سنة ١٦٧٩

فلما انقرضت هذه الاسرة اجتمع مشائخ لبنان من المقاطعات السبع وتشاوروا في من يتولى حكومتهم . فقر رأيهم على أن يصير الامر الى بني شهاب وأولهم الامير بشير الشهابي (الاول) وهو أول من حكم لبنان من الشهابيين

الامراء الشهابيون

والشهابيون اشهر العشائر اللبنانية يرجعون بنسبهم الى مالك بن الحارث الملقب شهاب من قبيلة مرة بن كعب من قريش . وكان مالك وابوه في جملة الحملة التي انفذها ابو بكر سنة ٦٣٣ م تحت لواء ابي عبيدة لفتح الشام فحاربوا في اجنادين واليرموك ومرج الصفر . ثم حاصروا دمشق فقتل الحارث في اثناء الفتح . واقام ابنه مالك في حوران بامر الامام عمر بن الخطاب مع عشيرته واهله . ويقال في سبب تلقب مالك هذا بشهاب ان امه كانت من ذرية شهاب بن عبدالله بن الحرث بن زهرة القرشي فقيل لذريته بنو شهاب . وتوالت الامارة في اعقابه ولهم مواقع في التاريخ لا محل لها هنا . وقد رأيت انهم كانوا حكاماً في وادي التيم واضطروا اخيراً للفرار منها الى لبنان . فلما انقرضت دولة آل معن انتقلت امارة الجبل اليهم واولهم الامير بشير المتقدم ذكره لانه ابن اخت الامير احمد المعني . وكان الامير بشير عادلاً مات سنة ١٧٠٧ فخلفه الامير حيدر

وكان اهل الجبل منذ عهد حروب بين فرقتي القيسية واليمنية كما تقدم فاضعف حزب اليمنية . ثم انقسم حزب القيسية الى حزبين آخرين يعرفان بالجنبلاطية واليزبكية واستحكمت العداوة بين هاتين الفرقتين فكانوا لا يخلو من حروب بينهما . وكان هناك حزب ثالث يقال لهم النكدية على الحياد ينضمون الى احد الحزبين حسب الحاجة . ومع ذلك فالامير حيدر تسلط عليهم جميعاً

ولهذا الامير حروب مع المتولة والامراء اليمنيين مشهورة . وفي ايامه انقرض اليمنيون وخلفهم بنو اللمع لان الامير حيدر قسمهم وولاهم المقاطعات . وقسم ايضاً آل نكد وآل تلحوق ومنحهما لقب شيخ فصاروا من المشائخ . وللامير حيدر اخبار كثيرة وتوفي سنة ١٧٣٢ فخلفه ابنه الامير ملحم وحارب المتولة وغيرهم مراراً فوقعت هيبته في قلوب الناس

وتوالت امارة لبنان في بني شهاب . وكانت لبنان في عرف الدولة عبارة عن سنجق الشوف التابع لايالة صيدا وهو يشتمل على سبع مقاطعات الشوف والمناصف والعرقوب والجرد والمتن والشحار والغرب . وفي كل مقاطعة عشيرة تحكم فيه فكان في الشوف بنو جنبلاط وفي المناصف بنو ابي نكد وفي العرقوب الاعلى بنو العيد وفي العرقوب الادنى بنو الهد وفي الجرد بنو عبد الملك وفي المتن بنو اللمع وفي الغرب الاعلى بنو تلحوق وفي الغرب الادنى بنو ارسلان . وكان كل منهم متصرفاً في مقاطعته وهذه العشائر كلهم دروز وبسبب استيلائهم على هذه البلاد اطلق عليها اسم بلاد الدروز .

وربما قيل جبل الدروز . ثم سُمي في ايام المتصرفية بعد ذلك

وكانت المقاطعات الداخلة في حكومة جبل لبنان في الجانب الغربي من لبنان اقليم الخروب واقليم التفاح واقليم جزين والشوف والمتن [illegible] مع [illegible] وفي الجانب الشمالي كسروان والفتوح وبلاد جبيل وبلاد البترون وجبة المنيطرة وجبة بشري والكورة [illegible] . [illegible] يتصرف فيه مشايخ [illegible] وبلاد جبيل والبترون فيتصرف فيها [illegible] في [illegible] المشايخ [illegible] . واما كسروان فكان يحكم فيه مشايخ بني الخازن وجبة المنيطرة مشايخ بني حماده والكورة الفوقانية مشايخ بني العازار و[illegible] مشايخ بني [illegible]

الامير [illegible]

[illegible] امراء لبنان في آخر عهد بني شهاب الامير بشير الذي [illegible] الحكم من سنة ١٧٨٨ الى سنة ١٨٤٠ [illegible] في [illegible] مشرق [illegible] وفي آخر [illegible] بني شهاب [illegible] وكان الامير شهيراً [illegible] على [illegible] وقد [illegible] في سنة [illegible] سلطة [illegible] كان [illegible] في وجهه [illegible] الى [illegible] من الشام سنة ١٨٤٠ بعد [illegible] سنين [illegible] في [illegible] الى [illegible] حتى [illegible]

[illegible] امارة [illegible] الى الامير بشير [illegible] وقعت [illegible] فتنة [illegible] الى [illegible] سنة ١٨٤١ حدثت فتنة [illegible] الاولى [illegible] اجتمع [illegible] مثل [illegible]

ولاياتها . فبعثت مندوباً كاشفهم في الامر على ان يتولى الجبل والٍ من رجال الدولة . فابى النصارى ان يتولاهم غير الشهابيين . واما الدروز فقبلوا فولت عليهم عمر باشا الشهير سنة ١٨٤٢ فاحسن السياسة مع النصارى وقسمهم فنقم الدروز عليه ومعهم بعض المسيحيين . وعادوا فطلبوا تعيين احد الشهابيين حاكماً واشترطوا شروطاً اخرى واستخدموا القوة ففازوا اولاً ثم استعد عمر باشا وحاربهم وفتك فيهم

وتوالت الفتن بعد ذلك وقد انقسم اللبنانيون فيما بينهم الى احزاب تجتمع تحت حزبين كبيرين : النصارى والدروز . فجرت بينهما حرب اهلية سنة ١٨٥٥ تعرف بالحركة الثانية . وبعد خمس سنوات حدثت الحركة الاخيرة المعروفة بحادثة ستين لانها جرت سنة ١٨٦٠ رافقتها المذابح في دمشق وحاصبيا ولبنان وجرت فيها الدماء مما تقشعر له الابدان . وكانت الخسارة معظمها على المسيحيين . ويقدر عدد قتلاهم باحد عشر الف نفس . فبعثت الدولة فؤاد باشا الصدر الاعظم لمقاصة المذنبين فاعدم جماعة من وجهاء الشام ونفى آخرين

٣ — لبنان بعد استقلاله الاداري

من سنة ١٨٦١ — الآن

وكانت فرنسا حامية المسيحيين في الشرق فسعت للاخذ بناصرهم بعد هذه المذابح فارسلت ٧٠٠٠ جندي برضى الدول وعقدت لجنة دولية نواب عن فرنسا وانكلترا وروسيا وبروسيا والنمسا وبحثت في مجرى . فآلت تلك المفاوضة الى جعل لبنان امارة (متصرفية) مستقلة بادارتها تحت رعاية الدولة العثمانية وحماية تلك الدول بشروط وضعوها وصادقت الدولة عليها عرفت بنظام لبنان (في ٩ يونيو سنة ١٨٦١) هذا نصه :

نظام لبنان

١ — يتولى ادارة جبل لبنان متصرف مسيحي تنصبه الدولة العلية ويكون مرجعه الباب العالي رأساً وهو غير قابل العزل وتعهد اليه كل حقوق القوة الاجرائية وعليه ان يسهر على حفظ الراحة والنظام في الجبل كله وان يحصل التكاليف ويحصر ارتفاعه التي ينالها من لدن الحضرة الشاهانية بعض تحت عهدته مأموري الادارة المحلية وينفذ احكام القضاة ويعقد المجلس الكبير ويتولى رئاسته ويعقد الاعلامات القانونية الصادرة من المحاكم معدا للامور التي ستذكر في المادة ٩ وكل عنصر من عناصر شعب الجبل يمثله لدى المتصرف وكيل يعينه الكبراء والوجهاء في كل طائفة

٢ — ينبغي ان يكون في الجبل كله مجلس ادارة كبير يؤلف من اثني عشر عضواً وهم : اثنان مارونيان واثنان درزيان واثنان من الروم الكاثوليك واثنان من الروم الارثوذكس واثنان من المتاولة واثنان من المسلمين . ويكلف هذا المجلس توزيع التكاليف والبحث في ادارة عوائد

الجبل ونفقاته وبيان آرائه الشورية في المسائل التي يعرضها عليه المتصرف كلها

٣ يقسم الجبل الى ست مقاطعات ادارية وهي : اولاً الكورة مع الجهة القريبة وقطع الارض المجاورة الآهلة بالحاوين على مذهب الروم الارثوذكسي ما عدا بلدة القلمون الكائنة على ساحل البحر ومعظم سكانها من المسلمين ثانياً الجهة الشمالية من لبنان ما عدا الكورة حتى نهر الكلب ثالثاً زحلة وما يتبعها من الارض رابعاً المتن ومعه ساحل النصارى واراضي القاطع وصليما خامساً الارض الكائنة في جنوبي طريق الشام وبيروت حتى جزين سادساً جزين واقليم التفاح ويكون في كل من هذه المقاطعات مأمور اداري يعينه المتصرف ويختار من الطائفة الغالبة سواء بعدد نفوسها او بأهمية املاكها

٤ يجب ان يكون في كل مقاطعة مجلس ادارة محلي مؤلف من ثلاثة اعضاء الى ستة يمثل عناصر الشعب ومصالح الاملاك في المقاطعة ويجب ان يجتمع هذا المجلس مرة في السنة برئاسة مدير المقاطعة وبدعوة منه وعليه ان ينظر في كل شيء في الامور الحسابية الادارية ويسمع مطالب الاهالي ويؤدي المعلومات الاحصائية اللازمة لتوزيع التكاليف في المقاطعة ويعطي رأيه الشوري في كل المسائل المتعلقة بالمنافع المحلية

٥ تقسم المقاطعات الى نواح على نمط قريب المشاكلة من تقسيم الاقاليم القديمة ولا يكون بها على قدر الامكان الا [illegible] وتقسم النواحي الى جماعات تتألف من ٥٠٠ نفس على الاقل ويكون في كل ناحية [illegible] يعينه المتصرف [illegible] مدير المقاطعة ورأس كل جماعة او قرية شيخ ينتخبه الاهالي ويعينه المتصرف [illegible] اما في القرى المختلطة فيكون لكل عنصر كافي العدد من الشعب شيخ خاص لا [illegible]

٦ قد تقرر [illegible] والحقوق [illegible] وألغيت كل امتيازات الاعيان ولا سيما امتيازات اصحاب المقاطعات

٧ يكون في كل ناحية قاضي صلح لكل طائفة ومجلس [illegible] في كل مقاطعة مؤلف من اثني عشر عضواً ستة اعضاء لكل طائفة من الطوائف الست المذكورة في المادة الثانية ويضاف اليهم عضو من المذهب البروتستانتي او الاسرائيلي كلما كان لاحد من هذه المذاهب مصلحة او دعوى وتكون رئاسة المجالس القضائية لكل من اعضائها بدوره كل ثلاثة اشهر

٨ لقضاة الصلح ان يحكموا في الدعاوي التي لا تتجاوز قدرها ٥٠٠ قرش حكماً غير مستأنف واما الدعاوي المتجاوز قدرها ٥٠٠ فهي من صلاحية المحاكم الابتدائية على انه لو عرضت امور مختلطة وهي الدعاوي الواقعة بين اشخاص مختلفي المذاهب فهما كانت قيمتها يجب عرضها لدى المحاكم الابتدائية الا اذا اتفق الفريقان على الرضى بصلاحية قاضي الصلح الذي على مذهب المدعى عليه ثم انه تبعاً للمبدأ العام يحكم في كل دعوى بتحقيق الآراء بين اعضاء المجلس الا انه اذا كانت كل الفرق الداخلة في الدعوى من مذهب واحد فلهم ان يردوا الحاكم لاختلاف مذهبه غير ان الحكام المردودين من هذا الوجه لا بد من حضورهم المحاكمة

٩ تقتضي المحاكمة في الدعاوي الجزائية ان تكون على ثلاث درجات وهي ان ينظر في دعوى القباحة (المخالفة) قضاة الصلح وفي الجنح والجرائم المحاكم الابتدائية وفي الجنايات مجلس المحاكمة الكبير واما اعلانات الحكم الصادرة عن هذا المجلس فلا تكون وضعها موضع التنفيذ ما لم [illegible] المعاملات الجارية بها العادة في سائر الممالك المحروسة الشاهانية

١٠ كل دعوى تجارية ترفع لمحكمة التجارة في بيروت وكل دعوى ولو مختصة بين واحد

من ذوي الناحية الاصلية او احد القاطنين في حاصبيا وبين آخر من اهل الجبل ترفع الى المحكمة المذكورة

١١ كل اعضاء المحاكم ومجالس الادارة بلا استثناء وقضاة الصلح ايضاً ينتخبهم ويعينهم رؤساء طوائفهم بالاتفاق مع كبراء الطائفة وتصديق الحكومة واما اشخاص المجالس الادارية فيجدد انتخاب نصفهم كل سنة ويجوز تجديد الانتخاب للذين انتهت مدتهم

١٢ يجب ان يكون الحكام او الاعضاء جميعهم موظفين وان اقدم احدهم على ارتكاب الرشوة او ثبت بالتحقيق انه أتى ما لا يليق بمنصب مأموريته فهو مستحق للعزل من منصبه وللتأديب ايضاً على قدر ذنبه

١٣ يجب في المجالس العدلية او المحاكم على الاطلاق ان تكون المرافعة علنية وان يعقد ضبط الدعوى ان كانت بخصوص [illegible] وما عدا ذلك فان كان هذا المكان مأموراً باتخاذ محل لقيود المكونات المختصة بجميع الاملاك الثابتة او العقار فلا يعمل بهذه الصكوك ما لم تقيد على اصولها في السجل المذكور

١٤ ان التبعة من اهالي جبل لبنان لو ارتكبوا الجرائم في غير الالوية فرجع الدعوى عليهم هو الى الواقع فيه الجرم وكذا مرتكبو الجرم من اهالي سائر الالوية داخل نطاق جبل لبنان ينبغي ان تجري محاكمتهم والحكم عليهم بمقتضى جرائمهم في جبل لبنان وبناء على ذلك فان المجرمين في جبل لبنان [illegible] المعدودين من اهل دير اخرى اذا فروا الى [illegible] لاشعار الوارد من جانب ادارة جبل لبنان [illegible] على ادارة [illegible] اليه من المجرمين في احد الالوية [illegible] وما مورو الادارة الذين [illegible] هؤلاء التبعة الى المحاكم المربوطة [illegible] ترعية فتجري عليهم الاجراءات [illegible] من الحكومة والحاصل ان العلاقات اللازم اجراؤها بين ادارة جبل لبنان والالوية المجاورة لها تكون كالمواصلات الجارية والمتحدة بدستور العمل بين سائر السناجق في ممالك الدولة العلية

١٥ ان جبل لبنان [illegible] امر [illegible] واحد الواجب في الازمنة العادية انما يكون بواسطة فرقة من الضابطة مجموعة من الاهالي [illegible] على كل الف من النفوس ويجب منع [illegible] الخيالة والقيام بوظيفة الضابطة في الموت والاحتياج من ذلك بالسبب الكراهية كالتفتيق [illegible] السعي [illegible] على ذلك [illegible] مأمورو الضابطة تحت التأديبات الشديدة ان يصادروا اهالي البلاد [illegible] الاجرة [illegible] او [illegible] وحمل الضابطة [illegible] رسمي او ادوية مميزة لهم في خدمتهم وان [illegible] طريق بيروت ودمشق وضبطها وحراستها تحت محافظة العساكر الشاهانية الى ان يصدق المتصرف على ان عدد الضابطة صاروا كافياً لاجراء جميع الوظائف المحولة عليهم في الازمنة العادية وعندما العسكر يكون لدى المتصرف وبادارته وللمتصرف ان يطلب من الحكومة العسكرية في سورية الامداد بالعسكر الشاهانية في الاحوال غير العادية اذا دعت الضرورة بعد ان يستشير مجلس الادارة الكبير في ذلك [illegible] الضابط الذي بذات قيادة هذا العسكر [illegible] المتصرف في [illegible] وهو (اي الضابط المومأ اليه) وان كان مختاراً ومستقلاً بامور العسكر الخصوصية كاجراء الحركات والمقامات المختصة الا [illegible] وجوده

في الجبل الى يلزم معية المتصرف وتجري اعمال تحت عهدته . وفي حال اعلان المتصرف رئيس العسكر وعودته رسمياً ان قد زال السبب الذي من اجله ورد العسكر الى الجبل يجب اخراجه منه

١٦ ان الدولة العلية تحافظ على حقها المعلوم بتحصيل مال المال الاميري المعين الآن ٣٥٠٠ كيس وذلك على يد المتصرف على انه يجوز الابلاغ هذا القدر الى سبعة آلاف كيس عند الامكان بحيث ان انه التحصيل تخصص بالمؤسسة بادارة الجبل ونفقات ما صرفه العمومية فاذا فضل منه شيء رد الفاضل الى الخزينة . واذا اقتضت شدة الضرورة الى تحسين مجرى الادارة مزيداً على التكاليف المعينة فيرجع في تسوية الزيادة الى خزينة الدولة . ولكن من المقرر ان السلطنة السنية لا تقوم باداء مصاريف الانشاءات العمومية وسائر النفقات غير العادية ما لم يتقدم موظفوها وتصديقها عليها

١٧ يجب معجل الشروع في احصاء نفوس اهل الجبل محلاً محلاً وملة ملة ومسح جميع الاراضي المزروعة . تقرر واتفق عليه في بيروت في ٩ حزيران سنة ١٨٦١

(الامضاءات) : عالي — بلور — لافالت — بروكش اوستين — غولز لابانوف

وقد حصل بعض التعديل في هذا النظام بعد صدوره فتقرر ان لا يكون المتصرف الا من المذهب اللاتيني وان تكون مدته خمس سنوات يجوز تجديدها وجعلت مقاطعات الجبل سبعاً . وتعينت البلاد التي ينتخب منها اعضاء مجلس الادارة ونظم الانتخاب وشروطه مع تعديل حقوق الخدمة واصلاح المحاكم امور الرهبنات في ما بين رعاياها من الدعاوي وغير ذلك . وقد صدر نظام مشتمل على الاصل والتعديل سنة ١٨٦٤ في ١٨ مادة

على انك اذا تدبرت هذا النظام رأيته مبنياً على التقسيم الديني فهو لا يوافق روح هذا العصر فضلاً عن ابهامه ونقصه . ولذلك ما زال اللبنانيون من بضع عشرة سنة يطلبون تعديله وبذلوا مطالبهم بتقرير عامة رفعوها الى الدولة العثمانية وسائر الدول ولم يسمع صوتهم الا بالامس على اثر الحرب البلقانية وعلمت الدولة انها سمحت اللبنانيين مطالبهم . ولما ظهرت تلك المطالب لم يجدوا فيها شيئاً يستحق الذكر وخلاصتها : « ان المتصرف لا يجوز له الحكم على احد اعضاء مجلس الادارة الا بموافقة المجلس بعد التحقيق . وان يشترك المتصرف والمجلس في تقرير الميزانية . وان تنظر المحاكم اللبنانية في الدعاوي التجارية من المرحلتين الاولى والثانية اذا كان اصحابها كلهم لبنانيين . وان يتألف الجند اللبناني من ١٢٠٠ جندي . وان تمسح الاراضي وتحصى الانفس وتعدل الضرائب . وان ترسو البواخر في مرفأي جونيه والنبي يونس بناء على رغبة الحكومة اللبنانية » وقد تقررت هذه المواد في ٢٣ دسمبر سنة ١٩١٢ مع تعيين المتصرف الجديد بتوقيع الباب العالي ونواب الدول الموقعة على نظام لبنان . وليست هذه المواد كل ما يطلبه لكنهم استبشروا بالاستجابة وتوسموا الحصول على المطالب الاخرى ومن اهمها ان يلحق البقاع بالجبل

ولاة لبنان بعد استقلاله

وتولى على أثر ذلك متصرفون [illegible] حتى الآن [illegible] منهم ولكل منهم

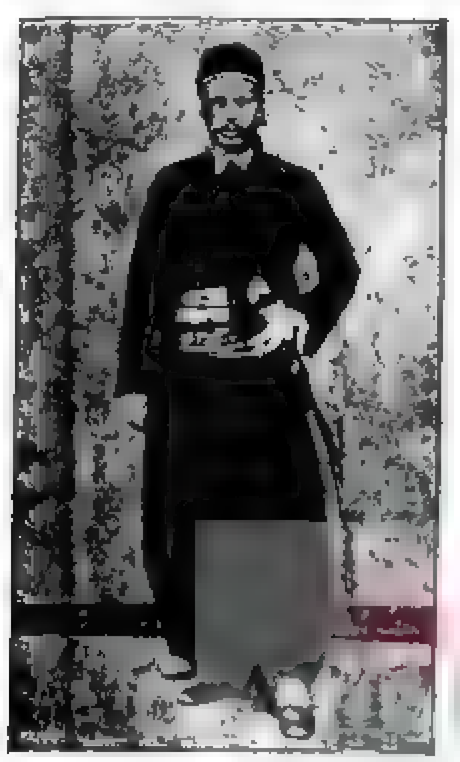

شأن خاص وقد أدخل بعضهم شيئاً من التحسين في حوله . أولهم داود باشا من سنة ١٨٦١ – ١٨٦٨ وهو رومي الأصل . وفي أيامه حدثت فتنة يوسف بك كرم الإهدني . وكان داود باشا [illegible] عن [illegible] يوسف كرم [illegible] في حربة [illegible] نحو من [illegible] ومعه ٣٠ ألف نسمة من أهل حوزته فعهد إليه بقائمقامية النصارى . فلما تولى داود باشا [illegible] يوسف كرم [illegible] من منصبه [illegible] ملاحظات [illegible] فسيح يوسف كرم [illegible] وقد بعث [illegible] فتنة حرب [illegible] أسهبت شرحها [illegible] يوسف

[illegible] بك كرم

كرم من سورية إلى أوروبا ثم انتقل إلى تونس وتوفي في [illegible] وقد نقلت جثته إلى لبنان . وكان شجاعاً [illegible] أهل سورية [illegible] شجاعته إلى الآن
ورأت الدولة من جهة أخرى أن داود باشا [illegible] في الاستقلال [illegible] فعزلته

وخلفه فرنكو باشا حتى توفي سنة ١٨٦٨ – ١٨٧٣ وفي أيامه تم سلخ البقاع عن لبنان وألحق بولاية سورية . وكان [illegible] داخلاً في حكومة لبنان من زمن بني معن وبني شهاب في [illegible] ذكره لم تذكر البقاع في حدوده ولكن [illegible] محدود من [illegible] إلى نهر الليطاني شرقاً ونهر القاسمية جنوباً . فأراد داود باشا [illegible] ومرج عيون وبيروت [illegible] وفي [illegible] إمارة لبنان [illegible] أحدث في [illegible] البقاع فساعد [illegible] البقاع كله منه وجعله قائمقامية تابعة لولاية سورية في زمن فرنكو باشا . ولا يزال كذلك حتى الآن

فانسلاخ البقاع عن لبنان حرم اللبنانيين من أخصب موارد الثروة ، ولم يبق لطلاب العلى منهم الا وظائف الحكومة أو المهاجرة . فأدى ذلك الى مهاجرة اللبنانيين . ثم تولى رستم باشا الايطالي اللاتيني سنة ١٨٧٣ وكان حازماً شديداً في الحق وفي أيامه أنقصت الاعانة التي كان على الدولة ان تدفعها لصندوق لبنان كما هو مبين في النظام فازداد لبنان فقراً . وجعل رستم باشا ديدنه مقاومة نفوذ الاكليروس

رستم باشا

فاغتصبهم وظلوا ناقمين عليه الى آخر ايامه . لكنه كان عادلاً وقد ضرب على أيدي أصحاب الرشوة وابطل الدالة والوساطة . وجاء بعده واصه باشا الالباني اللاتيني سنة ١٨٨٣ وفي ايامه شاعت الرشوة شيوعاً لم يسبق له مثيل . فاختلت الاحكام وتطرق الفساد الى الاخلاق وضاقت سبل الرزق وتضاعفت المهاجرة في ايامه الى اميركا وغيرها . ويقال ان عدد الذين هاجروا في مدة ولايته نحو سبعين الف نفس . وخلفه سنة ١٨٩٢ نعوم باشا الحلبي اللاتيني فحكم لبنان عشر سنوات وضرب رسوماً أثقلت عاتق اللبنانيين . وكانت الرشوة قد تأصلت في عهد سلفه فلم يقدر على ابطالها . وخلفه مظفر باشا البولوني اللاتيني سنة ١٩٠٢ وهو مصمم على اصلاح ما أفسد خلفاؤه لكنه لم

بجنس الاسلوب . اخذ ينصر الشعب فكان اثناء الحملات التي تبث روح الحرية الشخصية ومناهضة رؤساء الاديان . فغضب الاكليروس وسائر الزعماء واشتد الامر حتى خيف من ثورة أهلية فوافته المنية سنة ١٩٠٧ فقضت الخلاف . فغادر لبنان وقد ضعفت فيه سيادة الزعماء ولم ينضج الرأي العام فاصبحت الاحوال فوضى . وخلفه يوسف فرنكو باشا افندي خاتم الامس وفي ايامه أعلن الدستور العثماني فظهر منه في اثنائه ضعف انتقده العارفون . وخلفه في الشهر الماضي قبوجيان باشا المتصرف الحالي ومعه ما وافقت الدولة على منحه لبنان من المطالب كما تقدم . وسنتكلم عن احوال لبنان الاجتماعية والاقتصادية فيزداد تاريخه وضوحاً

التربية والهيئة الاجتماعية [1]

او فلسفة التربية

ينشأ الطفل جاهلاً نفسه ومحيطه وما من نسبة بحق معرفتهما فهو كالانسان الاول من حيث خضوعه لقوى الطبيعة وخوفه منها واستنباطه الوسائل لمقاومة اعدائه وغير ذلك مما تقتضيه الحيوانية . فهو لا يحفظ اختباراته لنفسه فقط لكنه يلقنها لاولاده ويعلمهم ما اكتسبه بنفسه أو ورثه عن آبائه — وما زالت تلك الاختبارات تتراكم منذ وجوده . ومجموعها نسميه « المدنية »

والتربية في اعم معانيها اعداد الطفل ليعيش في المحيط الذي وجد فيه . فتختلف التربية باختلاف المحيط فلا يعامل الزنجي في التربية معاملة الاوربي لان ما يقتضيه محيط الأول غير ما يقتضيه محيط الثاني . فالفرد يأخذ بواسطة والديه ومعلميه ما اكتسبته أمته من العلوم والمعارف ليصير شريكاً لها في مدنيتها وعضواً عاملاً في حياتها

والتربية تستغرق جزءاً مهماً من حياة الفرد ففي السنوات الثلاث الاولى ينصرف الطفل الى تربية جسمه وتنظيم حركاته . ومن الثالثة الى السادسة والعشرين فما بعدها يتلقن اختبارات امته ومعلوماتها فيشاركها شيئاً فشيئاً في حياتها الادبية — ونعني بالحياة الادبية مجموع العلاقات التي يشترك فيها افراد الامة من مصالح واعمال وآمال

(1) ملخصة من كتاب فلسفة التربية لهورن

كيف يبدأ الطفل العيش في محيطه

من الحقائق المقررة في علم الحياة ان الجنين يمر في اثناء تكوينه بالادوار التي مر فيها جنسه في أثناء نشوئه وارتقائه . فالجنين البشري مثلاً يمثل الانواع التي نشأ عنها بالتتابع – وكذلك التربية فانها تعيد في الطفل تاريخ امته العقلي فتطلعه شيئاً فشيئاً على اختباراتها واكتشافاتها وسائر معلوماتها حتى يصير اهلاً لمعاشرة اهله وسائر بني وطنه – ان الانسان جزء من مجموع لا حياة له بدونه . فحياة المجموع لا تقوم بالتناسل الجسدي فقط بل بالتناسل العقلي ايضاً . فكما ان الطفل يرث من آبائه لحماً ودماً كذلك يجب ان يرث ما بلغوا اليه من ثمار عقولهم . فعمل التربية – بأوسع معانيه – اعداد الفرد لمحيطه الادبي وموضوعنا هنا – اي علاقة التربية بالهيئة الاجتماعية – يقتضي النظر في ثلاثة مباحث :

١ً مم يتكون المحيط الادبي

٢ً تأثير التربية في الحياة الاجتماعية

٣ً النتائج العملية من هذا البحث ولنبحث في كل منها على حدة

اولاً – مم يتكون المحيط الادبي

قوى الانسان العقلية ... وهو يشعر بعواطفه ويعلم بقوة ادراكه ويعمل بارادته . ولكل من هذه القوى صفتة من الظواهر الادبية . منها ما يشعر به ومنها ما يدركه ويعلم ومنها ما يريده ويعمل . فالتربية الصحيحة ترمي الى ثلاثة امور اساسية تقابل قوى الانسان المذكورة وهي

اولاً – حب الجمال وكره القبح وهو من قبيل العواطف

ثانياً – ادراك الحقيقة وتجنب الوهم وهو متعلق بالادراك

ثالثاً – العمل بالفضيلة وترك الرذيلة وهو من شؤون الارادة

فلى هذا الثالوث – ثالوث الحقيقة والفضيلة والجمال – تسمو الادبية الراقية وعلى دعائمه يبنى الكمال البشري . فعليه العلوم على اختلاف شكلها ادرك « الحقيقة » ومرمى الفنون على اختلاف صورها « الشعور بالجمال وتصويره » واقصى القدوة في اعمال الامم والاشخاص « الفضيلة » واليك جدولاً يوضح ما يتألف منه المحيط الادبي :

- العلوم
  - العلوم المادية
    - العلوم غير الحيوية
      - الطبيعيات
      - طبقات الأرض والمعادن
      - الجغرافيا
      - الكيمياء
      - الفلك
    - العلوم الحيوية
      - علم الحياة (النبات والحيوان)
      - البيولوجيا
      - التشريح
      - علم الإنسان (الانتروبولوجيا)
      - طبقات الأمم (الاثنولوجيا)
      - الاجتماع
      - الاقتصاد
  - العلوم [illegible]
    - علم النفس (السيكولوجيا)
    - [illegible]
    - [illegible] ([illegible])
    - الفلسفة الأدبية
    - الرياضيات
    - [illegible]
- الفنون
  - الهندسة
  - [illegible]
  - [illegible]
  - [illegible]
  - [illegible]
  - [illegible]
- الثمار العمرانية
  - [illegible]
  - [illegible]
  - [illegible]
  - [illegible] ([illegible] الأعمال)

العلوم

فالعلوم هي نتاج العقل البشري في فهم الظواهر المادية والعقلية التي يعيش الانسان في وسطها — ومرماها ادراك حقيقة الواقع . والعالم كما يعرفه الانسان مركب من جوهرين المادة والروح فالعلوم قسمان علوم طبيعية وعلوم عقلية أو نفسية . ينظر الانسان اولا الى الخارج فيتأمل المادة وظواهرها ثم يعكس نظره على نفسه فيرى العقل وقواه . والمادة نوعان : عضوية [illegible] وهي ما ترابطت اجزاؤه ترابطاً تاماً بحيث تتوقف حياة المجموع على حياة اجزائه كالحيوانات والنباتات . وغير حية وهي ما لم تترابط اجزاؤه كأنواع الجماد فاذا انفصل جزء من المجموع لا [illegible] وليس كذلك الكائنات الحية

وقد بحث الانسان اولاً بحواس المادة فبحث علم الطبيعة . [illegible] علم طبقات الارض والمعادن فالجغرافيا والكيمياء والفلك . ثم بحث في الكائنات الحية فتولد علم النبات والحيوان ونتيجتهما علم وظائف الاعضاء (الفيسيولوجيا) والتشريح في تركيب الاعضاء واشكالها . وعلم الانسان وعلم طبقات الامم وعلم الاجتماع والاقتصاد . وبعد ان عرف شيئاً عن العالم الخارجي [illegible] النفس . ثم نظر الى ظواهرها واخذ [illegible] وعلوم [illegible] وغيرها

على ان الانسان لا [illegible] منها ويطبقها على اعماله . بل هو [illegible] من كل شيء ثم يفكر في تطبيق [illegible] . فلكل علم من العلوم مهمة [illegible] . فمهمات [illegible] وعلم الجيولوجيا والمعادن يطبقان علمياً في المناجم . والكيمياء تدخل في اكثر الصنائع والفلك والجغرافيا لا غنى عنهما في الملاحة والسياحة . والتشريح والفيسيولوجيا [illegible] الطب . ولا [illegible] من العلوم الاجتماعية في تنظيم الدول و[illegible] السلام . والطبيعة الادبية [illegible] تحسين الاخلاق بين الناس . وعلم النحو يرمي الى [illegible]

ولنشر العلوم فوائد عديدة اولها واهمها انها ترشد المتعلم الى الحقائق الاساسية المتعلقة بما يكتنفه من الناس والاشياء فيعرف كيف يدبرها . وهناك فوائد اخرى [illegible] نجد مثلاً العلوم المادية تقوي قوى الملاحظة والاستنتاج وتسهل الانتقال من العام الى الخاص ومن الخاص الى العام وتساعد على ترتيب الافكار و[illegible] وتعليل الحوادث في [illegible] . وانظر الى العلوم العقلية فهي تعرف الانسان [illegible] وقواه وترشده الى كيفية استخراج الحقيقة وتحثه على البحث في مبدأ الكائنات

ومرجعها . وتحمله على بينة من اخلاق الناس وطباعهم وتفهمه محبة الفضيلة والجمال ليحبهما ويعمل بهما

الفنون

والفنون نتاج العواطف . وهي على أشكالها ترجع الى تمثيل الجمال بأكمل صوره . والجمال هو ما ترتاح اليه النفس من تناسب في الاجزاء تؤدي معنى او تمثل صفة كاملة في المجموع . أو كما قال الرومان الفن هو استخراج معنى كلي من عدة معان جزئية . والفنون الاساسية خمسة . هندسة البناء والحفر والتصوير والموسيقى والادب وغايتها كلها تمثيل الجمال فقط الا هندسة البناء فانها تعود على الانسان بفائدة حسية

وقد اضافوا الدين الى الفنون لانه واياها يسيلان من نبع واحد . نعني العواطف . فالفنون مبنية على الشعور بالجمال أما الدين فاساسه الشعور بالكمال السماوي . فليس الدين في الاصل ما يعتقده الانسان او يعمله بل هو ما يشعر به ازاء الكون . فالاعتقاد والعمل تابعان للشعور

لاشك أن الفنون الجميلة مهمة ولاسيما في الشرق على أن تأثيرها في النفوس عظيم جداً لان محبة الجمال ترقي شعور الانسان وتحمله على التمسك بالكمال في كل صورة وينفر من القبيح حيثما كان . وهذا ضروري [illegible] الامم وقلما تجد فئة مهما يكن شأنها من الهمجية لم تعن بالحفر و التصوير وغيرهما . وكذا الفنون انتشاراً الادب ومنه الشعر . وبواسطته تدرس [illegible] الامم و الاشخاص وحد [illegible] وما طرأ عليهما من اسباب السرور والكدر

الاعمال

لم يكتف الانسان بالفنون والعلوم من الوجهة النظرية لكنه قرن علمه وشعوره بالعمل وما التاريخ الا تدوين اعماله . وهي على ثلاثة أنواع حسب صدورها عن الفرد أو الامة أو الهيئة الاجتماعية . فاعمال الفرد سلوكه واعمال الامة مجسمة في دستورها . والهيئة الاجتماعية تضع الشرائع والقوانين العامة . فلنقل كلمة عن هذه الاعمال ونبدأ بالتاريخ لانه جامعها وحافظها

(١) التاريخ في نظر امرسن وكارليل « تراجم مشاهير الرجال » ولكن هؤلاء لايهملون شيئاً سوى حد وحكومة . وقد عرفه آخرون بانه « السياسة الماضية » وقال نابليون « ما التاريخ الا رواية اتفق الناس على تصديقها » . وينكر بعض الفلاسفة على الانسان حرية الارادة فالحوادث التاريخية عندهم حادث طبيعي لا بد من وقوعه . وما التاريخ في الحقيقة سوى تدوين الواقع أي بقطع النظر عن شعور المؤرخ

(٢) دستور الامة أو نظامها الاساسي : وهو يجسم اخلاقها وعاداتها وأميالها ويجب أن ينمو نمواً طبيعياً فلا يمكنك أن تضع دستوراً راقياً لامة لم تستعد له . أو بكلمات اخرى على الامة أن توجد دستورها لا على الدستور أن يكيف الامة . فهو تابع لها او صورة من صور اميالها . فا تدوين الدساتير والقوانين الاساسية الا رمز عن اميال الامة . فان لم تتفق روح الدستور واميالها ذهب الدستور ضياعاً

(٣) القوانين — وهي ما تقرره الهيئة الاجتماعية لحفظ كيانها وصيانة اعضائها ويجب أن تصدر من مقام قادر على تنفيذها ولا قيمة للقوانين اذا لم تنفذ

(٤) سلوك الفرد بالنظر الى الفضيلة أو الرذيلة في اعتباره . فالفرد يسن لنفسه قوانين يتبعها . وليس تقسيم الاعمال الى صالح وطالح مبنياً على النواميس او الاهواء بل هو مبني على نتائج تلك الاعمال . فالصالح هو النافع للفرد والهيئة الاجتماعية والباطل هو الضار لها فالاول يحفظ الجنس البشري والثاني يبيده

أما تعليم التاريخ وإيقاف الناشئة على دستور الامة وقوانينها فوائده .

(١) ان المتعلم يفهم بواسطته معنى [illegible] فرد من مجموع وان السعادة تتوقف على سعادة ذلك المجموع فالامة كجسم مركب من [illegible] مشتركة المصلحة

(٢) يقف الطالب على [illegible] وما [illegible] من المجد ويفتخر بانتمائه اليهم ومشاركته لهم

(٣) التاريخ [illegible] اسلافهم من حسنات وسيئات فيتجنبون الاول ويقتدون بالثاني

(٤) معرفة تاريخ الامة يؤهل الفرد ان يكون عضواً عاملاً فيها

وخلاصة القول ان التربية تقوم بثلاثة أمور . الفنون والعلوم والاعمال . ولا يعتبر الشاب مهذباً ما لم يقف عليها ويتبحر فيها بعض التبحر . واذا اهمل احدها كانت تربيته ناقصة — ويجب على المدارس أن تدخل شيئاً من الانواع الثلاثة في بروجراماتها . نحو ما يأتي :

من العلوم : الطبيعة الطبيعية والكيمياء وعلم الحياة (النبات والحيوان) وعلم النفس والرياضيات وقواعد اللغة

ومن الفنون : الادب والموسيقى

ومن الاعمال : التاريخ

هذا مثال . وقد يزاد على الفروع المذكورة أو ينقص بعضها . وانما المقصود ان يحيط

المتعلم ببعض ما توصل اليه العقل البشري في اقسامه الثلاثة . اذ يستحيل عليه الاحاطة به . ولا يبرح من ذهن المعلم والمتعلم ان التعليم لا يقاس بعدد الدروس بل بالاثر الذي تتركه تلك الدروس في الذهن

ثانياً — تأثير التربية في الهيئة الاجتماعية

للتربية على الاجمال ثلاثة أعمال في الهيئة الاجتماعية

(١) حفظ الماضي : اذ لولا التربية لذهب كل ما بلغ اليه الانسان من المعلومات والاختبارات لانه هي تجمعها وتنقلها من جيل الى جيل مع ما يطرأ عليها من التحسين . فتتراكم بتوالي الاجيال وتزداد بها سعادة الانسان . فكأن التربية حارس المدنية تحفظها وتمنعها من التشتت والضياع

(٢) صيانة الحاضر [illegible] النفوس وتعويدهم احترام القانون . وقد ادرك مؤسسو الدول المتقدمة [illegible] لا تثبت بدون تعلم [illegible] واشنطن مؤسس جمهورية الولايات المتحدة [illegible] ان حريتنا لا تثبت الا في قبضة الشعب ولا يمكن للشعب أن يحتفظ بها الا بالتهذيب الكافي [illegible] ومن الادلة على اهمية التربية في صيانة الحاضر تأثيرها في [illegible] فهي اقوى عدو لها . لانها اولاً تنزه العواطف عن الدناءة وتقوي الارادة بحيث يتغلب الانسان على التجارب ويحتقر كل دنيئة . ثانياً يمكن بواسطتها تحويل المجرم بالارث الى عضو نافع في الهيئة الاجتماعية . وهم يفعلون ذلك اليوم في البلاد المتمدنة . ثالثاً ان التعليم يحسن المحيط الذي يربى فيه الاطفال وتقل النفوس الساقطة فيتحول الاتجاه الى الرذيلة

(٣) تمهيد سبيل التقدم في المستقبل . فالتربية لا تحفظ الماضي فقط بل تزيد عليه ما يكتشفه الجيل الحاضر . وهو التقدم بعينه والعالم يسير على قدمين : تقليد القديم واستنباط الجديد . والثاني لا يتأتى الا بعد الاول وهو وزن الفلاح . لان الامة التي تكتفي بالبقاء على القديم كالصين في الاجيال الماضية تكون كالامم الآخذة بالانحطاط يستحيل عليها مجاراة رفيقاتها في العلم والمدنية

وقد احصى عدد المتخرجين في جامعات اميركا واستخرجوا عدد الذين استحقوا منهم أن تذكر اسماؤهم في قاموس تراجم مشاهير الاميركان . فكانت نسبتهم واحداً في الاربعين . اما من غير متخرجي الجامعات فنسبة المشاهير منهم واحد من عشرة آلاف

ثالثاً — النتائج العملية من هذا البحث

١ً فالتربية تجب الهيئة الاجتماعية . والتعليم اهم اعمالها لان عليه يتوقف مستقبلها

٢ً يجب ان تكون المدرسة صورة مصغرة للعالم بحيث لا يكون بين الحياة المدرسية والحياة العملية حدٌ فاصل . فتعود الناشئة منذ صغرها على التعاضد والتعاون

٣ً لا تعني الهيئة الاجتماعية بصحة افرادها لمنفعتها بل ان المصلحة العامة والمصلحة الشخصية في الاصل رفيقان فان ما يضر العضو يضر الجسم وبالعكس

٤ً لا يجوز ان يمرح من ذهن المعلم ان الكتب انما هي عوض عن الاختبار الشخصي وكثيراً ما لا تغني عنه فلا يكتفي بحشو ادمغة تلاميذه بالاسماء الكثيرة والحقائق الناشفة

٥ً المدرسة تابعة للعائلة وتالية لها فيجب ان تقوم مقامها

٦ً على المدرسة ان تهيئ الطالب لخدمة الجماعة والمحيط الخصوصي الذين يتطلبانه فتعطيه حسب مقتضى الحال . فالامم تختلف مطاليبها واستعدادها وحاجياتها باختلاف طبائعها واحوالها

اميل زيدان

تحتاج ادارة الهلال الى ما يأتي

الجزء الاول من تاريخ التمدن الاسلامي

السنة الرابعة من الهلال

« السابعة « «

واعداد الهلال الآتي ذكرها :

العدد ٢ من سنة ١٣ و١ من سنة ٢ و٣ من سنة ١٥ و ١ و ٢ و ٩ من سنة ١٦ و١ و٨ و٩ من سنة ١٧ و١ و٢ و٣ من سنة ١٨ و١ و٢ و٧ من سنة ١٩ و٤ من سنة ٢٠ فمن كان عنده شيء من هذه المجلدات او الاعداد فليخبر ادارة الهلال بأثمانها

قائمة مكتبة الهلال

لسنة ١٩١٣

صدرت قائمة مكتبة الهلال لسنة ١٩١٣ وهي ترسل مجاناً لمن يطلبها

فرنسا وانكلترا وسويسرا

عمرانها ونظام حكومتها وحضارتها ومتاحفها

وسائر احوالها الاقتصادية والاجتماعية

من رحلة لصاحب الهلال هذا العام (تابع ما قبله)

اولاً — فرنسا

٨ – متاحفها

في ضواحي باريس

فرغنا في الهلال الماضي من وصف اهم متاحف باريس ونحن واصفون اهم متاحف ضواحيها مما وقفنا على مشاهدته ودرسه في رحلات الصيف اليها

فرسايل

هي بلدة على نحو ٢٠ كيلومتراً من باريس فيها قصر لويس الرابع عشر ومن خلفه من ملوك فرنسا . سكانها نحو ٥٠٠٠٠ نفس وفيها الشوارع المنتظمة والساحات الفسيحة والقصور الضخمة . وقد بنيت في الاصل على بقعة رملية لا ماء فيها وانما رغب لويس المذكور في بنائها لصفاء جوها ونقاوة هوائها . فانفق في انشاء قصره وجلب المياه اليها مالاً طائلاً . واحصوا عدد الذين اشتغلوا في ذلك فبلغوا ٣٦٠٠٠ رجل و ٦٠٠٠ حصان . وبلغت النفقة عليها في ايام لويس الرابع عشر ما يقدر الآن بنحو خمسمئة مليون فرنك . غير الذين سخروا في العمل بلا اجرة ولعل هذا الملك السعيد اقتدى في فعله بعبد الرحمن الناصر صاحب قرطبة ببنائه الزهراء او المنصور بن ابي عامر ببناء الزاهرة . أو ابن الاحمر ببناء الحمراء في غرناطة . وتقدر نفقات الزهراء بنحو ٥٠٠٠٠٠٠٠ دينار اي نحو ما انفقه لويس هذا على قصره في فرسايل . ولكن عدد المشتغلين في بناء الزهراء كانوا ١٠٠٠٠ رجل و ١٥٠٠ دابة . على ان الزهراء امحت الآن وعفت آثارها . واما فرسايل فلا تزال باقية والفرنساويون يبالغون في الاحتفاظ بها

الفرنساويين التاريخية والنبية سماه «المتحف الوطني» ويعرف ايضاً بمتحف فرساي
ويقسم هذا المتحف الى قسمين كبيرين (١) قاعات لويس الرابع عشر واهله وخلفائه فهي كالمتحف بإتقان صنعها وما على جدرانها وسقوفها من النقوش البديعة (٢) المتحف التاريخي الذي انشأه لويس فيليب وفيه عدد عظيم من الصور والتماثيل اكثرها متوسط القيمة من حيث الصناعة . لكنه اراد أن يمثل بها تاريخ فرنسا بحسب اطواره ورتب ذلك في قاعات عديدة لا يكاد يجد الزائر وقتاً كافياً للمرور فيها فضلاً عن درسها فنكتفي بالاشارة الى اهم ما فيها

في الجناح الشمالي من القصر كنيسة كان يصلي فيها اهل ذلك القصر متقنة النقش والوضع عليها كثير من النقوش الرخامية المدهشة والصور الدينية . منها صورة القيامة في وسط القبة . وعلى كل من المذابح صورة . وقاعات الصور التاريخية تقسم بحسب الصور او الادوار . منها قاعات تاريخ فرنسا من كلوويس الى لويس السادس عشر فيها صور زيتية كبيرة تمثل حوادث القدم في مدة لاشهر المصورين مثل دلاروش وروجيه وشفر وغيرهم . وقاعات الحروب الصليبية تمتاز باتقان جدرانها وما عليها من النقوش مع شعارات فرسان الحروب (الارمات) فضلاً عن الصور الكبرى التي تمثل الحوادث التاريخية العظيمة منها صورة تتويج امبراطور القسطنطينية سنة ١٢٠٤ م واخرى تمثل واقعة عسقلان سنة ١١٧٧ م بين الافرنج والمسلمين . وصورة معركة طولوسة بسبانيا بين الافرنج والعرب سنة ١٢١٢م . وصورة طواف الصليبيين حول اورشليم سنة ١٠٩٩م . وفي احدى هذه القاعات باب على النمط القوطي من مصنوعات فرسان رودس اهداه السلطان محمود الثاني لفرنسا سنة ١٨٣١م . ومن الصور التاريخية هناك صورة حصار رودس سنة ١٤٨٠م واخذ القسطنطينية سنة ١٢٠٤ م فضلاً عن صورة في اللوفر . وصورة فتح القدس سنة ١٠٩٩ وقطع الصليبيين البوسفور سنة ١٠٩٧ وهم زاحفون على الشرق لفتح بيت المقدس

وقاعات خاصة بصور تاريخية من سنة ١٧٩٤ — ١٨٣٠ منها صورة نابليون الاول مجروحاً في راتسبون سنة ١٨٠٩ وصور أخرى عديدة يضيق المقام عن ذكرها

وفي قاعات الحوادث التاريخية العصرية في القرن التاسع عشر عدة صور تهمُّ قراء العربية على الخصوص لانها شرقية تمثل وقائع الفرنساويين مع العرب في الجزائر تحت قيادة الامير عبد القادر المشهور . فانه حاربهم اعواماً طويلة حتى كادوا ييأسون من قهره ثم وفقوا الى ذلك بالاستيلاء على « الزمالة » وهي مقر العسكر فيه ما يحتاج اليه

الجند من الصناع والعمال والخدم وفيها اهله واعوانه وامواله وخزائنه ومؤونته والزملة عبارة عن خيام تحمل على الجمال في الصحراء ويحمل معها كل ما يحتاج اليه القوم من المؤونة والذخيرة . فاذا ارادوا النزول صفوا الخيم بترتيب معين فيعرف كل واحد خيمته ومحله . وقد عمد الامير عبد القادر الى اختراع هذه الزملة في اواخر حربه مع الفرنساويين بعد ان اصبحت بلاد الجزائر تتقدم الحروب فلم يعد يأمن الاقامة في مكان

فلما تعبت فرنسا من مناهضته أغرت صاحب مراكش على معاصتها . وعلم عبد القادر في اواخر سنة ١٨٤٧ بقدوم المراكشيين لغزو زملته ولم يكن فيها أكثر من خمسة آلاف والمراكشيون يزيدون على خمسين الفاً . فخاف الامير على رجاله وان لم يعرف الخوف قبلاً . فعادت اليه نخوته فهجم ليلاً على ذلك الجيش القابل وفرق شمل المراكشيين . ثم عادوا فاجتمعوا ثانية فهجموا فطاردهم وظهر عليهم لكنه خسر جانباً من رجاله فرأى الانسحاب افضل له فرجع الى الجزائر فوصل مكاناً علم بعد وصوله اليه ان الجيش الفرنساوي على مسافة ثلاث ساعات منه ورأى ان جيشه قد انهكه السفر والحرب فخشي ان يقع هو وزملته في ايدي الفرنسوية لانه لا يستطيع الرجوع والمراكشيون من ورائه يطاردونه . ولكنه قرأى أن يبذل قصارى جهده فجمع اليه رجاله وخطب فيهم ناصحاً عما هم فيه من الضيق وقال « اراكم قد وفيتم بما بايعتموني عليه وبذلتم جهدكم في مناصرتي . واما الخاتمة فواضحة وتقضي علينا بالتسليم للعدو وعندي ان التسليم للفرنساوية خير من التسليم للمراكشيين فما رأيكم ؟ »

فاجابوه انهم على رأيه فنظر اليهم فاذا هم عدة من احسن الرجال واشدهم وقد رافقوه في حروبه خمس عشرة سنة فشق عليه ان ينتهي جهاده هذا بالتسليم للعدو ولكنه اذعن لحكم الضرورة قسراً وهو غير خائف لانه جاهد الجهاد الحسن أكثر من ١٥ سنة حتى تعبت الحيلة

وعلى ذلك تم التسليم لكن المصور تصور هجوم الفرنساويين على الزملة وعبد القادر غائب فمثل ذلك احسن تمثيل في صورة طولها عدة امتار شاهدناها في احدى قاعات متحف فرسايل ووقفنا عندها ساعة نتأمل ما تولى رجال عبد القادر من الذعر لما رأوا خيول الاعداء تكاد تأخذهم فبرزت النساء من الخيم مذعورات واخذ الخدم في مساعدتهن في ركوب الجمال التماساً للفرار . وهرب بعض الاتباع ومنهم اليهود اصحاب خزينة عبد القادر . وهرب من كان معهم من الحيوانات الاهلية ومنها الغزلان فملأت البرية . وساد الرعب في كل حي وظهر الاضطراب في كل شيء فقلت

الخيام [illegible] الاصف [illegible] يستوقف [illegible]

وفي بيت [illegible] صورة [illegible] عبد القادر في امبواز سنة ١٨٥٢ [illegible] سنة ١٨٣٧ وصورة حرب [illegible] في المكسيك سنة ١٨٣٨ وصور عديدة لوقائع حربية في القرم سنة ١٨٥٤ من جملتها اخذ ملاكوف ومعركة ألما ومعركة [illegible] وكلها كبيرة جدا

[illegible]

[illegible] الوان [illegible] اكبرها [illegible] في حضرة [illegible] مذكور وفيليب [illegible] ووقعة [illegible] ٧٢ [illegible] ١٣ [illegible] وحرقة [illegible] فرنسا [illegible] صور [illegible] خصوص [illegible] ووقائع [illegible]

رقاصة كبرى تدل على الساعات والايام والاشهر

ومنها غرفة رقاد لويس الرابع عشر وفرشه وخزائنه وكراسيه وسائر ما يلزم .
وفيها مات سنة ١٧١٥ بعد ان حكم ٧٢ سنة

[illegible]

وقاعة الملكة [illegible] كانت [illegible] الملكة [illegible] زوجها حتى توفيت سنة ١٦٨٣ [illegible] الملكة وعدة ستائر (غوبلان) [illegible] حيث كانت الملكة تستقبلهم فيها بوقت معين [illegible] زوجة لويس الرابع عشر [illegible] هذه الستائر [illegible]

وفي [illegible] منها قاعة المعارك فيها صور [illegible] في [illegible] معركة تور بين العرب بقيادة عبد الرحمن الغافقي [illegible] سنة ٧٣٢ م وهي التي [illegible] الفرنساويون [illegible] العرب عن [illegible] في [illegible]

وصورة [illegible] يقدمون الطاعة سنة ٧٨٥ م وصورة [illegible] باريس سنة ٨٨٥ م ومعركة [illegible] سنة ١٢١٤ وصورة [illegible] باريس سنة ١٥٩٤ ومعركة ريفولي سنة ١٧٩٧ وواقعة [illegible] سنة ١٨٠٥ و [illegible] سنة ١٨٠٦ و [illegible] سنة ١٨٠٩ [illegible] في هذه القاعة [illegible]

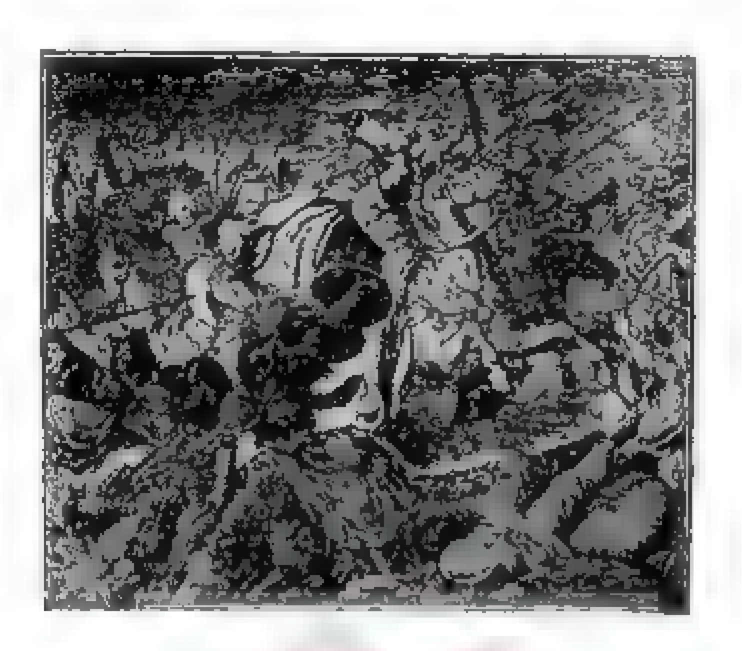

شارل مارتل يحارب العرب في معركة تورس

وفي الطبقة الثانية من هذا [illegible] وقاعات عديدة بعضها خاص بالثورة الفرنساوية فيها صور أهم حوادثها واشهر رجالها مثل الاحتفال بالاتحاد الوطني سنة ١٧٩٠ وصور مدام رولان ومدوي الصوت في الهيكل ومقتل مارات وتمثال نصفي لميرابو خطيب تلك الثورة وتمثالا لافاييت ولويس ١٧ . وهناك قاعة خاصة لتصوير أعمال نابوليون الاول وحوادث عائلته ومشاهير الامة في عهده . منها صورة تمثل قواد الحملة المصرية

غرفة منام نابوليون الاول

صورت سنة ١٧٩٩ وغير ذلك من صور كثيرة تختص بنابليون وحوادثه المدهشة في بيته وفي جيشه وانتصاراته وحروبه وولادته

وفي قاعات القسم الاوسط من هذا القصر شيء كثير من الرسوم تمثيل الحوادث التي جرت لفرنسا في القرن الثامن عشر، في جملتها صورة كبيرة تمثل وصول سفير عثماني اسمه محمد افندي الى قصر التويلري سنة ١٧٢١، وصورة اخرى لوصول سعيد باشا سفير الباب العالي سنة ١٧٤٢ وفيها غرف لويس ولي العهد وزوجته وغيرهما من اهل البلاط

ـ ٥ ـ

وفي فرسايل غير هذا القصر قصران يعرف كل منهما باسم تريانون احدهما الاكبر والآخر الاصغر كان يتردد اليهما لويس الرابع عشر مع بعض العائلات او الاعوان وهما متقنا البناء وفيهما تحف تاريخية وغيرها. وفي [illegible] مهما تحف من [illegible] الثمين [illegible]. ومن جملة ذلك [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الى [illegible] [illegible] [illegible] الكبير اما معرض المركبات فيه ثماني مركبات [illegible] واخرى ركبها يوم زواجه. ومركبة [illegible]

وفي فرسايل [illegible] فتحت صخر [illegible] من [illegible] [illegible] وهم يحملون [illegible] في اوقات [illegible] الخاطر وقد [illegible] [illegible] في [illegible]

قصر ملميزون

وعلى [illegible] من باريس قصر [illegible] في ساحة من اجمل ضواحي باريس فيها [illegible] اشهر هذا القصر نحو [illegible] امرأة نابليون لانها عاشت فيه بعد طلاقها سنة ١٨٠٩ الى ان توفيت سنة ١٨١٤ ثم امتلكته ماري كرستين ملكة اسبانيا سنة ١٨٤٢ — ١٨٦١ واقامت فيه الامبراطورة اوجيني زوجة نابليون الثالث ردحاً من الزمن. وفي سنة ١٩٠٠ اشتراه [illegible] اوزيريس [illegible] الفرنساوي المشهور (توفي سنة ١٩٠٧) [illegible] مع ما يحيط به من [illegible]

ليس ادعى الى [illegible] الانسان من زيارة هذا القصر ومشاهدة ما [illegible] فيه من [illegible] كما كان في زمن تلك الامبراطورة صورة [illegible] زوجة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

تخترق الاسماع وتستولي على القلوب [illegible] الانسان مهما [illegible] من [illegible] أوله
وعظمته لا [illegible]
في غرف ذلك القصر العجيب [illegible] وكل ما [illegible]

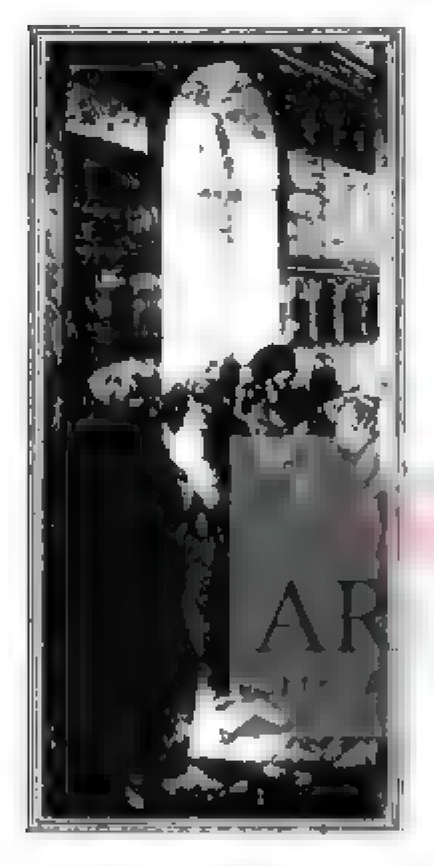

[illegible]

في [illegible] التي كانت [illegible]
جوزفين [illegible] كانت
[illegible] على ذلك
[illegible] جوزفين
[illegible] نابليون [illegible] جوزفين [illegible]
[illegible] جوزفين [illegible]
[illegible] معلاتها [illegible]
[illegible]

لا [illegible] نابليون [illegible] هنا
وهناك وجوزفين [illegible] يخطر لها في [illegible]

[illegible]

ونختم وصف باريس [illegible] شاهدناه فيها من [illegible] السوريين
في التجارة والأدب والفنون [illegible] من [illegible] قد
[illegible]
[illegible] والأكثرون [illegible] مع الشرق والغرب [illegible]
تعاملهم مع سوريا وأمريكا [illegible] باريس
على اختلاف أصنافها. فمن البيوت [illegible] في باريس محلات رحيم و[illegible]
وشحاده وسليمان ودقرت و[illegible] وفري
[illegible] وغيرها من البيوت
التي تتعاطى أصناف التجارة [illegible] تجارة الجوهرات أشهرهم [illegible]
[illegible] وله شهرة واسعة في فرنسا وانكلترا
[illegible] من المعروضات [illegible] السبق في المعارض الصناعية.
وعرفنا من الماليين الكونت [illegible] في باريس وهو
من البنوك الكبرى وله فرع في [illegible] على اقتدار الشرقي
على مجاراة الغربي إذا [illegible].

[illegible] السوريين
[illegible] في [illegible]
الخديوية أو [illegible]
[illegible] في الأهرام
[illegible] سوريا الذي [illegible] في الهلال الأول
[illegible]
[illegible] Correspondances d'Orient
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] على [illegible]
[illegible] من المشتغلين بهذه اللغة

وآدابها بعصر والشاه مسعود الى ذكرهم في فرصة أخرى . وقد يكون هناك كثيرون لم نطلع على آثارهم او لم نسمع اخبارهم . وانما اردنا تقرير حقيقة يسرنا تقريرها كل طرق نعني « ان الشرقيين اذا توفرت لهم الاسباب جاروا ارقى الامم المتمدنة »

محاصرة الصليبيين دمياط

سنة ١٢١٨ م

هاجم الصليبيون دمياط غير مرة في اثناء الحروب الصليبية وكانت الحرب سجالاً بينهم وبين المسلمين . ثم تمكنوا من فتحها سنة ١٢١٩ (٦١٦ هـ) ولكنهم قاسوا في ذلك عذاباً شديداً لان المصريين كانوا قد انشأوا برجاً من الخشب اقاموا به السلسلة ومدوا فيه من دمياط سلسلة تمنع السفن لافرنج من المرور . وقد بسطنا ذلك في « تاريخ مصر الحديث » بقولنا :

« نزل (الصليبيون) في بحر دمياط في يوم الثلاثاء في ٤ ربيع اول سنة ٦١٥ هـ وهم نحو ٧٠ الف فارس و ٤٠٠ الف راجل حتى خيموا تجاه دمياط في البر الغربي وحفروا على معسكرهم خندقاً وبنوا عليه سوراً وشرعوا في قتال برج دمياط فانه كان برجاً منيعاً فيه سلاسل من حديد غلاظ تمد على النيل لتمنع المراكب الواصلة في بحر الملح من الدخول الى ديار مصر في النيل وكان البر الذي نزل عليه الصليبيون جزيرة محاطة بالنيل من جهة وبالبحر المالح من الاخرى يقال لها جزيرة دمياط . وكان المسلمون في مدينة دمياط محاصرين حصاراً منيعاً من البحر والبر والسلسلة ممتدة بين البرج والسور فحاول الصليبيون امتلاك ذلك البرج لانهم اذا ملكوه تمكنوا من السير في النيل الى القاهرة وكان هذا البرج مشحوناً بالمقاتلين تأتي اليه المؤن من دمياط على جسر خشبي منصوب في عرض النيل وبعد مدة انكسر ذلك الجسر فاغتنم الصليبيون تلك الفرصة واصطنعوا برجاً خشبياً نصبوه على مركبين موسوقين قيوداً وانزلوا اليه اقوى رجالهم واحسن عددهم وساروا في النيل لمهاجمة برج المسلمين فما رأى المسلمون ذلك تجمهروا في البرج والسور واخذوا يرمون السهام والحراب والحجارة والمحروقات على برج الصليبيين فلعبت النار به فاحترق الذين فيه ثم اطفئا حالاً

وتشدد الصليبيون حتى استولوا على برج السلسلة وصمموا الاستيلاء على دمياط .

وقد نشروا صورة دخول الصليبيين برج السلاسل عن مسودة قديمة في المكتبة الأهلية في باريس كما ترى في هذا الشكل .

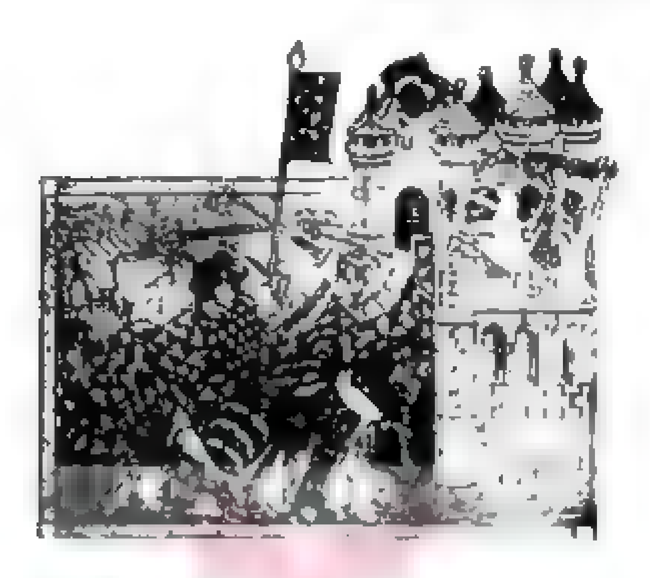

[illegible]

[illegible]

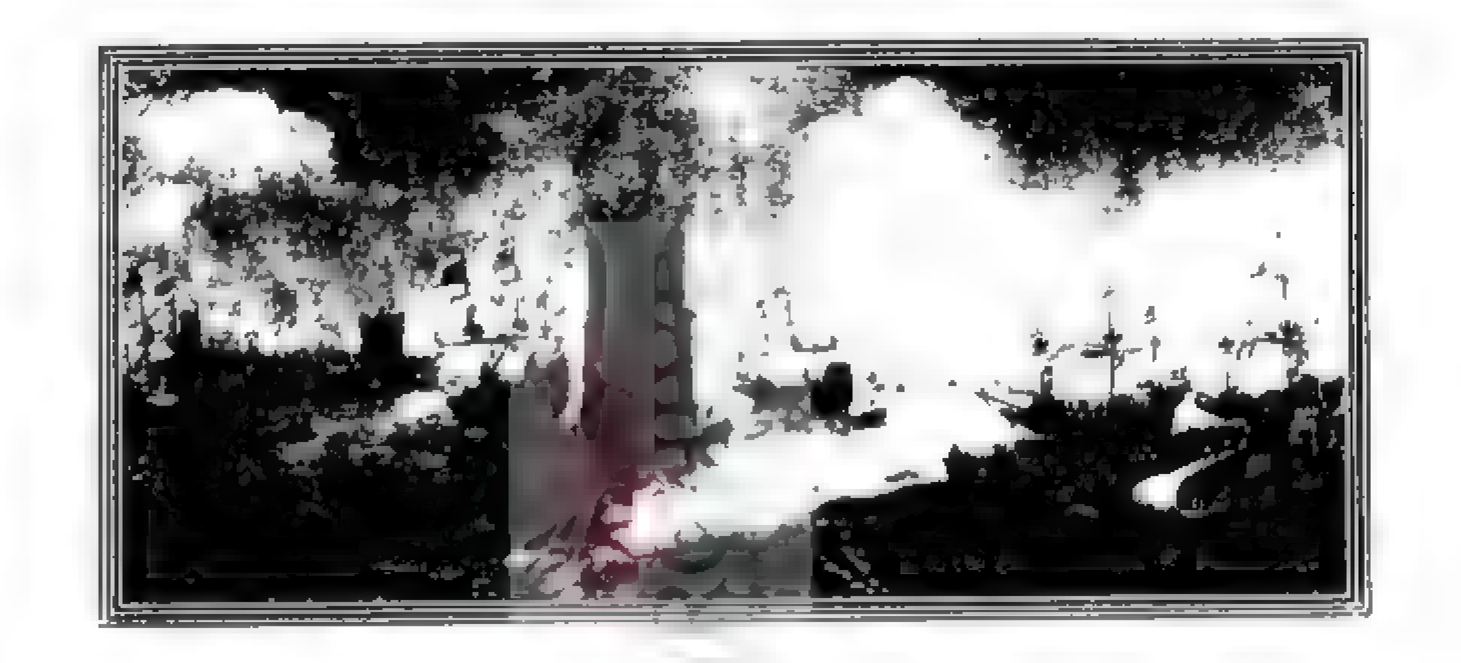

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

والحجارة . وترى بين البرج ودمياط من الجهة الاخرى جسراً من خشب ينتقل عليه المسلمون بالنوبة الى اصحاب البرج . وقد تقدم في مقدمة تاريخ مصر الحديث ان الصليبيين استطاعوا انكسار هذا الجسر وهجموا على برج المسلمين واخذوه . ويقول المحدث الهولندي انهم قطعوا السلسلة بالمنشار

فلما وقف بهجت بك على هذه الصورة اهتم بها وتقدم بالفوتوغراف ودرسها فقرأ ما ذكره عنها الموسيو كرونيك مدير ذلك المتحف من الملاحظات في سجلات المتحف . واستزاده بياناً فاخبره ان واضع الصورة ولد في هرلم وتوفي فيها سنة ١٦٤٣ . وهو الذي رسم هذه الصورة وقد ذكره صاموئيل امبزين في وصف هرلم سنة ١٦٢٨ م . وشخص بهجت بك الى ليدن وقصد مكتبتها الشهيرة بالمخطوطات العربية وطلب من الاستاذ سنوك هورسكرونجي ان يرشده الى المصادر الهولندية التي تساعده على درس هذه المسألة فاتاه بتاريخ الامة الهولندية للاستاذ بلوك . فنستخرج منه فقرة تتعلق بالهولنديين والحروب الصليبية هذه ترجمتها

« ليس لدينا عن عمل الهولنديين في الحروب الصليبية الا اخبار موجزة الا حملة دمياط فان اخبارها كثيرة نوعاً . ففي ربيع سنة ١٢١٧ سارت جماعة من الهولنديين للاشتراك في الحملة الصليبية الخامسة بقيادة وليم الاول كونت هولندا . ولما اسطولهم وصل الى لشبونة فاستنجده البرتغاليون على المراكشيين . وفي ربيع السنة التالية (١٢١٨) وصل الاسطول الى عكا وانضم الى سائر جنود المسيحيين هناك واجمع رأيهم على مصر وفيها خيرة قوات المسلمين فاقلعوا اليها فوصلوا في مايو من تلك السنة الى دمياط من مدن مصر الهامة . وكانت الحملة بقيادة كونت سازبروج فحاصروا المدينة وطال الحصار لان المسلمين كانوا قد تحصنوا في برج على جزيرة صغيرة في النيل . فاحتال المسيحيون في اخذه فانهم جمعوا بين سفينتين من سفنهم شدوهما الواحدة الى الاخرى وبنوا عليهما برجاً من الخشب في طبقته العليا جسر كالجسر ينتقل وتقدموا الى جسر السلسلة . ولما اقتربوا منه في ٢٤ اغسطس اسرع احد فرسان لياج وكان في مقدمة الذين دخلوا برج المسلمين واخذوه . لكن مدينة دمياط نفسها لم يفتحها المسيحيون الا في نوفمبر سنة ١٢١٩ بعد ان بدد اكثر اهلها . وذكروا ان المسلمين

كانوا قد اقاموا في عرض النيل سلسلتين من الحديد . وكان حماة دمياط دوي في هولندا و[illegible] في حصرهم ودون حذائه . وكان اكثر الهولنديين ظهوراً في هذه الحالة اهل هرلم وقريه ذكره . [illegible] يذكر هذا المؤرخ حديث المنشار فكأنه من الخرافات المتفقة على السنة العامة

واطلع بهجت بك في مكتبة ليدن على مؤلف آخر كتب لكنيسة جودا فيه تفصيلات لم يذكرها سواه منها خبر حصار دمياط بقيادة الامبراطور فريدريك سنة ١١٠٨ ومعه كونت وليم من كونت هولندا . والى [illegible] فكأنه ورقة وذكر الهولنديين ودخولهم تحت رايته وحصول لهم امتيازات اخرى . وعلم بهجت بك بصورة على زجاج كنيسة جودا تمثل معركة دمياط رسمت سنة ١٥٩٦ من محل قصة هرلم تذكاراً لبسالة اسلافهم الذين اشتركوا في فتح دمياط وهي تشبه الصورة المار ذكرها من حيث شكل الابراج [illegible] في مقالته المشار اليها . واكتفي بهذا [illegible] على ثلاث [illegible] فنثني على بهجت بك لما بذله من العناية في خدمة التاريخ الاسلامي

* * *

العمر والتعمير

غرائب طول الحياة

وجد الباحثون في قبور المصريين القدماء حبوباً من القمح محفوظة من زمن الفراعنة فزرعوها فنبتت كالعادة مما يدل على ان الحياة كانت فيها آلافاً من السنين فما توفرت لديها الاحوال احدثت [illegible] . والعلماء يسمون هذه الظاهرة vie latente اي الحياة الكامنة

ويحكى ان سائحاً فرنساوياً جاء من صحراء افريقيا بكمية من ترابها فرشها في حديقته فرأى فيها ذات يوم نباتاً غريباً ذا زهر اصفر لا وجود له في فرنسا وانما هو في افريقية . فعلم انه جاءت معه بذور ذلك النبات مع التراب . فلما سقط عليها الغيث اورقت من وقتها . ولا شك انها عمرت بعد آلاف من السنين اي منذ كانت الصحراء ارضاً خصبة قابلة للزراعة

فاذا جاز لنا ان نعتبر تلك الحبوب حيةً في أثناء هذه الاجيال — ولا بد من التسليم على الاقل بانه كان فيها شيء من الحياة — فالمثلان السابقان يدلان على طول عمر تلك الحبوب او البذور. وهو غريب اذا قابلناه بعمر الانسان. ولكننا ننتقل الى ما هو اغرب:

هل يوجد حيٌّ لا يموت؟

نعم. من المعلوم ان الحيوانات ذات الخلية الواحدة تتناسل بالانقسام اي ان الخلية الوحدة عندما تبلغ درجة معينة من النمو تتقلص في وسطها وتختنق حتى تنشطر شطرين كل منهما مستقل بذاته. فهذه الحيوانات لا تزال تنقسم على هذا النمط من اول عهد وجودها كأنها باقية حية بلا انقطاع. وانما أتينا بهذه الامثال لغرابة ما يظهر منها. ونتقدم الى البحث في اعمار الاحياء من الحيوانات والنباتات الاعتيادية

اعمار الحيوان والنبات

الحيوانات على الاجمال اقصر عمراً من النباتات. فقد يزيد عمر بعض الاشجار على عشرة قرون او اكثر. ذكروا في مواضع شتى شجرة زيتون يقال ان عمرها نحو الفي سنة. اما الحيوانات فلم نسمع عنها مثل هذه الغرابة في اعمارها وهذا جدول تبين معدل اعمار اشهر الحيوانات المعروفة

معدل العمر	الحيوان
٣٠٠ سنة	التمساح
٢٠٠ «	الحوت
١٥٠ «	الباز
١٠٠ «	الببغاء والغراب والنسر
٦٠ «	الاسد
٥٠ «	الاوز والبجع
٤٠ «	الوعل والعقاب
٣٠ «	الحمار والجمل والثور
٢٥ سنة	الحصان والطاووس
٢٠ «	الخنزير والدب والبقر والحمام والقط والكلب والذئب
١٨ «	البط والثعلب
١٢ «	الخروف
١٠ «	الماعز والعصفور
٨ «	الارنب والعنكبوت

هذه الارقام اجمالية وبعضها غير مؤكد — ومن الحشرات ما لا يعيش الا سنة او بضع سنين وبعضها يعدُّ عمرها بالساعات

وللاسف ان الانسان مع تفوقه على سائر المخلوقات في امور كثيرة لم يمتز عنها

في العمر فانه يقع في الجدول السابق بين الشحاذ والغراب من جهة والاسد من جهة اخرى . على ان كثيرين يبلغون الثمانين والمئة سنة . وبحسب الحوادث المثبتة المحققة ان يتجاوز الانسان سن ١٣٥ سنة والحوادث التي من هذا القبيل قليلة . وان كنت تسمع وتقرأ احياناً ان فلاناً عاش ١٥٠ سنة او نحوها . وسبب هذا الادعاء — وان لم يكن وقوعه مستحيلاً — ان التفوق حتى في طول العمر من دواعي الفخر وبواعث الشهرة والانسان مفطور على حبها والسعي وراءهما

وضع بعض العلماء قاعدة لطيفة لاستخراج عمر الحيوان الطبيعي وهي ان الحيوان يعيش خمسة اضعاف المدة التي يقضيها من ولادته الى ان يتم نمو جسمه . وهذه المدة هي نحو عشرين سنة في الانسان . فعمره الاعتيادي يجب ان يكون مئة سنة فاذا توفي قبل هذا الاجل فهو المسؤول عن موته

نحن وآباؤنا

[illegible] مئة سنة [illegible] بلوغها ومعدل العمر في البلاد المتمدنة فوق شاسع . فمعدل اعمار الفرنسيين يتراوح الآن بين ٤٠ و٤٥ سنة . وكان اقل من ذلك في الاجيال الماضية وهي آخذة في الزيادة بتقدم الطب . وكان معدل العمر في فرنسا قبل الثورة ٢٨ سنة فصار ٣٢ بين ١٨٠٠ و١٨٢٥ واصبح ٣٧ في سنة ١٨٥٠ و٤٠ سنة ١٨٨١ وهو اليوم ٤٦ سنة

وزيادة العمر مع تقدم المدنية من المسائل التي يرتاب في صحتها الكثيرون فهم يقولون ان هذه المدنية من علل الابتعاد عن سذاجة الطبيعة فيؤول ذلك الى الموت العاجل . على ان الاحصاءات الرسمية — وهي افضل دليل محسوس — تدل على ان عمر الانسان آخذ في الزيادة . وهذه الزيادة واضحة اذا اعتبرنا نسبة الوفيات في المواليد . ففي الالف مولود [illegible] سنة ١٧٠٠ م حتى سنة ١٧٥٠ الا ٢٤٦ أي ٢٤٦ فقط في الالف بلغوا الخمسين . وفي سنة ١٨٥٠ أي بعد ذلك بقرن كانت نسبة الذين بلغوا خمسين سنة في الالف ٤٣٢ نفساً وفي سنة ١٩٠٤ بلغت هذه النسبة ٦١٧ في الالف

ولا شك أيضاً في ان الذين يبلغون الستين والسبعين والثمانين آخذون في الزيادة وهم خمسة من الذين تجاوزوا الخمسين كأن الانسان يقرب شيئاً فشيئاً من الحد الذي قدر له بموته (أي ١٠٠ سنة) . ولعل هذه الحقيقة تعزي الذين يعتقدون تناقص العمر فلعل هرم الانسان سيتغلب على الاحداث من هذه الدار الفانية . واليك جدولاً في تاريخ العمر وتقدمه

تاريخ الاعمار حسب الامم

كان الانسان قبل التاريخ معرضاً للهلاك لا يأمن على حياته من الحيوانات الضارية والطوارىء الطبيعية . فلا شك انه كان يقضي على الشيخ حالما يهرم ويضعف قواه . وعند كشف اوستراليا كان اهلها يقتلون المتقدمين سناً رجالاً ونساء لعدم صلاحيتهم للعيش . وهذه العادة شائعة الآن عند متوحشي اميركا الجنوبية ومداغسكر وبعض قبائل الهند وكثير من القبائل المتوحشة

والصين اقدم الشعوب المتمدنة على ما يقال وقد اخذوا يدونون تاريخهم منذ ٤٥ قرناً فيدعون ان بين ملوكهم كثيرين تعدت اعمارهم آلاف السنين . وفي الانسان ميل طبيعي الى تعظيم اسلافه حتى ذهب احياناً الى تأليههم . ولذا نجد في خرافات اكثر الشعوب ان اجدادهم كانوا اقوياء ذوي اجسام صحيحة يعمرون مئات والوفاً من السنين . ونجد اعمار اولئك الاسلاف تصغر شيئاً فشيئاً كلما قربت من وقت تدوينها

أما في مصر فيقول الدكتور جوستاف لوبون ان الاهرام كانوا يبنونها للملوك فاذا جلس الملك على العرش اخذوا في بناء هرمه ثم يبنون طبقة كل سنة على عدد سني ملكه . فيستنتج من ذلك ان خوفو باني الهرم الاكبر حكم ٥٦ سنة فاذا فرضنا عمره لما تولى عشرين سنة عاش نحو ٧٦ سنة

ومما يؤثر عن مدينة اسبارطة انهم كانوا اذا مرض احدهم حمله اهله الى السوق حيث يعرض على الجمهور فيصف له المارون ما يعلمون من الادوية الناجعة . فقلت الوفيات عندهم بسبب ذلك

وفي القرون الوسطى اهملت الاسباب الصحية وزادت الوفيات زيادة فاحشة . ولا غرو فهي تلك القرون انحطت سائر احوال الجنس البشري . فكانت الامراض الوبائية تنتشر فيهم ويتركون الامر لعناية الله ويصلون الصلاة على العناية لتحميهم ولو عقلوا لسعوا في اصلاح حالتهم من غير ان ينتظروا المعونة من عند الله . فالسماء لا تعين من لا يعين نفسه . ومما يروى عن تلك الايام ان الناس اهملوا اجسادهم وترفعوا عن المسائل الروحية لدرجة ان احد آباء الكنيسة كتب مرة الى فتاة ينصحها بان لا تستحم ابداً لئلا توجه التفاتاً الى أمور هذه الدنيا

ظلت الوسائل الصحية مهملة على اثر ذلك قروناً حتى نهضت البشرية من سباتها العميق واخذت تهتم بتحسين حالتها الجديدة . فقام من ابنائها في القرن الماضي نفر من العلماء مهدوا هذه الابحاث . واعظمهم شأناً باستور مكتشف الميكروبات وداروين

خصائصه وكيفية مقاومته . فوضع الاساس الذي بني عليه علم الصحة الحديث وسائمه ظاهرة نراها كل يوم ولا سبيل الى انكارها

وقد جمع أحد الباحثين اسماء واعمار ٢٠٠٠٠ شخص من المشاهير ورتبهم حسب اعمارهم - والمشاهير عادة هم المتنورون الذين يستخدمون الطرق المعروفة لاطالة اعمارهم ورتبوا ذلك في جدول تبين منه ان العمر هبط هبوطاً عظيماً بعد التاريخ القديم (الرومان واليونان) وبلغ اقصره في القرون الوسطى ثم اخذ يصعد شيئاً فشيئاً حتى قرب اليوم من معدله الاول

واليك تفصيل ذلك في الجدولين الآتيين

معدل اعمار المشاهير من اقدم الازمنة الى اليوم

مرتبة حسب الاعصر والقرون

	[illegible]	[illegible]	[illegible]	التاريخ الحديث [illegible]	[illegible]	القرن ١٩ (التاريخ المعاصر)	القرن ٢٠	المجموع
من سن ٣٥ الى ٦٠	٤٥	٢٠٩	٣٩٠	٣٧٢	٤٥١	١٠٩٦	٩٥	٢٦٥٩
« ٦٠ « ٧٠	٣٧	١٤٥	٢٤٣	٣١٠	٣٩٦	١١٨٢	١٢٥	٢٤٣٨
« ٧٠ « ٨٠	٤٥	٩٧	١٩٠	٢٥٠	٤٣٩	١٣٢٨	١٤٤	٢٤٩٣
« ٨٠ « ٩٠	٣٣	٥٢	٩٣	١٢٤	٢٦٣	٧٩٦	١١٠	١٤٧١
« ٩٠ « ١٠٠	١٩	١٩	١٧	١٩	٤٤	١٠٤	١٣	٢٣٤
اكثر من مئة	١١	٥	١	١	٤	٩	٣	٣٤
المجموع	١٩٠	٥٢٧	٩٣٤	١٠٧٦	١٥٩٧	٤٥١٦	٤٨٩	٩٣٢٩
معدل العمر	٧١.٩	٦٢.٤	٦٣.٨	٦٤.٥	٦٧.٥	٦٨.٢	٧١	٦٥.٩
النسبة في الالف الذين بلغوا								المعدل
(١) الستين	٧٦٣	٦٠٣	٥٨٢	٦٥٥	٧١٨	٧٥٧	٨٠٦	٧١٧
(٢) الثمانين	٣٣١	١٢٤	١١٨	١٣٤	١٩٤	٢٠١	٢٥٥	١٨٦

معدل اعمار المشاهير الذين توفوا بين سنة ١٨٠٠ و ١٩١٠

الوفيات	من ١٨٠٠ الى ١٨٢٥	من ١٨٢٥ الى ١٨٥٠	من ١٨٥٠ الى ١٨٧٥	من ١٨٧٥ الى ١٩٠٠	مجموع القرن ١٩	من ١٩٠٠ الى ١٩١٠
بين سن ٢٥و٦٠	٢٥٣	٢	٢٩٠	٢٩٢	١٠٩٧	٩٥
» » ٦٠و٧٠	١٩٨	٢٤٧	٣٣٦	٤١١	١١٨٢	١٢٥
» » ٧٠و٨٠	٢١٦	—	٣٠٦	٥٠٨	١٣٢٨	١٤٤
» » ٨٠و٩٠	١٢٥	١٧٩	١٦٩	٣٣٣	٧٩٦	١١٠
» » ٩٠و١٠٠	١٧	٢١	٢٤	٤٢	١٠٤	١٢
فوق المئة	١		٣	٥	٩	٣
المجموع	٨١	الـوكـور	١١١٨	١٥٨١	٤٥١٦	٤٨٩
معدل العمر	٦٦٫٣	٦٧٫٨	٦٧ ٦	٧٠٫١	٦٨٫٢	٧١
نسبة الالف الذين بلغوا						المعدل
(١) الستين	٦٨٧	٧٣٩	٧٤١	٨١٥	٧٥٧	٨٠٦
(٢) الثمانين	١٧٦	١٩١	١٧٥	٢٣٤	٢٠١	٢٥٥

الرجل والمرأة ايهما اطول عمراً

اذا تساوت سائر الاحوال فان المرأة اطول عمراً من الرجل. هذه حقيقة مقررة منذ زمن طويل. وكل الاحصاءات تدل على ان عدد النساء المعمرات اكثر من عدد الرجال المعمرين. ففي احصاء فرنسا سنة ١٨٥٠ مثلاً نجد ان عدد الذين تجاوزوا التاسعة والتسعين من عمرهم ٣٣٤ منهم ١٠١ رجال و٢٣٣ امرأة. واحصاء سنة ١٩٠١ يدل كذلك على ان بين ٣١٣ شخصاً عمرهم بين ٩٨ و١٠٠ سنة عدد الذكور ٩٩ وعدد الاناث ٢١٤ فما سبب تفوق المرأة من هذا القبيل

يظهر لاول وهلة ان السبب بسيط وهو ان الرجل يستنفد قواه الجسدية اكثر من المرأة. فهي معفاة من الخدمة العسكرية مثلاً ومن الاشتغال في البحر وفي المناجم ومصادمة الاخطار. وانها لا تهتم للغد كما هو الواجب على الرجل. لكن بعض الاطباء يعتقدون ان السبب لا يقتصر على الاحوال الخارجية المذكورة بل هو مبني على مبادئ الفسيولوجيا والتشريح. فالقوى الحيوية في جسم المرأة في منحهم اشد منها في جسم الرجل — وبناء على ذلك فاذا قابلت بين مولودين احدهما ذكر والآخر انثى فخطر الموت على الاول [illegible] وعلى الثاني [illegible]

اي الشعوب اطول عمراً

لا شك في ان المحيط يؤثر في نمو الامم جسدياً وعقلياً فاهل الولايات المتحدة مثلاً يختلفون عن اجدادهم سكان بريطانيا العظمى وايرلندا بسبب انتقالهم من محيط الى محيط آخر . والزنجي اذا تناسل في غير بلاده لا يلبث بضعة اجيال حتى يظهر الفرق بين الاصل والفرع . فهل هذا التغير المسبب عن اختلاف الاحوال الخارجية يلحق العمر فيميز شعباً عن آخر من هذا القبيل ؟ كلا اذ قد ثبت تقريباً ان بني الانسان متساوون في اعمارهم . وهذه النتيجة مبنية على احصاءات رسمية تقارنت فيها اعمار شعوب مختلفة وكلها تدل على ان الاختلاف ناتج عن تغير المحيط

ومن اسباب اختلاف العمر نوع المعيشة والمهن . وربما عدنا الى استيفاء هذا الموضوع في فرصة اخرى أ . ز .

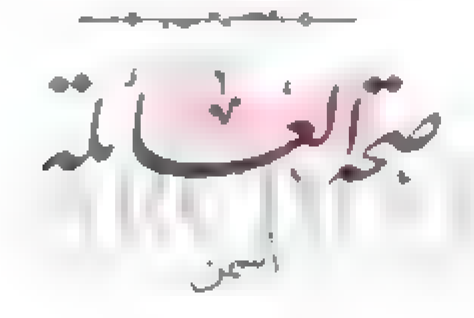

السمن

اسبابه وعلاجه

ليس كل من اكتنز عضله وترهل لحمه كان سميناً . ولا كل مرهف الجسم ممشوق القوام نحيلاً . فقد يكون متناسق البطن ومطهم الوجه وريان المفاصل سقيماً مهزولاً ومتضمر الوجه قضيف البدن قصداً أي لا هو بدين ولا نحيف

ذلك مايدعو الى التساؤل عن القاعدة التي نستدلّ منها على معدل كمية الدهن في الجسم حتى اذا زادت على القدر اللازم وجوده في الجسد دعوناه سميناً واذا نقصت عنه كان باعتبار هذه القاعدة ضئيلاً . فثقل العظام والعضلات والاحشاء وما يتبعها من الاوعية الدموية والاعصاب والشعر والاظافر والاسنان محدود في اطوار الحياة على اقرب تعديل . وان اسباب ما نشاهده من الزيادة او النقص في ثقل الجسد عائد الى كمية الدهن التي يختزنها حيناً ويفرط بها حيناً آخر ويمكننا تحديد ثقل الجسد اذا

حولنا قياس طوله الى العقدة (الانش) وضربنا حاصله باثنين ونصف فنحصل على الثقل بالليبرة . ولا يجب ان يكون ثقل الجسد اقل من ضعفي العقد لقياس طوله ولا اكثر من ثلاثة اضعاف عدد العقد

فاذا فرض رجلاً يبلغ طوله خمسة اقدام وثماني عقد فاقل ما يجب ان يكون ثقله ١٣٦ ليبرة واعظم ما يجب ان يكون ٢٠٤ ليبرات على ان المعدل يجب ان لا يتعدى ١٧٠ ليبرة

وزيادة الايضاح نقول ان معدل كمية الدهن في الجسد تتراوح بين جزء من ١٥ الى ٢٠ جزءا من ثقله . ومن خرج عن هذين الحدين كان اما سميناً واما نحيفاً

اسباب السمن

(١) الوراثة . لا ينكر احد ان الابن يرث عن والديه معظم اخلاقهما ويحمل ما كثر العادات التي يكون قد الفها في صغره . فضلاً عن ان جسده ينمو وفيه الاستعداد التام والمطاوعة التامة لسائر الامراض والادواء التي يكون قد اصيب بها جسد الاب او تعرض لها في صباه . ولذلك كانت لاجساد بني [illegible] الدهن فيها حتى غلبت على امرها في الثقل اذا [illegible] السبب وحدث الآن واحدهم كانوا كذلك . وليس الغرابة في كيفية تحويل الطعام الى دهن في جسد [illegible] عليه . ولكن الغريب تعليل الاستعداد للجمود في جسد [illegible] الدهن [illegible] وكيف ينتقل الى الابن . ذلك [illegible] ولا [illegible] في هذا المقام

(٢) الطعام . ان الطعام الذي نتغذى به يحتوي على كمية من الدهن يختلف مقدارها باختلاف انواعه . والسمن والزيوت اكثر المأكولات دهناً يليها النشويات مثل الدقيق والبطاطس والارز والحاصوب والفول والعدس وسائر الحبوب . والسكر وكل انواع الحلوى . هذه الاصناف دهنها اكثر من دهن سواها والسمين لا يكثر من هذه المآكل فقط بل يأكل خمسة اضعاف ما يحتاج اليه جسده وغالباً يجهل او لا يحب ان يعرف نظاماً للأكل فهو يأكل بدون نظام ولا ميعاد وربما قلد الاطفال فأكل كل ساعة وقام من نومه في الليل مرتين او اكثر . وهو مع ذلك يتبرم ويشكو قلة القابلية وتصادق على شكواه اسرته وتبدو القلق والاشفاق عليه وهي مصيبة في خوفها ولكن ليس من الجوع بل من كثرة الشبع

(٣) الخمر . المشروبات الروحية على اختلاف اجناسها تساعد على زيادة الدهن بسبب احتراقها في الجسد بدلاً من احتراق انسجته . كأنها تقضي على نظام التجديد والتعويض في الخلية بصيرة أو تحول بينه وبين مجراه الطبيعي . فتسوء الحال وتعرض الجسد لكل الامراض الوخيمة العاقبة فضلاً عن انها تحث الاعضاء الهاضمة حثاً متواصلاً لافراز عصيرها فيذهب ضحية الجهل والانكماش

(٤) السكينة . فوائد الرياضة والحركة واجهاد القوى العضلية يعرفها الطفل في سريره فيحل قماطه ويحرك اطرافه وعضلاته قبل ان يعرف من الحياة وجوده او يدرك للحركة سبباً . واخف انواع الرياضة يضاعف سرعة الدورة الدموية ويكسبها قوة ونشاطاً . فيتمكن الدم من تغذية اجزاء الجسد وتطهيرها من الفضلات الراسبة فيها ويعود بهذه الفضلات السامة الى الرئتين حيث يعتاض عنها بالهواء النقي او بمادة تتوقف عليها الحياة . والرياضة تساعد على الاحتراق لاسيما للدهن التي اشرفت على الاندثار واصبح نزعها لازماً وفي بقائها خطر على الحياة

والمقعد الذي لا يقوى على الحركة ولا تجهد قوته بعمل خصوصي يعرض نفسه لاكثر الادواء ومنها السمن الذي نحن بصدده . وفي سن الشيخوخة تفتقر الجسد للحركة قليلاً من الدهن الذي يكون قد خزنه ويقل حدوث ذلك في السيدات . فالفتاة التي لا تتعاطى الرياضة وعندها استعداد للسمن تصير سمينة

علاجه

أما علاج السمن الحقيقي فيحوم حول الاسباب التي قدمناها ولا موجب للاسهاب بتعداد الوسائل التي دار البحث عليها في المجتمعات الطبية فهي عديدة ولا تهم القارئ تفاصيلها انما نذكر بالايجاز اهمها :

١ لما كان معظم اسباب السمن ناتج عن الاكثار من الاكل لا سيما المآكل الدهنية أو التي يتولد عنها كمية كبيرة من الدهن مثل النشويات والسكر فالاولى تجنب ادخال مثلها الى طعام السمين بقدر الامكان وخصوصاً السكر . وابدالها بانواع يكون الدهن فيها قليلاً . مثل الخضار واللبن والبيض وقليل من اللحم الاحمر . ولا بأس من انواع الفاكهة خصوصاً . ويجب ان لا يتعدى طعام المريض ثلاث وجبات في

النهار . على ان لا تزيد وجبتا الصباح والمساء عن فنجان لبن وبيضة وقليل من الخبز . واما وجبة الظهر فتكون مؤلفة من شوربة ولحم احمر او سمك وخضار وقليل من الخبز وفاكهة وكوبة ماء قبل الاكل بنصف ساعة لتقليل الشهية . ويجب ان يمضغ الاكل جيداً . والبعض يفضل في بادئ الامر الاقتصار على اللبن بضعة ايام (من خمسة الى ١٠ ايام) وبعد ذلك يتبع الخطة التي سبق الكلام عليها اربعة اسابيع او اكثر ويعود الى اللبن كما تقدم

٢ الرياضة . واسلم نوع منها المشي . يتدرج السمين على المشي بعد الاكل ثلاث مرات بالنهار حتى تبلغ مسافة ما يمشيه في النهار كله ثمانية اميال مع تجنب الاجهاد . واذا يواظب تماماً ويمكنه ان يتحمله براحة

٣ الاغتسال بالماء البارد بعد الرياضة مرة في النهار . وفي فصل الصيف الاغتسال في البحر افضل انواع الرياضة واحسن للسمين . ذكرت الاغتسال بالماء البارد وفضلته على الماء الحار لان الماء البارد [illegible] يقوي نشاطاً على الرياضة فتحدث الزيادة المقصودة في سرعة الدورة الدموية . ولان [illegible] الماء [illegible] هي سحب المواد [illegible] في الانسجة [illegible] تعوض عنها بماء تمتصه من الخارج [illegible] كانت [illegible] الاغتسال . ومن ساعة [illegible] هذه الانسجة من تعويض [illegible] كانت فائدة الماء الحار وقتية ميكانيكية فقط لا يعول عليها

٤ العقاقير الطبية . اما العقاقير الطبية في علاج هذا الداء فليس لها اهمية تذكر رغم [illegible] كثيرة من الاطباء المشهورين بها . فالبعض استحسن المياه المعدنية وعلل فوائدها . والبعض وصف الملينات النباتية اللطيفة وقرر وجوب استعمالها . والبعض الآخر [illegible] فوائد خلاصة الغدة الدرقية واكد فوائدها . ولكن بعد الاخذ والرد والاختبار الطويل اجمعوا على [illegible] تدبير الطعام ورتبوا نظام معيشة المريض على الكيفية الآتي بيانها

١ يقتصر على اللبن (الحليب) وحده من ٥ ايام الى ١٠ مرة كل سبعة اسابيع

٢ يقتضي ان لا يتناول المريض اكثر من ثلاث وجبات في النهار

٣ وجبتا الصباح والمساء فنجان لبن وبيضة واحدة او الجبن وقطعة من

الخبز . ووجبة الظهر مرقة ولحم احمر أو سمك وخضار وقليل من الخبز

٤ مقدار الماء لا يزيد على ٦ كوبات في النهار قبل الاكل وبعده

٥ تجنب المشروبات الروحية والامتناع عن الطعام الذي يتولد عنه الدهن مثل النشويات والسكر بقدر الامكان

٦ المواظبة على الرياضة والاستحمام بالماء البارد او في البحر في زمن الصيف

كل ذلك يجب اجراؤه برأي الطبيب

الدكتور اندراوس شحاشيري
حكيم كرنتينة شطة بحل

خداع البصر

بعض المشعوذين عندهم [illegible] على خداع البصر وربما [illegible] المرئيات على غير حقيقتها او يوهمون [illegible] يرى اشباحاً لا وجود لها او يعمون عنا اشباحاً لا تقع عليها العين مع انها [illegible] وقد لا تكون [illegible] يرجع اكثرها الى الخفة والحذاقة . وبعضها مبني على ما [illegible] الاخداع من [illegible] لاسباب مجهولة بعضها يرجع الى [illegible] اشكالها وكتابتها لا محل للبحث فيه . وانما نريد [illegible] الامثلة الواقعية لخداع البصر يشاهده كل ذي عينين

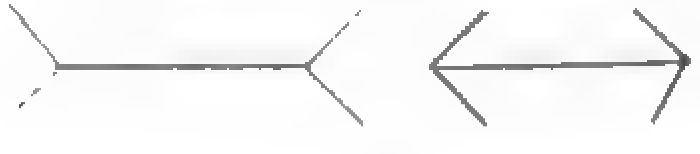

(ش ١)

اذا اتيت بخطين متساويين وركبت على طرفي احدهما زاويتين متقابلتين وعلى طرفي الآخر زاويتين متدابرتين رأيت الثاني اطول من الاول . ولا يمكنك ان تتحقق انهما متساويان الا بالقياس المحسوس (انظر ش ١) واما بمجرد النظر فانك لا تستطيع ان تراهما متساويين . ويقال نحو ذلك في خطين متقاطعين على زاوية حادة احدهما غليظ والآخر دقيق فانك ترى الطرف الآخر من الخط الدقيق منحرفاً عن موضعه وقد يقع هذا الخداع في البصر والخطان غليظان او دقيقان فاذا تأملت من القطع

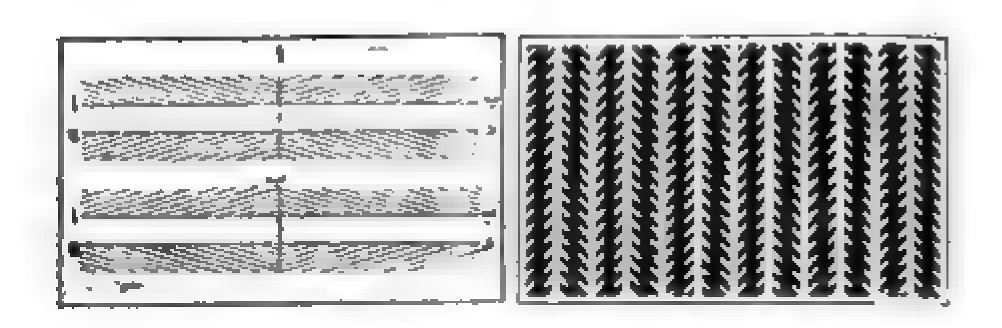

(ش ٢)　　(ش ٣)

عدة خطوط متوازية ظهرت غير متوازية . ويظهر انها محدبة او مقعرة حسب اتجاه الزوايا كما ترى في الشكل ٢ والشكل ٣ في الشكل الآتي خطوط عمودية متوازية كل خط منها تقطعه خطوط عرضية على زوايا حادة اذا نظرت الى الخطوط العمودية

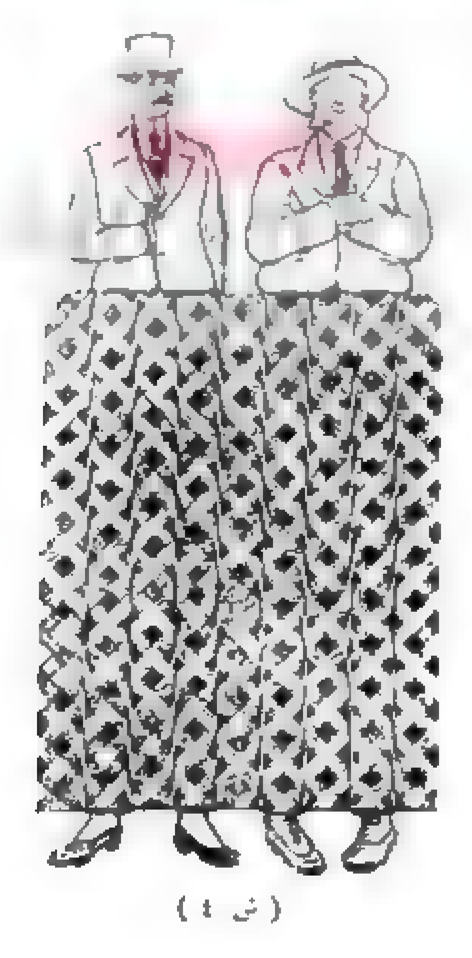

(ش ٤)

والصحيفة افقية بين يديك ظهرت لك تلك الخطوط متوازية تماماً . اما اذا نظرت اليها والصحيفة قائمة فتراها مائلة الى اليمين او الى اليسار حسب اتجاه تلك الزوايا . فاذا كانت الزوايا المتقابلة متجهة نحو الاعلى ظهر الانفراج من فوق واذا كان الاتجاه نحو الاسفل ظهر الانفراج بين العمودين من تحت . ويظهر ذلك اكثر وضوحاً في شكل ٣ وهو مؤلف من اربع خطوط عرضية متوازية الاثنان العلويان يظهران متقاربين من طرفيهما والسفليان متباعدان حسب اتجاه الزوايا في كل منهما

واعتبر ذلك الخداع ايضاً في الخطوط المحنية اذا تقاطعت بخطوط مستقيمة ومربعات متساوية كما ترى الشكل الرابع فانك تجد رجلين متصلين احدهما مقوس الساقين نحو الانسية (الداخل) والآخر مقوسهما نحو الوحشية (الخارج) واذا نظرت اليهما معاً والصحيفة افقية رأيت السوق الاربع متوازية تماماً . وانما ظهرت عوجاء لانخداع البصر بسبب تقاطع الخطوط المحنية والمربعة وقس على ذلك

كتاب الامير

او مكيافلي وابن خلدون

نقولا مكيافلي فيلسوف اجتماعي سياسي من اهل فلورنسا ولد سنة ١٤٦٩ وتوفي سنة ١٥٢٧ تقلب في مناصب سياسية في جمهورية فلورنسا في اواخر القرن الخامس عشر واوائل القرن السادس عشر . فتولى سكرتيرية ديوان القضاة العشرة فيها ١٤ عاما وعهد اليه في اثنائها ثلاث وعشرون مهمة سياسية في الاقطار الخارجية وايطاليا يومئذ في احرج المواقف تتنازع السيادة عليها المانيا وفرنسا والبابا ، يعتركون في مدنها وامارتها ويتخطفونها تخطف اللصوص بالدهاء او السيف . وغيرها تنشب فيه الخصام بين حكومة البابا والناهضين للاصلاح ومقاومة تعاليم الكنيسة وكانت اسرة مديتشي تحارب حزب الشعب تحت طي الخفاء

عاصر مكيافلي هذه الحوادث وكتب الحكمة . واعتبر بما رآه وعلمه بالاختبار فوضع علماً او فلسفة في السياسة العملية عرفت باسمه . والف في التاريخ والسياسة

الهلال

الجزء السادس من السنة الحادية والعشرين

اول مارس (اذار) سنة ١٩١٣ و٢٣ ربيع اول سنة ١٣٣١

جبل لبنان

احواله السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية

بحثنا في الهلال الماضي جغرافية لبنان وتاريخه ونحن باحثون في ما يلي أحواله السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية ويدخل فيها البحث في العادات والاخلاق والثروة والصناعة والزراعة والعلم والادب وغير ذلك :

١ — احواله السياسية

قد تبين لك مما تقدم ان لبنان دخل في سيادة اهم الدول التي استولت على سوريا من اقدم ازمنة التاريخ . لكنه لم يخضع خضوعاً تاماً لدولة من تلك الدول مدة طويلة . وهو حسب نظامه الاخير ولاية عثمانية ممتازة مثل مصر الآن وكما كانت ولايات البلقان منذ بضعة اعوام . ويمتاز عنها كلها ان استقلاله الاداري تضمنه اهم الدول الاوروبية الكبرى وان الدولة تنيبه بحكمه الى كبير عند الحاجة كما تقدم . وانه لا تحكمه اسرة تتوارث الحكم عليه وانما ينتخب حاكمه كل خمس سنين . وحكومته دستورية يرجع القول فيها الى مجلس ينتخبه الشعب — فهو اشبه بالجمهورية منه بالامارة المستقلة

لكن الاستقلال الاداري لم ينفعه كما نفع سائر الولايات الممتازة . فالجبل الاسود والرومللي الشرقي والبلغار وغيرها لما استقلت بادارتها تقدمت وزادت ثروتها وتكاثر سكانها

واما لبنان فاستقلاله الاداري لم يفده فهو لم يزدد الا تقهقراً لاسباب كثيرة اهمها . تفرق المذاهب والعناصر فيه واختلاف الاحزاب الدينية مما لا مثيل له في الامارات الاخرى . ان الجبل الاسود لا يزيد سكانه على نصف سكان لبنان ولكنهم عنصر واحد على مذهب واحد . وكذلك سائر الامارات الممتازة . وفي لبنان عدة مذاهب اهمها النصارى والدروز والمتاولة . والنصارى عدة طوائف تتناظر وتتحاسد . وقد آل الاختلاف المذهبي في القرن الماضي الى منازعات متواصلة انتهت بفظائع سنة ١٨٦٠ التي منح فيها استقلاله الاداري رسمياً ووضع نظامه المشهور . على ان هذا النظام نفسه مبني على التفريق بين المذاهب كما رأيت من نصه في الهلال الماضي

واختلاف المذاهب قديم في هذا الجبل لكن اهله كانوا قديماً يخضعون للمتغلب من اهل العصبية او العشائر مهما يكن مذهبه حتى تسنح الفرصة لمتغلب آخر فيخلفه عملاً بسنة الارتقاء وبقاء الاصلح أو تغلب الاقوى . واللبنانيون راضون لانهم الفوا الخضوع لزعماء او الامراء في الحكومة القديمة . فلما ظهرت المسألة الشرقية ووجه الاوربيون مطامعهم الى الشرق تذرعوا بالعصبية الدينية الى اكتساب الاحزاب فيه . بدأ ذلك في لبنان من زمن الحروب الصليبية لارتباط الموارنة بروميه من حيث المذهب — وهم يومئذ أكثر من نصف سكان لبنان . فتحالف الفرنساويون والموارنة في لبنان فتفاهموا وازدادوا تآلفاً . وكان الموارنة عوناً للافرنج في كثير من المواقع . وعرف الفرنساويون لهم ذلك ووعدوهم بالحماية . وفي البطركخانة المارونية رسالة من لويس التاسع ملك فرنسا من اواسط القرن الثالث عشر للميلاد يوصي فيها خيراً بالموارنة ويعدهم من الفرنساويين الى ان يقول مخاطباً البطريرك « نعاهدكم نحن ومن يخلفنا على عرش فرنسا ان نحميكم انتم وجميع شعبكم كما نحمي الفرنساويين ونسعى دائماً في سبيل سعادتكم »

وتوالى هذا الاعتراف على طرق مختلفة في ما بعد . وكثيراً ما سعت فرنسا في استقلال لبنان . وكان الموارنة اذا وقعوا في ضيق او اصابهم ظلم او حيف استجاروا بالفرنساويين . وكثيراً ما خطب نواب فرنسا يطلبون من حكومتهم الاخذ بناصر نصارى لبنان لانهم كانوا عوناً للويس التاسع ثم لنابوليون بعده . وطلبوا اليها مراراً ان يعيدوا حكم الشهابيين على لبنان . وكانوا يبذلون كل وسيلة في تقريب النصارى . فشادوا لهم المدارس وبعثوا اليهم الارساليات الدينية وغير ذلك

فآلت هذه النصرة الدينية الى التحاسد بين الموارنة والدروز على الخصوص وفي

كتاب المحررات السياسية امثلة كثيرة تؤيد ذلك . واقتضت احوال الدولة العثمانية يومئذ العمل بسياسة التفريق بين العناصر ليستتب لها الامر ولا يجتمع رعاياها على خلع طاعتها . فكانت توعز الى الولاة ان يفرقوا بين العناصر والمذاهب ومن جملة سعيهم في ذلك انهم جعلوا لبنان قائمقاميتين احداهما مسيحية والاخرى درزية . وحتموا النصارى المقيمين في القائمقامية الدرزية ان يخضعوا من سلطة الدروز ويدعوها سلطة الاتراك فتوالت الفتن والخاصمات . ولما ظهر تنازع انكلترا وفرنسا على النفوذ في الشرق اقتضت تلك السياسة ان تاخذ انكلترا جانب الدروز فازداد التباعد بينهم وبين النصارى . وجرت المذابح المشهورة في النصف الاول من القرن الماضي وانتهت بالنظام الحالي وهو مبني على التفريق المذهبي كما رأيت . وكان اللبنانيون فيه حزبين فاصبحوا بعده عدة احزاب لان كل طائفة من طوائفه انضمت الى دولة من الدول الموقعة على ذلك النظام . الموارنة لفرنسا والروم لروسيا والدروز لانكلترا والمسلمون للدولة العثمانية

واما نسبة هذه الطوائف بعضها الى بعض من حيث العدد فيصعب القطع فيها لتعذر وسائل الاحصاء المضبوطة والمنا حسب الحكومة ... لسكان لبنان سنة ١٨٦٠ أحصوا فيه سكانه ... ويقدرون منهم ... يزيدون على مئة الف نفس يقسمون حسب مذاهبهم كما يأتي :

٣ ١٢٧	مسلمون
٦١ ٨١١	موارنة
١٢ ٥٤٣	دروز
١٣ ٨١٠	ارثوذكس
٨ ٥٨٠	كاثوليك
٣ ٧٣٠	متاولة
١٦٣	طوائف مختلفة
١٠٣ ٧٦٣	

ومن اسباب تأخر لبنان عن سائر الولايات الممتازة تجرده من السهول الخصبة وقلة موارد الثروة فيه لاشتغال اهله في القرن الماضي عن الصناعة او التجارة بالفتن والمشاحنات . وانصراف اهل المواهب العقلية في العهد الاخير الى خدمة الحكومة . واضطرار شبانه النشيطين الى المهاجرة . وسنعود الى ذلك

٢ — الاحوال الاقتصادية

ليس لبنان على اجماله ارضاً زراعية ولكنه قابل للزراعة اذا وجهت العناية الى تدبير الري فيه . لان اهم انهر سوريا تنشأ منه او تمر فيه واهمها نهر قديشا في الشمال ينشأ من كسروان ويصب قرب طرابلس ويسقي بساتينها . ونهر ابرهيم والقدماء يسمونه « ادونيس » ينشأ من مغارة افقا قرب العاقورة ويصب قرب جبيل . ونهر الكلب ينشأ اسفل قرية جعيتا ومنه يستقي اهل بيروت . ونهر بيروت وانهر انطلياس والدامور وجزين والابطالي والبردوني وغيرها . فهذه الانهر اذا احسن استخدامها للري زادت خصب هذا الجبل . ولكنه مع ذلك لا يرجى له الخصب الحقيقي الاَّ اذا اعيد اليه سهل البقاع وهو من اخصب الارضين

على ان في لبنان تنبت اهم البقول والحبوب والاشجار والرياحين وكان فيه غلة حسنة من التبغ . وغلاته من كرمه كثيرة يصنعون منها الخمور والدبس وغيرها . والزيتون بساتين واسعة لها غلة طائلة تزداد بتحسين الري . وفيه حراج عديدة للارز والصنوبر آخذة في الدوام

اما التجارة فانها ميتة فيه اليوم مع ان اللبنانيين اهل تجارة وهم ابناء الفينيقيين اساتذة العالم في التجارة وسادة البحار . ولكن انقطاع لبنان عن البحر حجب اهله عن التجارة . على انهم اذا نزلوا السواحل كانوا من امهر التجار — يدلك على ذلك ما ظهر من اقتدارهم التجاري بعد نزولهم بيروت على اثر حوادث سنة ١٨٦٠ ثم بعد المهاجرة الى العالم الجديد كما سيجيء

اما الصناعة في لبنان فاكثر الصنائع المعروفة في العالم المتمدن . وقد اشتهر اللبنانيون في بعضها شهرة اعترف لهم بها المتمدنون . واشهر مصنوعاتهم الوشي او التطريز اشتهر به اهل الزوق . ونسج الحرير في دير القمر وزغرتا . وحياكة الديما في بلاد كثيرة . وصناعة صب الاجراس وصنع الفخار والنجارة في بيت شباب والبناء في الشوير وغيرها والصناعة في رحلة والصابون في الشويفات والصباغة في بسكنتا وغير ذلك . وكل من هذه الصنائع وغيرها اذا بذلت العناية فيه اتسع وانشئت له المعامل والمصانع

وفي لبنان بعض المعادن النافعة كالحديد والنحاس والحمر والحجر الابيض وغيرها ولعلهم اذا نقبوا عثروا على مناجم كثيرة

٣ — احوال الاجتماعية

العادات والآداب الاجتماعية

يطول الكلام في الآداب الاجتماعية اللبنانية نعني عادات اللبنانيين في الطعام والشراب والزيارات والافراح والمآتم ونحوها مما لا محل له هنا . واكثرها تبدل او تعدل بعد اختلاطنا بالاجانب واتخاذنا اسباب المدنية الحديثة . فنكتفي بما كان من الآداب في اوائل القرن الماضي عند الخاصة من الامراء والمشائخ في تعاملهم وتزاوجهم ومخاطباتهم ـ وقد ذهب ذلك بذهاب تلك الامارات

كان الامراء اعلى درجة من المشائخ وكان بينهم فروق في الرسوم والالقاب في المعاملات والمكاتبات . وبنو شهاب اعلى درجة من سائر الامراء يليهم بنو ابي اللمع ثم بنو رسلان . ثم سائر المشائخ وبنو مزهر ويقال لهم المقدمون في الدرجة الوسطى بين الامراء والمشائخ . وفي امرتهم يكون وقوفهم وجلوسهم احط من الامراء واعلى من المشائخ . وعندما يتواجه احد الامراء او احد المشائخ وحاكم الجبل فرسومهم القديمة على هذا الترتيب : اذا كان الامير من بني شهاب فعند ما يدخل القاعة يقوم له الحاكم من مكانه وينزل عن الصاطبة فيتقدم الداخل ويلقي السلام ثم يقبل كتف الحاكم . واذا كان الداخل من سائر الامراء والمشائخ فلا يقوم له الحاكم قبل السلام وانما يقوم له بعده . واذا كان الداخل من بني ابي اللمع يقبل ذراع الحاكم لا كتفه واذا كان من بني رسلان يقبل ساعده واذا كان من المقدمين او المشائخ يقبل طرف ابهام كفه . واذا كان من سائر الناس يقوم له عند ركوعه لتقبيل يده . وبعضهم لا يقوم لهم ابداً وبعضهم لا يسوغ له الدخول على الحاكم اصلاً

اما في المكاتبات فالحاكم الشهابي اذا كتب الى احد الامراء خاطبه بالاخ العزيز الا امراء بني اللمع فانه كان يخاطبهم بقوله « جناب حضرة الاخ العزيز الامير فلان المكرم حفظه الله تعالى . اولاً مزيد الاشواق لمشاهدتكم في كل خير وثانياً كذا وكذا» ويخاطب المشائخ على اختلاف طبقاتهم بقوله « الاخ العزيز » وعن هذا اللقب تصدر المشيخة في البلاد بخلاف الامارة فان لها وضعاً مخصوصاً . وعندهم في ملحقات هذا اللقب اختلاف بين الامراء والمشائخ باعتبار تلك الطبقة في نفسها أو مع الاخرى . فان الامير ان كان من بني الشهاب زاد في كتابته ما يدل على الكرامة فوق بني ابي اللمع وهم فوق بني رسلان . وان كان الشيخ من بني حمادة كتب له كما يكتب للامراء بني

ابي اللمع والا فهم على نسق واحد . ومن عاداتهم ان يكتب لبني الشهاب وبني ابي اللمع وبني حمادة في نصف طبق من الورق وللبقية في ربع طبق . ومتى اراد الحاكم ان يكتب اسم نفسه في كتاب لغير الشهابيين لا يعوضه اخاً له بل محبا مخلصاً . ولا يكتب لقب نفسه بعد الاسم صريحاً بل يكتب ثلاث نقط متصلة تحت اسمه وتحتها نقطتان متصلتان أيضاً يشير بالاول الى شين شهاب وبالثاني الى ياء . ولا فرق في ذلك بين الامراء والمشائخ ان كانوا رعاة او رعايا فانهم في رتبة واحدة . واما بقية أهل البلاد فمنهم من يكتب له « حضرة عزيزنا » وهم من النصارى بنو دابيل في قاطع المتن وبنو العازار مشائخ الكورة وبنو اليازجي في الغرب وبنو الشيخ عليّ من الدروز في الشوف ويلقبهم بالمشائخ ويكتب لهم اسم ضمه « الشيخ فلان » ولكن الكتاب يشوشون رسم الشين حتى لا يهتدي الى قراءته من لا يعرف اسمه وهو على هذه الحالة يسمونه بالطرة . ومنهم من يكتب لهم « عزيزنا » فقط وهم اهل دير القمر واهل عين دارة واهل تنّورين واهل نيحا وأهل عين مطور ووجه العموم [illegible] وكانت هذه [illegible] الخمس قديماً في يد الحاكم لا يتولاها أمير ولا شيخ ولذلك [illegible] أتباعاً [illegible] وقد يكتب ذلك لافراد من أهل البلاد المشهورين ومنهم من يكتب لهم [illegible] ان « حضرة عزيزنا » لا تكون الا في ربع طبق من الورق [illegible] « لا تكون الا في نصف طبق و « عزيزنا » تكون فيهما [illegible] الشخص المكتوب اليه . واما غير الحاكم من الامراء والمشائخ فمنهم يدعون بالاخ من يدعوه الحاكم مخلصاً . وقد يدعوه المشائخ بذلك وهو غير مضبوط لانه غير محصور في بيوت معلومة ولكن بحسب الشهرة ومقتضى الحال . واما الامراء بنو ابي اللمع لا يدعون احداً بالاخ الا بني اليازجي في الغرب والذي لا يدعى بالاخ عند غير الحاكم يكتب له « عزيزنا » مع اضافة الحضرة اليها أو بدونها ولا يكتب « أعز المحبين » لاحد لانها من خصائص الحاكم

ولهم رسوم من حيث شكل الصحيفة المكتوبة فان منها ما يطوى مستطيلاً ويكتب الشطر الواحد منه ويترك الآخر بياضاً لا يكتب فيه الا اذا طال الكلام حتى لا يستغرقه الشطر الاول ويقال له « قائمة » . وهذا يكتب للمقربين الذين يكتب اليهم احياناً ما لا يريد ان يقف عليه الناس . ولذلك تدرج الصحيفة ملصقة بالكتابة ونحوه معنونة باسم المكتوب اليه وبناء على ذلك يحتمل من التنازل ما لا يطابق العادة المألوفة بوجه ما . ومنه ما يكتب مبسوطاً ويقال له المفتوح وهذا يكتب للاجانب الذين لا يكتم اليهم ما يخفى عن الناس . ولذلك تدرج الصحيفة ادراجاً بسيطاً غير ملصقة ولا معنونة لذكر

الاسم في باطنها . وبناء على ذلك لا يرخص فيها بشيء من التسامح في العوائد وهي دون الاولى في الكرامة . وبما ان القائمة تحتمل ما لا يحتمله غيرها كان الامير بشير الشهابي يكتب بها نصف طبق للشيخ بشير جنبلاط ويكنيه بابي علي خلافاً للعادة لان الحاكم لا يكني احداً في كتابته على الاطلاق . ولكن لما توفي اخوه الشيخ حسن وأراد أن يكتب له تعزية وهي مما يقتضي الشهرة فلا تناسبها القائمة كتب اليه كتاباً مفتوحاً ربع طبق من الورق مقتصراً على ذكر اسمه دون كنيته حسب العادة المفروضة . ومثل ذلك ما كتب به للشيخ ناصيف نكد تهنئة له عند زواجه وكان يكتب له ولابن عمه الشيخ حمود قائمة من نصف طبق ولكن معرضاً عن ذكر الكنية ولم يكتب الحاكم لغير هؤلاء الثلثة من المشائخ في نصف طبق الا لبني عادة الجبيليين لانهم كانوا قديماً يتولون أمر تلك البلاد من يد الوزراء السلطانية . ولم يذكر كنية الا للشيخ بشير جنبلاط لانه كان على نفوذ عظيم في البلاد . واما الكتابة الى الحاكم فان الجميع يدعونه سيداً لهم . غير ان الامير الشهابي منهم يدعو نفسه ولداً له أو ابن عمه بحسب سنه . والعمومي يدعو نفسه محباً وداعياً . والدون من الامراء والمشائخ يدعون انفسهم عبيداً كما تكتب اليه عامة الناس . لا حد ولا يذكر له اسم ولا لقب ولا كنية بل يدعى بالامير لا غير

اخلاق اللبنانيين وطباعهم

لبنان من اصح البلاد هواء وعذوبة ماء واهله من أصح الناس ابداناً واقوام ابداناً وأكثرهم نشاطاً وهمة . وفيهم شجاعة ونجدة وقد نبغ منهم جماعة من أهل الحرب والقواد ذكرنا منهم يوسف بك كرم في الفصل الماضي . واشتهر في اوائل القرن الماضي عشرات من الفرسان الشجعان أظهروا في الفتن التي انشبت في اواسط ذلك القرن شجاعة ونجدة وثباتاً في ساحة القتال لا تزال حديث القوم في مجتمعاتهم حتى الآن في سورية ولبنان . وقد دونها مؤرخو تلك الحوادث

واللبناني ذكي نشيط مقدام همام صبور على العمل . اذا طاب له المقام في جبله وكان في عوز فتت صخوره فجعلها تراباً وبذرها بالحب واستثمرها . او غرس الكرم واستغله بعرق الجبين وكد النفس . يقضي نهاره في الحقل او السوق فاذا اتى منزله استقبلته امرأته وقد اعدت له اسباب الراحة واهمها النظافة . واللبناني مهما بلغ من فقره لا تستنكف ان تأكل من طعامه وتقعد على حصيره وتنام في فراشه . واذا حللت البيت وان كان ساذجاً في منظره فانه يجول معك في المواضيع العامة سياسية

كان او اجتماعية او ادبية . وترى في حديثه تعقلاً وذكاء على حسب سنه وطبقته ، وتسمع من امرأته او ساته ما يدلُّ على استعداد طبيعي للرقي الاجتماعي

واذا ضاق به الرزق في بلده او بعثه الظلم على الهجرة كما جرى في اواخر القرن الماضي رأيته اسرع ما يكون الى الرحيل . يأتي الحراث او المعول جانباً ويشد وسطه ويتأبط حقيبته ويضرب في الارض لا يبالي بما يلقى في سبيله من العقبات او ما يقطعه من البحار او القفار . يعالج اسباب الرزق بالجد والسهر ومغالبة العناصر . وقد يكون عمله الطواف للبيع في القرى والجبال فيتعرض لقطاع الطرق والوحوش الضارية فيتلقى ذلك بقلب لا يهاب الموت وصبر لا يعرف اليأس

احد ابطال لبنان في اواسط القرن الماضي (ابو سمرا غانم)

وقد يسافر الى بلد لا يعرف لغة اهله ولا نصير له فيه غير سعيه وقوة ارادته . فيأخذ في العمل لا يهمه اين ينام ولا ماذا يأكل وانما همه ان ينجح في عمله . وربما كان امياً تظهر السذاجة في كل حركة من حركاته على بساطة عيشه . فاذا نجح وأثرى خلع ذلك الثوب البسيط واتخذ زي اهل الثروة وتطلع تطلع الطبقة الراقية

وكن المنازل الواسعة وفرشها بالرياش الفاخر كانه ولد غنياً — غير من يسافر للاتجار من ارباب الاموال التماساً للتوسع في الرزق

ويقال على الاجمال ان السائحين حيثما نزلوا كانوا مثالاً للجد والعمل في اكبر مدائن اوربا واميركا . فانهم يجارون اهلها في تجارتهم وصناعتهم حتى في لغاتهم وآدابهم

اكثر المهاجرين السوريين في اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن من اهل لبنان ومعظمهم من الفقراء او الفلاحين . سافروا ورأس مالهم نشاطهم وهمتهم وصدق عزيمتهم وقد نجح اكثرهم . ومنهم الآن نحو مئتي الف نفس في اوربا واميركا الشمالية والجنوبية . وفي اوستراليا وزيلاندا وتسمانيا وسائر جزائر المحيط . وفي غربي افريقيا وجنوبيها وشرقيها واواسطها وفي الهند وجزائرها . واكثر اشتغالهم بالتجارة على اختلاف ضروبها . ومنهم طبقة حسنة من اصحاب المعامل الكبيرة والمتاجر الواسعة لها علاقاتهم المالية في مشارق الارض ومغاربها . ولهم بيوت تجارية تعدُّ من اكبر المتاجر في اكبر مدائن اميركا [illegible] ومصر [illegible] فان جانباً كبيراً من ارباب الثروة السوريين [illegible] من اهل [illegible]

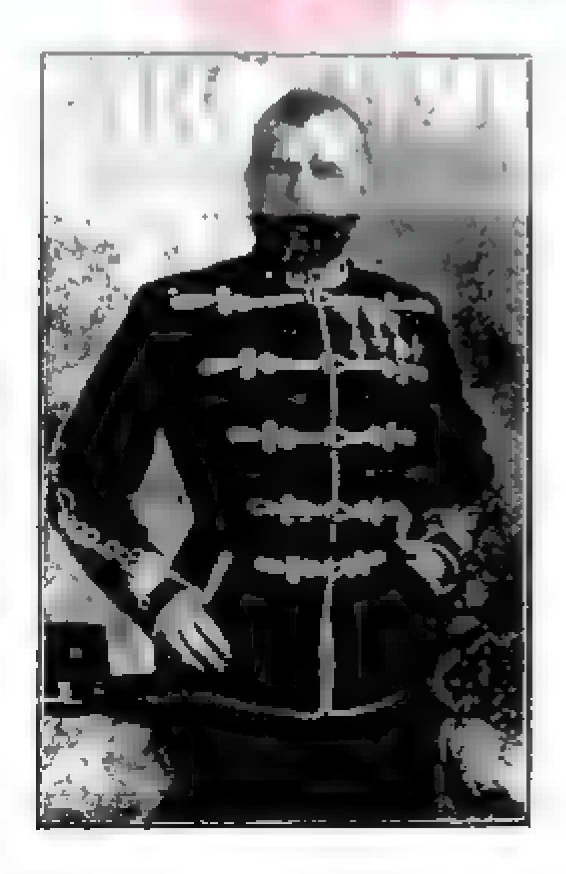

الكولونيل ميشيل حداد

ولم يقتصر نجاحهم على الامور التجارية فان بعضهم اتصل مجده الى المناصب السياسية او العسكرية في الحكومات الاجنبية . فالدكتور نجيب صليبي احد حكام فيلبين لبناني . وكذلك الكولونيل ميشيل حداد امير الاي في الجيش الاميركي ؛ والكولونيل وود في جند فيلبين . ومنهم طائفة من ارباب المهن العلمية كالاطباء والمحامين يجارون الاوربيين والاميركان في هذه الصناعات في بلادهم

واللبنانيون من اكثر الامم تعلقاً بوطنهم يحملون روايته الحرداء على احسن اودية المهاجر . فتراهم وهم وراء البحار لا يشغلهم عن ذلك الوطن شاغل من ثروة او نعيم . وانما همهم سعادته فيسعون في ذلك بانفسهم واموالهم واقلامهم . وقد تمصوا من الاختلاط بالامم الحية معنى الوطن الحقيقي . وبين الساعين في انقاذ لبنان اليوم جماعة كبيرة من ابنائه المهاجرين في اوربا واميركا ومصر وغيرها

٤ — احوال العلمية والادبية

في اللبنانيين استعداد للعلم والادب ولهم قرائح شعرية فطرية وعندهم ضرب من الشعر يعرف بالمعنى وضرب آخر يعرف بالزجل . وقد اشتهروا بالاجادة فيهما ولهم اساليب في نظمهما وخصوصاً في شكل المذاكرة الشعرية . ويغلب ان يكون ذلك بين شاعرين يتناظران ويتفاخران او يتجادلان ويسمى الشاعر عندهم قوالاً . وتكثر هذه المذاكرة في الحفلات العمومية في مواسم الاعياد او في الافراح فينقسم الحضور الى حزبين ينتصب كل حزب الى شاعر ينشطونه ويرددون على قوله . وقد ينتهي الجدال بالشجار . واشتهر من القوالين جماعة جمعت بين محفوظاتهم ما لا يقل خيالاً وشاعرية عن احسن الشعر العربي . فذلك دليل على ذكائهم وميلهم الفطري الى الادب

ثم وفقوا الى الارساليات الدينية التي خرجت للتبشير والتعليم في الشرق ولا سيما الاميركان والجزويت . والمبشرون انشأوا المدارس في لبنان قبل انشائها في بيروت . واللبنانيون حتى في بيروت من اكثر السوريين اقبالاً على العلم . واكثر مؤسسي النهضة العلمية الاخيرة في سوريا من اهل لبنان وهم اول من انشأ الجرائد في سوريا . فان خليل الخوري صاحب حديقة الاخبار اقدم الجرائد السورية ولد في الشويفات . وبطرس البستاني صاحب اقدم المجلات العربية واحد اركان النهضة الاخيرة ولد في الدبية بلبنان . وقس على ذلك معظم اصحاب هذه النهضة في القرن الماضي . فآل اليازجي وآل نقلا من كفر شيما واحمد فارس الشدياق من عشقوت . واكثر ارباب الصحافة

السوريين المسيحيين في بيروت والقاهرة والاسكندرية الآن اصلهم من لبنان . فضلا عن الجرائد اللبنانية التي تصدر في لبنان وقس على ذلك الادباء والشعراء وغيرهم

وفي اللبنانيين اقتدار عظيم على اتقان اللغات ونبغ منهم غير كاتب في لغات الافرنج ولا سيما الفرنساوية والانكليزية ذكرنا بعضهم في الهلال قبل الآن . وفيهم ميل خاص الى الصحافة وقد رأيناهم أسسوا الصحافة السورية وكانوا من أكبر العوامل في نهضة الصحافة المصرية . وحيثما توجهوا جردوا اقلامهم وبحثوا في السياسة والعلم والادب . ونظراً لكثرة اسفارهم واتساع هجرتهم فقد نشروا اللغة العربية والصحافة العربية في اربعة أقطار العالم المتمدن . فاصدروا الجرائد والمجلات في الولايات المتحدة وكندا والمكسيك والبرازيل والارجنتين وسائر الاقطار الاميركية . وفي فرنسا وانكلترا وسويسرا وفي الاستانة وتونس ومراكش وغيرها من بلاد الشرق والغرب . ونبغ منهم في المهجر طائفة من الشعراء والادباء استفادوا من ذلك الوسط روحاً جديدة ظهرت في منظوماتهم . ومنهم من قلد ادباء الافرنج في الشعر المطلق واجاد فيه وبعضهم ألف في هذا الفن من الادب للافرنج أعيد ونشر في لسانهم

كان المتكلمون باللغة العربية في اميركا منذ ثلاثين سنة يعدون على الاصابع فاصبحوا الآن يعدون بمئات الالوف . وصدرت اول جريدة عربية في أميركا سنة ١٨٩١ وبلغ عدد الصحف التي صدرت هناك الى الآن مجموعة عجيبة لا يزال كثير منها حياً ومنها عدة جرائد يومية من خيرة الصحف العربية . والفضل الاكبر في ذلك للبنانيين فقد اوجدوا في ذلك العالم البعيد مستعمرة عربية لها صحافة عربية ترافقها نهضة عربية انشأوا لها الجمعيات العربية الادبية والخيرية والدينية والتهذيبية والسياسية حتى زاد عددها على ثلاثين جمعية لا يزال كثير منها حياً . وبعضها انشئ خاصة لرفع شأن اللغة العربية واحياء ذكرى رجالها . منها جمعية « رواق المعري » في سان باولو البرازيل فانها احتفلت منذ بضع سنين برفع الستار عن رسمي الشيخ محمد عبده والشيخ ابراهيم اليازجي على أثر وفاتهما . وقس على ذلك من نبغ هناك من كتاب اللغة العربية وشعرائها وهم يعدون بالعشرات وثمار قرائحهم ظاهرة على الصحف العربية في المهجر والوطن

٥ — نقد قديم

كل ما قدمناه من مناقب اللبنانيين وسجاياهم يوجب لهم الفخر ويخلد لهم الذكر . لكننا لا يليق بنا الاغضاء عن موضع النقد فيهم — نعني تفرق كلمتهم وكثرة الاحزاب

بينهم . وكل حزب يشتغل لنفسه ويقاوم سواه . وقد ذكرنا من اسباب ذلك الشقاق التعصب الديني وسعي الحكام في التفريق لمصلحتها السياسية . وهو سبب عظيم الاهمية لكن تلك العوامل ذهبت الآن بانتشار التعليم وسريان الحرية في الامة وترى روح التفريق لا تزال باقية . وقد تولدت احزاب جديدة اقتضتها تلك الروح بسبب التباعد بين الخاصة والعامة . نعني ان العامة وهم جمهور الشعب اللبناني بعد ان كانوا تبعين للخاصة من الامراء او المشايخ او غيرهم ينتمي كل جماعة منهم الى زعيم يقولون بقوله ويتهالكون في نصرته والقيام بدعوته اصبحوا بعد انتشار روح الحرية الشخصية لا يرون للزعماء فضلاً عليهم . واكثر القائمين بهذه الدعوة من الشبان الذين تلقوا روح الدستور في المدارس او اقتبسوها بالمطالعة او السياحة وكثيرون منهم تشربوا الآداب الفرنساوية وهان عليهم قلب ظهر المجن لامرائهم بعد الاطلاع على حوادث الانقلاب الفرنساوي الذي قام فيه العامة على الخاصة واستلبوا السلطة من ايديهم . والانسان ميال الى التقليد [illegible] النهضة الشابة المتعلمة تنكر امتيازات المشايخ وتستخف [illegible] الكهنوت . وقد تمحلت ذلك وبالغت فيه وهي لم ينضج رقيها ولا تعود الاجتماع [illegible] شأن الانسان من حيث تقدمه الاجتماعي في طور الانتقال لا هو في [illegible] الخاصة ولا العامة [illegible] وسيبقى كذلك حيناً حتى تستقر الاحوال وتتوازن القوى ويعرف الامير او الشيخ حق العامي فلا يسلبه اياه ويعرف العامي فضل الزعامة [illegible] في [illegible] الحكمة فلا يسرف فيها

ان رفع الامتيازات المتوارثة ورفع شأن العامة بالرجوع الى الحرية الشخصية من الحقوق الطبيعية . وتفويض امور الدولة الى الامة من الامور المستحسنة . وقد تظهر لاول وهلة كاملة لا عيب فيها ولكنك تجدها عند اعمال الفكرة لا تلائم مصالح الامم على السواء ولا توافق مصلحة الامة الواحدة على اختلاف اطوارها . ولبنان ما برح من اقدم ازمنة التاريخ مؤلفاً من عشائر وقبائل اضيف اليها في القرون الاخيرة الطوائف والمذاهب . ونظامه الاجتماعي في الخالي من قبيل الامارة الاستبدادية كل طائفة او عشيرة تخضع لرئيس يدير شؤونها او يتولى تنظيمها او يدافع عنها . وقد يكون ذلك الرئيس اميراً او بيكاً او اسقفاً او غير ذلك . وكل طائفة تخضع باسم زعيمها فاذا داهم الوطن عدوّ ورأى الرؤساء ان يجمعوا كلمتهم للدفاع عنه هان التفاهم بينهم . واذا اقروا على امر اطاعهم فيه رجالهم وعبيدهم

فلما انتشرت روح الحرية في الشعب بالتعلم او المطالعة او الاسفار . وشاهدوا

ما للشعوب المتقدمة من النظامات الدستورية ارادوا ان يطبقوها على انفسهم فتظاهروا باحتقار اصحاب السيادة الموروثة او المفروضة واصبح سوء الظن متداولاً بين الجانبين فذهبت هيبة الرؤساء ولم تنضج آراء الشعب . على انهم لا يزالون من الجهة الواحدة متفرقين حسب المذاهب والطوائف يعسر اجتماعهم لتباين اهوائهم واغراضهم المتوارثة فيهم منذ اجيال ولا هم يحترمون الرؤساء ليجمعوهم . فكيف يجتمعون ؟

لما خلع الفرنساويون نير الامراء اتحدوا عليهم باسم فرنسا او الشعب الفرنساوي وهم امة واحدة ومذهب واحد وتربية واحدة وعادات واحدة . وقد استعدوا لذلك في اعوام متوالية . فهل ينطبق ذلك على اللبنانيين وهم فرق مختلفة تتباين منبتاً ومشرباً وغرضاً مع حداثة عهدهم باسباب هذه المدنية ولم تنضج آراؤهم ولا اتخذوا وجهة تتوحد فيها كلمتهم — فضلاً عن اختلافهم في ما اقتبسوه من المبادئ باختلاف وطنية المدارس التي نشأوا فيها — فهل يمكنهم ان يستغنوا عن تلك الرئاسات

الجواب على ذلك صعب تكتنفه الشكوك والاوهام . ولكننا نقول بامكانه على شروط اهمها : (١) ان يترقى الشعب بالتعلم حتى يعرف حقائق الاشياء كما هي لا كما تظهر له . وان يعرف حدود حريته وحدود السلطة وتترقى اخلاقه بالتربية العالية لتنقى مما اعتورها من المفاسد بتوالي الظلم والفقر والذل (٢) ان يضاف الى لبنان بقاع خصبة تشغل اهله باستثمارها فتغنيهم عن طلب المناصب وعن التحايل في نيلها او المهاجرة في طلب الرزق (٣) ان يضم اليه بعض السواحل لانشاء المينا وتسهيل طرق المواصلات بحيث تنمو تجارته وتتسع ثروته . ومتى صار لبنان خصباً واصبح بلداً تجارياً وارتقى اهله ارتقاء كافياً هان اجتماعهم وتوحيد كلمتهم باسمه ونبذ سائر العصبيات

ولكن كيف يمكن الحصول على هذه الشروط ولبنان كما هو من الفقر ؟ والفقر من اكبر علل تقهقره . لان تجرد لبنان من البقاع الخصبة وتوالي الغش على اهله شغلهم عن المعاش الطبيعي من الصناعة والزراعة والتجارة وصرف همم النابغين فيه الى خدمة الحكومة . وهم اهل ذكاء وعقول متحركة فاتجهت قرائحهم الى المزاحمة او تأليف الاحزاب لا لغرض عام في مصلحة الوطن بل لمصلحة خاصة وحزب شخصي . وساعد على نمو هذه العاطفة فساد الاحكام في الدولة العثمانية وانتشار الرشوة في دوائرها فاقتدى لبنان بها واصبحت الرشوة من جملة ادوات المزاحمة . وساعدهم على ذلك ان نظام لبنان يطلق يد المتصرف في تقليد المناصب كما يتراءى له . وبين طلاب هذه المناصب في لبنان جماعة افسد العهد الماضي اخلاقهم في جملة ما افسده عبد الحميد فاستخدموا في

اغراء المتصرف او غيره والرشوة والسعي في احتمائهم سواء لكل طالب يطمع في مناصبه . ومهما يكن من حكمة المتصرف وقوة ارادته لا بد من تأثير تلك المساعي فيه فيضطرب الجبل وتفسد النيات وتنصرف الهمم والعقول عن المصلحة العامة

تلك هي حال لبنان وقد نهض محبوه الآن لاصلاح شؤونه هذا مع ما يطالبه من الملحقات وقدر له ان يتولى ادارته الداخلية بنفسه كان في حاجة الى المال والرجال لينهض من كبوته — يحتاج الى رجال مخلصين يحبونه حباً مجرداً وقد عركهم الدهر وخبروا اسباب الارتقاء ووسائل المدنية الصحيحة . ومال ينفقونه في انشاء المدارس الوطنية التعليمية والصناعية وتدبير الري وتنظيم الطرق وتسهيل وسائل النقل . ولو امكن نقل ابنائه المهاجرين اليه باموالهم واختبارهم لكملوا ذلك . ولكن هذا غير ميسور الا بعد ان يعمر لبنان وعمرانه لا يكون بغير المال — تلك هي المشكلة التي يطلب من الزمان حلها . ولا يستطيع الباحث الاجتماعي التكهن في مستقبل لبنان لانه معرض لعوامل سياسية وعوارض دولية وحوادث عمومية يصعب الحكم معها على المستقبل . ولا بد من الانتظار [illegible] لا نرجو للبنان اصلاحاً يستحق [illegible] راحة الناس وبعدهم عن المهاجرة [illegible] بذلوا السعي والمال في انشاء المدارس [illegible] الوطن والله الموفق

[illegible]

الجزء الاول من تاريخ التمدن الاسلامي

السنة الرابعة من الهلال

« السابعة « «

واعداد الهلال الآتي ذكرها :

العدد ٢ من سنة ١٣ و١ من سنة ٢ و٣ من سنة ١٥ و١ و٢ و٤ من سنة ١١ و١ و٨ و٩ من سنة ١٧ و١ و٢ و٣ من سنة ١٨ و١ و٢ و٧ من سنة ١٩ و٤ من سنة ٢٠ فمن كان عنده شيء من هذه المجلدات او الاعداد فليعرض على ادارة الهلال اثمانها

قائمة مكتبة الهلال

لسنة ١٩١٣

صدرت قائمة مكتبة الهلال لسنة ١٩١٣ وهي ترسل مجاناً لمن يطلبها

هل يخشى على اوربا

من الخطر الاصفر

بحث اجتماعي اقتصادي

ما برحت سيادة العالم من اقدم ازمنة التاريخ في ايدي الجنس الابيض المسمى بالقوقاسي — وقد تنقلت بين شعوب ذلك الجنس من المصريين والفينيقيين والاشوريين الى اليونان والرومان والعرب فشعوب الجرمانية التي اقامت على انقاض المملكة الرومانية دول اوربا العظمى واهمها فرنسا وانكلترا والمانيا . وهي اليوم قلب العالم المتمدن . وقد تقلب طالع المدنية بين [illegible] في [illegible] هذه التقلبات السياسية لان القوة التي تخضع الشعوب [illegible] هي غير القوة التي تهذب الانسان وترقي مداركه — والتاريخ شاهد بصدق ذلك . وكم من [illegible] والعلوم الراقية ذهبت ضحية جهل الفاتحين

اما الاجناس الاخرى واهمها الاصفر والاسود فمع ان بعضها كان مجيداً في بعض الازمنة ومدنيات لا يستخف بها فهي — على ما يروي التاريخ — لم تحصل على سيادة دامت طويلاً . فهل هنالك سبب طبيعي تشريحية تتعلق بتركيب اجسام اولئك البشر تجعلهم احط من الشعوب القوقاسية وتقضي عليهم بالسير خلف مدنية البيض من بني آدم . او هل يخشى ان يأتي يوم ترتقي فيه تلك الاجناس وخصوصاً الجنس الاصفر الى درجة يجارون فيها الامم الاوربية في نظام الجند ومعدات الحرب فتكون لهم حينئذ اصابة العدد فيغزون اوربا ويسودون عليها — والتاريخ يعلمنا انه لا يدوم على هذه البسيطة سوى التغير والتقلب .

تلك مسألة شغلت خواطر كبار الساسة الاوربيين وكتابهم في السنين الاخيرة فكتبوا الكتب والمقالات في هذا المعنى بين منذر بخراب المدنية الحديثة وقائل بثبات سلطة اوربا ومتنبئ بقدوم دولة الصفر ورجوع قرون مظلمة ثانية ونحو ذلك . وهم على الاجمال فريقان فريق خائف متشائم وفريق مطمئن البال ساكن الخاطر لا يخشى سوءاً على دولة الغرب . اما المتشائمون فنوعان ايضاً : منهم من يعتقد ان خراب

اوربا سيأتي دفعة واحدة بعد غزو الصينيين لها ومنهم من يخاف عليها الاندماج البطيء بتقدم الصينيين اقتصادياً وادبياً والاوربيون يتقهقرون تقهقراً اجتماعياً اخلاقياً

وقد صور احد الكتاب بقوة خياله بلاد الصين في اوائل القرن الحادي والعشرين الآتي فقال بكين عاصمتها احدث من غربي شوارعها نظيفة منتظمة وبيوتها متناسقة وسماؤها ملأى بالطيارات الى آخر ما هنالك من مظاهر المدنية والارتقاء — ثم انتقل من وصف المدينة الى القصر الامبراطوري حيث جمع امبراطور الصين سفراء الدول الاوربية بمناسبة دخول رأس سنة ٢٠٠١ م والقى عليهم خطاباً طويلاً كانت نتيجته الحرب هذا ملخصه :

امبراطور الصين واليابان يخطب على سفراء الدول الاوربية سنة ٢٠٠١ م

« انا كوتسين امبراطور الصين واليابان بمناسبة دخول العام في القرن الحادي والعشرين اذكركم بما يأتي

« منعت دول اوربا اليابان من توسيع املاكها في الصين بعد انتصارها عليها سنة ١٨٩٥ فحرمت الصين من مساعدة اليابان في تهذيبها وترقيتها مادياً وادبياً . وقد حفظ ذلك اسلافي امبراطورو اليابان العظام واخذوا منذ ذلك الحين في ملاينة دول الغرب وملاطفتها — ولا حاجة بي ان اذكركم انه لما توفي امبراطور الصين بانسي سنة ١٩٥٠ عين وريثاً له ولي عهد اليابان حينئذ سلفي المجيد الامبراطور كوتسين لما كان بين الصين واليابان من العلاقات الودية وما توسمه في شخصه من الكفاءة . فاتحد بذلك اليابان

والصين وصارتا دولة واحدة . فالآن نحو ٨٠٠ مليون من الناس يخضعون لي . وقد عرفنا ماذا يعني لنا ان نقتبس من مدنيتكم فاقتصرنا منها على ما يختص بالفنون الحربية والصناعة . فتخرج من مدارسنا قواد ومهندسون عديدون وعندنا الآن ٤٠ مليون جندي تام العدة وعلى أهبة النضال . ومع رغبتي في حفظ السلم الدولي لا ارى بدا من تنبيهكم الى ما يأتي :

« لا يمكننا أن نسكت طويلاً عن الحرب الاقتصادية التي شهرتها أوربا على مصنوعاتنا بمنعها من الدخول في بلادها على حين ان أبواب مملكتنا مفتوحة للتجارة الدولية . فالصين تريد أن يستفيد العالم بأسره من مصنوعاتها الرخيصة . ولذا فهي تطلب بالحاح الغاء جميع الرسوم الجمركية . ولنا مطلب آخر لا تقل أهميته عن المطلب الاول ذلك ان رعايانا يتكاثرون بفضل الاحتياطات الصحية والتقدم المادي في جميع الانحاء وقد اوشكت بلادنا أن تضيق بهم فنطلب بكل قوة أن تتخلى الدول الاوربية عن مستعمراتها في الشرق الاقصى وترجع لنا ما اغتصبته من اسلافنا ونحن مستعدون أن ندفع تعويضاً مادياً عن [illegible] التي تملكها فرنسا وانكلترا والمانيا في تلك الجهات من [illegible] مشاريع للري وغير ذلك [illegible] في الختام انبهكم الى أمر هام وهو انا مع [illegible] الاوربية وتكدير راحة الاوربيين [illegible] ما نورده بكل حكمة و[illegible] »

ان هذا الخطاب [illegible] الخيالي يوضح [illegible] . واليك ما قاله أحد المتشائمين بحالة اوربا نورده انموذجاً [illegible] على منواله هذه الطغمة من الكتاب قالوا

« ان التاريخ يعيد نفسه . فلا نستبعد أن يأتي زمن يكتسح فيه الصفر قارة أوربا بجيوشهم الجرارة وعددهم الحديثة التي يتعلمونها عن الاوربيين . فقد رأينا من الآن كيف بدأ الصينيون يقتبسون مدنيتنا الذي يعمهم بعد تثقيفهم وتدريبهم من بناء المعامل العظيمة وتخطيط السكك الحديدية واستعمال جميع وسائل الصناعة الحديثة فينافسون الاوربيين في صناعتهم وتجارتهم . والصين كما لا يخفى مستودع عظيم لأهم المواد الاولية للحياة الاقتصادية . وإذا بلغوا هذه الدرجة من الرقي لا يبقى لاوربا الا ان تختار واحداً من شرين . اما أن تقفل أسواقها في وجه المصنوعات الصينية — وهي حرب اقتصادية لابد أن تليها حرب حقيقية لان المماحكات الاقتصادية انما هي مقدمة الحروب . واما أن تقبل مسابقة الصين وقد تضطر حينئذ على اقفال معاملها وتوقف صناعتها لانهزامها في تلك المسابقة . ان كبرياءنا تمنعنا من تمثيل هذه الامور في منزلتها الحقيقية فنحن

ننظر شزراً الى الذين يختلف لون بشرتهم عن لون بشرتنا ونسميهم متوحشين . ولو عقلت أوربا لتدبرت الخطر المحدق بها فتلافاه قبل أن يستفحل وتتحد ضد العدو العام عدو الحضارة الاوربية فتهاجمه دفعة واحدة تقتله فيها وهو ضعيف اليوم قبل أن يتسلمها وبا بعد . ان الخطأ الاعظم الذي ارتكبه الاوربيون هو انهم سهلوا على اليابانيين التقدم المادي والادبي ... » اه

نقتصر على هذه الفقرة من اقوال المتشائمين وقد آن لنا أن نحلل أسباب تخوفهم تحليلاً نتضح معه أوجه الخطأ والصواب . ان خوف أوربا في نظرهم ينشأ عن أحد سببين : اما الغزو بالحرب أو الاندماج البطيء فلنفحصهما بالتدقيق :

١ — هل تغزو الصين اوربا ؟

الجنس الاصفر كالابيض مقسوم الى دول أهمها الصين واليابان وكوريا وانام وسيام ويرى المتشائمون ان هذه الدول ستتحد يوماً على اوربا . ولا نرى حادثها أمراً مستبعداً لان دول اوربا اليوم مع كونها من جنس واحد فهي تجيش ملايين من الرجال في التخاصم بينها فلماذا لا يكون [illegible] دول الجنس [illegible] بعد استتمام رقيها الاقتصادي والادبي . وليس لمتشائمين دليل على هذا الا حدة الخوف . وقد ربما الصين واليابان عدوين متحاربين في [illegible] الاتحاد لجنس واحد أو دولة واحدة لا تكفي للحصول على جيش منظم قادر على فتح البلاد والانتصار في المعارك . وانما المطلوب أن تكون الحكومة قوية وروح الامة حية . فهل هذه حالة الصين أو ما يرجى منها في المستقبل ؟ كلا . فان الروح العسكرية أي حب الفتح والغزو قد زالت من بين أهلها لقدم مدنيتها كأن المدنية تضعف الطبائع اللازمة لتوسيع الممالك

. ولكن لنفرض ان الصين تمكنت من تجنيد جيش عظيم وان هذا الجيش يتقدم نحو أوربا قصداً يفرض المتشائمون انه سينتصر على الجيش الاوربي : ولا ينتظر أن يفوقه في العدد لانا اذا فرضنا ان اوربا اصبحت في خطر فلا شك ان ولايات اميركا تتحد مع الجيوش الاوربية وعدد سكان اوربا واميركا معاً اكثر من عدد الصينيين الآن — هذا اذا تساوت سائر الاحوال وبقيت الافضلية للكثرة . ولا ينتظر ان يزيد عدد الصينيين كثيراً لان بلادهم محدودة وتعليمهم محدود بطيء الاستنباط . اما في اوربا واميركا فالمجال للتكاثر والتناسل اوسع منه في الصين . وفيهما بقاع كثيرة لم تسكن بعد فروسيا واميركا فقط تكفيان لمؤونة ١٥٠٠ مليون من الناس . فالخطر الابيض

على الصفر حينئذ اعظم من الخطر الاصفر على البيض . ثم ان المتشائمين يستدلون على سقوط المدنية الحديثة بسقوط مدنيات اليونان والرومان والعرب . كأنهم يظنون اضمحلال الامم والمدنيات قد احتكره الجنس الابيض وان الامم الصفراء غير قابلة للزوال ؟

ان الحروب لا تقوم الا بالاموال . فالجيش الذي ينوي اخضاع أوربا يجب أن لا يقل عدده الآن عن ٢٠ او ٢٥ مليون رجل (وجيش الصين اليوم لا يتجاوز ٦٠٠٠٠٠) ومثل هذا الجيش يلزمه نحو ٢٠٠ مليون جنيه سنوياً على أقل تقدير فضلاً عن العدد الحربية اللازمة وهذه طبعاً يجب على الاقل أن تساوي العدد الموجودة لدى الجيوش الاوربية وهي تقدر اليوم بنحو الف مليون جنيه . فمن أين للصين هذه المقادير الباهظة ؟ لا جدال في انها لا تجدها في بلادها فهل تقرضها اياها أوربا ؟ الجواب كلا وخصوصاً اذا علمت هذه ان الصين ستستعمل مالها لمحاربتها . زد على ذلك انه يتعذر على الصين وفاء هذا الدين ودفع فوائده مع ما عليها من النفقات السنوية على جيشها وهو نحو ٢٠٠ مليون جنيه كما تقدم

ومع كل ذلك فلو فرضنا [illegible] وان الصين [illegible] أوربا من روسيا الى البورتغال فعليها حينئذ [illegible] لان حفظه يحتاج الى تدابير ومحوطات [illegible] الى [illegible] الارض مثلهم

٢ — الحرب الاقتصادية والاندماج البطيء

أول ما انذر الكتاب دول أوربا بالخطر الاصفر عنوا خطر الهجوم والغزو . ولكنهم ما لبثوا ان رجعوا عن رأيهم هذا بعد ان شاهدوا ما شاهدوه من كره الصينيين للحرب واشمئزازهم منها شأن كل شعب ذي تاريخ قديم فقالوا ان خراب أوربا سوف يأتي من الصين ولكن بحرب اقتصادية . والخطر في رأيهم من هذا الوجه

اولاً يمكن لاوربا حالما تتم شروط [illegible] أن تمنع الصينيين من المهاجرة الى بلادها كما فعل الاميركيون في الولايات المتحدة وكندا واوستراليا حيث لا يقبل الصينيون مطلقاً . ولكن هل يأتي تكاثر الصينيين في أوربا بضرر حقيقي ؟ ان امثال هذه الاحتياطات ناشئة عادة عن تعصب في المسائل الاجتماعية وجهل للسنن الاقتصادية الاساسية . فان هذه السنن ان مصلحة كل فرد من افراد العالم تقتضي ان يستخرج من الارض كل ما يمكن استخراجه منها . وذلك يقتضي أن يتكاثر الناس في

الارض بقدر الامكان . ولا بد لذلك من هجر البعض للاماكن الكثيرة السكان الى الاماكن الخالية منهم . وهناك مثلاً يوضح المبدأ المذكور : ان طن الفحم يساوي كذا مثلاً فاذا استخرج الفحم من كل مستودعاته على هذه البسيطة فقد يهبط ثمنه الى ربع ذلك او نصفه . وقس على الفحم سائر المصنوعات ولا يهم الشاري أن يكون مستخرج ذلك الفحم اصفر الجلد أو اسوده أو ابيضه . يقولون أن العامل الصيني يكتفي ببعض أجرة الصانع الاوربي فاذا جاء بلاده سابقه وقد يأخذ مكانه فيصبح الاوربي بلا عمل — فننظر في ما اذا كان هذا مضراً بالبلاد ؟ ولكن لا بد قبل ذلك من القول ان الصيني يكتفي باقل من اجرة الاوربي ولكنه حالما يقدر أن يحصل على الزيادة يطلبها لانه كسائر الناس يطلب السعادة والهناء بقدر الامكان . وهو انما يقبل الاجرة القليلة مضطراً

ومع ذلك فلا شك ان مصلحة البلد بل مصلحة العالم على الاجمال يلائمها ان تقل اجور العمال — لا فرق بين ان يكون هؤلاء صفراً او بيضاً او سوداً . لماذا ؟ لانه اذا قلت الاجور هبطت اسعار ضروريات المعيشة التي يهم [illegible] كل [illegible] — نعم يتعطل بسبب وجود الصينيين في [illegible] حركة بعض عمالها ولكن عامة الناس والعالم اجمالاً (بل اولئك الذين يتعطلون ابداً) يستفيدون من هبوط اسعار حاجيات المعيشة . وبعض الاوربيين [illegible] الصيني [illegible] في [illegible] ومشربه فهو حتماً سيفوق العامل الاوربي والحقيقة انه [illegible] كما يعملون في بادىء امره خشية الموت فقراً ولكنه حالما يرى مجالاً فكذلك فانه يطلب الزيادة

ومن الجهة الاخرى اذا كانت اجور الصينيين والهنود اقل من اجور الاوربيين فذلك لانهم في الغالب اقل اتقاناً لمصنوعاتهم . وقد اصبح العالم باسره سوقاً واحدة واسعار الاشياء تعتدل وتتوازن في كل البلاد بمقتضى ابسط السنن الاقتصادية وهي ان قيمة الشيء « تتوقف على الطلب و « المقطوعية » . واجور العمال ايضاً مثل اثمان الاشياء آخذة في الاعتدال فلا يميز عامل عن آخر سوى بحذقه ومهارته . فاذا تساوى عاملان احدهما انكليزي والآخر صيني في المقدرة والمهارة وطلب الصيني اجرة تعادل نصف اجرة الانكليزي فمن مصلحة كل فرد في العالم على الاجمال ان يستخدم ذلك الصيني بدلاً من الانكليزي كما بينا اعلاه

وهناك خوف آخر من الصانع الصيني وهو في بلاده فقد يتعلم اساليب الصناعة الاوربية فينشىء المعامل فيها ويجاري مصانع اوربا فيبيع مصنوعاته بثمن ارخص فتمتلىء اسواق الغرب بالمصنوعات الصينية واصحاب المعامل في اوربا يقفلون معاملهم !

ثم يقول المتشائمون: «اذا ظل الصينيون يرسلون مصنوعاتهم ونحن نرسل اموالنا فتنشر اوربا بالخراب العاجل والفقر المدقع» ان الذين يقولون ذلك يجهلون مبادئ الاقتصاد البسيطة. اذا فرضنا ان الصينيين يقبلون الذهب والفضة بدلاً من مصنوعاتهم الرخيصة فذلك ولا شك يحرض الاوربيين على استخراج هذه المعادن من مستودعاتها. ولكن الصينيين لا بد أن يكتفوا من الذهب والفضة اذا زادا عن حاجة تجارتهم لان النقود انما هي واسطة للتبادل فتنصرف أوربا حينئذ للزراعة طالما كانت المصنوعات رخيصة

يرى القراء مما تقدم أن لا خوف على أوربا من الصناعة الصينية بل يرون انه من مصلحتها ومصلحة العالم ان تتقدم تجارتها. فاذا صنعت المنسوجات القطنية مثلاً وقدمتها باسعار اخفض من الاسعار التي تباع بها في انكلترا فقد تتعطل بعض معامل مانشستر أو كلها ولكن الشعب الانكليزي على الاجمال يستفيد لانه يشتري المصنوعات القطنية وهي من الضروريات له باسعار رخيصة

الخلاصة

رأينا ان اكتساح الصينيين لاوربا مستبعد جداً بل هو من اشباه المستحيلات وعرفنا ايضاً أن تقدم الصناعة الصينية سواء في بلادهم أو في البلاد الاوربية انما هو لمصلحة العالم وإن أضر ببعض الاوربيين. لان التجارة لا تعرف الوان الناس وأطوار شعورهم ولا تعرف سوى مصلحتها الحقيقية. أما السبب الحقيقي للخوف من الصينيين في استقدامهم فهو ناتج من التنافر الطبيعي بين الاجناس. وهذا التنافر آخذ في الزوال بلا ريب مع تقدم المدنية وتسهيل الانتقال وتقريب المسافات بين الامم. ان «المصلحة» اهم جامعة تجمع افراد الجنس البشري. اذا هددك الابيض بالقتل وجاء الاسود للدفاع عنك فانت تلتجئ الى الاخير. كذلك اذا انتفع العالم من الصينيين ومدنيتهم فهل يضر أحداً كون ذلك النفع مصدره بكين بدلاً من أن يكون باريس؟

بقي أمر لا بأس بذكره: يستنتج مما تقدم انه لا يخشى على أوربا من أعدائها في الخارج وانما الخوف كل الخوف من الداخل. نعني من أمراضها الاجتماعية والمفاسد التي تكاد تكون عريقة في دمها. وشأنها في ذلك شأن الجسم البشري يهدده في كل ساعة جيوش من المكروبات المرضية القتالة ولكن ما دام الدم نقياً وما زالت الكريات البيضاء سليمة فلا خوف من هجمات الامراض. وأما اذا أصبح الخلل داخلياً فقد قوي المكروب وقرب القتل. والامراض الاجتماعية يمكن ملافاتها بالتربية الصحيحة وتنقية المجتمع الانساني من مكروبات الرذائل

اميل زيدان

فرنسا وانكلترا وسويسرا

عمرانها ونظام حكومتها وحضارتها ومناخها

وسائر احوالها الاقتصادية والاجتماعية

من رحلة لصاحب الهلال هذا العام (تابع ما قبله)

ثانياً — انكلترا

١ — نظام حكومتها

ان نظام حكومتها [illegible] من نوع ملكي [illegible] انكلترا من اعرق الامم في الدستور وهي ام الحكومات الدستورية، وحكومتها ترجع في حكمها الى رأي الامة فلا تسن الحكومة قانوناً [illegible] الا بموافقة الامة عليه . وينوب عن الامة مجلسان يباحثان الحكومة ويجادلانها [illegible] هما مجلس الاعيان ومجلس العموم ويعبر عنهما بالبرلمان تأسسا في اوائل القرن الرابع عشر، ويلتئم الاعضاء بدعوة الملك بعد استشارة مجلسه الخصوصي قبل وقت اجتماعه بخمسة وثلاثين يوماً على الاقل . وجرت العادة ان يوالي اجتماعاته بين فبراير واغسطس من كل سنة للنظر في ما يعرض عليه من الشؤون . وبعد المباحثات والاقتراحات يصدر قراراته بأغلبية الاصوات

يتألف مجلس الاعيان من اللوردات ويبلغ عدد اعضائه نحو ٦٥٠ عضواً وتثبت عضويته اما بحق الارث او باقتراح الملك او باستحقاق المنصب كالاساقفة ونحوهم او بالانتخاب . ويتألف مجلس العموم من اعضاء ينتخبهم عامة الشعب لينوبوا عنهم وفيهم من ينوب عن العاصمة (لندن) او المراكز او نحوها من انكلترا وسكوتلاندا وارلاندا . ويشترط في المنتخب ان يكون [illegible] راشداً وان يكون اسمه مقيداً في سجل المنتخبين . وللحكومة شروط في نيل حق الانتخاب لا محل لها هنا . ويبلغ عدد المنتخبين نحو سدس الاهالي ثلاثة ارباعهم من انكلترا والباقون من سكوتلاندا وارلاندا . وانتخاب اعضاء البرلمان سري ولا ينتخب عضواً من لم يتجاوز سنه ٢١ سنة

ولا يجوز انتخاب احد من الاشراف لعضوية مجلس العموم

والقوة التنفيذية في الدولة الانكليزية في قبضة الوزارة او مجلس الوزراء لكنها تصدر باسم جلالة الملك . على ان هذا المجلس يتوقف تعيينه على مجلس العموم فهو يعين رئيس الوزارة بأكثرية الاصوات وهذا يشكل الوزارة . ولذلك كانت الحكومة في ايدي الشعب . ومجلس الوزراء او النظار عددهم مؤلف من ١٨ وزيراً كل منهم يتولى رئاسة دائرة من دوائر الحكومة وهي ثماني عشرة دائرة او وزارة : الحربية والعدلية والختم الخاص والخارجية والهند والداخلية والمالية والمستعمرات والحربية البحرية وايرلندا والتجارة والمحلية والمعارف وسكوتلاندا والزراعة والاسماك والبريد ولا يكثر على كل منها رئيس

٢ — عظمتها وعمرانها

ان المملكة الانكليزية بما يتبعها من المستعمرات اعظم الممالك المتمدنة واكثرها سكاناً واوسعها ثروة . وهي تتألف من بريطانيا العظمى وتشتمل على انكلترا وويلس وسكوتلاندا وايرلاندا . ومن مستعمراتها الكثيرة في الجهات الخمس . فمساحة بريطانيا ١٢١٣٩١ ميلاً مربعاً وعدد سكانها نحو ٤٥٠٠٠٠٠٠ نفس . واما المستعمرات فانها اوسع من ذلك كثيراً تقدر مساحتها باضعاف مساحة بريطانيا . فهي تزيد على ١١٥٥٩٠٠٠ ميل مربع وعدد سكانها يزيد على ستة اضعاف سكان بريطانيا اي نحو ٣٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ نفس تتفرق على هذه الصورة :

مستعمراتها	مساحتها بالاميال	عدد سكانها
في اوربا	١١٩	٢١٣ ٦١٥
في اسيا	١ ٦٣٢ ٢١٥	٢٣٨ ٦٦٤ ٦٠٩
« افريقيا	٢ ٨٨٠ ٣١١	٤٣ ٤٦٧ ٦١٥
« اميركا	٣ ٨٦٥ ٢٦٥	٧ ٤٢٦ ٤٦٣
« اوستراليا	٣ ١٧٦ ٠٢٢	٥ ١٢٠ ٩٩٦
(المجموع)	١١ ٥٥٨ ٩٣٢	٢٩٤ ٨٩٣ ٢٩٨

وتساهز ميزانية الحكومة الانكليزية الآن نحو ٢٠٠ مليون جنيه تجمع من الضرائب المختلفة وتنفق في مصالح الحكومة والجندية والديون وغيرها

ثروة الامة الانكليزية

واذا نظرنا الى ثروة الامة الانكليزية رأينا ما يدهش العقل . وقد عقد احد الباحثين فصلاً ضافياً في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية في هذا الموضوع : خلاصته ان تجارة بريطانيا الخارجية بلغت في العام الماضي نحو ٠٠٠ ٠٠٠ ٨٠٠ ١ جنيه أكثرها حمل في البحار . وان ثروة الامة الانكليزية نحو ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٢٥ جنيه . ودخلها في السنة نحو ٠٠٠ ٠٠٠ ٣٠٠ ٣ جنيه . وما من دولة تداني الامة الانكليزية في الثروة . والمشهور ان الامة الفرنساوية تدانيها او تفوقها . ولكن كاتب المقالة المتقدم ذكرها يجعل ثروة فرنسا نصف ثروة انكلترا اي نحو ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ١٢ جنيه ويقول ان اقرب الامم ثروة الى الانكليز الولايات المتحدة الاميركية فانه يقدر ثروتها نحو ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٢١ جنيه

واكثر ثروة الامة الانكليزية في بريطانيا والهند وكندا وأوستراليا على هذه النسبة :

	ثروة الامة	دخلها
انكلترا وويلس	١٣ ٧١٦ ٣١٩ ٠٠٠	١ ٧٤٠ ٠٠٠ ٠٠٠
سكوتلاندا	١ ٤٥١ ٦٣٥ ٠٠٠	١٧٣ ٥٠٠ ٠٠٠
أرلندا	٧١٤ ٢٢٩ ٠٠٠	١٠٣ ٠٠٠ ٠٠٠
الهند	٣ ٦٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠	٦٠٨ ٠٠٠ ٠٠٠
كندا	٢ ٠٧٢ ٠٠٠ ٠٠٠	٢٥٩ ٠٠٠ ٠٠٠
أوستراليا	١ ٣١٢ ٠٠٠ ٠٠٠	١٦٤ ٠٠٠ ٠٠٠
جنوب افريقيا	٦٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠	٧٥ ٠٠٠ ٠٠٠
نيوزيلاند	٣٢٠ ٠٠٠ ٠٠٠	٤٠ ٠٠٠ ٠٠٠
الحمايات وغيرها	١ ٢٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠	١٧٠ ٠٠٠ ٠٠٠
الجملة	٢٤ ٩٨٦ ١٨٣ ٠٠٠	٣ ٣٣٢ ٥٠٠ ٠٠٠

وقابل الكاتب بين دخل الامة الانكليزية وما تنفقه في الدفاع عن حوزتها فبلغ نحو ثلاثة جنيهات عن كل مئة جنيه من الدخل أي ٠٠٠ ٠٠٠ ١٠٢ جنيه

ويهمنا من هذه المملكة الواسعة في هذا المقام امر العاصمة لاننا درسناها اكثر من سواها وفيها المتاحف والآثار سنصفها مع بعض البلاد الاخرى في ما يلي

٢ — معاهدها العلمية

التعليم في انكلترا ثلاث درجات : الابتدائي والثانوي والعالي فنقتصر هنا على وصف التعليم العالي في الكليات والجامعات . واقدم هذه المعاهد العلمية بني خارج لندن . واقدم جامعات لندن انشئت سنة ١٨٣٦ وظلت هذه وحيدة في لندن الى اوائل القرن العاشر فانشئ سواها كما ستراه . واما خارج لندن فيرجع تاريخ بعض الكليات الى الاجيال الوسطى . وارقاها جميعاً جامعتا اوكسفورد وكمبريدج وسنعود اليهما عند وصف هذين البلدين من رحلتنا . اما سائر الجامعات والكليات في بريطانيا فاقدمها انشئ في اسكوتلاندا في القرن الخامس عشر . وهذا جدول باسماء جامعات بريطانيا وكلياتها حسب سني انشائها :

اسم الجامعة	مقرها	سنة تأسيسها
جامعة سنت اندرو	اسكوتلاندا	١٤١١
« كلاسكو	«	١٤٥٠
« ابردين	«	١٤٩٤
« ابدنبرج	«	١٥٨٢
« دبلن	ايرلندا	١٥٩١
« درهام	انكلترا	١٨٣١
« لندن	لندن	١٨٣٦
« فكتوريا		١٨٨٠
« برمنهام	برمنهام	١٩٠٠
« ليفربول	ليفربول	١٩٠٣
« ويلس	ويلس	١٩٠٣
« ليدس	ليدس	١٩٠٤
كلية جامعة لندن	لندن	١٩٠٥
جامعة شفيلد	شفيلد	١٩٠٥
« برستول	برستول	١٩٠٩
« ايرلندا الوطنية	دبلن	١٩٠٩
« بلفاست	ايرلندا	١٩٠٩

وهناك جامعات وكليات أخرى في سائر مدائن انكلترا الكبرى مثل منشستر وغيرها . واكثر الجامعات مؤلف من كليات تختلف عدداً باختلاف اهميتها . ففي جامعة لندن ٣٤ كلية وفي جامعة اكسفورد ٢٢ كلية وفي كمبريدج ١٧ كلية وتختلف ايضاً في عدد الاساتذة والتلاميذ . ولكن يقال على الاجمال ان الاساتذة في تلك الجامعات يتجاوزون بضعة الاف والتلامذة يعدون بعشرات الالوف . ولاكثر هذه الجامعات اوقاف متوارثة ينفق من ريعها على التعليم وفيها المعامل الكيماوية والكتريولوجية والمعارض التشريحية والجيولوجية والنباتية والحيوانية وغيرها . اما المدارس الابتدائية والثانوية فيضيق المقام عن وصفها

ومعظم هذه المدارس تنفق الحكومة عليها على ان جمعيات التعليم كثيرة في انكلترا بما انشئ لتهذيب الناشئة من الفقراء : منها جمعية في لندن تسمى « لله وللوطن » انشئت منذ ٤٧ سنة لجمع اللقطاء والمشردين من الذكور والاناث وتعليمهم وتربيتهم وتثقيف عقولهم . وهي تجمع [illegible] من اموال المحسنين وقد بلغ [illegible] منذ جمعته الى الآن نحو ٤٠٠٠٠٠٠ جنيه منها ٢٣٥٠٠٠ جنيه جمعت في السنة الماضية . وبلغ عدد الذين آوتهم من الاطفال [illegible] في السنة [illegible] ٩٠٤٩٠ غلاماً وهي تعنى بهؤلاء المساكين وبعضهم [illegible] الى المستعمرات ولا سيما كندا . ويشترط في قبول [illegible] ان يكونوا [illegible] لا عمل لهم . ولا يقبل منهم الا ما بين الطفولية الى السنة ١٤ ولها بضعة عشر مركزاً في [illegible] والولايات المتحدة . ورئيسها اسمه الدكتور برناردو

وللانكليز فضل كبير على العلم الحديث ولا سيما بما يتعلق بالاختراعات المخصوصة التي توقف عليها تسهيل المواصلات وتقريب المسافات كالسكك الحديدية والآلات البخارية وكثير من الصنائع الحديثة كالنسج والغزل والخياطة . ومنهم شارل داروين صاحب مذهب النشوء والارتقاء وشكسبير مؤسس نهضة الادب العصري وولتر سكوت وملتن . غير اصحاب الاكتشافات العلمية في الطب والكيمياء والطبيعيات وعلم الحياة والاجتماع ومنهم ليستر وجنر وهكسلي وسبنسر . غير رجال السياسة والادارة اصحاب الادمغة الكبيرة

ومن قبيل الحالة العلمية تكاثر المكاتب وغرف المطالعة وهي عديدة . وكذلك الصحافة فان في لندن وضواحيها نحو ٤٠٠ صحيفة بعضها يطبع مئات الالوف من النسخ كل يوم — غير المراسح للتمثيل والمعارض العلمية والجمعيات العلمية والادبية

والاكاذيبات وغير ذلك مما يطول شرحه

وفي انكلترا اليوم حركة فكرية واقدام على الكتابة والتأليف في المواضيع المختلفة وقد احصى بعضهم اشهر الكتاب الانكليز المعاصرين ورتبهم حسب المواضيع وخلاصة ذلك كما يأتي :

عدد الكتاب	
١٢٥	في الادب
١٧٢	« التراجم والمذكرات
٥٧	« الدين
٨٩	« التمثيل
١٦	« انتقاد التمثيل
٣٥	« الاقتصاد السياسي
٦٠	« التهذيب
٥٥	« الآثار القديمة
٢٥	« هندسة البناء
٥٥	« الفنون الجميلة
٧٥٠	« الفكاهات والروايات
٣٥	« التاريخ الديني
٥٧	« تاريخ انكلترا
٤٠	« التاريخ الحديث
١٢٠	« سائر التواريخ
١٢٠	كتاب الصحف

عدد الكتاب	
٦٠	في القضاء
١٥٠	« اللغة الانكليزية وآدابها
٢٠٠	« سائر اللغات
٢٠	« الموسيقى
٤٥	« الفلسفة
١٨٠	« الشعر
٤٨	« السياسة
٣٨	« الطب
٤٩	« التاريخ الطبيعي
١٥	« الرياضيات
١٢	« جيولوجيا
٤٩	« علم العمران
٥٠	« الصيد وتوابعه
١٤٠	« اللاهوت
١٤٥	« السياحات ونحوها
٣٠٢٧	(الجملة)

لندره

هي عاصمة المملكة الانكليزية طولها ١٤ ميلاً ومتوسط عرضها نحو عشرة اميال ، مساحتها بالتقريب نحو ١٣٠ ميلاً مربعاً . فيها ٨٠٠٠ شارع اذا اتصلت حتى يتألف منها شارع واحد كان طوله ٣٠٠٠ ميل . واحصوا ابنيتها بنحو ٦٥٠٠٠٠ بناء منها ١٥٠٠ كنيسة و ٦٥٠٠ محل عمومي و ١٧٠٠ نادٍ و ٥٠٠ اوتيل . وهي اكبر مدائن العالم سكاناً . يقدر سكانها بنحو ٦٠٠٠٠٠٠ نفس اكثرهم من الانكليز طبعاً .

لكن فيها جماعات كثيرة من الامم الاخرى . حتى قالوا ان فيها من الاسكوتلانديين اكثر مما في ابردين ومن الايرلنديين اكثر مما في دبلن . وفيها من اليهود اكثر مما في فلسطين . ومن الكاثوليك اكثر مما في رومية . وسنعود الى وصف المتاحف والتحف ونكتفي هنا بذكر الفروق بين لندن وباريس :

الفرق بين لندن وباريس

(١) انهما توأمان في الفخامة والعظمة لكن لندن اوسع مساحة واضخم ابنية واظلم جوًّا . واما باريس فانها اجمل منظراً واكثر زهواً واشرق سماء واصفى هواء

(٢) ليس في لندن اماكن للجلوس في سبيل اللهو او الراحة كالقهوات والبارات التي ذكرناها في باريس . فالغريب اذا احتاج الى الراحة في غير المنازل ليس له الا المقاعد في الحدائق العمومية او يمرّ بالشوارع للفرجة . وفي لندن حانات كثيرة لانواع الخمور وحوانيت لشرب الشاي او القهوة او غيرهما من المرطبات او المخدرات . لكنها كالمخازن التجارية تطلب منها ما تريده وتتناوله وتنصرف كما تفعل لو اردت تناول الطعام في مطعم . وليس عندهم مجالس تسلية كموائدنا كما في القاهرة مثلاً . والقاهرة من حيث القهوات واماكن اللهو كثيرة الشبه بباريس . على ان بعضهم انشأوا في لندن اماكن من هذا القبيل تشبه ما في باريس لكنها قليلة وليست على قوارع الطرق

(٣) ان الماشي في شوارع باريس اذا اقتضى ان يوسع لمن قابله خوفاً من التصادم تحوّل نحو اليمين كما يفعل اهل القاهرة . فالمركبات والدواب والناس يتحولون في شوارع باريس الى يمينهم اما في لندن فبعكس ذلك . لان المارة في شوارعها اذا تلاقوا تحول كل منهم الى يساره . وقد نبهوا الناس الى ذلك بألواح كتبوا عليها قولهم « الى اليسار » فاذا تلاقى اثنان وتحول كل منهما الى يمينه لا يتصادمان وكذلك اذا تحولا الى اليسار . اما اذا تحول احدهما الى يمينه والآخر الى يساره فانهما يتصادمان. ولذلك فالفرنساوي والانكليزي اذا تلاقيا ومشى كل منهما على ما تعوده في بلده لا بدّ من تصادمهما !

(٤) ليس في لندن اماكن عمومية للفحشاء كما في باريس لان الحكومة الانكليزية تحظر على الناس الاتجار بها . خلافاً لمعظم حكومات اوربا وقد احسنت انكلترا ويا حبذا لو اقتدت مصر بها في ذلك فاخذته عنها كما اخذت غيره من اسباب المدنية — ولكن مصر امتحنت انشاء تلك الاماكن اقتداء بفرنسا وغيرها من الدول التي تبيحه وقد اخطأت كما بينا ذلك في مكان آخر من الهلال

(٥) ان هيبة الدين ظاهرة في لندن اكثرمما في باريس ولا سيما في ايام الآحاد . فان تلك المدينة الضخمة التي تموج اسواقها بالناس عجيجاً في أثناء الاسبوع وقد بسطت فيها البضائع وعرضت السلع على قوارع الطرق تصبح في يوم الاحد خالية خاوية لا تجد فيها بائعاً ولا شارياً ولا صانعاً ولا عاملاً . وانما يخرج الناس بعد الصلاة للنزهة في الحدائق العمومية او غيرها في لندن وضواحيها . وهكذا تعمل سائر مدن انكلترا وقراها حتى السكك الحديدية فان حركتها تخف في ايام الآحاد والاعياد . فالانكليز من اكثر امم اوربا تديناً وقد عمهم ذلك في كثير من احوالهم الاجتماعية

(٦) ان عادة البخشيش شائعة في لندن لكنها اقل كثيراً مما في باريس لقلة الشهوات والملاهي كما قدمنا

(٧) لا تجد في الشوارع العمومية من بنات الرصيف ما تجده في باريس

وسنعود الى لندن عند الكلام عن المتاحف والآثار

طواحين الصلاة

كيف يصلي البوذيون

الصلاة من اهم مظاهر الدين تختلف اشكالها وطرقها باختلاف روح الاديان . بل قد تتغير في الدين الواحد تغيراً عظيماً مع مرور الاجيال وتطور الحالة الاجتماعية . فهي قابلة للتحول البطيء تقدماً او تقهقراً مع حالة الامة الادبية — قلنا التحول البطيء لانه يتعذر على امة تعودت احيالاً على طقوس معينة ان تبدلها بسواها دفعة واحدة . لا سيما في المسائل الدينية فهي اثبت في النفوس لانها تستقر في اعماق القلوب . ولذا فانك تجد في الاديان الحديثة آثاراً من المجوسية وعبادة الاوثان

والدين كما قلنا تابع لاحوال الامة وقد نهض في البلاد الغربية في أثناء نهضتها الاخيرة مثل نهوض سائر مظاهرها الحيوية فتكيف حسب المطالب الجديدة . وبعكس ذلك اديان الشرق الاقصى الصين والهند فانها كأهلها جامدة قلما يطرأ عليها ما يحوّلها عن مجراها العادي . فالصين لم تتغير حالتها الاجتماعية منذ قرون . والوقوف عن التقدم في هذا الطريق هو بمثابة الانحطاط والتقهقر

ومن اغرب ما يروى عن البوذيين نوع من الصلاة مؤداه الاستغناء عن تلاوة الادعية او الصلوات او التسابيح بالعبارات المألوفة والتعويض عنها بدواليب اسطوانية تدار كالطواحين وقد نقشت فيها تلك الصلوات. ولهم في ذلك شروط ذكرها سائح درس احوالهم قال «كنت في مقاطعة سكم بالقرب من التيبت ومعي اوراق توصية من بعض امراء تلك الجهة فتمكنت من المكوث في الاديرة البوذية مدة طويلة. وكنت اذا ارسلت احد اتباعي ينبئ اهل الدير بقدومي خرج الكهان لاستقبالي بثيابهم الحمراء وهم يضربون على طبول معلقة فوق مظلات الدير. وكبيرهم يتمتم كلاماً سرياً وهو يدير اسطوانة فضية مرتكزة على محور

«ومع ان السائح [illegible] لكل منظر غريب فاني لم اتمالك عن الدهشة عند مشاهدة تلك العادة الغريبة ولا سيما بعد ان عرفت الاهمية التي يعلقها البوذيون على ذلك الدوران في صلواتهم. وهي من اقدم العادات عندهم وتجد آثارها في اديان اكثر الامم الآرية [illegible] نوعان بحسب [illegible] على [illegible] هو حول [illegible] ثلاث

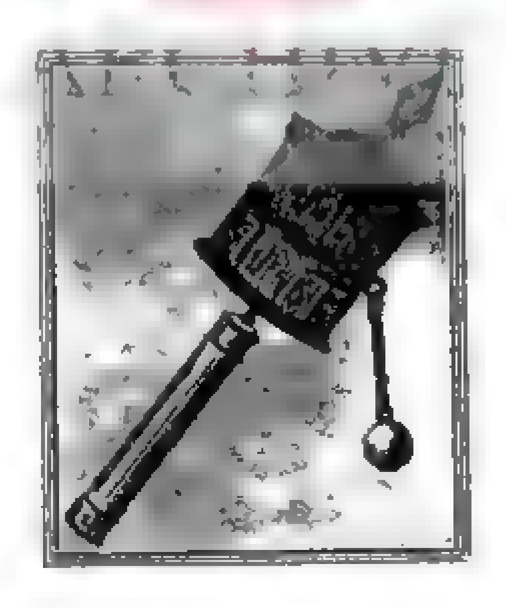

طواحين صلاة عند البوذيين

والاسطوانات التي يديرها الكهان — ويسمونها طواحين الصلاة — هي مثال صغير لاسطوانات كبيرة منصوبة في الاديرة البوذية توضع متلاصقة كانها براميل الخمر في الحانات وعلى سطوحها صلوات. وهي تختلف في الحجم بين ما يوضع في الجيب

لخفته وصغره وبين ما لا تقوى على ادارته الا عدة اشخاص . وهي في الغالب مجوفة تنقش الصلوات في داخلها وقد يضعون فيها الصلوات والعظات الطويلة . وعلى هذا المبدأ نصبوا طواحين تدور بواسطة الهواء او الماء دوراناً مستديماً فهي رأس مال روحي للذي ينشئها تقوم عنه بواجباته الدينية لخلاص نفسه

اما منزلة هذه العوائد من الديانة البوذية فهي ان البوذية مؤسسة على نظرية ارتقاء الشخصية المتوالي . أي ان الكائنات الحية من الحشرات الى الآلهة انما هي درجات في سلم واحد يستطيع النوع الواحد منها أن ينتقل الى شكل نوع آخر ويتكيف بمظاهره بواسطة تحسين سلوكه والقيام بواجباته الدينية ونحو ذلك . فالحيوان بعد موته يظهر في شكل آخر أرقى أو أحط مما كان عليه حسب سلوكه في الدنيا — ولا يزال الفرد يتقدم ويقترب من الكمال حتى اذا بلغ الدرجة القصوى دخل « نرفانا » وهي سماء البوذيين وتختلف عن سماء المسيحيين والمسلمين بخلوها من المسرات واللذات . بل هي عبارة عن مكان تمحى فيه الذاتية وتندمج بالكون العام — والكمال المنشود يدرك بطريقين :

١ حسن السلوك وعمل الخير ونحو ذلك

٢ اقامة الفروض بصلوات و[illegible] الصلاة ودواليب الدعاء التي مر ذكرها

وقد وجدت عادات تشبه هذه عند المصريين [illegible] واكثر الامم الشرقية القديمة

ومن القواعد المتبعة في الصلاة بالدواليب والاسطوانات أن تدار دائماً من اليسار نحو اليمين . أي ان تكون حركتها مماثلة لحركة عقارب الساعة — فاذا أديرت بالعكس من اليمين نحو الشمال عكست النتيجة أي انها تُذهب من الصلوات بقدر الدورات المعاكسة

والهنود مثل الصينيين يعرفون هذه الطرق ويستعملونها وقد ذكر كاتب في رحلة ان رجلاً أراد مرة أن يمنع سقوط الغيث لكي يرتفع سعر الحبوب وكان قد احتزنها للبيع وعلم ان أهل بلده يقيمون صلواتهم الحارة ويديرون دواليبهم نحو اليمين التماساً للغيث فعمل على معاكستهم فنصب اسطوانته على عظم رجل ميت وأمر ابنته أن تديرها نحو اليسار — فتمكن بهذه الطريقة من تجفيف الطقس !

وسبب اعتبارهم الدوران نحو اليمين مجلباً للسعد ونحو اليسار بعكسه ان الاول يشبه حركة الشمس الظاهرة والثاني ضدها . ومن الفروض على الكهان عندما يقدمون الذبائح أن يقولوا هذه الجملة « اني مع الشمس »

وعندهم رمز يمثلونه مثل هذا التمثيل يعني الصليب ذي الاطراف المكوفة فاذا كانت

اطرافه متجهة نحو اليمين فهو رمز عن السعادة والهناء وإذا كانت متجهة نحو اليسار كان رمزاً عن التعاسة والشقاء

ولكن لماذا كان اتباع حركة الشمس نافعاً ومخالفتها مضرة ؟ ذهب المفسرون في ذلك مذهبين :

فقال بعضهم ان اتباع حركة الشمس عبارة عن الاندماج في حركة الكون ومجاراة نواميسه ارضاء للآلهة . وتاريخ الاديان يعلمنا ان الانسان كان في طفولة عمرانه يسعى دائماً في تقليد الاشياء التي يعبدها ويجلها اما ليكتسب رضاها او ليتشبه بها

ويقول آخرون ان التأويل ناشئ عن اعتقاد الانسان أنه يمكنه بواسطة السحر أن يغير ظواهر الطبيعة وخصوصاً حركة الشمس واشعاعها . قال احد اولئك العلماء « لنفرض عما مكان الانسان الاول اذ كانت الشمس والقمر والبدر والطوفان والغيوم في نظره قوى وكائنات أعظم سلطاناً منه . فاذا غربت الشمس شك في طلوعها ثانية ولا سيما في الشتاء حيث [illegible] [illegible] فيتساءل نفسه » هل تعود حرارة الشمس [illegible] [illegible] [illegible] حسب انه بمجاراة الشمس في حركتها [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ان الشعوب عند [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] فعلاً وهو من قبيل التفاؤل . [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في الحرب او في الاعياد يرقصون رمزاً عن رجوعهم ظافرين

فكأن التأويلين المذكورين يرجعان الى فكرتين مختلفتين احداهما ترجع الى مجاراة سنن الطبيعة والثانية الى السحر والقوى الغريبة . ولعل الثانية اقرب الى الصواب لانه يصعب على من لم تتثقف عقولهم ان يدركوا معنى السنن الطبيعية

ومما يؤيد ان المقصود بحركة نحو اليمين مجاراة الشمس في حركتها ان الدولاب رمز عن الشمس وكثيراً ما يستعمله الهنديون والشرقيون على الاحجار بهذا المعنى لسببين الاول انه مستدير الشكل والثاني انه يشير الى الانتقال من محل الى آخر كما تنتقل الشمس . وقد استعمل اليونان هذه الكلمة

ولا يزال في بلاد أوربة وغيرها آثار من هذه العادات الى اليوم ففي بعض الاعياد مثلاً يلفون دولاباً وعربة حول عجلة شيئاً من القش ثم يحرقونها ويركضونها في المنعطف طلباً لطقس حسن ومحصول جم ا . ز .

ولد سنة ١٢٦٠ هـ وتوفي سنة ١٣٣١ هـ

نضب الادب التركي منذ بضعة شهور بكاتب من فحول كتابه . نعني كبير ادباء الاتراك في هذا العصر احمد مدحت افندي صاحب الآثار الادبية العديدة في اللغة التركية بين تأليف وترجمة . فاحببنا ان نأتي على فذلكة من تاريخ حياته اعترافاً بفضله

ولد في الاستانة سنة ١٢٦٠ هـ من ابوين فقيرين وتلقى مبادئ العلم فيها . ثم رافق احد اقربائه الى ولاية الطونة — وهي الآن من جملة مملكة البلغار — ووفق الى الدخول في مدرسة الجمار هناك فتفقه في العلوم العصرية واللغوية واتقن اللغة الفرنساوية ونال الدبلوم المؤذنة باستيفائه العلم فيها . وكان مدحت باشا ابو الاحرار في اثناء ذلك قد عهدت اليه ولاية الطونة فاعجب بذكاء الشاب احمد مدحت فادخله في خدمة الحكومة نفسه . ولما عين مدحت باشا والياً على بغداد (سنة ١٢٨٠ هـ) وانتقل اليها اخذه معه فمكث في بغداد بضع سنوات وفي سنة ١٢٨٥ هـ عاد الى الاستانة وهو في مقتبل

الشباب وفيه ميل الى الادب والانشاء فتعين رئيساً لتحرير الجريدة الرسمية « تقويم وقائع » وبعد خمس سنوات نُفي الى جزيرة رودس مع جماعة من المتهمين بالجرائم السياسية مثل الطعن على اعمال الحكومة وفي جملتهم نامق كمال بك الاديب التركي الشهير الذي ترجمناه في « تراجم مشاهير الشرق » . وتفرغ احمد في تلك الجزيرة للادب والعلم . فكان يقضي ايامه بالمطالعة والدرس وانشأ مدرسة للتعليم سماها « المدرسة السليمانية » لا تزال قائمة هناك حتى الآن .

اقام في رودس ثلاث سنين ثم صدر العفو عنه سنة ١٢٩٣ هـ وهي السنة التي خلع فيها السلطان عبد العزيز . وانتقل احمد مدحت الى الاستانة وتعين مديراً للمطبعة الاميرية وجريدة الوقائع الرسمية . واخذ يشتغل في الصحافة فانشأ جريدة يومية سماها « ترجمان حقيقت » كانت تصدر يومياً ونالت شهرة واسعة وكان لها شأن في عالم السياسة . واصدر ايضاً مجلة دينية « [illegible] » اي [illegible] . ومجلة علمية اسمها « قرق انبار » اي ٤٠ مخزناً . [illegible] وعوده بكثير فتولى سنة ١٣٠٠ هـ رئاسة مكتب ادارة الكرنتينا في الاستانة [illegible] لادارة [illegible] سنة ١٣١٢

وهو في اثناء ذلك يؤلف الكتب وينشر المقالات في السياسة والتاريخ والادب حتى اصبح علماً بين علماء الاتراك . ولما انعقد مؤتمر المستشرقين سنة ١٣١٥ هـ في استكهولم عاصمة اسوج انتدبته الحكومة العثمانية لينوب عنها فيه . وقد تولى عدة مناصب علمية فكان استاذاً للتاريخ في مدرسة « دار الفنون » بالاستانة واستاذ التاريخ والاخلاق في « دار الشفقة » فيها . ولما أعلن الدستور منذ اربع سنوات أُحيل على المعاش من منصبه الاميري لكنه ظل يوالي التدريس حتى وافاه القدر المحتوم في مدرسة الشفقة بعد فراغه من الدرس . وكان لموته رنة حزن لدى عارفي فضله .

وقد خلف احمد مدحت كثيراً من الآثار الادبية في اللغة التركية بين كتب ورسائل وتقدر آثاره بنحو مائتين وخمسين كتاباً بين تأليف وترجمة . وقدَّر بعضهم عدد مؤلفاته بالنظر الى سني حياته فلحق كل ساعة اربعة اسطر . واشهر مؤلفاته كتاب « كائنات » في ١٤ مجلداً يشتمل على تاريخ الامم المتمدنة . و« المفصل » اربعة مجلدات في تاريخ الدولة العثمانية و« المدافعة » ثلاثة مجلدات . ودوَّن رحلته

الى اوربا في كتاب سماه « الجولان في اوربا » وصف فيه ما شاهده في اثناء سفره الى موتمر المستشرقين

وكان رحمه الله فصيح اللسان قوي العارضة سريع الخاطر في الخطابة والكتابة وقد دفن في حوش جامع السليمانية بالاستانة

آثار المكسيك القديمة

قبل المسيح بثلاثة آلاف سنة

منذ عهد غير بعيد جال العرق من عاصمة المكسيك الى اعظم مدن الولايات المتحدة وورد ... كان له وقع عظيم في سائر دوائر الآثار القديمة وخواطر علمائها . وتفصيل الخبر ان ... وللستاد ... والسيور رومان مينا اذاعوا رسائل رقية ... مدينة معوية مخمة ظهرت على بعد نحو ساعتين على الشاعي من مدينة المكسيك وفي هذا ما ... طويلاً ان التمدن القديم في بلاد المكسيك ... تقدم مدينة التولتكس والازتكس منشأه معولي صرف

فقد اكتشف عدة الآثار قرب خرائب مدينة توتيهواكان القديمة التي تبعد نحو ١٨ ميلاً في الشمال الشرقي من المكسيك مدينة اوتوميا وهي اقدم عهداً من ساقتها فقد ازدهرت مدنيتها احيالاً قبل التولتكس والازتكس . ومن المرجح ان اوتوميا اعرق ايضاً في القدم من بابل ونينوى اللتين كانت لهما السيادة في غربي اسيا

استعانت ابعثة الاثرية على اكتشاف آثار هذه المدينة القديمة بمال امدتها به حكومة المكسيك ورفعت الطبقة الترابية التي كان سمكها فوق الآثار ستة اقدام — ويرجع عهد هذه الطبقة الى مايقرب من عشرين قرناً . وحالما تمّ رفع التراب بدا لرجال البعثة ادلة كثيرة على مدينة ضخمة كانت تزدحم فيها الوف الخلائق وتزدان بمدنية زاهرة . وفي جملة الادلة هرم عظيم مساحة قاعدته ٧٠٠ قدم مربع وعلو قمته ١٧٨ قدماً ويشير تركيبه من حجارة ضخمة الى براعة غريبة في الهندسة

واكتشفت البعثة بجانب الهرم بناية عظيمة تدعى كارانتادا او « البيت المدهون »

تتألف طبقتها السفلى من ست غرف جدرانها من طين وقطع حجرية . الا ان اسقفها تهدمت من علاها ومدهونة طلاء هندي [illegible] في الطين الابيض ويظهر على الجدران رسوم [illegible] غريبة [illegible] اودية وعلى رؤوسهم رسوم ما كان الناس يلبسونه في تلك الايام [illegible] تلك الرسوم [illegible] بالاخضر والاحمر واللوردي والليموني [illegible] اشكالها على [illegible] في العمل وسلامة في الذوق

وبعد هذا الاكتشاف [illegible] وهو انه بينما كان الاستاذ نيفن يشرف [illegible] على مدينة [illegible] تحت خرائب مدينة اوكسب [illegible] لا تعرف [illegible] وقد بنيت كل منها فوق الاخرى [illegible] فلا يمكن معرفة عهد بنائه . لا [illegible] استدل عليه بشكل عينيه [illegible] صينية كاملة . ولكن الصينيين [illegible] من الشمال

[illegible] ٧ [illegible] المادة المصنوع منها ولو بواسطة [illegible] في وسطها [illegible] وعلى [illegible] حبة اثقال كانت [illegible] قوة لا يعلم عددها الا الله

[illegible] من عهد الازتكس بل هو اقدم ويدل على [illegible] الاقدمين كانوا [illegible] للعقول

وعثر [illegible] على هيكل [illegible] اقدام ويداه طويلتان جدا حتى [illegible] الركبتين وهيئة الجمجمة مغولية

وخلاصة [illegible] الاثرية مؤخراً في المكسيك ومدن اكتشافه [illegible] من الاعتقاد [illegible] الصينيين دخلوا اميركا منذ خمسة الاف سنة على الاقل [illegible] ميلاد [illegible] الاوقيانوس الباسفيكي على قوارب خشبية [illegible] تلك المدينة التي يمكن ان يكون [illegible] نتيجة حرب

ابوها على الصينيين قوم هاجموهم . ثم غطى التراب بيوتهم وجاء اقوام آخرون بنوا فوقها مدينة اخرى فخربت ثم تهدمت هذه مثل ما تقوضت به سابقتها وشيدت عليها مدينة ثالثة بايدي ناس لا يعرف احد اسمهم . واخيراً سقطت الثالثة وانتشر فوقها تراب الارض . وبقي تمثال الصيني تحت ردم الثلاث سنيناً حتى عثر عليه جماعة من ابناء القرن العشرين يسعون في خدمة العلم فاخرجوه من ظلمة الى النور ولا يبعد ان تحل بواسطته احجية بدء العالم الجديد (مرآة الغرب)

عرش اسمعيل شاه

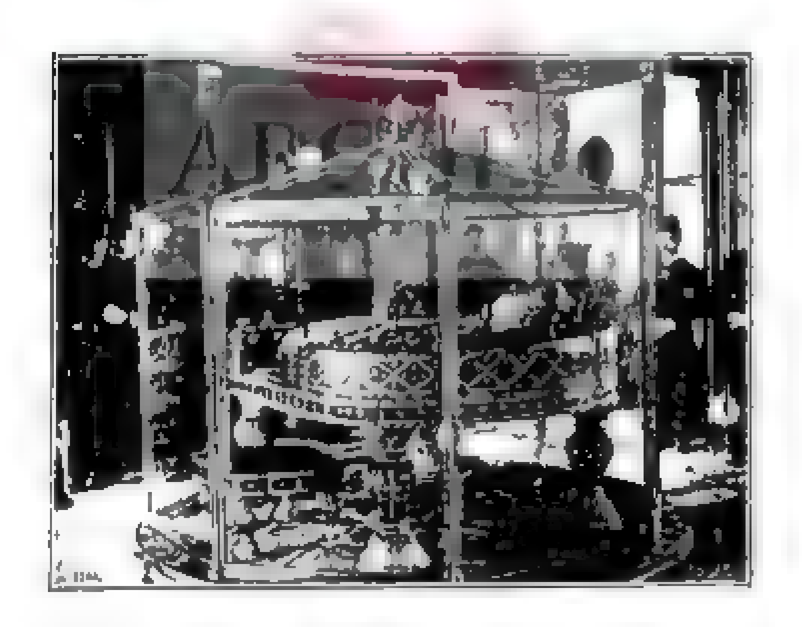

عرش اسمعيل شاه الذي قيل ان الحكومة العجمية عرضته للبيع

راجع وصفه في سنة ثامنة عشرة من الهلال صفحة ٧٣

سفن الاسطول الاسلامي

وانواعها ومعداتها

[illegible]

(تمهيد) [illegible] من كلام المقريزي ان [illegible] والمراكب الحربية كانت على قسمين: حربية ونيلية

فالحربية هي التي كانت تبنى لغزو العدو وتشحن بالسلاح وآلات الحرب والمقاتلة وتسير من ثغر الاسكندرية وثغر دمياط وتنيس والفرما الى الحرب وجهاد الروم والفرنج [illegible] العرب «الاسطول» وهو معرب [illegible]

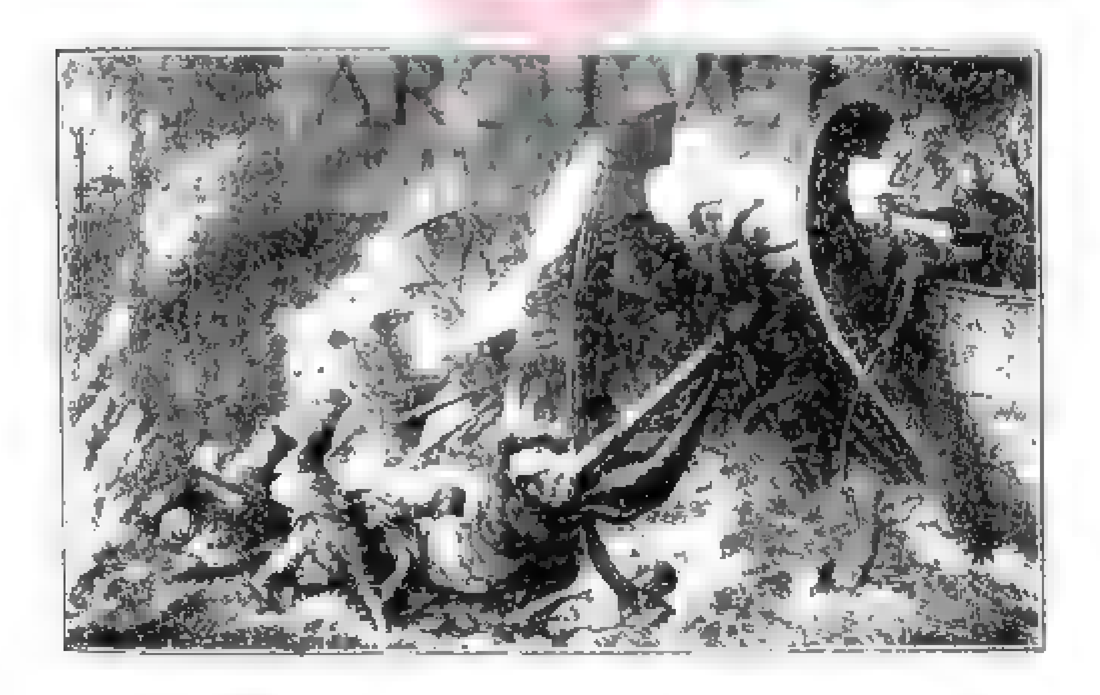

[illegible]

والمراكب النيلية هي التي تجري في النيل صاعدة الى اعلى الصعيد ومنحدرة الى مصب النيل تحمل الغلال والاخشاب وغيرها

وكانت هذه المراكب على انواع [illegible] بحسب الصنعة [illegible]

عندهم ما نعبر عنه اليوم بالترسانة او الترسخانة وهما منقولتان عن تلك (1) وكان العرب يبنون سفنهم الحربية على امثلة سفن الصين واليونان والرومان لانهم اخذوا هذه الصناعة عن تلك الامم ونقلوها . وكانت هذه السفن تتحرك بالمجاذيف وبعضها تتحرك بالمجاذيف والشراعات معاً وكان للرومان سفن كثيرة المجاذيف حملوا فيها على كل مجداف ملاحاً حملاً درعاً من الفولاذ وترساً مخصوصاً واسلحة اخرى بيضاء . وجعلوا لبعض السفن اشرعة مثلثة ولبعضها اشرعة مربعة . وكان بعض هذه السفن يتركب من طبقة او طبقتين وهكذا كان عند العرب

فالمراكب والسفن الحربية المستعملة في العصر الفاطمي وما قبله وما بعده كانت انواعاً تتفاوت شكلاً وحجماً وقوة . نأتي هنا على اشهرها وما دخل من الفاظها في اللغات الافرنجية

انواع السفن وصفاتها

﴿ الشونة ﴾ او الشيني حربية جمع شونة او شيني وهي اهم القطع التي كان يتألف منها الاسطول في دول الاسلامية وفي مقدمة اسطوله واعظمها شأناً فيه . وهي اجفان (مراكب) حربية كبيرة كانوا ينصبون فيها ابراجاً وقلاعاً للدفاع والهجوم وكان الرومانيون يجعلون لبعضها ... برجاً ... وصفحات يقف في الطبقة العليا منها العساكر المسلحة بالقسي والسهام وفي الطبقة السفلى الملاحون بالمجاذيف يسيرونها حيث يراد . وتجهز الشواني في ايام الحرب بالسلاح والنفطية والازودة وتحشد بالمقاتلة والجنود البحرية

وجاء ذكر الشواني ووصفها في شعر ابن حمديس الشاعر الصقلي السرقوسي

---

(1) ان الافرنج لما اختلطوا بالمسلمين وافتتحوا بعض البلاد الشرقية ايام الحروب الصليبية كان من جملة ما اقتبسوه عنهم صناعة المراكب كما اقتبسها العرب عن الامم التي قبلهم . وسمى الاسبان دار الصناعة Darsena واقتبس عنهم سائر امم اوربا فقال البرتغال Taracena و Tercena وقال الطليان في اول الامر Darsena ثم Terzana ثم Arzana ثم Arzenal وقال الفرنسيون والانكليز Arsenal واسترد العرب كلمتهم عن الاسبان Tarsenah مصوغة بلون افرنجي بطريق التركية فقالوا كما قال الترك « ترسانة » بل تركها بعضهم اكثر من الترك انفسهم فقال « ترسخانة » مع ان الطليان لا يزالون الى اليوم يقولون Darsena ولكنهم يريدون بها القسم الداخلي في جوف الميناء حيث يربطون السفن المحتاجة للتعمير بعد نزع آلاتها ومهماتها — ومثل نحو ذلك في لفظ « اميرال » Amiral الافرنجية فانها مأخوذة عن « امير البحر » او « امير الماء » العربية واول من استعمل هذا اللقب في اوربا اهل جنوة وغيرهم من الطليان

المشهور — قال يمدح ابا يحيى الحسن بن علي بن يحيى بن تميم (الجيب) :

أنشأت شوانيَ طائرة وبنيت على ماء مدنا
بمروج قتال تحسبها في شم شواهقها قننا
ترمي بمروج ان ظهرت لعدوّ محرقة بطنا
وبعدو ابيض تحسبه ماء وبه تذكي السكنا
فمن التوفيق لها حذراً من هلك عداتك ما صنعا

والشيني أيضاً مراكب حربية تحمل المقاتلة للجهاد . وكان متوسط ما يحمله الشيني الواحد من الرجال يقرب من مائة وخمسين رجلاً . وقال الاستاذ كازمير نقلا عن مخطوط عربي في مكتبة الفاتيكان « أما الشيني ويسمى الغراب فهو يجذف بمائة مجداف وفيه المقاتلة والجدافون » وظل اسم الشيني معروفاً حتى ايام الدولة العثمانية فكان يطلق فيها على نوع من انواع السفن الحربية

• الحراريق : جمع حراقة وهي مراكب حربية كبيرة كانوا يحملون فيها مكاحل البارود(1) والمنجنيقات(2) ويرمى بها النفط المشتعل على الاعداء ولهذا كانت تسمى كذلك [illegible] حراقة بارود .

والحراقة [illegible] كما تمتاز الشونة بالقلاع . وان كان [illegible] حراقة)

وكان منها أنواع تستعمل [illegible] عند الخلفاء والملوك والامراء في ايام العصر العباسي في الاسلام (مثل الذهبية عندنا) . فقد كان للخليفة الامين بن الرشيد خمس حراقات في نهر دجلة على صورة الاسد وعلى صورة الفيل وعلى صورة العقاب وعلى صورة الحية وعلى صورة الفرس انفق في عملها مالاً كثيراً . ذكر

---

(١) مكاحل البارود وهي المدافع التي يرمى عنها بالنفط والمكاحل مختلف بعضها يرمى عنها بسهام عظام تكاد تخرق الحجر وبعضها يرمى عنه ببندق من حديد من زنة عشرة ارطال بالمصري الى ما يزيد على مائة رطل (انظر صبح الاعشى ج ١ ص ٣٦٦)

(٢) [illegible] في الكلام على معدات السفن (٣) المنجنيق آلة من خشب [illegible] سهم طويل رأسه ثقيل [illegible] كفة المنجنيق التي توضع فيها الحجر [illegible] الذي فيه الكفة فيخرج الحجر [illegible] الازيادات ، وهي الآلة [illegible] الحجر او النفط [illegible] الآلة القذافة [illegible] عند الاسلام وكانت معروفة عند الفينيقيين واليونان والرومان والاشوريين وغيرهم من الامم القديمة

ذلك ابو نواس في شعره فقال :

سخر الله للامين مطايا — لم تسخر لصاحب المحراب
فاذا ما ركابه سرن برا — سار في الماء راكباً ليث غاب
عجب الناس اذ رأوك عليه — كيف لو ابصروك فوق العقاب
ذات سور ومنسر وجناحيـ — ـن تشق العباب بعد العباب

والحراقة بهذا المعنى تشبه المركب الذي يسمى بالعقبة في مصر في ايام المماليك وما بعدهم الى الآن

« الطرائد » جمع طريدة (وذلك خلاف الطراد وجمعه طرادات) والطرائد هي السفن الخصوصية لحمل الخيل للاسطول . وفي المخطوط العربي المحفوظ بالفاتيكان : « اما الطريدة فانها برسم حمل الخيل واكثر ما يحمل فيها اربعون فرساً » . وقد اخذ الافرنج هذا الاسم فقال الاسبان Tarida وقال الطليان Tartana وقال الفرنسيون Tartane ولكن للدلالة على سفائن الشراعية التي تمخر في البحر الابيض المتوسط عرضاً

« الطرادات » جمع طراد [illegible] وهي سفن حربية صغيرة الحجم سريعة الجري لم تزل معروفة الى الآن . والطرادات في [illegible] ثمانية انواع . وهي من السفن غير المدرعة [illegible] الطرادات المدرعة [illegible] وطرادات [illegible] وطرادات درجة اولى وطرادات درجة ثانية [illegible] كثيرة من الطرادات في بحريات الدول الاوربية

« القراقير » جمع قرقور وهي السفن العظيمة التي تحمل الزاد والكراع والمتاع للاسطول . ونسميها الآن « النقالات » Transports وقد اخذ البرتغاليون هذا الاسم فقالوا في تسمية هذه السفينة Carraca واخذ الطليان هذا اللفظ فقالوا Caracca وقال الفرنسيون Carraque وقد اخذنا هذا اللفظ في هذا العصر عن الايطاليين فقلنا « كراكة » ولكن بمعنى آخر لنوع آخر من السفن التي تستعمل لرفع الطين والرمال من قاع النهر والخلجان والمواني

« الشلنديات » ومفردها شلندي وهي مراكب حربية كبيرة مسطحة لحمل المقاتلة والسلاح وتعادل في الاهمية الشونة والحراقة . والشلندي في اللاتينية Chelandium واخذه الروس فقالوا Schelanden وقال الطليان Scialando والفرنسيون Chelande واسترجعناه منهم بطريق التعريب فقلنا « صندل » واصبح هذا الاسم بتحريفاته عندهم وعندنا علماً على السفائن المخصصة لنقل البضائع . أي اصبح الصندل عندنا يدل

على نوع من المواعين جمع ماعونة المستعملة الآن عدة في ثغور مصر . وقد كانت معروفة في الاساطيل الاسلامية الى زمان الدولة العلية فقد كانت الماعونة من أهم سفنها الحربية . وقد اخذ الافرنج لفظ ماعونة فقال فيها الفرنسيون Mahonne وقال الطليان Magona و Mahone و Maona (انظر ريناادي ص ٢٧٣)

﴿ المشاريات ﴾ جاء في تعريفها انها مراكب يشاربها في النيل . ويؤخذ من كلام المقريزي نقلاً عن ابن الطوير انها من توابع الاسطول . وهي انواع منها ما هو خاص برسم الخدمة وهي الدواميس (ومفردها ديماس) يخرج بها ايام الخليج وغيرها . ومنها ما هو برسم ولاة الاعمال وهي بقية المشاريات الدواميس . وللمشارفين بالاعمال (المفتشين) مشاريات دون هذه

﴿ الاغربة ﴾ جمع غراب وهي من اقدم انواع السفن الحربية كانت معروفة عند القرطاجيين والرومان وغيرهم ولم تزل معروفة حتى ايام الدولة العثمانية ولم يتغير شكلها فكانت تسمى فيه [illegible] المصرية . وكانت من أشهر انواع سفنها الحربية . ويظهر ان اسمها مأخوذ من اسم الغراب لان القدماء كانوا يسمون بعض سفنهم على اشكال الطيور فيجعلون رأس السفينة او مقدمها على شكل رأس الغراب او شكل طير من الطيور مثلاً او [illegible] في [illegible] كالصقور في السماء

﴿ الشباك ﴾ من توابع الاسطول قال دوزي في قاموسه شباك مراكب حربية صغيرة الحجم تستعمل عادة في البحر الابيض المتوسط . ويقال فيها شُباك وشَباك . وقد اخذ الافرنج هذا اللفظ فقال الاسبان Jabeque وقال البرتغال Xabeca وقال الفرنسيون Chebec وقال الطليان Zambecco و Sciabecco (انظر رينالدي ص ٩٤)

﴿ الفلائك ﴾ جمع فلوكه وهي من توابع الاسطول وقد اخذ الافرنج هذا الاسم فقال الاسبان Faluca وقال الطليان Filuca أو Feluca وقال الفرنسيون Felouque . انظر رينالدي ص ٦٤

﴿ القوارب ﴾ جمع قارب وهي من توابع الاسطول اخذه الافرنج فقالوا Corvette من اللفظ المفرد وهو قارب (وربما يصح القول بانهم اخذوه من غراب) . وهي انواع ومنها قوارب الخدمة . والقوارب معروفة في مصر من اول الاسلام وقد وردت في كتاب عمرو بن العاص الذي يصف فيه مصر

﴿ الحمالات ﴾ جمع حمالة وهي المراكب الحربية الحمالة برسم الازواد للرجال ويكون فيها عمال الحيلة وصناع المراكب . وغير ذلك من السفن التي تحمل آلات الحرب

والحصار من الاخشاب الكبار والدبابات وابراج الزحف وغير ذلك

وهناك سفن أخرى لاغراض أخرى مثل البطس جمع بطسة و« البروكوشات » أو البروكوس، و «الاعواديات» و «الاغراري» و «المسطحات» جمع مسطح . سوى مايضاف الى الاسطول من « العلابيات » و « الخائم » و « السنابك » وغيرها

معدات السفن الحربية

وكان من معدات السفن الحربية عندهم . الرماح والعصي والتراس والزرد والدرق والخود . والعرادات واحدها عرادة وهي اصغر من المنجنيق ترمي بالحجارة أو السهام المرمى البعيد . قيل هي من التعريد بمعنى العدو . وقد تستخدم لرمي قدور

منجنيق لرمي النفط

النفط أو العقارب أو نحوها من آلات الاذى . فان كانت المقذوفات خفيفة ثقلوها برصاص وان كانت من السوائل كالنفط ونحوه اتخذوا لها كفة كالكاس علقوها بسلاسل . والبايلقات وهي سلاسل في رؤسها رمانة حديد . والكلاليب وفائدتها انهم اذا دنوا من أحد مراكب العدو القوا الكلاليب عليه فيوقفونه ثم يشدونه اليهم ويرمون عليه الالواح كالجسر ويدخلون اليه ويقاتلون واذا كان العدو قوياً ابطل فعل الكلاليب بفاس ثقيل من فولاذ يضربون به الكلاليب فتنقطع

وكانوا يجعلون في اعلى السواري صناديق مفتوحة من اعلاها يسمونها التوابيت يصعد اليها الرجال قبل اشتباك العدو فيقيمون فيها للكشف ومعهم حجارة صغيرة في مخلاة معلقة بجنب الصندوق يرمون العدو بالاحجار وهم مستورون بالصناديق وقد يكون مع بعضهم بدل الحجارة قوارير النفط للاشعال (وهي قدور ونحوها يجعل

فيها النفط ويرمى بها على السفن والقلاع للاحراق) أو جرار النورة وهو مسحوق ناعم من مزيج الكلس والزرنيخ يرمون بها مراكب الاعداء فتعمي الرجال بغبارها وقد تلتهب عليهم اذا تبددت . او يرمون عليهم قدور الحيات والعقارب او قدور الصابون اللين فانه يزلق اقدامهم

وكانوا يعلقون حول المراكب من الخارج الجلود او اللبود المبلولة بالخل او الماء والشب والنطرون لدفع اذى النفط . وقد يحتاطون لذلك بالطين المخلوط بالبورق والنطرون أو الخطمي المعجون بالخل فان هذه المواد تقاوم فعل النفط . وكان من احتياطاتهم في اثناء الحروب البحرية انهم اذا جن الليل لا يشعلون في مراكبهم ناراً ولا يتركون فيها ديكاً . واذا ارادوا المبالغة في الاحتماء سدلوا على المراكب قلوعاً زرقاً فلا تظهر عن بعد . وهذه القلوع كانوا يسمونها الستائر وهي آلات الوقاية من الطوارق وما في معناها مما يستتر به على الاسوار والسفن التي تقع فيها القتال

كانوا يجعلون في مقدم [illegible] كالمهماز يسمونها « [illegible] » وهي حديدة طويلة محددة الرأس [illegible] مجوف كسنان الرمح [illegible] من اسفلها في خشبة كالقبة بارزة في مقدم المركب [illegible] الاسطول [illegible] كأنه سنان رمح بارز من مقدم المركب فيحتالون في طعن المركب به [illegible] المركب بقوة حرقه حتى يخنق عرقه [illegible]

(المصادر) قد رجعت في بحثي هذا الى المقريزي (الخطط والآثار في مصر والقاهرة والنيل) والمكتبة الصقلية [illegible] Arabo-Sicula التي جمعها ونشرها المسيو ميشيل اماري سنة ١٨٥٧ وكتاب الالفاظ الايطالية المشتقة من اللغة العربية [illegible] derivate dall'Arabo للاستاذ لويجي رينالدي [illegible] طبعت في نابلي سنة ١٩٠٦ . ومحاضرات شباب العرب في فرنسا وسويسرا التي القاها احمد زكي باشا في نادي موظفي الحكومة بالاسكندرية . وتاريخ التمدن الاسلامي لصاحب الهلال . وكتاب حقائق الاخبار عن دول البحار لاسماعيل سرهنك باشا . وقاموس دوزي العربي [illegible] Arabes ودائرة المعارف العربية للبستاني وتاريخ السلاطين المماليك للمقريزي ترجمة كاترمير وغيرها

(مصر)

عبد الفتاح عبادة
طالب بالجامعة المصرية

باب السؤال والاقتراح

لغة الدواوين والجمعية الحقانية

« ابو تيج » علي افندي فؤاد سليم

لمناسبة ما جاء في هلالكم السابق من سعي رجال الحكومة في تعمير بعض الارضين وتوزيعها على صغار الفلاحين من جهة وما تكتبونه عن النهضة الحديثة في احياء اللغة العربية من جهة اخرى واجابتكم الشريفة في رفع شأن لغتنا المحبوبة ارسل اليكم مع هذا صورة منشور صادر من الجمعية الحقانية في محرم سنة ١٢٦٠ ه

فمن مطالعته تعلمون كيف سنت الحكومة عقوبة الاعدام والصلب والسجن المؤبد لمن (يتسحب) من بلده الى بلد [illegible] ويترك اطيانه ببورا [?] او من يحمي متسحباً . وشتان بين عمل الحكومة في الماضي وعملها في الحاضر . وللحكومة السالفة عذر لما اصاب الاهلين والبلاد من [illegible] وما [illegible] اصلاح [illegible] حقوق المظالم

فلما جاء المغفور له محمد علي باشا رأس الاسرة الخديوية العلوية واعلن الطمأنينة للبلاد وامن الناس على ارواحهم واموالهم وسن ما سن مما سطره له التاريخ كان لا يزال في البلاد اثر للاضطراب والاعتساف فوضعت الحكومة هذا المنشور لاعادة الناس الى بلادهم

ويفهم من نصه ايضاً ما وصلت اليه اللغة العربية من الضعف والاضمحلال في ذلك العهد . فالمطلع على هذا المنشور يرى الغلطات الكثيرة في الاملاء والاعراب والانشاء واللغة . وبالجملة فهو نموذج اغلاط لا يقع فيها طفل لم يمض سنتين في الكتاتيب . فاذا تكرمتم بنشر هذا المنشور او نصه في هلالكم ليظهر للقراء الفرق بين لغة الحكومة في تلك الايام ولغتها في ايامنا هذه

وارجو الافادة عن « الجمعية الحقانية » ما هو نظامها وما اختصاصها

وتجدون في نص المنشور المشار اليه لفظ « الجناب الخديوي » مع انكم ذكرتم في الهلال ان اول من سمي خديوياً المغفور له اسماعيل باشا فالامل الافادة عن الحقيقة

«الهلال» قد اطلعنا على ذلك المنشور وفي نشره فائدة وعبرة لكنه يستغرق بضع صفحات من الهلال فنكتفي بفقرة منه على سبيل المثال ننشرها بنصها تماماً كما جاءت في المنشور لبيان الفرق بين مصر منذ سبعين سنة والآن من حيث الانشاء والاحكام واليك هي :

« لقد صدر للجمعية الحقانية ارادة سنيه من طرف الاعتاب الخديوية رقم ١٧م (محرم) سنة ١٢٦٠ نمرة ٧ مضمونها لقد صدرة (صدرت) اوامرا كيدة المضمون عن حاب واسكان كل متسحب من بلاده الاصلية والحصر لدى الخديوي الاعظم اجراء هذه الخصوص لكن (لكن) لم يمكن الاقدام لاجراء مقتضى ذلك بداعي بعض اسباب ومشيراً بالارادة بان يصير حصر الناس من جميع المتسحبين فرداً فرداً الى بلادهم ويجري عدم قبول الذي يتوجهوا ويحضروا من بلد الى بلد من بعد اليوم وجهاً من الوجوه ويصير رفع الغلط (الغلطة) التسحب من الوسط فلدى (لدى) المذكرة ان معادة المديريات ولي النعم الخديوي [illegible] لاجراء هذه الخصوص لكن لم امكن [illegible] وحيث احيل هذه على الجمعية الحقانية [illegible] بمقتضى الحقانية واساساته اساس ولاسيما ان الاقدام في [illegible] من الشبهات والاوهام . ومن كون ان اساس عاريت (عارية) البلاد [illegible] المبادي فهي مصلحة الزراعة والفلاحة وان اجراء [illegible] اعمار كل بلد ومن المعلوم ان الانفار المهاجرين تلك لا [illegible] في محلاه (محلات) غير اوطانهم ويدوروا على رأسهم وعلى الخصوص ان أعظم الضرر التي تصدر من مصلحة الزراعة والفلاحة فهو من عدم الدقة لاعادة الانفار الى اوطانهم مع انه كان صدرة (صدرت) اوامر سنيه بان الذي يحموا المتسحبين ويستحاروا (يستحرون) بالاعدام وبالارسال الى ليمان اسكندرية مدة الحياة فلم صدر الاعدام [illegible] الذي عدم نظرهم كما كانوا وقد اقتضى الحال الى ترتيب جزاء شديد واجراءه في حق الذي يتجاسروا على خلافه لاجل يرجعوا الانفار الى المحلاه (المحلات) الذي يكونوا مشمولين فيها في سنة ٢٤٨ بمقتضى اللوائح الصادرة قبلا والارادة السنية الصادرة في ١٤ جماد سنة ٢٥٨ عموماً وعدم قبول المتسحبين من جديد وجهاً من الوجوه وازالة لفظة متسحب من الوسط فيما بعد فيقتضي ان كل من كان عنده انفار متسحبين يرسلوهم الى الجهات الذي محولين فيها في سنة ٢٤٨ لغاية شهر واحد اعتباراً من التاريخ الذي ينشر فيه

هذه الخلاصة لمن يلزم من دواوين المديرية والتفتيش واذا كان احداً لم يرسل لغاية الميعاد المذكور او يقبل الذي يحصروا عدداً سيجازى بالصلب والاعدام بعد التحقيق الخ . »

هذا مثال من ذلك المنشور يتبين منه للقارئ انحطاط لغة الدواوين منذ سبعين سنة وانها آخذة في التحسن من ذلك الحين فان ما نشكوه الآن من التعبيرات الخاصة بالدواوين لا يستحق الذكر بالنظر الى ما كانت عليه لغة الدواوين في ذلك العهد البعيد . ولاشك ان لغة الدواوين خطت خطوة هامة في اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن عن تولى رئاسة اقلامها من المتخرجين في المدارس العالية وبعضهم من خيرة الكتاب وارباب الاقلام . ولا سيا بعد ان دخلت نظارة المعارف في دورها الجديد بوزارة حشمت باشا محي الآداب العربية . فانه وجه عناية خصوصية الى لغة كتاب النظارة وانتقى لرئاسة الاقلام طائفة من خيرة الكتاب . والف لجنة الاصطلاحات العربية . ولما صارت ادارة عموم الاوقاف الى صاحب السعادة ابراهيم باشا نجيب وهو من محبي اللغة العربية والغيورين على ادابها احد من ولى سعة في اصلاح ذلك الديوان وعني على الخصوص بلغة كتابه فيه . فعين انبغ من خيرة الكتاب الادباء لهذه الغاية . ونحن في نهضة عربية عامة يرجى معها ان ترجع لغة العربية الى رونقها

اما الجمعية الحقانية التي أصدرت ذلك المنشور فهي مجلس للنظر في مسائل سبق الحكم فيها ويراد تحقيقها . ولا سيما ما يتعلق بما يقع بين موظفي الحكومة أو بين رؤسائها كالاستئناف او النقض والابرام لما ترمه المجالس الاخرى التي كانت في ذلك العهد . تشكلت هذه الجمعية في أواخر ايام محمد علي باشا وقد جاء في البند الاول من قانونها من حيث تشكيلها ما نصه بعبارته واسلوبه :

« ان ترتيب الجمعية الحقانية المذكورة يكون مركب من رئيس وستة اعضاء من الذوات والستة يكون منهم اثنين من ذوات الجهاديه واثنين من ذوات البحريه واثنين من ضباط الملكيه ويكون الستة ارباب المجلس خاليين من الوظيفة والمأمورية في احد الدواوين وان لا يجوز تعيينهم خارجاً عن مأموريتهم وتبعيدهم عن وظائفهم وبهذا تصير الجمعيه منحصرة بستة ذوات اعضاء لكن يلاحظ ان بعض ارباب الدعاوي الذي يصير رؤيتها بالحقانية يلتمس اقناعه ويطلب تعيين احد ارباب المجلس لتحقيقها بمعرفته فينظر في تعين ذوات من الضباط على حسب الاوصاف الذي ذكرت قبله في ترتيب الجمعية ويصير الحاقهم بها »

وجاء في بيان اختصاصاتها ان الاحكام السياسية كلها تحول الى هذه الجمعية وكذلك ما يراد اعادة النظر فيه من الاحكام الصادرة على الموظفين وهذا نص المادة بحرفها : « ان مأموري الاداره اذا شكوا للاعتاب الخديوية من الاحكام والقرارات التي توجد صادره بخلاف القانون وصدر امر عالي بتحقيقها فيصير رؤيتها وتحقيقها بحسب القانون واذا تبين صحة شكواهم فيصير فسخ الاحكام والقرارات المذكورة واذا لم يثبت ذلك فيجري مقتضى القوانين وتأييد الحكم المذكور »

وهي تنظر أيضاً في المنازعات بين افراد الناس وأحد موظفي الحكومة مما ينتج من المشتروات الاميرية والالتزامات وغيرها . وجاء في ختام قانونها انها سميت حقانية لتحري في أعمالها الحق والعدل . وقد تضع القوانين او تنقحها او تذيلها في شكل المنشورات ومن جملة منشوراتها مواد صدرت سنة ١٢٥٦ وأضيفت الى قانون السياستنامة تتعلق بالمستخدمين الذين تقطع معاشاتهم بحجة ثم يعودون الى الخدمة . ومادة تحرض بها رجال محمد علي الميورين على الدولة [illegible] كشف [illegible] من [illegible] في المصالح الاميرية ولو كان صدوراً من [illegible] الموظفين والتحريض على ضد [illegible] العمومية . ومن ذلك مادة تقضي على السارق اذا ثبت عليه السرقة [illegible] المذكورة يحكم عليه بالاعدام . وصدرت مواد تتعلق بالمرضى و[illegible] والمحاكمات و[illegible]

بقي ان نتكلم عن لقب خديوي والمعروف انه أعطي اولاً لاسماعيل وقد جاء في منشور الجمعية الحقانية لقباً لمحمد علي . والجواب على ذلك ان ولاة مصر قبل اسماعيل لم يكونوا يلقبون في الفرمانات الشاهانية رسمياً بلقب « خديوي » وانما كان يسمى صاحب مصر فيها « والي مصر » واول من سمي « خديوي مصر » رسميا اسماعيل . وأما ورود هذا اللقب في منشورات الحكومة المصرية قبله فهو من قبيل النعوت التفخيمية . وأما في الفرامانات فكانوا يسمون مصر « ولاية مصر » حتى اسماعيل فان الفرمان صدر له عند توليته هو نحو ما صدر لاسلافه . فلما نال الامتيازات وفي جملتها توارث الحكم في اعقابه صدر له فرمان سمي فيه خديوياً ونائب ملك (فيس روا) وسميت مصر « مملكة » أو « خديوية » (راجع الفرمان الصادر في ٨ يونيه سنة ١٨٦٧) وسمي اسماعيل في فرمان آخر صدر سنة ١٨٧٢ « الملك الاعلى خديو مصر » . ومما يدل على ان لقب خديوي كان يعطى لاسلافه مجملاً لا حقيقة ان الباب العالي اكد حقيقة ذلك اللقب رسمياً في فرمانه الأخير لاسماعيل فقال « الملك الاعلى خديو مصر الحائز لرتبة الصدارة الجليلة بالفعل »

عرض كولي من تجاربه ان يحل مركب الفلور بواسطة الكهربائية وجرب ذلك رمزي ايضاً فقال انه تولد معه هيليوم وفي مرة أخرى تولد نيون . فقال انهما تولدا بالتحول . لانه لا يرى امكان تطرقهما الى الانابيب أو الزجاجات التي أجرى التجارب فيها . وجرب بترسن اطلاق الشرارة الكهربائية في غاز الاوكسجين فتولد فيه نيون . واطلق شرارة في انبوب فيه هيدروجين فوجد فيه هيليوم . وتعليله ان القوة الكهربائية أثرت في الجوهر الفرد من الهيدروجين فحولته الى هيليوم . وأثرت في جوهر الاوكسجين فحولته الى نيون . وهو تحويل عنصر بسيط الى عنصر آخر بسيط . ولم تنشر هذه الاقوال في الصحف حتى اهتم العلماء بها وأخذوا في درسها وتجربتها . فظهر لهم انها تحتاج الى مراجعة وتحقيق . وكتب السير طمسن الطبيب الانكليزي الشهير مقالة انتقد فيها اماكن الضعف في ما ذهب اليه أولئك الباحثون . واتى على ذلك باعتراضات قوية لا محل لها هنا . وغاية ما يقال في هذا الرأي انه ينبغي أن ننتظر حتى يمحصه الزمن بتوالي التجارب بعد ان تذهب دهشة الجديد

مطبوعات جديدة

﴿ رواية يوليوس قيصر ﴾ هي احدى روايات شكسبير زعيم نهضة الادب العصري وامام شعراء الانكليز . وقد اشتهر رواياته الشعرية التمثيلية وهي كثيرة اشهرها روميو وجوليت وهملت وأوتلو (عطيل) ومكبث ويوليوس قيصر وغيرها . نقلت كلها الى اهم لغات العالم ونقل معظمها الى اللغة العربية . واتفق النقادون ان شكسبير اقدر من وصف العواطف وصفاً يطابق الواقع بعبارة فيها اساليب خلقها هو لتطابق الصورة التي في ذهنه . واستدعى ذلك استعداد الملك القادر فنسج الناس على منواله . ولذلك كان نقل رواياته الى اللغة العربية لا يقوى عليه الا الراسخون في الادب العربي والافرنجي لتفهم المعاني الاصلية وسبكها في قالب على الاساليب العربية . وقلَّ من نجح في هذا العمل من المترجمين . واكثر الذين ترجموا شكسبير الى العربية تصرفوا في النقل . وقد اجاد في الترجمة بلا تصرف خليل أفندي المطران في نقل «عطيل» وسامي افندي الجريديني المحامي الشهير في نقل رواية يوليوس قيصر التي نحن في صددها . وهي تمثل مقتل هذا القائد العظيم . ويسرنا ان جريديني افندي مع اشتغاله بالمحاماة وما تستلزمه من اعمال الفكرة يجد فراغاً يشتغل فيه بالادب. وله اطلاع واسع على الآداب

الافرنجية فضلاً عن العربية . فنقل هذه الرواية بعد الاطلاع على اقوال شراحها نقلاً صحيحاً بعبارة عربية فصيحة واضحة مع المحافظة على الاصل لفظاً ومعنى . ومن يقابل بين الاصل والترجمة يتبين له مقدرة سامي أفندي في اللغتين وآدابهما . والرواية تطلب من مجلة الزهور بمصر

﴿ مذكرات حي ﴾ هي ضرب من الشعر المنثور قل من طرقه في اللغة العربية لالياس أفندي مسي . بسط فيه شعوره واحكامه في الحب والعفاف والفقر والصداقة وغيرها من مظاهر المجتمع الانساني كما فعل كبار الادباء في اللغات الافرنجية مثل روسو وموسيه من شيوخ الادب الافرنجي . وصاحب « مذكرات حي » شاب في مقتبل العمر وقد اجاد في ما أراده في أسلوب عربي رشيق يؤثر في النفس ويشوق للمطالعة وفيه عبرة وعظة وانتقاد لبعض الاحوال الاجتماعية ويطلب الكتاب من مكتبة الهلال وثمن النسخة خمسة غروش

﴿ مغالبة الشر ﴾ هي رواية اجتماعية أخلاقية لاسماعيل أفندي سري الدهشان وصف بها كثيراً من احوال المجتمع شعراً ونثراً وقرر كثيراً من القواعد النافعة في السياسة والاجتماع على لسان شيخ عاقل . وتطلب من حضرة المؤلف ومن ادارة الهلال وثمن النسخة ٥ غروش

﴿ لباب البراهين الجلية ﴾ هو كتاب تاريخي انتقادي لسيادة المطران يوسف دريان النائب البطريركي الماروني في القطر المصري . يتناول البحث في حقيقة امر الطائفة المارونية من اوائل القرن الخامس الى اوائل القرن الثالث عشر للميلاد . ودرس النقط المهمة في اصل هذه الطائفة واسمها وديانتها وتاريخها وسائر احوالها في تلك المدة . والمطران دريان بحاثة معتدل وقد اتصل الى حقائق تاريخية تهم طلاب التاريخ

﴿ المعاينة والعلامات التشخيصية للامراض الباطنية ﴾ كتاب في العلاج الباطني للدكتور عيسى باشا حمدي أحد اركان النهضة الطبية في مصر يوم كان التعليم باللغة العربية . وقد تولى رئاسة مدرسة قصر العيني عدة أعوام وله مؤلفات عديدة في الطب وفروعه وهذا الكتاب من خيرة ما كتب في الطب الباطني . ولو ظل تعليم الطب باللغة العربية لتكاثرت عندنا المؤلفات فيه كما كانت في ايام محمد علي واسماعيل . ولكنها الآن نادرة . فعسى ان يعود تعليم الطب الى اللغة العربية كما عادت سائر فروع العلم بهمة وزير المعارف

﴿ تاريخ الفحشاء ﴾ هو كتاب اجتماعي طبي في تاريخ الآداب العمومية واسباب ما أتاها من الدال وكيفية نشوئها وانتشارها عند الامم قديماً وحديثاً تأليف

عبد الكريم افندي التير . وفي الكتاب فصول صحية في امراض تلك الرذيلة

﴿ اخبار واافكار ﴾ هي مجموعة علم وادب وتاريخ كما دبجه يراع رصيفنا امين افندي الغريب صاحب جريدة الحارس في بيروت . نشرت فصولها في الجريدة المذكورة ثم جمعت في هذا الكتاب على حدة . وفي شهرة حضرة الكاتب علاوة على ما يطرقه من المواضيع والاساليب الرشيقة التي يؤديها بها ما يغني عن التقريظ وهي تطلب من حضرته

﴿ اليزيدية ﴾ عثر عيسى افندي يوسف ربل نيويورك على رسالة خطية في الموصل تتعلق باليزيدية المعروفين بعبدة الشيطان وآدابهم وبعض احوالهم . فنشرها باصلها العربي في مجلة اللغات والآداب السامية في اميركا مع ترجمتها الى الانكليزية وتعاليق مفيدة . واحوال اليزيدية من اغمض احوال الامم

﴿ حياة البلاد في علم الاقتصاد ﴾ هو كتاب في علم الاقتصاد لرفيق افندي رزق سلوم احد طلبة الحقوق في الاستانة لخصه عن اهم المؤلفات الافرنجية في هذا العلم . وهو من المواضيع [illegible] في [illegible] في [illegible] وطبعت من مطبعة قسطنطين يني في حمص وثمن النسخة ربع ريال

﴿ رائد السودان ﴾ جريدة [illegible] تصدر بالخرطوم مرة في الاسبوع تبحث في السودان [illegible] الاقتصادية [illegible] اشتراكها خمسون غرشاً

﴿ المرشد ﴾ جريدة [illegible] في [illegible] (اميركا) لمنشئها الخوري بولس الخوري بدل اشتراكها ٢٠ فرنكا

﴿ النجاح ﴾ جريدة اصلاحية تصدر في زنجبار مرة في الاسبوع لصاحبها ناصر الدين سليمان المسكي بدل اشتراكها في الخارج ثماني روبيات

﴿ المصور ﴾ جريدة سياسية مصورة تصدر في بيروت مرة في الاسبوع لصاحبها عبد الوهاب افندي التير ومديرها محمد افندي طاهر التير بدل اشتراكها في الخارج عشرة فرنكات وهي متقنة التصوير

﴿ الفجر ﴾ جريدة اجتماعية سياسية انتقادية تصدر في ريو جانيرو البرازيل مرة كل عشرة ايام لصاحبها ناصر افندي شقيلا بدل اشتراكها ١٢٠ غرشاً في الخارج

﴿ الجمعة ﴾ نشرة علمية مدرسية تصدر في عاليه لبنان مرتين بالشهر لمديرها المكرم افندي خير الله ومحررها ميشال افندي زحور بدل اشتراكها ثلاثة فرنكات

﴿ السهم ﴾ جريدة عمومية تبحث في كل موضوع تصدر مرة في الاسبوع في ساوبولو البرازيل لمديرها ومحررها جورج افندي اسحق بارد بدل اشتراكها ٣٥ فرنكاً

الهلال

الجزء السابع من السنة الحادية والعشرين

اول ابريل (نيسان) سنة ١٩١٣ و٢٤ ربيع الثاني سنة ١٣٣١

الدولة الروسية

واسرة رومانوف

أحتفل الروس في مارس الماضي بمرور ثلاثة قرون على توالي السلطة في اسرة رومانوف الحاكمة في روسيا الان واختارت ان يترأس الاحتفال غبطة غريغوريوس الرابع البطريرك الانطاكي للروم الارثوذكس. فسافر الى بطرسبورج دون سواه من البطاركة. فرأينا ان نأتي على تاريخ هذه الاسرة وعلاقة روسيا بالكرسي الانطاكي وغيره من الكراسي البطريركية

الاسر الحاكمة في الدول المتمدنة

مضى على اسرة رومانوف صاحبة السيادة في روسيا ثلاثمئة سنة والسلطة تتوالى في ابنائها. وهي مدة طويلة بالنظر الى معدل اعمار الاسر المالكة في العالم المتمدن ولكن عمر الاسرة الروسية التي كانت قبلها اطول كثيراً فانه يزيد على سبعمائة سنة. ويندر ان توفق اسرة من الاسر المالكة الى هذا العمر الطويل. فان متوسط اعمارها لايزيد على مئتي سنة. واذا صدقنا تقاليد اليابانيين كانت اسرتهم المالكة اطول عمراً من سائر اسر الارض المعروفة. فهم يعتقدون ان امبراطورهم الحالي متسلسل من اسرة

جدها الاول حكم سنة ٦٦٠ قبل الميلاد فعمرها الآن ٢٥٧٣ سنة . ويعتقدون انها متسلسلة من الآلهة اي انها ارق طبقة من البشر

واذا تدبرت تواريخ الاسر المالكة في زمن الحكم المطلق من قديم الزمان رأيت بين سبقتها الدينية وطول بقائها نسبة متبادلة . واعتبر ذلك في الدول الاسلامية فان اطولها عمراً الأسر التي جمعت بين السلطة والخلافة كالعباسيين والفاطميين والامويين في الاندلس . فانها رغم ماطرأ عليها من اسباب السقوط قد صبرت وطال جهادها . واطولها على الاطلاق الدولة العثمانية فقد بلغ عمرها الى الآن ٦١٤ سنة ولا تزال حية . وهي من اطول الدول الحية عمراً وقد جمعت بين السلطة والخلافة . واعتبر ذلك ايضاً في الروس فقد توالى عليهم منذ تأسيس دولتهم اسرتان اسرة روريك واسرة رومانوف . حكمت الاولى ٧٣٥ سنة (من سنة ٨٧٥ — ١٦١٠) والثانية تجاوزت ٣٠٠ سنة ولا تزال في ابان شبابها . وقياصرة الروس في سلطتهم صبغة دينية كما سترى

اما الدول الاوربية بعد هؤلاء فلا تجد فيها اسرة من اسرها المالكة نصف قرن الا نادراً . ومن اطول الاسر الحية عمراً اسرة هبسبورج ملوك النمسا . فان جدهم الاول ردولف حكم سنة ١٢٨٢ فعمرها الآن ٦٣١ سنة . وما خلا ذلك فينذر في الدول العظمى دولة ابتدعها لم تزل تحتفظ بتاج اسرة رومانوف بمرور ٣٠٠ سنة على سيادتها . فالانكليز مرّ من دولتهم منذ مطلع امورها في اوائل القرن التاسع الى الآن سبع اسر اطولها عمراً الانجلوسكون من سنة ٨٢٧ — ١٠١٦ اي اقل من مئتي سنة . وفرنسا توالى عليها من القرن الخامس الى اوائل القرن التاسع عشر خمس اسر اطولها عمراً بيت كابت من سنة ٩٨٧ — ١٣٢٨ اي نحو ٣٤٠ سنة تليها دولة الميروفنجيين من سنة ٤٨١ — ٧٥١ اي نحو ١٧٠ سنة . والمانيا حكمها نحو عشر اسر اطولها عمراً اسرة هبسبورج حكمتها نحو ٣٠٠ سنة وانتهت سنة ١٧٤١ ولو تتبعت اعمار سائر الدول لرأيت اكثرها لم يتجاوز عمرها مئة سنة

الروس والنصرانية

الروس آخر من تنصر من الدول الاوربية الكبرى . واول من تنصر من ملوكهم فلاديمير الاكبر من اسرة روريك في اوائل القرن العاشر للميلاد . وكان للمرأة يد في دخول النصرانية روسيا مثل يدها في انتشار هذه الديانة في اكثر ممالك العالم . وذلك

ان النصرانية اخذت تتسرب الى روسيا من القرون الاولى وانتشرت بين العامة على ايدي مبشرين من اليونان لانهم اقرب الدول المسيحية اليها . فانقضى القرن التاسع ونصف العاشر ولم تتجاوز النصرانية بلاد كياف . ولكن الحكومة الروسية كانت لا تتعرض لاصحابها بسوء بل كانت تجيز لهم محافظة طقوسهم . وانتقل العرش الروسي سنة ٩٤٥ م الى سفاتوسلاف بن ايغور من اسرة روريك وكان غلاماً فصار النفوذ الى والدته اولغا . وكانت عاقلة مدبرة وفيها ميل الى التدين وتعرفت الى بعض المبشرين اليونان فرغبت في النصرانية فتنصرت وذهبت الى القسطنطينية فعمدها البطريرك القسطنطيني سنة ٩٥٥ باحتفال فخيم وسموها هيلانة . ولما عادت الى بلدها رغبت ابنها في النصرانية فابى ولما الحت عليه اجابها « اتريدين ان اصير سخرية بين اصدقائي ؟ ان النصرانية تأمر بالمحبة والمغفرة وهما جديرتان بالنساء وليس بالرجال اهل الجلاد والحرب » لكنه اباح التنصر لمن شاء من الناس

وكان سفاتوسلاف رجلاً شديداً يحب الفتح فاكتسح بلاد الخزر وبلغاريا وغيرهما فامتدت مملكته الى بحر ازوف فقسمها سنة ٩٧٠ بين اولاده الثلاثة . ثم عاد الى محاربة بلغاريا ففتحها فخاف الروم في القسطنطينية على سلطانهم فتصدوا له وتقدموا اليه ان يخلي البلاد التي فتحها فابى فنشبت بينهم حرب كان النصر فيها لليونان فعقدوا صلحاً وانسحب الروسيون من بلغاريا وعاد سفاتوسلاف حزيناً فتعرض له بعض اعدائه في اثناء الطريق وقتلوه . فاختلف اولاده على السيادة وتخاصموا وفاز منهم فلاديمير واستقل بالعرش الروسي وهو من اعظم ملوك الروس . فحارب وفتح واشتهر بقوة البطش . ولما فرغ من فتوحه عاد الى عاصمته كياف واخذ في تكريم اصنامه بتضحية الناس على مذابحها من الاسرى . فقال له بعض اتباعه ان الالهة يسرها بالاكثر ان تكون الضحية من رعاياك » فاختاروا له غلاماً مسيحياً ابى والده ان يضحيه للاوثان فعدوا ذلك اهانة لآلهتهم فقتلوا الاب وابنه . فكان لهذا الحادث تأثير في خاطر فلاديمير وكأنه شعر بعجز آلهته فاظهر رغبته في دين آخر

فاخذ اصحاب الاديان المجاورة لروسيا يعرضون عليه اديانهم وهي الاسلام والكثلكة والارثوذكسية واليهودية — كل منهم يرغبه في مذهبه . فلم يرغب في الاسلام لانه يمنعه من شرب الخمر وكان مكثراً من تعاطيه . وامتنع عن الكثلكة لانها تعظم البابا الى حد العبادة وهو لا يريد ان يشاركه احد في ذلك . ورفض اليهودية لان اصحابها لا وطن لهم . ولم يبق الا الارثوذكسية وكانت اولها . فدعا مستفتيها فجاءه عالم من علماء القسطنطينية

يعرضها عليه واسمه كيرلس . فلما وقف بين يديه اخذ يقص عليه عقائد المذهب الارثوذكسي بفصاحة وبلاغة حلت له . واخيراً اراه صورة تمثل يوم الدينونة وفيها الامم وقوفاً بعضهم الى اليمين والبعض الآخر الى اليسار وقص عليه خبرها . فتأثر فلادمير تأثراً عجباً من منظر تلك الصورة وبلاغة ذلك الخطيب لكنه تمهل لزيادة البحث فارسل جماعة من اشراف مدينته الى الممالك المجاورة وطلب اليهم ان يتفحصوا احوال تلك الديانات في اماكنها . فعادوا وقد بهرهم منظر كنائس القسطنطينية بنوع خاص وقالوا للامير «لم نر احسن من ديانة اليونانيين لانا وقفنا في كنيستهم فلم نعلم أفي السماء نحن أم على الارض اذ ليس في الارض منظر أبهى من ذلك » فصمم على التنصر وهو لا يستطيعه الا بالتذلل لامبراطور القسطنطينية فاستنكف من التذلل فاخترع

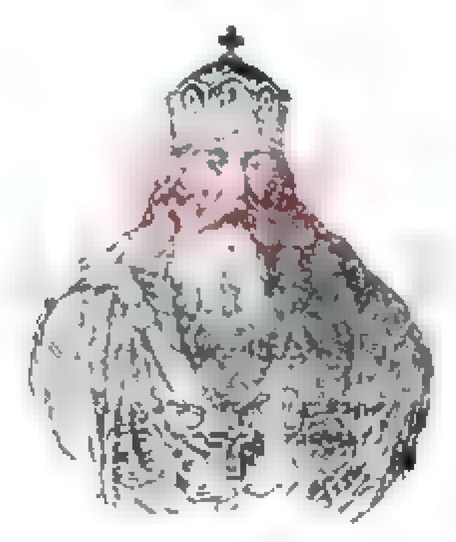

الامير فلادمير

طريقة توصله الى المطلوب بشرف . وذلك انه جرد لمحاربة اليونان في القرم وكانت من املاكهم وحاصر خرسون ثم فتحها وكتب الى الامبراطور يهدده بفتح القسطنطينية او يزوجه اخته فاجابه « لا يجوز لمسيحي ان يزوج اخته لوثني فاذا تنصرت زففتها اليك » فاجابه بالقبول فتنصر سنة ٩٨٨ واقتدى به رجال دولته بدعوى « ان هذه الديانة لو لم تكن حسنة لم يتبعها الامير »

فتأسست الكنيسة الروسية الارثوذكسية من ذلك الحين وامر فلادمير بانشاء الكنائس ونشر هذا الدين بين رعاياه واصبح الروس من حيث الدين تابعين للقسطنطينية يأتيهم الكهنة اليونان منها يعظونهم ويرشدونهم ويعمدون اولادهم ويقصون بينهم . فعظم ذلك على روسيا فاخذت تعمل للتخلص من هذه السيطرة

فتمكنت من ذلك في اواسط القرن الحادي عشر فنقلت التوراة الى لسانها واستقلت عن كرسي القسطنطينية . وصارت تعين اساقفها وكهنتها بلا مراجعة البطريرك القسطنطيني . فشق ذلك على اليونان وكان من اكبر اسباب التباعد بين الامتين حتى الآن . وترتب عليه التباعد بين اليونان والبلغار لان هؤلاء يتبعون الروس في طقوسهم الدينية وانما اتفقا في محاربة الدولة العثمانية لمصلحة شخصية

ولم يستطع الروس مع ذلك انشاء بطريركية خاصة . لان عدد الكراسي البطريركية قد حددته المجامع النصرانية . فلعلمت دولتهم الآن ما تعلم من سعة سلطان ونصرة الارثوذكسية وليس لها بطريرك وانما تجري امورها الدينية بواسطة مجلس السينودس الذي انشئ سنة ١٧٢١ والقيصر هو رأس الكنيسة يولي رجالها ويعزلهم . لكنه لا يتعرض للاحكام الدينية فيحكم فيها المجلس ورئيس الاساقفة . ولم يضر هذا الرئيس انه ليس بطريركاً فان رعاياه اكثر من رعايا سائر البطاركة

غريغوريوس الرابع البطريرك الانطاكي

والكراسي البطريركية الارثوذكسية اربعة الانطاكي والاسكندري والاورشليمي

والقسطنطيني لا تزيد ولا تنقص . واقدمها الكرسي الانطاكي ويسمونه مهد المسيحيين من الامم والمشارقة . وصاحبه اقدم من سمي بطريركاً ثم سمي بطريرك الاسكندرية ولم يصر اسقف القسطنطينية بطريركاً الا بعد تنصر قسطنطين الكبير في القرن الرابع للميلاد وبعده الاورشليمي لاسباب لا محل لها هنا (١) وطرأ نزعة الروس في تأييد الارثوذكسية وقد وقع بينهم وبين الكرسي القسطنطيني تنافس على أثر استقلالهم عنه كما رأيت وجهوا عنايتهم الى بطريركيات الشرق ولا سيما الانطاكية لانها اقدمها . وقضت السياسة من جهة أخرى بتعضيدها ومبادلة المنافع بينهما بعد انشائه روسيا من المدارس فيها وبعثه من المتوددين كهنتها واساقفتها . وقد سرها استقلالها من ايدي اليونان الى العرب في اواخر القرن الماضي . وحضرة البطريرك الحالي على الخصوص لما اشتهر به من التقوى والحزم وسعة العلم . فلما اراد القيصر الاحتفال بمضي ثلاثة قرون على اسرته [illegible] لدى ذلك الاحتفال . وهو فخر للسوريين على العموم والعثمانيين على الخصوص

اسرة رومانوف

جلس اول [illegible] ميخائيل رومانوف [illegible] سنة ١٦١٣ على اثر منازعات طويلة [illegible] ذكرها في آخر القرن السادس عشر . آخر ملوك روريك فيودور الاول تنازع على السلطة بعده غير واحد ثم وقع اختيار رجال الامة اخيراً على ميخائيل رومانوف هذا وهو ابن المطران روستو فلاديت وكان روستو هذا ذا نفوذ وسطوة في روسيا وكان بوريس احد مغتصبي كرسي المملكة قد حمله على الترهب هو وزوجته كرهاً . ثم تولى الملك ديمتريوس فاخرج روستو من السجن واتخذه سفيراً الى بولونيا فسجنوه هناك . وفي اثناء سجنه كانت روسيا في اضطراب والشعب نقم على الحكومة واهل المطامع والظلم يتنازعون السلطة حتى تعب اشراف المملكة من ذلك فعقدوا جمعية سنة ١٦١٣ انتخبوا فيها ميخائيل رومانوف ملكاً عليهم وهو لا يزال في الخامسة عشرة من عمره . وتسلسل الملك في نسله الى الان ولا يزال . لكن هذا التسلسل لم يبق محصوراً في الذكور بل انتقل الى نسله من الاناث سنة ١٧٣٠ وذلك ان بطرس الثاني المتوفى في تلك السنة كان آخر الذكور من نسل رومانوف فصار الحكم بعده لحنة بنت القيصر ايفان الخامس

(١) راجع تاريخ الانشقاق للمطران جراسيموس مسرة الجزء الاول

وكانت قد تزوجت بشارل فريدريك دوق هولستين كوتورب من اسرة اولدنبرج فانتقل الملك من بعدها الى ايفان السادس بن حفيد بطرس الاكبر وكان طفلا فسجنوه وخلفته اليصابات بنت بطرس المذكور . ثم آل العرش الروسي الى بطرس الثالث بن حنة المذكورة سنة ١٧٦٢ وتوالى الحكم في اعقابه المذكور الى الآن — كما وقع في اسرة هنوفر المتسلطة الآن في انكلترا فان الحكم فيها انتقل بعد فيكتوريا الى ابنائها واعقابهم وهم يتصلون باسرة هنوفر بواسطتها

بطرس الاكبر

ولاسرة رومانوف في أثناء سلطانها تاريخ طويل يرتبط بتاريخ اوربا على العموم والدولة العثمانية على الخصوص بعد استيلائهم على القسطنطينية . لان الروس ما برحوا منذ اشتد ساعدهم وهم يطمعون في استخراج هذه العاصمة الجميلة من أيدي اليونان فلما فتحها العثمانيون ازدادوا رغبة فيها واصبحوا يعتقدون في وجوب فتحها . ولهذا السبب وضع بطرس الاكبر وصيته المشهورة

واشهر ملوك هذه الاسرة بطرس الكبير هذا . وهو من اعظم ملوك الارض حزماً وتعقلاً وهمة عمل اعمالاً تقصر عنها همم الملوك فانه طاف ممالك اوربا لاكتساب الصنائع الحديثة ومعه ثلاثة من كبار قواده سنة ١٦٩٧ وهو يتنكر تارة بزي خادم وطوراً بزي قبطان او غيره . فدخل المعامل واشتغل فيها بنفسه وعاش عيشة العمال زمناً في معامل السفن والحديد والحبال والمطاحن والمعاصر ومعامل الورق والاسلاك المعدنية . وسمى نفسه في سجل العملة بطرس ميخائيل وكانوا يسمونه العم بطرس . وبعد ان اتقن هذه الصنائع عاد الى بلاده فانشأ المعامل ونظم الجند ورتب دواوين الحكومة و ـ روح لعو . وكان مشهوراً بالعدل حتى حكم على ابنه بالقتل قياماً بواجب العدالة وقد قضى نحبه في اهلاك ١٥ من السنة ١٤ وتوالى الملك بعده في قياصرة عديدين وبلغ عدد الملوك او القياصرة من اسرة رومانوف الى الآن ١٨ ملكاً وملكة آخرهم الامبراطور الحالي نقولا الثاني تولى الملك سنة ١٨٩٤ والى الآن

القيصر نقولا الثاني

الوهم الاكبر

او مساوىء الفتح والاستعمار

الوهم الاكبر[1] اسم كتاب ظهر في اللغة الانكليزية منذ بضع سنوات لكاتب غير مشهور . فكان لظهوره ضجة في عالمي السياسة والصحافة وما لبث مدة قصيرة حتى نشرت ترجماته دفعة واحدة في سائر لغات الامم المتقدمة . واصبح مؤلفه نورمان انجل اشهر من نار على علم . وتبرع احد المحسنين بعشرين الف جنيه لنشر هذا المؤلف الجليل بين الخاصة والعامة خدمةً للجنس البشري

ذلك انه أحدث انقلاباً عظيماً في المبادىء السياسية والقواعد الاقتصادية كما فعل كتاب اصل الانواع لداروين في علم الحياة . ولا نعرف أحداً ذكر هذا الكتاب في اللغة العربية بعد مع انه نشر في عشر واحدة من اللغات الشرقية كاليابانية والهندية وغيرهما فضلاً عن اللغات الاوربية . فرأينا أن نلخصه ونستخرج زبدته للناطقين بالضاد تعميماً لفوائده الجمة وسداً للنقص اللاحق باللغة العربية من اغفال كتاب جليل مثله . لا سيما ونحن في حاجة الى المباحث الاجتماعية والاقتصادية أكثر منا الى سواها

وغرض الكاتب أن يبين « ان لا علاقة بين اتساع المملكة وقوتها العسكرية وبين سعادة الامة » أو بعبارة أخرى ان الحرب لا يتأتى عنها نفع للظافر أو الفاتح بل يكون ضررها مشتركاً بين المتحاربين على السواء . فلا معنى اذاً لتأهب الدول العظمى للحرب وبناء المدرعات وتعبئة الجيوش . وقبل بسط براهين نورمن انجل يجدر بنا ان نذكر الرأي المشهور اليوم من هذا القبيل والكتاب الساعي الى هدمه

الرأي المشهور

ان المسابقة بين المانيا وانكلترا في بناء المدرعات وتعبئة الجيوش مشهورة تكاد تكون ضرباً من الجنون . ولا يحتمل ان يستمر الفريقان طويلاً على هذه النفقات الباهظة لا سيما وانها لا تغير شيئاً في الحالة الحاضرة لان الزيادة متناسبة في الجانبين اي ان انكلترا تزيد عدد مدرعاتها بنسبة معينة تقابل زيادة المانيا . ويقول البعض ان الفوز في هذه المسابقة

(1) Norman Angell : the Great Illusion

لانكلترا لتوفر المال عندها . ويجيب آخرون ان المانيا تفضلها بعدد الناس وهو ضرب من الثروة ـ ولا تريد احداهما ان تدعن للثانية وتوقف بناء المدرعات لئلا تقع تحت رحمة مناظرتها . ولا يرى المتأملون غير طريقين للخروج من هذا المأزق الضيق :

يعتقد فريق ان افضل حل لهذه المشكلة انما يكون باتفاق الدولتين على ايقاف المناظرة. ويرى الفريق الآخر وهو الاكثرية ان الحل الوحيد انما هو ان تشتبك الحرب بين انكلترا والمانيا فتقضي على احداهما وتقرر سيادة الاخرى . ودليلهم على ذلك ان تنازع البقاء وبقاء الانسب سنة طبيعية تسري على الامم كما تسري على الافراد

والواقع ان الناس ومفكريهم مثل كل رأي حصل في التاريخ مبني على نظرية واحدة مؤداها ان اتساع الساحة البرية والبحرية وسعة الممالك يؤديان الى تحسين حالة الامة وزيادة ثروتها ، والا فما معنى الحرب . هذا هو المبدأ الذي عمل به رجال السياسة في الماضي ولا يزالون يعملون به الى يومنا هذا . وقد سلم به الجميع حتى المطالبين بالسلم لانهم في الفصل ... معصومون عن ... ونحو ذلك مع قبولهم اياه ولذلك نجد رجلاً مثل ... سفينة ... في ... معدوداً في الوقت نفسه من اركان الحزب ... ومن ... المطالبين بزيادة البحرية الانكليزية

هذا هو السبب ... في ... الحركة السلمية لانها سلمت بالمبادىء الموجودة وارادت معالجة ... بالتحريض على الغيرية ونحو ذلك من الوسائل العرضية التي تسقط دفعة واحدة امام الطبيعة البشرية التي لا رائد لها سوى المصلحة الشخصية

ومزية كتاب « الوهم الاكبر » انه يهدم تلك القضايا المسلم بها ويبرهن ان لا فائدة ليوم من وراء الفتح للفاتح وانه اذا تمكنت المانيا من سحق انكلترا مثلاً في المستقبل فالضرر مشترك بين الدولتين على السواء — وقد بحث المؤلف اولا في المسألة من :

الوجهة الاقتصادية

فقال : لنفرض ان المانيا اكتسحت انكلترا فلا شك ان ما يتبادر الى الذهن لاول وهلة ان ثروة الالمان زادت بذلك وتحسنت جميع احوالهم ـ ويكاد يكون ذلك من البديهيات ولكن الظواهر تخدع . وقد شبه الكاتب هذا الخطأ بخداع البصر الذي يري الانسان شيئاً محالاً كالواقع كما يبدو في الظلال الماضي . على ان هذا الخداع يسهل اكتشافه وقد سبك المؤلف رأيه في قضايا متسلسلة على هذه الصورة :

أ – ان اكتساح البلاد ونزع ملكية اراضيها اصبح اليوم من المستحيلات . فلا ينتظر مطلقاً اذا اكتسحت المانيا انكلترا ان تستولي على التجارة الانكليزية . لان التجارة تتوقف على الارض وما فيها من اسباب الثروة من جهة وعلى الناس من جهة اخرى. فما زالت الارض في ايدي اهلها فالتجارة في ايديهم ايضاً . ولو فرضنا ان المانيا ذبحت الانكليز صغيرهم وكبيرهم – وهو فرض مستحيل – فانها تخسر عدداً وافراً من اهم عملائها وشاري بضائعها . فيكون عملها هذا بمثابة انتحار تجاري

ان العلائق المتبادلة التي بلغت اليها الدول الاوربية في هذه الايام حديثة العهد اما قديماً فكان الفتح مجلباً لثروة محسوسة اذ يستولي الفاتح على الارضين ويستعبد اصحابها حتى في القرون الاخيرة فان الفتوح افادت الدول الاوربية في البلاد غير المتمدنة فاستعمرتها وعاد استعمارها بالنفع . لان كل فرد من افراد العالم من مصلحته ان يسود النظام في اقطار المسكونة ليسهل استخراج كنوزها – لا فرق بين ان تكون الدولة المحافظة للنظام سكسونية او جرمانية او لاتينية او غير ذلك . اما المنافسة بين امم في درجة واحدة من المدنية فلا فائدة منها ولا ضرر لان الدولتين المتحاربتين اذا انتصرت احداهما على الاخرى لا تستعبد اهلها او تستولي على ارضها او نحو ذلك من نتائج الحروب القديمة . والمدنية التي انتشرت بين الشعوب الاوربية علمتها ان كل منفعة يرتجيها الافراد من غير المناظرة الاقتصادية باطلة والنفع الحقيقي ليس ان يكتسح الالمانيون انكلترا بالسيف وانما هو ان يجاروا الانكليز في تجارتهم ومصنوعاتهم . فاذا نجحوا في بيع بضائعهم بثمن ارخص من بضائع مناظريهم فذلك هو الفتح المنشود . وهناك المنفعة المادية الحقيقية — وأما ما خلا ذلك فهو اوهام رسخت في أذهان رجال السياسة من قديم الزمان

كان الانسان في اقدم احوال عمرانه يقوم وحده بجميع حوائجه . ولا يخفى ما في ذلك من العبث وضياع الوقت ثم اصبح كلما ارتقى تقاسم العمل مع اقرانه فيتفرغ كل منهم لعمل يتقنه ثم يتبادل الجميع ثمار تعبهم فيحصل كل على حاجاته . فالحذاء الجاهز اليوم يمرُّ في ايدي عشرات من العمال يقوم كل منهم بجزء صغير منه . وكان العامل الواحد في ما مضى يصنع الحذاء كله . وقس على ذلك سائر احوال الانسان. فتقسيم الاعمال ضروري لكل تقدم وهو حاصل في كل امة . وكما حصل بين افراد الامة الواحدة فهو الان حاصل (وسيحصل اكثر مما هو الان في المستقبل) بين الامم المتعددة فتنفرد كل امة بالاعمال التي تؤهلها لها طبيعة بلادها واستعداد افرادها – هذا هو السبب

الذي جعل الارتباط بين الممالك الاوربية محكماً كل الاحكام . اذا فصلت قطعة منها عن سواها او توقفت طرق المواصلات اوشك اهلها ان يموتوا جوعاً . كأن اوربا أصبحت جسماً واحداً اذا اختل عضو منه تأثرت سائر الاعضاء — ثم ان التجارة انما تقوم بالثقة ولا يضعف الثقة مثل الحروب لان الضرر الذي ينشأ عنها يلحق كل الامم فاقل تغيير يقع في سوق لوندره يشعر به في نيويورك — وقس على ذلك

٢ً — اذا حدث خلل في حالة الانكليز الاقتصادية وتوقفت تجارتهم فلا شك ان الالمان يشعرون بذلك لان « الثقة التجارية » هي ركن التجارة الحقيقي لا النقود . فاذا نزعت المانيا (بعد فتحها انكلترا) مثلاً ملكية اراضي الانكليز واستولت على معاملهم ومناجمهم فالخسارة التي تقع عليها اعظم من قيمة ما اغتصبته — على ان المتحمسين من الانكليز والالمان يتعامون عن هذه الحقيقة . وقد كتب انكليزي منهم الى احدى الجرائد يرد على المعترضين في زيادة البحرية قال :

« عندما يسطو الالمانيون على بنك انكلترا ويسلبون مستودعاته يفهم حينئذ الذين يستكثرون الاموال المخصصة لانشاء المدرعات ان رجال الحكومة القائلين بسيادة انكلترا البحرية هم على صواب »

فلنفرض ان الالمانيين سطوا على بنك انكلترا ومستودعاته . والنتيجة تكون حتماً كما يلي : بما ان البنك المذكور هو مركز الثروة الانكليزية فلا بد ان تتوقف سائر البنوك عن الدفع لكثرة المطالبين . ولما كانت لوندره مركز العالم المالي فكل الاوراق المحولة على لندره تسقط قيمتها او يتوقف دفعها . ثم ان الفوائد تصعد صعوداً هائلاً لقلة النقود . فيكون الالمانيون اكبر الخاسرين ولا شك ان خسارتهم تفوق قيمة النقود التي أخذوها من بنك انكلترا

ترى مما تقدم ان الفاتح في هذا القرن ليس امامه سوى احد طريقين : اما ان يترك البلاد كما كانت قبل الفتح ولا معنى للحرب حينئذ اذ لا فائدة منه . واما أن يستولي على اموال المغلوب بشكل من الاشكال وقد رأينا ان ذلك يأول عليه بضرر يفوق ربحه

٣ً — على نفس المبدأ المتقدم ذكره تعلل اضرار الغرامات الحربية . لان كل غرامة حربية تفرضها احدى الدولتين على الاخرى تسبب خللاً في الحالة الاقتصادية ينشأ عن تحصيل المبلغ المطلوب وهذا الخلل تشعر به الدولة الفاتحة كما تشعر به سائر الدول ولكن الظواهر تخدع الامم كما تخدع الافراد . فالغرامة الحربية في نظر الجمهور

ربح صاف للظافر لا ريب فيه لانها ترى بالعين وتلمس باليد . وفي الحقيقة انها تجر الى خسارة تفوق مقدارها لان الغرامة تذهب الى خزينة الحكومة فلا يستفيد منها احد فائدة حقيقية . اما الخسارة فانها تعم كل فرد من افراد الامة بسبب توقف التجارة واختلال الحالة الاقتصادية

ولنأخذ مثلاً غرامة فرنسا التي دفعتها لالمانيا سنة ١٨٧٠ . قال احد كتاب الانكليز سنة ١٨٧٢ أي بعد الحرب بقليل « ان فرنسا خسرت في هذه الحرب ١٧ مليار فرنك ونصف مليار اما المانيا فربحت ربحاً صافياً قدره خمسة مليارات فرنك » حساب كهذا يكاد يقنع القارئ لاول وهلة ولكنه في الحقيقة يدل على جهل السنن الاقتصادية . فقد اهمل الكاتب ما تقدم تلك الحرب من الاستعداد وما تبعها من الضيق المالي . ففي سنة ١٨٨٠ أي بعد الحرب بعشر سنوات كانت الحالة الاقتصادية في فرنسا احسن منها في المانيا . وكانت المانيا تسعى في اقتراض الاموال من فرنسا . وقد أدت هذه الحالة الى تفكير ابناء مسارك الاحيرة اذ أرى الدولة التي ظن انه قتلها شديدة قوية تفوق بلاده نعمة و ... [illegible] ... وادها قوة ونشاطاً . وقد قيل ان حرب السبعين أضرت بالمانيا وسائر امم اوربة اكثر مما أضرت بفرنسا نفسها

وما عدا الخسارة التي تنجم من توقف الحالة الاقتصادية بسبب ارتباط الامم وتشعب التجارة فللغرامة الحربية نتائج اخرى سيئة . لانها اما ان تبقى في البلاد التي ربحتها او أن ترسل للخارج لتوريد البضائع . فاذا بقيت في الداخل ارتفعت اسعار الحاجيات لان ازدياد النقود يحط قيمتها فما كان يباع بدرهم اصبح يساوي درهماً ونصف درهم او درهمين . واذا ارسلت للخارج فالبضائع والمصنوعات التي تورد مقابل النقود المرسلة لا بد ان تجاري البضائع والمصنوعات الوطنية فتضر صناعة البلاد

٤ ـ ولاسباب تشبه الاسباب المتقدم ذكرها يستحيل أن تستولي الدولة الفاتحة بالقوة على تجارة الدولة المغلوبة لان الخلق عملكا (كذا) لا يعطل المناظرة التجارية . مثال ذلك اذا استولت المانيا على هولاندا والحقتها بملكها فمناظرة الهولانديين للالمان لا تتوقف بل تزيد . لانهم اصبحوا ضمن حدود المانيا ولا رسوم جمركية على بضائعهم في الداخل

قالت جريدة انكليزية مرة « اذا امحت المانيا عن وجه الارض فلا بد ان يلحق كل انكليزي بعض النفع من وراء ذلك لان تجارة المانيا التي تبلغ ٦ مليارات فرنك

تتحول الى الانكليز . » قد ابنا خطأ هذه الحجة وامثالها . ولا ريب انه اذا اقترض الالمانيون خسر الانكليز جزءاً كبيراً من عملائهم ومدابنيهم فينتج عن ذلك أزمة اقتصادية هائلة

وبالاختصار فان احدى الدولتين لا تقدر أن تستولي على تجارة الاخرى الا بعد أن تبيد اهلها ولكنها اذا فعلت فهي تقضي ايضاً على سبب مهم من اسباب رزقها وتقتل عاملاً كبيراً من حياتها الاقتصادية

٥ — ان ثروة الامة وسعادتها لا تتوقفان على قوتها السياسية . والبرهان على ذلك ان الممالك الاوربية الصغيرة كسويسرا وهولاندا وبلجيكا والدانمارك اسعد حالاً بالنسبة الى عدد سكانها من المانيا وروسيا والنمسا وفرنسا مع ان سلطتها السياسية او قوتها العسكرية لا تذكر . وبكلمات أخرى ان عوامل الثروة لا علاقة لها بالقوة الحربية وسعة المملكة . فلا علاقة مثلاً بين الاسطول الانكليزي وتجارة الانكليز البحرية والدليل على ذلك ان تجارة مملكة نروج البحرية بالنسبة الى عدد سكانها تبلغ ثلاثة اضعاف التجارة الانكليزية

والتجارة في ابسط صورها تبادل محصولات . والعامل التجاري الاكبر انما هو المنفعة . وهي التي تحفظ التوازن الاقتصادي كما تحفظ الجاذبية التوازن بين الاجرام . فالتاجر الذي يتمكن من بيع صنف معين بسعر ارخص من سعر مناظره فقد فاز عليه ولا يهم الشاري أن يكون بائعه من بني جنسه ولغته لان التجارة كما ذكرنا لا تعرف غير المنفعة الحقيقية — وما يصح على الافراد يصح على الامم

٦ — اذا فرضنا أن دولة من الدول استولت على المستعمرات الانكليزية كلها فلا ريب انها لا تربح شيئاً كما ان انكلترا لا تخسر بارة واحدة . لان الانكليز اليوم لا يملكون مستعمراتهم في الواقع بل هي أمم مستقلة تحكم نفسها وليس لانكلترا منها ربح مادي ناتج عن استعمارها لها . فاذا انتقلت كندا مثلاً الى المانيا فانكلترا لا تخسر شيئاً بل تتوفر لها بهذه الطريقة نفقات الدفاع عنها

ان انكلترا اكثر الامم خبرة في الاستعمار وقد رأت مع الزمن ان افضل طريقة لحفظ المستعمرات منحها الاستقلال الاداري . ففرنسا اليوم وسائر الدول المستعمرة تقتفي خطواتها وتقتدي بها من هذا القبيل . فلا ينتظر والحالة هذه أن تنتفع دولة حديثة العهد في الاستعمار اكثر من انكلترا منها فالفائدة الاستعمار اذاً ما زالت الدولة المستعمرة لا تنتفع منها انتفاعاً مادياً بسبب الاستعمار . ثم انه اذا شهرت انكلترا الحرب

على دولة من الدول فستصر انها الخيار في ان تساعد انكلترا أو لا . وبناء على ذلك فالمعاهدة بين للمانيا وايطاليا مثلاً تربط البلدين وهما مستقلان أكثر من ارتباط انكلترا بكندا واوستراليا وأفريقيا الجنوبية وهي ملكها . ان تاريخ الترانسفال يشهد بصدق القضية المتقدم ذكرها . كانت الغاية من حرب الترانسفال انشال سكان افريقيا الجنوبية من ظلم البوير ونشر سلطة الانكليز في تلك الانحاء فهل بلغت انكلترا قصدها وقد انفقت نحو ٠٠٠ ٠٠٠ ٧٥٠ ٦ فرنك ؟ كلاً . ان الحكومة الآن في أيدي البوير أنفسهم وهم الذين يسنون القوانين كما يتراءى لهم ولم يغيروا شيئاً يذكر من الحالة الماضية . اما كنوز تلك البلاد فلم يأخذ الانكليز شيئاً منها لانها ملك الشركات التي تولت أمرها وارباحها ترجع الى أصحاب الاسهم دون سواهم

الخلاصة

ان القضايا المتقدمة واضحة يقبلها العقل بدون اجتهاد لانها مطابقة للواقع . ومع ذلك فلا يزال المشتغلون بالسياسة يجهلون هذه العلم ليوم مخالفة في الازمنة الخالية أيام كانت الحواجز بين الامم كثيرة . لكن ما كان يصح منذ مئة سنة لا يصح اليوم لكثرة اختلاط الامم وتعدد الروابط بينها — فالحروب ستبطل في المستقبل لا عن عواطف رقيقة وشعور انساني — فان هذه العوامل الادبية اذا اثرت على بعض المتنورين فهي لا تقنع الرأي العام — ولكنها ستبطل لاسباب اقتصادية اذ يعلم الصغير والكبير انها تضره غالباً كان او مغلوباً — ان المصلحة الشخصية هي بلا جدال أقوى محرك للطبيعة الانسانية

قسم نورمان انجل براهينه الى اقسام لتسهيل فهمها ويمكن وضعها كلها في جملة واحدة تقوم مقام القضايا المتقدم ذكرها فغاية الكاتب هي ان يثبت الحقيقة الآتية :

« بما ان الدولة الفاتحة — في الوقت الحاضر — لا يسعها الا ان تترك الارض لساكنيها فمن العبث ان تروم الدول زيادة ثروتها بتوسيع املاكها . وطالما كانت مضطرة ان تلحق باملاكها الارض وسكانها معاً فلا ينتفع من الارض سوى اصحابها »

مثال ذلك : في المانيا اليوم حركة غايتها ضم جميع الشعوب الجرمانية تحت العلم الامبراطوري وهي الجامعة الجرمانية . ويعتقد زعماء هذه الحركة انهم يرمون الى اسمى الاغراض وان كل الماني يحب وطنه يجب عليه ان يضحي كل مرتخص وغال في هذا السبيل . فلنفرض ان مرغوبهم تحقق وان سويسرا والنمسا وهولاندا الحقت بالمانيا . فما تكون النتيجة ؟ هل يقدر ان يدعي الالماني انه استفاد من اتساع بلاده بارة واحدة

وهل تتغير حال الهولاندي او النمسوي . كلا ان الالماني والهولاندي يبقيان على ما كانا عليه ولا يلحقهما اقل تغيير

ان التاريخ الحديث يؤيد هذا المبدأ كل التأييد واليك بعض الامثلة :

(١) لما الحقت الالزاس واللورين بالمانيا كما لم تزد ثروة فرد من افراد الالمان مثقال حبة (ما عدا ـ طبعاً ـ الموظفين في تلك المقاطعة)

(٢) ان انكلترا تملك كندا في نظر الدول لكن ذلك لم يمنع كون التاجر السويسري او الالماني مثلاً يجاري التاجر الانكليزي في الاسواق الكندية ويبزه عليه وكذلك ان انكلترا محتلة مصر لكن احتلالها لا يؤثر مطلقاً في تقدم التجارة الالمانية فيها . فقد زاد عدد التجار الالمان زيادة عظيمة بالنسبة الى زيادة الانكليز . وكانت زيادة الالمان من سنة ١٨٩٧ الى سنة ١٩٠٧ نحو ٤٢ في المئة . على حين ان زيادة الانكليز خمسة في المئة . فقط ثم ان البضائع الالمانية الواردة الى مصر بين سنة ١٩٠٠ و١٩٠٤ كانت [illegible] ١٧ مليون فرنك وفي سنة ١٩٠٩ قربت من ٢٩ مليوناً

(٣) ان سعر [illegible] التي تصدرها الحكومات الصغيرة اعلى من سعر أوراق الدول العظمى [illegible] الاوراق [illegible] ويتغير حسب ثقة الماليين في [illegible] فالدول الصغرى اوثق [illegible] في نظرهم من العظمى او بعبارة اخرى ان [illegible] قواها البرية والبحرية لا تذكر امام قوات الدول الكبرى

(٤) يدل ايضاً على تفوق الدول الصغرى انهم جعلوا معدل ثروة الفرد في البيوت [illegible] فوجدوا ان الالماني متوسط العمر يملك ٩٠٠٠ فرنك اما الهولاندي فثروته تبلغ ١٦٠٠٠ فرنك

(٥) لما استعمرت اسبانيا ـ في ايام مجدها ـ اميركا الجنوبية استولت على مناجم الذهب هناك ووضعت نظاماً لتجارة تلك البلاد جعلها تحت سيطرة الامة الاسبانية فما كانت النتيجة . حسبت اسبانيا انها بتوريد الذهب اليها والتضييق على تجارة مستعمراتها تزيد ثروتها وتحسن حالها . ولكنها وجدت بعد سنين قليلة انه كلما زاد ذهبها انحطت احوالها الاقتصادية ولم يدرك رجال السياسة سبب ذلك . وقد آلت الحال الى خراب الدولة الاسبانية . فالامة التي ابتلعت مناجم اميركا الجنوبية اصبحت أفقر الامم الاوربية — ذلك لان الذهب بحد ذاته ليس الثروة الحقيقية وانما هو واسطة لتبادل الحاصلات فاذا زاد عن حاجة التجارة قلت قيمته وارتفعت اسعار الحاجيات فيصير اكثر مما ينفع

(٦) في سنة ١٩١١ كادت تنشب الحرب بين المانيا وفرنسا بسبب المسألة المراكشية . ولكن الحكومة الالمانية وجدت ان حرباً كهذه تضر تجارتها ضرراً هائلا لان جزءا عظيماً من التجارة الالمانية يقوم بالاموال الفرنساوية

(٧) كان الغرض من الاتفاق الفرنساوي الروسي ان تأخذ فرنسا بيد روسيا حتى تحفظ الموازنة مع المانيا . واهم مواد هذا الاتفاق ان تساعدها باموالها فكانت النتيجة عكس الغرض المطلوب لان الاموال التي دفعت الى روسيا فتحت باباً واسعاً للتجارة الالمانية ومكنت عرى الارتباط التجاري بين المانيا وروسيا وزادت زيادة عظيمة في وقت قصير فبعد ان كانت ١٥ في المئة اصبحت ٤٥ في المئة

رأينا كيف ان مصلحة الامم تقتضي ابطال الحروب في المستقبل ولكن فريقاً يعتقدون ان الحرب او التنازع بين الدول ليس الغرض منه الانتفاع المادي وانما هو جزء من الطبيعة البشرية لا ينفصل عنها . وسنبحث عن هذا الوجه في وقت آخر

اميل زيدان

مطلوب لادارة الهلال

بالثمن او المبادلة

(١) تاريخ التمدن الاسلامي الجزء الاول

(٢) سنوات الهلال الثانية والرابعة والسابعة والثالثة عشرة والثامنة عشرة

قائمة مكتبة الهلال

لسنة ١٩١٣

صدرت قائمة مكتبة الهلال لسنة ١٩١٣ وهي ترسل مجاناً لمن يطلبها

الحاسة الاجتماعية

او سلامة الذوق وحسن الاختيار في المعاملة

معنى هذه التسمية

نريد بقولنا « الحاسة الاجتماعية » نحو ما يريده الانكليز بقولهم Common sense او Good sense وهو عند الفرنساويين Bon sens وقد اخترنا لفظ « الحاسة » في هذا التعبير قياساً على الحواس الطبيعية التي يستعين بها الانسان على ادراك ما يحيط به من المؤثرات الخارجية . وكانت الحواس في عرف القدماء خمساً : اللمس والنظر والسمع الذوق والشم . ثم اكتشفوا حاستين اخريين سموا احداهما « حاسة التوازن » وهي التي يتمكن بها الانسان من موازنة جسمه في وقوفه ومشيه . وسموا الاخرى « حاسة الثقل » التي يحس بها عضلاته عند الانتقال عن احتمال اوزانها . وفي الانسان ايضاً نوع من الشعور او الحس يميز به بين حقائق الاشياء واعراضها ويدرك حكم الاخرين على اعماله او اقواله فيكيفهما على ما يلائم حاجاتهم وكما سمى القدماء الآلة التي تدرك بها المرئيات « حاسة البصر » والتي تدرك بها الملموسات « حاسة اللمس » فقد سمينا الشعور الذي ندرك به علاقاتنا الاجتماعية بالاخرين « الحاسة الاجتماعية » وربما نوفق الى تسمية اخرى أدلّ على المراد من هذه . وانما غرضنا الان وصف هذه الحاسة وما يترتب عليها من الاهمية في نجاح الانسان باعماله على اختلاف اغراضها ومناحيها

علة النجاح

ان نجاح الناس في اعمالهم يتوقف على مقدار ما فيهم من هذه الحاسة اكثر من مقدار ما يحرزونه من سعة العلم أو المهارة في الصناعة أو التجارة أو غيرها من وسائل المعاش . وهي أعظم أهمية في معترك الحياة من الذكاء واقل شيوعاً منه . لا تزيد نسبتها في الناس بالنظر الى الذكاء على اثنين أو ثلاثة في المئة . أي ان الامهات يلدن اربعين ذكياً قبل ان يلدن واحداً من ذوي الحاسة الاجتماعية . ولذلك كثر الاذكياء وقل الناجحون منهم . لان النجاح لا يتأتى للذكي ان لم يعلم كيف يستخدم ذكاءه ولا فائدة من العلم ان لم يحسن الاسلوب في أدائه

أن ثمار الذكاء عديدة كالعلم والسياسة والصناعة وغيرها من أسباب العمران . لكنها لا تأتي بالفائدة المطلوبة حتى توضع في موضعها على كيفية تلائم الذين وضعت لهم . ولا يتأتى ذلك ان لم يدرك صاحب تلك المواهب ما يكون من تأثير عمله في اذهان الناس ومقدار استعدادهم له وهذا لا يتم الا بالحاسة الاجتماعية . ولهذه الحاسة دخل ايضاً في اختيار ما يعرض للانسان من اسباب المعاش فلا يتناول منها الا النافع الذي يمكن استثماره . قال احد فلاسفة الانكليز « ان المعرفة بدون هذه الحاسة حماقة » واذا أحرز المرء كل المواهب بدون الحاسة الاجتماعية فكأنه لم يعط شيئاً . أو كأنك تعطي البذور لمن لا يعرف الزراعة او السلاح لمن لا يحسن استخدامه . ولذلك كانت الحاسة الاجتماعية سيدة المواهب اذ لا يكفينا ان نعمل الخير بل يجب ان نعمله في الوقت المناسب ونضعه في المكان المناسب . فالذكي يعرف ان يعمل ولكن صاحب هذه الحاسة يعرف كيف يعمل ومتى يعمل

ومقام الانسان في المجتمع الانساني يتوقف على هذه الحاسة كما يتوقف على غيرها من الخلال الراقية . ويمكن للمرء ان يكتسب كل علم أو تجارة أو صناعة بالاجتهاد والسعي لكنه عبثاً يسعى في اكتساب هذه الحاسة ان لم تولد معه . على انها تتقوى وتنمو بالتربية والتعليم . وهي اذا وجدت وكان الذكاء قليلاً تكفلت باستثمار ذلك القليل لتكون غلته كثيرة . والنجاح في الاعمال يتوقف على الادارة اكثر مما على العلم والادارة لا تتوفر في غير اصحاب هذه الحاسة ولنأت بامثلة من ذلك في اهم الاحوال الاجتماعية :

تأثير الحاسة الاجتماعية في السياسة

أهل السياسة أذكياء على العموم لان الانسان لا يبلغ الى المناصب السياسية الهامة ان لم يكن من أهل الذكاء والعلم . وانما يتفاوتون في النجاح بنسبة ما عندهم من الدهاء وهو من ثمار الحاسة الاجتماعية . فالسياسي المحنك لا يقول الكلمة الا وهو يعرف تأثيرها في السامع كأنه مطلع على اعماق قلبه . فيقول ما يرجو من تأثيره الوصول الى غرضه . فلو شهدتَ رجال السياسة في مؤتمر وأُعطيتَ اكتشاف سرائر الناس لرأيت الدهاء عجيباً وعلمت كيف تتحارب العقول وما قد نصب في تلك الحرب من المكامن والمراصد والمزالق وما يتخلل ذلك من الهجوم والدفاع والمهادنة والمناوشة والمناورة. واكثرهم دهاء اسعدهم حظاً . يصرُّ احدهم على طلب العشرة وهو يقنع بالثمانية . وقد يقتضي دهاؤه الرفض وهو لا ينوي غير القبول . وانما يعمل هذا وذاك تبعاً لما يدركه بشعوره الدقيق من وقع اقواله عند زملائه

تأثيرها في التجارة

التاجر من أكثر الناس حاجة الى معاملة الناس ولا سيما الباعة في الاسواق فهؤلاء لا يفلح منهم غير دقيق الشعور الذي يعرف تأثير كلامه في الشاري بين ترغيب وتحبيب ومساومة . ولا يكفي ان تكون بضاعته حسنة بنفسها بل يقتضي أن تكون مناسبة للوسط الذي يقيم فيه ولا يعرضها الا على قوم يحتاجون اليها . ومن مقتضى الحاسة الاجتماعية ان يختار المرء التجارة التي تتفق مع امياله ومواهبه وان يحسن استجلاب السلع التي تلائم القوم الذين يعاملهم

وناهيك بحاجته الى هذه الحاسة في معاملة عملائه بحيث يعلم ما يرضيهم أو يوافقهم ويشعر بحقيقة علاقاته معهم . ويدرك نظرهم في بضاعته وحقيقة منزلته عندهم . فلا تأخذه الظواهر فيطمع أو يشمخ فيبعد ما بينه وبينهم فيتحولون الى سواه . ومن شأن هذه الحاسة ادراك حقائق الاشياء وعدم الاغترار بالظواهر . فالتاجر الحساس يعلم ان علاقته مع عملائه لا تثبت الا اذا عاملهم بالحق والامانة وراعى مصلحتهم بانواع السلع واثمانها مراعاة حقيقية لا تقتصر منها على الكلام بتزويق الحديث وكثرة الاعلان . فان هذا وحده لا يجدي نفعاً ولا يكسب شيئاً . وانما يفلح في ارضاء الشاري اقناعه بان بضاعته توافقه وتعود عليه بالربح والمكسب . ولا يفلح ان لم يكن ذلك حقيقياً يؤيده الاختبار . والتاجر ضعيف الحاسة الاجتماعية لا يشعر بهذه الحقائق فيتوهم انه يكتسب « الزبائن » بالترغيب والتزويق وكثرة الكلام . واما الحساس فانه يجعل همه تحسين بضاعته حتى توافق عملاءه وهي تنوب عنه في الترغيب

واذا تدبرت احوال التجار وما بينهم من التفاوت في النجاح رأيت اسباب سقوطهم في الغالب اغترارهم بالظواهر وتعاميهم عن الحقائق . وكما يخدعون عملاءهم بالمظاهرة من الترغيب والتزويق يخدعون هم انفسهم بظواهر احوالهم . يجدون النقود كثيرة في ايديهم وهي ليست لهم بل لاصحاب المعامل التي يستوردون بضائعهم منها وسيأتي يوم يستحق عليهم دفعها فيغفلون عن ذلك . أو هم بالحقيقة لا يشعرون بثقل تلك الديون لضعف تلك الحاسة فيهم . فيتورطون في الاعماق بما بين ايديهم بلا حساب . فاذا آن الدفع وقصرت يدهم عنه استغربوا ذلك ووضعوا الحق على التوفيق او الازمة المالية . والواقع انهم لم يكونوا يشعرون بحقيقة مركزهم ولا يميزون بين ما هو حق لهم وما هو امانة لاصحابه . وسقوط المحلات التجارية او تفليسها ان لم يكن سببه التزوير او السرقة يندر أن يقع من غير الخطأ في تقدير حقائق الاشياء . ولا ينجو من ذلك غير صاحب الحاسة الاجتماعية

تأثيرها في العلم

وللحماسة الاجتماعية دخل كبير في العلم من حيث تطبيقه على حاجة الامة . فالمشتغل بالعلم لا يكفي ان يكون عالماً بل ينبغي له أن يعرف كيف يستخدم علمه او كيف يخرجه للناس ويكون مفيداً لهم . لانه لو احرز علوم الاولين والآخرين ولم يشعر بحقيقة الوسط الذي هو فيه ويطبق ما يكتبه أو ينشره على حاجات اهله ذهب علمه ضياعاً واضاع وقته سدى . وقد ينفق على ما ينشره من جيبه ولا يسترجع شيئاً منه . فيشكو كساد بضاعة الادب ويرمي على القراء باللائمة ويتهم الامة بالجهل ونكران الجميل لانها لم تعرف قدره ولا اقبلت على نفثات يراعه ويهددها بالقعود عن خدمتها . ولو تبصر وانصف الحكم على نفسه بانه لم يحسن الاختيار في ما كتبه او ألفه . ولا راعى فيه الوسط من حيث حاجة الناس الى هذا الموضوع اوذاك . او انه لم يحسن سبكه حتى يلائم اذواقهم او مداركهم او غير ذلك مما يرجع الى نقص في الحماسة الاجتماعية اكثر مما الى الجهل

نحن في حاجة الى العلم كحاجتنا الى الشعور بحقيقة حالة الامة بحيث نطبق علمنا على حاجتها . وهذا الشعور محتاج الى الحماسة الاجتماعية في كل جزء منه . بل في كل سطر مما يكتبه مؤلف في أي موضوع من المواضيع العمومية . فينبغي له وهو في مخدعه يجرّ القلم على القرطاس لكتابة مقالة أن يتصور القارئ بين يديه يتململ من كل فقرة معقدة وينفر من كل عبارة غير صريحة ويضحك مما يتخلل تلك الكتابة من المغامز التي يتوهم الكاتب انطلاءها على القارئ ، لغرض في نفس الكاتب يحاول اخفاءه بين العبارات المزخرفة بالتمويهات الادبية او المحسنات الحسية . وليعلم قبل كل شيء ان القارئ كالشاري انما يهمه حقيقة ما تحويه تلك المقالة من المنافع الادبية أو المادية بقطع النظر عن زخرف الكلام . وان كان في القراء من تهمه تلك الزخارف فلانه لم يتعود الحقائق بعد . فاذا تعودها لا يعطف على سواها — والواجب على الكاتب العاقل أن يعوده اياها

ظهر في نهضتنا هذه مئات من الكتاب والعلماء في مصر والشام وغيرهما لم ينبغ منهم في خدمة الامة — أو لم تعرف الامة منهم في خدمتها الا عدداً قليلاً . وظهر مئات من الصحف والمجلات لم يبق منها الا عشرات قليلة لا يعدُّ ناجحاً منها نجاحاً حقيقياً الا عشرة واحدة . وقد ظهر في هذه النهضة مئات من الكتب في مواضيع شتى لم يروج منها الا القليل . واذا تدبرت هذا التفاوت في نجاح بعض هذه المشاريع وسقوط معظمها لا تجده ناجماً عن تفاوت طبقات الكتاب في العلم اكثر مما عن تفاوتهم في الشعور بحاجة

الامة وتفاوت اقتدارهم على تطبيق ما يعرفونه على حاجتها . فالصحف او الكتب الرائجة الآن لا تدل دائماً على تفوق اصحابها بالعلم وسعة المعرفة وانما هي تدل دائماً على تفوقهم بالتدبير وحسن الاختيار وهما من ثمار الحاسة الاجتماعية ـ فضلاً عن السعي او الاجتهاد حتى هذا ان لم يكن مقيداً بحسن الاختيار فانه لا يفيد اذ لا يكفي الرجل أن يكثر من السعي والركض وانما يطلب منه أن يكون سعيه في طريق الصواب والا الهمام النشيط عاد عليه بالضرر

تأثيرها في المعاشرة

ان تأثير هذه الحاسة في المعاشرة عظيم الاهمية . لان المعاشرة مفتاح المعاملة . قد تجمعك الصدفة بمن لم تره من قبل فيقع من نفسك موقعاً جميلا . وقد يترتب على ذلك الاجتماع معاملة تجارية او مالية أو عائلية من زواج ونحوه . وقد تمر بمن تشعر بدافع يدفعك عن عشرته ولا تزداد مع الزمان الا نفوراً وبعداً . واذا سئلت عن الفرق بين الاثنين قلت ان الاول خفيف الروح والثاني ثقيلها . ولو حللت هذا التعبير تحليلاً دقيقاً لرأيته يرجع الى الحاسة الاجتماعية . وان هذه الحاسة حية نامية في خفيف الروح وضعيفة أو ميتة في سواه

يأتيك بعض من تعرف فلا يكتفي بالمكث في وقت الشغل وهو يلاحظ وقع كل كلمة من كلماته على ذهنك . ويستدرك ما قد يقع من هفوة أو نحوها . ويشعر من تلقاء نفسه بالوقت الذي ينبغي له ان ينصرف فيه من عندك . ولا يبالي بمجاملتك اياه وطلب بقائه في زيارتك . ويأتيك آخر لشغل أو زيارة وقد تكون مشغولاً بما يحول دون مقابلته لكن الآداب الشرقية لا تسمح لك بردّه فتستقبله فلا يبالي بشواغلك ولا يشفق على وقتك ولا يعرف لحديثه حدًا . وقد يكون أكثر كلامه عن نفسه أو عائلته وما يأكلون أو يشربون وما أتاه ابوه أو جده أو هو نفسه من جليل الاعمال . وقد يتطرق الى الطعن في الناس أو العتب على الزمان ويتشعب حديثه من موضوع الى آخر وقد يكون فيه ما لا يجوز ذكره بين يديك أو بين يدي بعض الحاضرين . لكنه لا يشعر بذلك لضعف الحاسة الاجتماعية فيه . ولا تطمع منه باصلاح ذلك الخطأ لانه متأصل في نفسه . ولا مانع ان يكون ذلك الثقيل عالماً في بعض المواضيع الهامة التي تحتاج الى اعمال الفكرة فيبدع فيها ويفوز على اقرانه ولكنه يعجز عن اصلاح ذلك النقص فيه . واذا تعمد الاصلاح ليقال انه خفيف الروح ظهر ذلك منه مظهر التكلف فتزداد روحه ثقلاً

فسلامة الذوق وحسن الاختيار او الشعور الدقيق في المعاملة والتمييز بين حقائق الاشياء واعراضها ووضع الاشياء في مواضعها ترجع كلها الى « الحاسة الاجتماعية » التي نحن في صددها وعليها تتوقف حال المرء في المجتمع الانساني اكثر مما تتوقف على ذكائه وعلمه . فعلى الذين يتولون تربية الناشئة ان يوجهوا التفاتهم الى هذه الحاسة ويربوها فيهم بالتنبيه الى محاسنها كما ينبهونهم الى فوائد الفضائل واضرار الرذائل فان عليها يتوقف نجاحهم في دنياهم . وهي اذا ارتقت تكفل بارشادهم الى سواء السبيل وتغنيهم عن نصح الناصحين

مدام سوريج

قدوة النساء في المطالبة بحقوق الرجال

تأثير النواميس الطبيعية

في

نشوء الهيئة الاجتماعية

لا يسع المتأمل في احوال الامم وتاريخ نشوئها الا أن ينتبه الى تأثير المحيط الطبيعي او البيئة من ارض واقليم ومناظر في نموها وتكييفها . وقد لاحظ هذه الحقيقة اكثر الكتاب الاجتماعيين والمشتغلين في فلسفة التاريخ وذكروها في كتبهم ذكراً اجمالياً ولم يوفِّ هذا البحث حقه سوى توماس هنري بكل الكاتب الفيلسوف الانكليزي في كتابه « تمهيد لتاريخ المدنية في انكلترا » (1) وهو من مشاهير القرن الماضي عرف بدقة نظره وقوة محاكمته . وقد توفي في دمشق في [illegible] سياحته هناك ودفن فيها

ولكتابه المذكور شأن كبير في آداب [illegible] مقدمة تمهيد لتاريخ مطول لمدنية الانكليزية كان [illegible] كافياً لاشتهار اسم المؤلف بين الامم المتمدنة [illegible] كما اشتهرت مقدمة ابن خلدون في آداب اللغة العربية . وقد رأينا ان نعرب هذا الفصل من كتاب بكل بتصرف ليس لمجرد ما يحويه من الحقائق المهمة بل لانه انموذج للابحاث العلمية يبين كيف يتوصل الباحث بالاستقراء والاستنتاج الى بسط الحقائق العامة [illegible] قال :

تقسم العوامل الطبيعية التي تؤثر على الانسان في نشوئه الى اربعة اقسام : الاقليم والتربة والغذاء او مظاهر الطبيعة ومناظرها . الثلاثة الاولى منها تؤثر على الحالة الاقتصادية المدنية وهي علة تفاوت الامم في الثروة والقوة ومنها تتولد الطبقات في الامة الواحدة . والاخير يحرك قوة الخيال ويعمل على العقول وله تأثير على الآداب والاخلاق . وسنبدأ بدرس العوامل الثلاثة الاولى معاً لان الاقليم والتربة والغذاء مرتبط بعضها ببعض كل الارتباط . فالغذاء يتوقف نموه على الاقليم من جهة وعلى نوع التربة وارتفاع الارض او انخفاضها ونحو ذلك من جهة اخرى فيحسن بنا ان ندرس هذه العوامل معاً

(1) T. H. Buckle . Introduction to the History of Civilisation in Eglanda

١ — العوامل الاقتصادية

اول وظيفة تقوم بها التربة والاقليم (وهما من العوامل الثلاثة) انما هي تكوين الثروة . فالماديات تسبق سائر مظاهر العمران الانساني وهي الاساس الذي تبنى عليه العلوم والآداب والفنون . لان الانسان طالما كان منهمكاً في تحصيل حاجيات الحياة من قوت ولبس ومأوى فهو في شاغل عن البحث في سنن الطبيعة أو الاشتغال بالادب ونحو ذلك لان فوائدها لا تظهر لاول وهلة . أو بعبارة اخرى لا علوم ولا آداب ولا فنون ما دامت الامة بدون رأسمال مادي يسهل على بعض الافراد الانصراف عن المشاغل الضرورية للحياة الى الاعمال الادبية . ولكن عندما يكون المستغل اكثر من المستهلك فالزيادة تمكن ارباب الفراغ من استثمار فراغهم واستكشاف سنن الطبيعة واستنباط طرق جديدة لاستخدام تلك السنن

فالثروة في شعب لا تزال على العموم تتكون من عاملين : أولهما عمل الانسان ومقداره ونوعه . وثانيهما ما تجود به الطبيعة مقابل عمله . فهذان العاملان يتوقفان على سنن الطبيعة لان ما تهبه الطبيعة عائد هو الى نوع التربة وموقع الارض ونحو ذلك . واما نوع العمل ومقداره فيتبع طبيعة الاقليم من حرارة أو برودة لسببين :

اولاً — [illegible] على الحرارة والبرودة يتوقف امكان العمل او مقداره او عدمه وقد يمتنع الانسان عن العمل اذا اشتدا

ثانياً — يؤثر الاقليم على نوع العمل ومدة بقائه فالاقطار الشديدة الحر أو البرد اهلها قليلو الثبات في اعمالهم لان الطبيعة لا تسمح لهم ان يثابروا على العمل في الهواء المطلق لكثرة تقلب الطقس الفجائي وقلة النور او قصر النهار في بعض الفصول ونحو ذلك خلافاً لاهل المناطق المعتدلة . فسكان البلاد الشديدة الحرارة أوالبرودة يتعودون التقلب في اعمالهم — خذ مثلاً شبه جزيرة اسوج ونروج وشبه جزيرة اسبانيا والبورتغال فالبرد شديد في الاولى والحر شديد في الثانية وكلا الحالين يمنعان العامل من مواصلة العمل وتنظيمه . ولذا كان اهل الجزيرتين متشابهين في الميل الى التقلب . بعكس اهل الاقاليم المعتدلة فانهم ثابتون في عاداتهم ولهم صبر على العمل وعناية في اتقانه

والتاريخ يؤيد صدق هذه النظرية فهو لا يذكر مدنية نشأت بمجرد ارادة اهلها ان لم يسمح محيطهم الطبيعي بذلك . بل التاريخ يقرر هذه الحقيقة « ان لا مدنية بدون تربة واقليم موافقين لنموها » ففي آسيا مثلاً لم تتجاوز المدنية البقعة الخصبة

الممتدة من شرق الصين الجنوبي الى شواطئ البحر الابيض . وفي شمال هذه البقعة قبائل من المغول والتتر قضوا ادهاراً على الفطرة البدوية الهمجية لكنهم حالما هجروا موطنهم الاصلي ورحلوا الى الصين والهند وفارس شرعوا في تشييد مدنيات فخمة وبلغوا درجة عالية من الارتقاء المادي والادبي — وكذلك العرب كانوا في ملادهم على البداوة لا يستقر لهم قرار يعيشون بالغزو فلما فتحوا فارس والهند والاندلس انشأوا حضارة لا تزال آثارها الى اليوم في قرطبة وبغداد ودهلي . هذه صحراء افريقيا تشبه جزيرة العرب وانما يفصل بينهما البحر الاحمر لا تزال الى الآن مسرح القبائل المتوحشة الا بقعة صغيرة منها في جهتها الشرقية يجري فيها نهر كبير اصبحت به مهد الحضارة في العالم — هي مصر فانها لا تتميز عن تلك الصحراء بغير النيل فهو الذي اوجد المدنية المصرية وسط همجية القبائل المجاورة

فالعاملان الرئيسيان في تكوين الثروة والمدنيات التربة والاقليم . لكن تأثير كل منهما يختلف باختلاف العصور . فكانت التربة المعول الاكبر في التاريخ القديم في عهد الفراعنة والاشوريين . طور المدنية الى تربة وفي العصر الحديث نرى معول اهل هذه المدنية على الاقليم (الاقليم ؟) وهو يؤثر على نشاط الرجل وثباته في العمل . فالاختلاف في الاساس بين المدنية الحديثة والمدنية القديمة عاقبته اختلاف في النتائج . ففي آسيا وافريقيا التربة خصبة . فالمعول الاكبر عليها . أما في اوربا فالمعول على الاقليم وهو نشيط يكسب اهله الثبات والمثابرة على العمل . ففي الحال الاولى تتوقف النتيجة على علاقة الارض بمحصولها رأساً أي بتفاعل القوى الطبيعية بدون مداخلة الانسان . وفي الحال الثاني تتوقف على علاقة الاقليم بالانسان أي على تأثير الطبيعة فيه لا على مسها . وقد تقدمت مدنيات آسيا وافريقيا على مدنية اوربا في الوقت لان نشوءها لا يستلزم سوى تفاعل قوى الطبيعة . اما المدنية الاوربية فانها قامت بسعي الانسان ولذا كانت اثبت قدماً واكثر قبولاً للتقدم من تلك لانها تتوقف على الرجال لا على الطبيعة وحدها . والقوى الطبيعية ثابتة محصورة العمل اما قوى الانسان فانها قابلة للارتقاء والنمو الى حد لا نعرفه

قد علمت الآن فعل الطبيعة في تكوين الثروة والثروة اساس كل مدنية . والطبيعة ايضاً تؤثر في توزيع الثروة بين العاملين وغير العاملين من افراد الامة وفي ما يلحق توزيع الثروة من توزيع السلطة والنفوذ بين طبقات الناس . لان الثروة مقياس القوة في الهيئة الاجتماعية ولا سيما في الازمنة الاولى واليك كيفية ذلك : في الازمنة الاولى

كانت الثروة بعد تكونها تتوزع بين فريقين من الناس : فريق يعمل مباشرة بيده ويستخرج من الارض اثمارها . وفريق يدير حركة العمل وينظمه . فقسم من الثروة يأخذه العمال اجرة لهم وقسم يذهب الى المدبرين هو ربحهم . اما ما يلحق كل فريق فيتعين بمقتضى السنن الطبيعية كما يلي :

ترتفع اسعار لوازم المعيشة او تنخفض بناء على عاملين : الحاجة الى تلك اللوازم والكمية التي يمكن الحصول عليها منها . فاذا كان الطلب اكثر من الموجود ارتفعت الاسعار والعكس بالعكس . وكذلك اجور العمال تتوقف على مقدار الاحتياج اليهم من جهة وعلى عددهم من جهة اخرى . في قطعة من الارض تعطي محصولاً معيناً تتوقف اجور العمال بالاكثر على عددهم : اذا كثروا انخفضت واذا قلوا ارتفعت . فمقدار الاجور يتوقف على عدد السكان . ومن اهم العوامل لزيادة عدد السكان او نقصهم بل اهمها نوع الغذاء ومقداره . فاذا كان رخيصاً سهلاً زاد عددهم . والغذاء على الاجمال نوعان :

(١) المواد الكربونية تحفظ حرارة الجسم

(٢) المواد النيتروجينية تكون الخلايا وتعوض على الانسجة المندثرة

فاحتياج الانسان الى هذين النوعين من الغذاء يتوقف على الاقاليم هكذا :

اولاً — ان سكان البلاد الحارة اقل احتياجاً الى هذين الغذائين من سكان البلاد الباردة لان حرارة الاقاليم عندهم تساعد على حفظ حرارة الجسم وهم اقل اضطراراً الى الاعمال العضلية فلا يحتاجون الى تعويض الكثير من انسجتهم ولذلك كان اهل اوربا اكثر طلباً للغذاء من اهل افريقيا . وهؤلاء اقدر على التكثر من أولئك فاذا تساوت سائر الاحوال ينتظر ان يكون سكان الاقطار الباردة على العموم اقل عدداً من سكان الاقطار الحارة وعمالهم ارفع اجوراً

ثانياً — ان نوع الغذاء الذي يحتاج اليه اهل البلاد الباردة يصعب الحصول عليه لان حرارة الجسم تحفظ باتحاد الكربون الموجود بالمواد الكربونية مع اوكسجين الهواء في الرئتين بنسبة معينة لتوليد الحامض الكربونيك . فاذا زاد الاوكسجين زاد طلب الكربون لحفظ النسبة بينهما . واهل البلاد الباردة يستنشقون كمية من الاكسجين اكثر من الكمية التي يستنشقها اهل البلاد الحارة لان الهواء اشد كثافة في الاقاليم الباردة ولان برودة الهواء تزيد سرعة التنفس فتزيد كمية الهواء (وفيه الاوكسجين) فتفتقر حينئذ الى كمية تناسبها من الكربون . وبعبارة أخرى ان سكان

الاقطار الشمالية أكثر احتياجاً الى مواد كربونية من سكان الاقطار المتوسطة . فاهل الاقطار الباردة لا يقدرون ان يعيشوا على غذاء اهل الاقطار الحارة . ثم ان المواد كثيرة الكربون كالزيوت والادهان تستخرج من المملكة الحيوانية والحصول عليها صعب يكلف الانسان مشقة ومخاطرة بخلاف المواد النباتية فان الطبيعة تمنحها بلا تعب

يستنتج مما تقدم ان عدد السكان يقل كلما برد الاقليم وان قلة الرجال تسبب ارتفاع الاجور والتاريخ يصادق على ما تقدم . فالاجور في اسيا وافريقيا كانت ولا تزال قليلة بعكس أوربا . وبخفض الاجور ترتفع ارباح الخاصة فيكثر الفرق بين الطبقتين مدنياً وادبياً لان القوة المادية هي اساس الخدمة الاجتماعية كما تقدم – وهذه امثلة توضح المبادئ المتقدمة :

الهند ومصر

١ – الهند – اقليم الهند حار والمواد النباتية فيه كثيرة رخيصة لا سيما الرز وهو الغذاء الوطني فتناسل فيه السكان لكثرة غذائهم وقلّت الاجور . فالعمال عددهم وارتفعت ارباح الخاصة ارتفاعاً عظيماً حتى صار الفرق شاسعاً بين الطبقتين – أثرى الاغنياء الى درجة الرخاء والترف وانحط الفقراء الى درجة الجوع والذل والاستعباد . وآل توزيع الثروة هذا التوزيع الى توزيع القوة الاجتماعية فاستبد السياسي على عامة الامة . فصارت الفروق بين طبقات الشعب عظيمة مبينة لا يتعداها احد . ونظامهم من هذا القبيل مشهور ويعرف بنظام الطبقات . وهو كما رأينا نتيجة احوال البلاد الطبيعية وفعلها كالقضاء المبرم لا يقبل نقضاً ولا تغييراً

٢ – مصر – ان السنن الطبيعية التي جرت في الهند كان لها ذات التأثير في وادي النيل في العهد القديم والاقليمان متشابهان . ان التمر في مصر يقوم مقام الرز في الهند وكانت مصر بشهادة المؤرخين اكثر البلاد القديمة سكاناً بسبب خصب الارض من جهة وقلة طلب الاجسام للغذاء بفعل الاقليم من جهة اخرى . والتاريخ ينبئ ايضاً عن حالة المصريين في تلك الايام من الذل والاستعباد . وبناء الاهرام شاهد يؤيد قولنا . ان سهولة الحصول على الغذاء والقناعة بالقليل منه في البلاد الحارة يكثر التناسل فيكثر عدد العمال فتنخفض الاجور ويفقر الجمهور ويذل

وما قيل عن وادي النيل يقال ايضاً عن مدنيات البيرو والمكسيك واميركا المتوسطة قبل دخول الاوربيين الى تلك الجهات . فهي تشبه المدنية المصرية القديمة في الاسباب والنتائج ؟

٢ — العامل الارضي

كما يؤثر الاقليم والتربة والغذاء في تكوين الثروة وتوزيعها فشكل الطبيعة ومظاهرها الخارجية من جبال وانهر واودية وزلازل وصواعق وما يعيش فيها من حيوانات كاسرة وما يطرأ عليها من امراض وافدة ونحو ذلك تؤثر في تكوين اخلاق الامة وعاداتها وآدابها الاجتماعية واحوالها السياسية . فكأنها تؤثر — اذا جاز هذا التشبيه — في تكوين الافكار وتوزيعها

يمكن تقسيم مناظر الطبيعة ومظاهرها الى قسمين قسم ينبه التخيل والتصور وقسم ينبه القوى المدركة العاقلة . فالظواهر الطبيعية التي توحي العظمة والجلال او تبعث على الخشوع والتعجب والخوف والوقار تهيج المخيلة وتقويها فتتغلب على القوى العاقلة وتجعل الانسان يشعر بحقارته وصغره امام عظمة الكون وبهائه . فتقل ثقته بنفسه فتثبط عزيمته وتضعف ارادته . اما المظاهر الطبيعية الهادئة الساكنة فيشعر الانسان فيها بذاتيته وتزداد ثقته بنفسه لانه لا يرى فيها ما يقاوم حركاته وسكناته أو يحول دون اعماله ومشاريعه او هي هادئة منتظمة تعينه على سد حاجاته

فحيثما تكون الطبيعة عجيبة رهيبة تنشط المخيلة عن العمل . ووظيفة المخيلة الجولان في ما لا يدركه العقل من الغوامض والاوهام . فالشعوب التي عاشت في بيئة مخيفة رهيبة اكثر توسعاً في الخرافات واشد تمسكاً بالتقاليد واكثر ميلاً الى البحث في ماوراء الطبيعة وما بعد الحياة . وقد يجرهم خوفهم احياناً الى عبادة اسباب خوفهم أو تقديسها . فمن عقائد بعض قبائل الهند مثلاً كف الاذى عن الحيوانات الكاسرة تلافياً لغضبها

والزلازل وهي احدى الظواهر الطبيعية المتقدم ذكرها تتخذها انموذجاً يؤثر في اخلاق الامة باختلاف قوتها وكثرتها . فهي اذا تتابعت بكثرة في بقعة من الارض جعلت اهلها في خوف دائم فنسبوا وجودها الى قوى فوق الطبيعة أي ان الزلازل تؤثر على المخيلة وتزيد سلطانها على اعمال الانسان . فايطاليا واسبانيا اكثر الممالك الاوربية تعرضاً للزلازل والانفجارات البركانية ولذا كان اهلها اقرب الى الخيالات والتصورات مما الى العلم والعمل . وقد نمت فيها الخرافات ورسخت التقاليد . وانتشرت فيها من جهة اخرى الفنون الجميلة وهي ثمار المخيلة . فاكبر المصورين والحفارين وبعض اعاظم الشعراء من اهل الجزيرتين . ولم يخرج من اسبانيا عالم واحد في العلوم

الطبيعية (واصحاب هذه العلوم يشتغلون بالقوى العاقلة دون المخيلة) اما ايطاليا فقد نشأ فيها نفر قليل جداً منهم بالنسبة الى مصوريها وحفاريها وشعرائها

ولنأت بمثالين نثبت بهما تأثير الظواهر الطبيعية على الاخلاق نعني الهند واليونان .

١ ـ الهند ـ الطبيعة في الهند في غاية الفخامة والهيبة والوقار والهنود اهل مخيلة واسعة علمها واضح في مظاهر المدنية الهندية . ففي الادب مثلاً أكثر آثارهم الكتابية من الشعر . حتى كتب النحو والحقوق والتاريخ والطب والرياضيات والجغرافية والفلسفة فان أكثرها منظوم . وقد تفننوا في النظم واهتموا له أكثر من اهتمام سائر الامم فبحور الشعر السنسكريتي واوزانه عديدة لم تبلغ عددها غيرها من اللغات . ومن دلائل تسلط التخيل والتصور على القوى العاقلة عندهم احترام الاسلاف وتقديس الازمنة الماضية واهمال الحاضر وهي نتيجة عواطف رقيقة تؤثر عليها المخيلة فتقويها وينكرها العقل الصحيح لانه لا يجد لها سبباً معقولاً . نمت هذه العاطفة عند الهنود نمواً عظيماً فكتبهم مشحونة بمدائح الاسلاف ووصف ابهة وروعة نعيمه ونحو ذلك . ومن مظاهر تلك العاطفة عندهم المبالغة في اعمار ابائهم فالعمر في ايامهم الاولى (حسب كتبهم) يعدّ بآلاف السنين ومن ملوكهم في تلك الازمنة من حكموا ٣٠٠٠٠ سنة و ٦٠٠٠٠ سنة ونحو ذلك . وكلما ذكروا احد اسلافهم سواء كان من ملوكهم او قديس من قديسيهم اضافوا بعض آلاف السنين الى عمره . وما قيل عن آداب الهنود وشعرهم يقال عن فنونهم ودياناتهم فحيثما بحثنا في مدنيتهم نجد قوى التصور والخيال غالبة على العقل والادراك

٢ ـ اليونان ـ والطبيعة في بلاد اليونان اخف وطأة واقل رهبة منها في الهند والمدنية اليونانية تختلف بهذه الصفات عن المدنية الهندية . فمظاهر الطبيعة في بلاد اليونان لضعفها تجعل الانسان يثق بنفسه ويقدر قواه حق قدرها وينشط للعمل . ومن ذلك انه تمكن فيها من درس النواميس الطبيعية واستخدامها بدلاً من الخوف منها والخضوع لها

ان هذا الفرق يظهر باجلى صورة عند مقابلة الديانة اليونانية بالديانة الهندية . فهذه مبنية على الخوف والتخشع آلهتها عظيمة مخيفة منها الاله سيوا مثلاً له صورة يقشعر منها البدن حوله الافاعي والثعابين وفي يده جمجمة بشرية وعلى صدره عقد من العظام البشرية . وله ثلاث عيون وعليه جلد نمر . ولهذا الاله عندهم زوجة جسمها ازرق وايديها الاربع حمراء من دماء العباد ولسانها طويل يتدلى من فمها وهلمّ جرّاً . اما الالهة اليونانية فهي بعكس ذلك قريبة من البشر شكلها انساني والمشابهة في

الصورة يتبعها ايضاً مشابهة في الصفات والاعمال كجوبيتير والزهرة . ومرقا ونبتون وغيرها من الالهة اليونانية لها افكار وعواطف واوصاف بشرية مع بعض التكبير فقط

وبالاختصار كانت الطبيعة في بلاد اليونان تشجع الانسان وتزيد ثقته بنفسه وفي الهند تثبط عزمه وتحط من قدرته . فاليونان وثقوا بالقوى البشرية وكان اهتمامهم بالمنظور المحسوس . اما الهنود فخافوا القوى غير البشرية وكانت مشاغلهم في الغامض المجهول غير المنظور

اميل زيدان

وصف المقلمة والاقلام

للمأموني

ومجدولة حمراء يحمل متنها   من النقش روض ما يعدى بوابل

ترى كل يوم حاملاً باحشائه   [illegible] من [illegible] قوابل

واولادها [illegible] سمر ذوابل   [illegible] بيض فواصل

تسدد صوب السمر لا للحروب   ويعطف صوب البيض لا للمقاتل

فلا السمر [illegible] حمل حوامل   ولا بيضها [illegible] حمل حائل

وقال في وصف الاسطرلاب :

وشبيه للشمس يسترق الاخـ   ـبار من بين لحظها في خفاء

فتراه ادرى واعرف منها   وهو في الارض بالذي في السماء

الاتفاق الثلاثي والتحالف الثلاثي

الموازنة بينهما

قلقت الاذهان على أثر الحرب البلقانية لما يخشى وقوعه من النزاع بين الدول الاوربية العظمى . وبعبارة اخرى بين الاتفاق الثلاثي المؤلف من انكلترا وفرنسا وروسيا والتحالف الثلاثي المؤلف من المانيا والنمسا وايطاليا. فرأينا ان نأتي على خلاصة قوات كل من الاتفاق والتحالف البرية والبحرية على حدة للمقابلة بينهما — وهذا جدول يبين ذلك :

(انظر الجدول في الصفحة التالية)

أولاً — الاتفاق الثلاثي

القوات البرية

	تحت السلاح	الجند الاحتياطي	المستحفظ	مجموع الجنود	نفقات الجيش
إنجلترا	٣٤٠٣٨٦	١٣٨٠٠٠	٣١٥٤٠٨	٧٩٣٠٠٠	٢٧٠٠٠٠٠٠
فرنسا	١٣١٠٠٠٠	٤٩٠٠٠٠	٥٩٦٠٠٠	٢٣٩٦٠٠٠	٣٥٠٠٠٠٠٠
روسيا				٤٠٠٠٠٠٠	٥٥٠٠٠٠٠٠
(المجموع)				٧١٨٩٠٠٠	١١٧٠٠٠٠٠٠

القوات البحرية

	دردنوط	مدرعة	طراد	طوربيد	مدمرة	غواصة	مجموع القطع	رجال البحرية	نفقات البحرية
إنجلترا	٢٢	٦٠	٩١	١٥٠	١٨٤	٦٥	٥٧٢	١٤٠٠٠٠	٣١٨٠٧٠٠٠
فرنسا	٦	٢٢	٣٤	١٦٠	٦٢	٧٩	٣١٣	١١٤٠٠٠	١٧٢٠٠٠٠٠
روسيا	٣	١٥	٢١	١٠٢	٩٦	٣١	٢٧٣	٦٠٠٠٠	٩٠٠٠٠٠٠
(المجموع)	٣١	٩٧	١٤٦	٤١٢	٣٤٢	١٨٠	١٢٠٨	٣١٤٠٠٠	٦٣٠٠٧٠٠٠

ثانياً — التحالف الثلاثي

القوات البرية

	تحت السلاح	الجند الاحتياطي	المستحفظ	مجموع الجنود	نفقات
ألمانيا	١٧٠٠٠٠٠	١٢٠٠٠٠٠	٦٠٠٠٠٠	٣٥٠٠٠٠٠	٤٣٠٠٠٠٠٠
النمسا				١١٠٠٠٠٠	٢١٠٠٠٠٠٠
إيطاليا				٧٠٠٠٠٠	١٥٠٠٠٠٠٠
(المجموع)				٥٣٠٠٠٠٠	٧٩٠٠٠٠٠٠

القوات البحرية

	دردنوط	مدرعة	طراد	طوربيد	مدمرة	غواصة	مجموع القطع	رجال البحرية	نفقات البحرية
ألمانيا	١٣	٢٩	٤٠	٨٠	١١٥	١٣	٢٩٠	١٢٠٠٠٠	٧٥٠٠٠٠٠
النمسا	٢	٧	١٠	٥٢	١٩	١٣	١٠٣	٢٥٠٠٠	٢٥٠٠٠٠٠
إيطاليا	٣	١٦	٢٥	٥٥	٣٠	١٣	١٤٢	٤٠٥٠٠	١٠٥٠٠٠٠٠
(المجموع)	١٨	٥٢	٧٥	١٨٧	١٦٤	٣٩	٥٣٥	١٨٥٥٠٠	٢٠٥٠٠٠٠٠

يؤخذ من هذا الجدول ان مجموع جنود دول الاتفاق الثلاثي البرية ٠٠٠ ١٨٩ ٧ مقاتل وجنودها البحرية ٠٠٠ ٣١٤ الجملة ٠٠٠ ٧٥٠٣ مقاتل . واما دول التحالف الثلاثي فلا يزيد عدد جنودها البرية والبحرية على ٠٠٠ ٤٨٥ ٥ مقاتل . وأما القوات البحرية فزيادة الاتفاق الثلاثي فيها أكثر من ذلك نعني ان مجموع قطع الاتفاق الثلاثي١٢٠٨ قطع فيها ٣١ دردنوط و٩٧ مدرعة . واما التحالف فمجموع قطعه ٥٣٥ قطعة ليس فيها الا ١٨ دردنوط و ٥٢ مدرعة . فيظهر من ذلك ان قوات الاتفاق تفوق قوات دول التحالف كثيراً . ولكن لدول الاتفاق مستعمرات واسعة الارجاء لا بدَّ لها من المحافظة عليها . فمن جنود انكلترا مثلاً ٠٠٠ ١٢٢ مقاتل موزعة في مستعمراتها على هذا الشكل :

٧٥٠٠٠ في الهند
١١٠٠٠ في افريقيا الجنوبية البريطانية
١١٠٠٠ في البحر الابيض المتوسط
٦٠٠٠ في القطر المصري
٦٠٠٠ في الصين
١٣٠٠٠ في مستعمرات أخرى

فهي لا تترك الهند مثلاً بلا حاميات خوفاً من تمرد الهنود . وكذلك اسطولها فانه موزع في جميع البحار

ولروسيا جيش عرمرم في شرق سيبيريا لا تستقدمه اليها خوفاً من غزو اليابان والاسطول الروسي المرابط في البحر الاسود لا يجدي روسيا نفعاً لان ابواب البوسفور والدردنيل مقفلة دونه

ولفرنسا ايضاً جنود في الجزائر وتونس ومراكش والكنغو والهند الصينية الافرنسية وغيرها لا تأتي بها الى ساحة الحرب للاسباب المتقدم ذكرها

اما دول التحالف فليس لها مستعمرات ذات اهمية وكل قواتها متأهبة على الدوام للمحافظة على كيانها والمدافعة عنه . وهناك ملاحظة اخرى تؤثر في وجهة الحرب ان شبت نعني حسن تدريب الجنود وجودة سلاحهم ومهارة قوادهم في الفنون الحربية وغير ذلك فيرجع النصر لاصحاب هذه المواهب من المتحاربين . وبكلمة واحدة ان كلاً من دول التحالف والاتفاق مستعدة استعداداً تاماً لحرب طاحنة تسيل فيها الدماء انهراً . حرباً تكون اشد الحروب ويلاً على الانسانية (ش . ز .)

فرنسا وانكلترا وسويسرا

عمرانها ونظام حكومتها وحضارتها ومتاحفها

وسائر احوالها الاقتصادية والاجتماعية

من رحلة صاحب الهلال هذا العام (تابع ما قبله)

ثانياً — انكلترا

٤ — نظام الاجتماع فيها

نظام الاجتماع في انكلترا [illegible] على احواله نظام [illegible] الاوربية من حيث العائلة والحكومة [illegible] والكنيسة [illegible] الا انه يمتاز في انكلترا بخصائص لا يخلو ذكرها من فائدة هاك اهمها.

١ — طبقات الامة

لا يخفى ان انكلترا ام الحكومات الدستورية واقدم من اعترف بحقوق العامة. ومع ذلك فالامة عندهم مؤلفة من طبقتين متميزتين لا تختلط احداهما بالاخرى — اعني الخاصة والعامة او الشرفاء والعمال او الاعيان والعموم. وذلك من بقايا القرون الوسطى التي كان فيها اللورد صاحب الارض وله السيادة هو واعوانه على بلده وسائر الناس اعوان له او عمال في مزارعه. وكان ذلك شأن اكثر امم اوربا في عصر الاقطاع. لكن اكثرهم عدلوا عنه وساووا بين طبقات الامة في الحقوق والواجبات. الا الانكليز فلا يزال لاهل السيادات القديمة حقوق يمتازون بها عن سواهم في بعض الاحوال السياسية والاقتصادية. ولكل من هاتين الطبقتين شأن خاص مستقل عن شأن الطبقة الاخرى. ونواب الامة طبقتان في مجلسين مجلس الاعيان ومجلس العموم وقد نرى مثل هذين المجلسين في بعض الامم الاخرى لكنه عند الانكليز مبني على تسلسل الارستوقراطية من الاجيال الوسطى. ولا يزال كثير من الارضين ملكا للشرفاء

يتوارثونها ولا يبيعونها بيعاً قاطعاً . وانما يبيعون مرافقها الى اجل معين . والغالب ان يبيعك الشريف الارض تملكها الى ٩٩٩ سنة فتدفع له ثمنها او هو حق صيرورتها اليك بعد تلك المدة .. ويبقى له عليك مال يتقاضاه كل سنة يتم الاتفاق عليه يسمونه في اصطلاحهم تشيف (Chief) وقد يحتالون في تمليك الارض حيلة شرعية فيتفق الشاري والبائع على مبلغ يدفعه الشاري مرة واحدة بدل الاقساط السنوية نحو ما تعمل الحكومة المصرية في استبدال معاش للمستخدمين . فاذا دفع الشاري ذلك المال صار مالكاً للارض . عرفنا صديقاً لنا في منشستر ابتاع منزلاً من احد الشرفاء بالثمن الذي دفعها معجلاً وبقي عليه الاقساط (التشيف) نحو مئة جنيه يدفعها كل سنة . واخيرًا انه ينوي ان يستبدل الاقساط بالتي حسبه اخرى فيصير المنزل ملكاً له

فالانكليز عندهم الحرية والاخاء وليس عندهم المساواة . على انهم عاملون على نزع تلك الامتيازات من الشرفاء . وقد افلحوا في كثير من مطالبهم لكن المساواة الكلية يبطيء الوصول اليها لتأصل الارستوقراطية في نفوس القوم من اجيال متوالية . حتى تراها في كثير من آدابهم الاجتماعية ومن آثارها الخصوصية انه ليس في قطر السكك الحديدية درجة وسطى بين الاعيان والعموم . فالقطار عندهم فيه عربات من الدرجة الاولى وعربات من الدرجة الثالثة . ولا تجد درجة ثانية في قطرهم الا ما يتصل منها بالقطر الفرنساوية وغيرها على الحدود

٢ — ضرائب الدخل

لا تخلو دولة من ضرائب تضربها على رعاياها تسد بها نفقات رعايتهم والقيام على حراستهم أو القضاء بينهم . لكن الانكليز يزيدون على ذلك نوعاً من الضرائب اقتضاه تفاوت الثروة في طبقات الامة . فجعلوا مقدار الضريبة بنسبة تلك الثروة ويعولون في تقديرها على الدخل لا على رأس المال . فيفرضون على الغني او التاجر مبلغاً من دخله السنوي يسمونه ضريبة الدخل . اصلها اعانة فرضتها الحكومة على الامة للاستعانة بها على محاربة الفرنساويين سنة ١٥١٢ فقرر البرلمان يومئذ ان يدفع العامة ⅒ من دخلهم ثلث السنة والكهنة الخمس . وفي سنة ١٧٩٨ زادوها لمثل ذلك السبب . وما زالوا يزيدون الضرائب وينوعونها ويبدلونها حتى باتت ما هي عليه الآن . وهي تختلف حسب السنين ولكنها نحو خمسة في المئة من الدخل أو شلين في الجنيه . ولا يدفع هذه الضريبة الا الذي يبلغ دخله ١٦٠ جنيهاً في السنة فما فوق . ولهم شروط من يزيد دخله على ذلك الى ٧٠٠ جنيه . فهؤلاء يعفونهم من بعض الضريبة . اما من زاد دخله على ٧٠٠ جنيه

فيدفع الضريبة كاملة . وقد بلغ دخل الحكومة من هذه الضريبة نحو ٠٠٠ ٠٠٠ ٣٢ جنيه في السنة . غير ضرائب الجمارك وعوائد الروحيات وسائر المسكرات والمخدرات . وغير حق الرخص والاذن في معاطاة المهن على اختلاف اشكالها

٣ — العامة والعناية بهم

للعامة في انكلترا مشاكل من اعتصاب واضراب كما في فرنسا لكن للانكليز عناية خاصة بهم ولا سيما لطبقات العمال والخدم . لعل ذلك من بقايا واجبات الارستوقراطية في العهد القديم . لان رب البلد (اللورد) كان يرى نفسه مسئولاً عن حال أتباعه من حيث اسباب معائشهم . ولو تتبعت تاريخ وضع ضرائب الدخل المتقدم ذكرها لرأيتها تنوعت وتعدلت طبقاً لمصلحة العمال أو الفقراء من اصحاب التجارات الصغرى . كانت في اول وضعها شاملة كل انكليزي مهما قلّ دخله . ثم اخذوا يعدلونها حتى اعفوا منها اصحاب الدخل القليل الذي لا يزيد على ١٦٠ جنيه . وخفضوها عن الذين لا يزيد دخلهم على ٧٠٠ جنيه . وجعلوها على سائر الناس كما رأيت ولا يخفى ان الاموال التي تجمع من الضرائب تنفق في مرافق الامة بلا تمييز بين الغني والفقير — او هي لمصلحة الفقير اكثر مما لمصلحة الغني . وهي عندهم بمثابة الزكاة في صدر الاسلام تؤخذ من الاغنياء وتنفق في الفقراء

والحكومة الانكليزية تمدّ عطفها وحنوها على الفقراء من رعاياها فتضع القوانين لمصلحتهم وتجبرهم على اتباعها . او هي تتولى سعيدها عليهم — لعلها تتقي اعتصابهم أو اضرابهم . من ذلك قانون صدر في الصيف الماضي ونحن في انكلترا وضعته الحكومة لمنفعة الخدم وصغار المستخدمين اسمه (National Insurance act) في ١٤٠ صفحة كبيرة . مآله ضمانة مستقبل كل مستخدم في المملكة الانكليزية سنه بين ١٦ و ٧٠ سنة يقلّ دخله السنوي عن ١٦٠ جنيهاً . وكل عامل يشتغل بيده لحساب نفسه ولو زاد دخله على ١٦٠ جنيهاً في السنة . فتفرض على كل من هؤلاء ان يختزن من دخله مالاً يعينه في شيخوخته او مرضه — جعلت ذلك اجبارياً لا يرى العامل مفراً منه بوجه من الوجوه . وهو يشمل المعلمين في المدارس واساتذة المدارس الصغرى والثانوية وكتاب المصارف والمتاجر وخدام المخازن وعمال المعامل وفيهم اصحاب الصناعات المدنية وساقة المركبات والبوتية وغيرهم وكل عامل له رئيس يدفع له اجرة

وكيفية ذلك الضمان ان الحكومة طبعت اوراقاً كالسراكي أو الاستمارات في اصطلاحنا تعرفها في العمال . وعلى العامل ان يقدم واحدة منها كل اسبوع وعليها طوابع

مختومة يشترك هو ورئيسه والحكومة في دفع قيمتها . وتختلف تلك القيمة باختلاف رات العامل . فالرجل الذي تزيد اجرته على شلبين ونصف شلين في اليوم يدفع هو اربعة بنسات في الاسبوع ورئيسه يدفع ثلاثة بنسات والحكومة تدفع بنسين . الجملة تسعة بنسات (نحو ثلاثة غروش ونصف) تلصق قيمتها طوابع على الاستمارة وتختم وتقدم للحكومة كل اسبوع . واذا كان العامل صاحب هذه الاجرة امرأة تعامل مثل معاملة الرجل الا ما تدفعه هي فيكون ثلاثة بنسات بدلاً من اربعة وتختلف مقدار المدفوع باختلاف درجة العامل ومقدار أجرته

والحكومة تحفظ للعامل ما يقدمه كل اسبوع وتخزنه لحسابه وقد تستثمره له فيضمن مستقبله رغم ارادته . ومعظم هذه العملة من رئيسه والحكومة وهي لا تضرها لكنها تنفع العامل المسكين . وفي ذلك القانون شروط واحكام تفصيلية لا محل لها . لكنها بلا شك من احسن ما استنبطته القرائح لمصلحة العمال وضمان مستقبلهم على نفقة الحكومة واصحاب الاموال . فضلاً عما فيها من المشقة على اصحاب التجارات او المعامل . فان كل واحد منهم مكلف بالوضع على السراكي او الاستمارات بيده كل اسبوع وقد يكون عنده منه عامل أو الف

٥ – اخلاق الانكليز

١ – الثبات والتعويل على الحقيقة

للانكليز اخلاق بارزة واضحة تختلف عما لسواهم من الامم يمكن تلخيصها بكلمتين هي (١) « انهم يرجعون في اعمالهم وشؤونهم الى الحقيقة المحسوسة دون الظواهر » (٢) « انهم ثابتون في مبادئهم وعاداتهم ومشاريعهم » فاذا عرفت ذلك فيهم هان عليك تعليل اكثر ما يعرض لك من اخلاقهم . والانكليزي هادئ الخلق يعسر ان تغلب عليه الحدة حتى تخرجه عن طور ارادته ولذلك تجدهم يبحثون في اهم المسائل واحرج المشاكل ويتجادلون ويتناقشون بهدوء وسكينة . ويغلب في أدلتهم ان تبنى على العقل اكثر مما على العواطف . ويظهر لك الانكليزي جامداً وقد ترى في نفسك تفوقاً عليه بسرعة الخاطر لكنك عند العمل تجده اثبت منك قدماً وأصبر على التعب واقدر على المشاريع الكبرى . وترى فيه سكوتاً وطول اناة في موقف يستفزُّ سواه ويهيج غضبه وليس ذلك من بلادة في طبعه وانما هو من قبيل ثباته في اعماله وتعويله على الحقائق فلا يكترث بالصغائر بل يجعل همه الغرض الذي يسعى اليه لايبالي بما يقف في طريقه من

العقات ولا سيما اذا كانت تلك العقات أموراً وهمية كالكلام في الصحف ونحوها اذا لم يكن مبنياً على حقائق محسوسة فهو يهمه ان يصل حالاً الى الماسية ولا يلتفت الى شقشقة المكاري في اثناء الطريق

٢ — الكبرياء والانانية

ومن الاخلاق المشهورة عن الانكليز انهم متكبرون يترفعون عن مخالطة سواهم من الامم . وهي تهمة لاتخلو من الحقيقة . ان الانكليزي معجب بنفسه يفتخر بدولته وامته ويتفرد عن سائر الامم فلا يزاوجهم او يختلط بهم الا بما تقتضيه المصلحة التجارية والسياسية . ولا يخفى انه في عصر الاعلوسكسون كما كان العرب في ابان دولهم والرومان قبلهم . ولكل أمة عصر اذا تفوقت فيه على سواها توهمت امتيازها بفطري عليهم بالجنس الاصلية — وهي طبعاً لاتنال ذلك التفوق الا لمواهب فيها تمتاز بها عن سواها

وكما يوجه على الانكليز من الانتقاد انهم اناس يحبون الاستئثار بالمنافع لانفسهم وهو خلق فطري في الانسان لا تختص بامة دون أخرى لكنه يظهر في الانكليزي لانه لا يبالي ان يظهر دونها منه . ولا يهمه مايسميه الآخرون اريحية أو نجدة ويعدونها من اسمى المناقب وهو لا يعرض نفسه بخسة تنفعه سواه كما يفعل الفرنساويون مثلاً او كما يفعل العرب فيعدونه من مفاخرهم . ولذلك كان العرب اسرع اختلاطاً بالفرنساويين منهم بالانكليز

ومن مقتضيات الجنوح الى الحقائق ان الانكليزي صريح في اقواله واعماله لا يقول غير ما يعتقده ولو ساءك قوله . فيظهر ذلك منه مظهر الجفاء . ولكنه يعدّ المجاملة ضرباً من العبث فلا يزال يتحفظ حتى يتعرفك ويثق بك فيمد لك يده ويصافحك ويكون عند ذلك من اخلص الاصدقاء واشرف الحلفاء

٣ — التربية الأدبية والعقلية

ومن مقتضيات هذه الخلق ايضاً ما نراه من ثبات الانكليز في افضل وسائل التربية البدنية والعقلية ولا سيما التربية وهم قدوة الامم فيها . وقد الف ديمولان الكاتب الفرنساوي كتابه سر تقدم الانكليز ليحرض قومه على الاقتداء بهم في التربية والاخلاق والتعليم وغير ذلك . واختص غوستاف لابون اخلاق الانكليز بالاطراء في كتابه « العوامل الاخلاقية في تكوين الامم » فالانكليزي راى بعين الحقيقة ان هذا الضرب من التربية مفيد له فتبعه ووضع له قواعد اساسها الفائدة الحقيقية لا

زخرف ولا تمويه . وزادهم ثباتاً فيها انهم فطروا على احترام آراء رجال التاريخ واصحاب المواهب منهم والعمل بها بلا جدال او نقد . لعله من بقايا خضوعهم للشرفاء في عصر الاقطاع . ولهذه الصفة فضل كبير في جمع كلمتهم وتأييد مساعيهم لان الامة اذا عرفت رأي عقلائها كانت كلها عقلاء . بخلاف الامم التي يزعم كل من افرادها انه صاحب الرأي الاصوب والنفوذ الاعلى . ويرى الاصباع لرأي سواه صغاراً ومذلة كما هو شأن الامم الضعيفة التي صارت الى الشيخوخة وآذن الزمان بفساد امورها وانقسامها

٤ ـ الصدق والوفاء

المشهور ان الانكليزي على الاجمال بطيء الخاطر غير مفرط الذكاء . لكنه ناجح على الغالب في اعماله ومشاريعه فما هي علة نجاحه . العلة الحقيقية انهم يعملون بالقواعد التي قرر عقلاؤهم انها وسيلة النجاح وقد رسخت في اذهانهم بالتربية للاسباب التي قدمناها . ومن تعاليمهم ان التاجر او الصانع يجب ان يعول في اعماله على الحقائق مع المنفعة المتبادلة . فجعلوا معولهم على الصدق والامانة والثبات وهي اهم اسباب نجاحهم في اعمالهم الكبرى والصغرى . وقد اشتهر ذلك عنهم حتى جرى مجرى الامثال . والمشهور بين تجار الارض ان الانكليزي اذا سألته عن سعر بضاعته اعطاك آخر سعر يوافقه ولا يفسح مجالاً للاخذ والرد او المساومة كما تفعل سائر الامم

٥ ـ المحافظة على التقاليد

قد رأيت الامة الانكليزية لا تزال حتى الآن محافظة على الارستوقراطية رغم اغراقها في الدستورية ـ حتى دستورهم لا يزال محفوظاً بالتقاليد أي انهم لم يدونوا قواعده وشروطه كما يسميه العثمانيون القانون الاساسي أو نحوه . وانما يجرون فيه على التقاليد الماضية فيحكمون في شؤونهم بالقياس على احكام سابقة اصدرها اسلافهم مع مراعاة مقتضيات الاحوال واذا عرضت مسألة لم يسبق الحكم فيها حكموا فيها وعدوا حكمهم سابقة لمن يأتي بعدهم

فالانكليز من اكثر الامم محافظة على التقاليد المتوارثة . وذلك من قبيل الثبات في اخلاقهم . ولهذا السبب كانوا من اشد الناس احتراماً لرجال التاريخ منهم ينصبون لهم التماثيل ويعملون باقوالهم . ولنفس هذا السبب جروا في استعمارهم على احترام تقاليد الامم التي تدخل في سلطانهم او حمايتهم . فلا يتعرضون لهم في شيء من اديانهم او عاداتهم . بل يساعدونهم على القيام بشعائرهم الدينية او الوطنية . ولذلك كان الشرقيون اكثر ارتياحاً الى سيادتهم مما الى سواها لولا ترفعهم وبعدهم عن المجاملة

٦ — الدين والنظام

ومن قبيل الثبات والمحافظة على التقاليد انهم متمسكون بعقائدهم الدينية . ورغم تطرف اكثر الامم من جيرانهم وزملائهم في الحرية الدينية حتى جاهروا بعناوأة رجال الكهنوت ومطاردة الجمعيات الدينية فالانكليز ما زالوا متمسكين بآداب الدين يحافظون على طقوسه وتعاليمه ولا سيما الراحة يوم الاحد فقد ذكرنا في الفلال الماضي كيف يقفلون الحوانيت والمخازن وغيرها في ايام الآحاد والاعياد

ومن هذا القبيل ايضاً خضوعهم للنظام وتقديسه والرضوخ له باحترام وافتخار لا يستنكف من ذلك كبيرهم ولا صغيرهم . ولا يرى الملك بأساً ان يعترف بالخطأ بين يدي اصغر رعاياه ولا يعدُّ ذلك حطة . وانما هو من نتاج جنوحهم الى الحقيقة واحترامهم اياها . وتجد كتبهم المدرسية مشحونة بالحكايات التي تمثل هذه المنقبة وامثالها من الصراحة بالقول والاعتراف بالخطأ . عبر القدوة الحسنة التي يستفيدها التلاميذ من اساتذتهم او والديهم . . . هم في هذا السبيل

٧ — الشعور بالواجب

ان الشعور بالواجب . . . من الرقيه . . . ظاهر كل الظهور في اخلاق الانكليز . فالانكليزي يعرف ما عليه من حق ادبي او مدني فيؤديه في حينه بلا مطالبة او استحثاث . . . لانه من اكثر الناس عملاً واقلهم كلاماً . فاذا وعدك بزيارة كن على ثقة انهُ منجز وعده . واذا كلفته بخدمة فمن التأدب عندهم ان لا يؤكد لك نجاحه فيها وانما يقول « اني سأجرب » فاذا قال هذا قائل منهم عدوا قوله وعداً اكيداً . وهكذا اذا عزم احدهم على تكليف آخر بخدمة او مطلب يحق به او وعد يتوقعه فانه يجعل طلبه بصورة الاستفهام او الشك فيقول مثلاً « هل تفضلت لو فعلت كذا » فيجيبه « اخشى فاعلاً كذا » فيعد ذلك وعداً لا بدَّ من قضائه . وهذه التعابير تكون عالباً في الطبقة الراقية من القوم

٨ — المرأة الانكليزية

المرأة في انكلترا تشبه سائر نساء أوربا في اكثر الاحوال الاجتماعية والادبية لكنها تمتاز عنهن بما تقتضيه اخلاق الانكليزي او التربية الانكليزية من بعض الوجوه . فهي اميل الى الحقائق في آدابها وعاداتها وازيائها . ويمتاز الزي الانكليزي غالباً بالبساطة لانهم يلاحظون فيه المنفعة الحقيقية . . . شأنهم في كل شيء . واذا رأيت انكليزية بثوب مزخرف فانها تقلد به غير الانكليز

بنات انكليزيات يلعبن بالسيف

ومن هذا القبيل تبرزهن في الرياضة البدنية والالعاب المشهورة عندهم حتى لعب السيف وركوب الخيل . [illegible] كانت الانكليزية [illegible] نشيطة الحركة ممشوقة القوام مشرقة الوجه قوية [illegible] . وقد اخذت تنافس [illegible] وتجاريهم في اعمالهم . وتطرفت طائفة من [illegible] حتى [illegible] في مجلس النواب وبالغن في ذلك وخرجن به عن طورهن [illegible] في مطالبهن . ولا نظنهن الا راجعات [illegible] الانكليزية من هذا الوجه مثل حكمنا على المرأة الفرنساوية عند كلامنا عن اخلاق الفرنساويين :

« ان امرأة خلقت لتهتم بشؤون بيتها وعائلتها فاذا تحولت عن ذلك الى اعمال الرجال خرجت عن طبيعتها »

على ان المرأة الانكليزية في أصل فطرتها كثيرة الخضوع لرجلها تستهلك في سبيل راحته وراحة سائر العائلة ولو مهما كلفها ذلك . لكنها وهي عذراء تتمتع بما يتمتع به الشاب من الحرية الشخصية في ذهابها وايابها وقيامها وقعودها . فاذا تزوجت انقطعت الى بيتها ولم يعد يهمها سواه مع احترام زوجها ومعرفة حقه . فلعل المطالبات بحقوق الرجال من غير المتزوجات

٨ — طريقتهم في الاستعمار

ونرى الخلق الانكليزي الاساسي — نعني التعويل على الحقيقة مع الثبات — ظاهراً في طرقهم السياسية كالاستعمار مثلاً فان لهم فيه طريقة تخالف طرق سائر المستعمرين .

فهم ينظرون من وراء الاستعمار الى الفائدة الحقيقية لا يهمهم زخرف السيادة وابهة الدولة والتفاخر بسعة السلطة بقدر ما تهمهم المصلحة الحقيقية في الاستعمار . وقد وجدوا بعين العقل ان المصلحة الحقيقية من الفتح او الاحتلال انما هي المرافق الاقتصادية او المالية فيوجهون سعيهم اليها . ولا يهمهم بعدها ان تكون لهم سيادة إن لم يكن الغرض منها المنفعة الاقتصادية . ومن شأنهم وطول اناتهم صبرهم على استثمار مطامعهم الاستعمارية اعواماً متطاولة ترسخ في اثنائها اقدامهم او تسنح لهم فرص يغتنمونها ويؤيدون بها حقوقهم

ولهذا السبب رأيتهم لا ينتحلون وضع الحماية او اعلان السيادة بل بعكس ذلك يتساهلون مع مستعمراتهم في "الاستقلال الاداري" حتى لا يبقى فرق يذكر بينه وبين الاستقلال الحقيقي . ويهمهم من البلد الداخل في حمايتهم او تحت نفوذهم ان تكون مصالحهم المادية محفوظة فيه — ولا يبالون ان يجيئهم ذلك بطريق الاحتلال او الحماية او الاستعمار . وعلى هذا [illegible] احتلوا [illegible] وغيرها . ولا نرى مانعاً من ان يفعلوا ذلك في [illegible] وغيرها [illegible] مصالحهم الاقتصادية وبقاء علائقهم الودية وان [illegible] لهم [illegible] من الجهات الاخرى

والسطوة التي امتاز بها [illegible] الانكليز [illegible] العصر [illegible] وقف على اخلاقهم [illegible] على ذلك [illegible] الاخلاق التي ذكرناها [illegible] خمسة واربعين مليون انكليزي يحكمون نحو ٣٥٠ مليون نفس من [illegible] في قارات الخمس . وفيهم الفوضوي والمغولي والهندي والزنجي وغيرهم من طبقات الناس يتكلمون عشرات من اللغات المختلفة . ان الانكليز استطاعوا ذلك باخلاقهم المتينة واساسها الثبات والتعويل على الحقيقة . والافراد بين الامم الداخلة في سلطتهم شعوباً لا يقلون عنهم ذكاء وقد يفوقونهم في كثير من المواهب العقلية . وانما تنقصهم الاخلاق اللازمة للتغلب او الاستقلال

١٠ — المدنية الحديثة ومدنية العرب

فالانكليز من اوضح الامثلة للاخلاق الملائمة لروح هذه المدنية . وان كانت لا تلائم المدنيات الاخرى . ولكل مدنية قواعد تبنى عليها دعائمها ولا تصلح الا بها . فمدنية العرب اساسها مناقب العرب في صدر الاسلام اهمها الاريحية والنجدة والجوار والوفاء والحلم وسعة الصدر وكرم الخلق ونحوها مما لا يلائم المدنية الحديثة . كان الخليفة او الامير يعفو احياناً عن القاتل لانه ارتاح [illegible] من قول سمعه او تذكر خطر

له ويعدّ ذلك اريحية . وكان القوم يتواصون بالعفو عند المقدرة والاخذ باسباب الكرم يقيمون بيوت الضيافة ينزل فيها الاضياف اشهراً لا يسألهم احد منهم . وكان لهم ضرب من الارتزاق بالسخاء من الخليفة فمن حوله واتباعهم وحواشيهم واعوانهم يقيم في بيت الامير او العامل عشرات او مئات من الناس يأكلون ويشربون ويلبسون ولا عمل لهم وقس على ذلك مما فصلناه في تاريخ التمدن الاسلامي . فهذه المناقب بعيدة عن مقتضيات المدنية الحديثة التي اساسها مبادلة الحقوق والواجبات لا حلم ولا عفو ولا اريحية ولا نجدة . وانما ينال المرء من الرزق او المنصب على قدر سعيه ومواهبه بمقتضى القواعد الاقتصادية والاعتبارات السياسية . فلا يرتقي في هذا السلك غير العارف باحكام السياسة الذي ينظر الى حقائق الاشياء بالنظر الى مصلحة الامة ويحافظ على العدالة وشروطها لا ينفق قرشاً الا في طريقه . وغير ذلك من المناقب الشائعة في أوربا لهذا العهد — ولكل ايام دولة ورجال

الفرس الحاسب

تكلم الهلال غير مرة عن افراس حاسبة وحيوانات حاذقة نبيهة وهي عديدة قلما تخلو منها مدينة من المدن الكبرى . على ان كثيراً من الحوادث التي من هذا القبيل مبنية على الخداع التماساً للكسب وتحدثت الصحف اخيراً بافراس تنسب الى البرفلد حيث يقيم صاحبها اشتهرت بمعرفة الحساب واستخراج الجذور ونحو ذلك من الاعمال التي تتطلب مقدرة عقلية . فاحببنا العود الى هذا البحث الدقيق . والاجدر بنا ان نتتبع هذه الحوادث كما وقعت :

كان لاحد سكان برلين منذ عشرين سنة فرس توسم فيه ذكاء فرباه وعلمه الحساب . ولكن الفرس توفي في اثناء التعليم فلم يشأ صاحبه اضاعة اختباره في هذا السبيل فاقتنى سنة ١٩٠١ مهراً عمره خمس سنوات سماه « هانس » واول درس لقنه

اياه معرفة الشمال واليمين وفوق وتحت ونحو ذلك . ثم اخذ يعلمه مبادىء الحساب فكان الرجل يجثو تحت الفرس وبين يديه قطع من الخشب عليها الاعداد يجعله يطرق برجله على الارض بمقدار العدد . فتوصل هانس بهذه الطريقة الى معرفة الاعداد البسيطة وقرنتها بما كتبت امامه على لوح اسود . ثم تعلم جمعها وطرحها فاجاب على بعض المسائل الحسابية وحيراً تعلم القراءة والتمييز بين الاصوات الموسيقية وسواها وغير ذلك . فاشتهر امر الفرس وصاحبه وتحدثت بهما صحف برلين وكثرت المشاحنات بهذا الشأن

واخيراً تشكلت لجنة علمية مؤلفة من اساتذة المدنيين ورئيس حديقة حيوانات برلين وبعض الاطباء البيطرية . فقررت بعد البحث ان لا غش في الحوادث المروية من جهة صاحب الفرس لان الفرس كان يأتي الاعمال عينها في حضوره وفي غيابه — على ان الناس لم يقفوا عند هذه النتيجة فتألفت لجنة ثانية من العلماء كان قرارها كما يأتي : « ان هانس يجيب [illegible] يعرفون الجواب بحركات وجوههم [illegible] امتنعوا عن ابداء اشارة [illegible] هانس يعطي الجواب [illegible] الى مشاكل يصعب حلها [illegible] لكنه اضعف ثقة الجمهور [illegible] على صاحبه حتى طلب بعضهم محاكمته فكان ذلك من [illegible] . توفي الرجل حزيناً سنة ١٩٠٩

فورث [illegible] اسمه كارل كرال كان يعتقد صدق الرجل الموفق وصحة [illegible] طريقته في تعليم الخيل . واقتنى فرسين سمى احدهما ظريفاً والآخر محموداً . ثم اقتنى فرساً انكليزياً صغيراً من نوع البوني . واشترى اخيراً [illegible] سماهما [illegible] . وقد نشر نتيجة [illegible] في كتاب كان له [illegible] بين الناس واليك شيء منه :

[illegible] في التعليم ثلاث سنوات كل يوم ساعة ونصف الى ساعتين . فتعلم الفرس محمود في ثلاثة ايام ان يعد من واحد الى ثلاثة . ثم تعلم عدة قصيرة العشرات فكان يعدها برجله اليسرى ويعد الآحاد باليمنى وعلامة الصفر حركة خفيفة برأسه . وفي اليوم الثالث عشر ابتدأ محمود يجمع ويطرح اعداد العشرة الاولى . وفي اليوم السادس عشر تعلم الضرب والقسمة وفي التاسع عشر تعلم حساب الكسور وفي الشهر الثاني

تعلم معنى الاسئلة التي تلقى عليه بالافرنسية فضلاً عن الالمانية . وفي الشهر السابع تعلم كيف يستخرج الجذور المربعة والمكعبة

وفي السنة الثانية تعلم القراءة باستعمال الاعداد بدل الحروف فيعبر عن كل حرف من حروف الهجاء بعدد معين . في الشهر الخامس تعلم تهجئة الكلمات ذات الخمسة الاحرف حالما تلفظ . ثم توصل اخيراً الى محادثة صاحبه فكان يجيب نعم أو لا وقليلاً او كثيراً ونحو ذلك . فاذا سئل ما اسمك اجاب « محمود » او سئل لماذا طريف لايشتغل ؟ اجاب « لانه كسلان » او « ما هو مربع ٥ » عدَّ ٢٥ وهلم جرًّا

الفرس محمود يحسب بضرب حافره على الخشب

هذه هي الحوادث التي ذكرها كارل كرال في كتابه فانتشرت على أثر نشر ذلك الكتاب مشاحنات طويلة . فتناول الموضوع كبار العلماء وهم على الاجمال فريقان فريق يهزأ بتلك التجارب وينسبها الى الخداع وفريق يسلم بصحتها ويستدل منها ان للحيوان عقلاً من نوع عقل الانسان . وفي مقدمة هؤلاء الاستاذ ارنست هيكل زعيم الموحدين (أي توحيد المادة والقوة) وهم فريق من الماديين

فلا عرو اذا وقف المطالع امام هذا التناقض حائراً لا يدري أي القولين يصدق يجوز التمسك بالشك والتوقف عن ابداء رأي قطعي في مسألة كهذه كما يجوز التسليم بصحة المزاعم المتقدمة بعد ان شهد بصحتها نفر من كبار العلماء المعروفين بعد ما بينهم وقد اقتنعوا بصحتها — واذا بحثنا في شخصية صاحب الافراس وجدناه من كبار التجار لايرجو من وراء تجاربه ربحاً مادياً بل هي تضيع وقته وتعطل اعماله. ولا يعقل ان يخاطر باسمه وقد نعلم من سلفه المتوفى كيف ينتقم الراي العام من الذين يخدعونه

اما الحجة الثانية التي قالت ان حركات الحضور ترشد الفرس الى الجواب فلا قيمة لقولها بعد ان احترس المختبرون والفرس داخل غرفة لا يرى احداً والمتفرجون يلاحظونه من الخارج . وقد تألفت جمعية خاصة للبحث في هذه الظواهر الغامضة . وهي تذكرنا بقول شكسبير على لسان هملت : « ان الارض والسماء تحويان من الاسرار اكثر مما يظن الفلاسفة والعلماء » (ا . ز .)

جورج الاول

ملك اليونان

ولد سنة ١٨٤٥ وتولى سنة ١٨٦٣ وتوفي سنة ١٩١٣

هو ثاني ملوك اليونان بعد استقلالها في القرن الماضي جاءت الانباء التلغرافية بمقتله في اواسط مارس الماضي بيد شخص موسوس من رعاياه . ونريد ان نأتي على ترجمة حاله وكيف صار ملكاً عليها وهو ليس يونانياً

كان اليونان في عصرهم الذهبي قبل الميلاد المسيحي بضعة قرون اساتذة الامم في العلم والفلسفة والصناعة ثم دخلوا في حوزة الروم وغيرهم وتقلبت عليهم احوال شتى حتى دخلوا في سيادة العثمانيين باوائل القرن السادس عشر . وما زالوا خاضعين مرغمين الى اوائل القرن التاسع عشر فهبوا للاستقلال وحاربوا في سبيله سبع سنوات اعانتهم في اثنائها بعض دول اوربا فتم لهم الغرض سنة ١٨٢٨ واعلنوا استقلالهم واعترفت به الدول . وجعلوا حكومتهم جمهورية كما كانت في اثينا مدينتهم القديمة ورأسوا عليهم كابودستريوس لكنهم ما لبثوا ان قتلوه وهم في ابان عزهم كما قتلوا ملك الامس . فلم تر الدول بداً من التوسط في شؤونهم فعقد مؤتمر في لندن من فرنسا وانكلترا وروسيا اعترفن فيه بمملكة اليونان تحت حمايتهن وقررن سنة ١٨٣٠ اعطاءها قرضاً قيمته ٦٠٠٠٠٠٠ جنيه يعطى لهم لتدبير شؤونهم . واخذت تلك الدول تبحث عن ملك يتولى امورهم من غير اليونان

فاختارت اولاً البرنس ليوبولد ساكس كوبورج وغوطا فاعتذر عن تولي هذا المنصب . وعُرض عليها دوق ساكس كوبورج وغوطا فلم توافق انكلترا عليه . واخيراً وقع

اختيار الدول على البرنس فريدريك لويس بن صاحب بفاريا وهو في السابعة عشرة من عمره . فقبل العرش وسمي أوتو الاول حكم ٢٩ سنة (من سنة ١٨٣٣ — ١٨٦٢) وكان في اول امره قاصراً فتولى الوصاية عليه رجل الماني ساق اليونان بعصا من حديد فلما بلغ أوتو رشده سنة ١٨٣٥ وجد أمة اليونان في اشد حالات النقمة تكاد تثور عليه وتخلعه . فعزل الوصي واخذ في اصلاح ذات البين بينه وبين رعاياه فجعل اللغة اليونانية لغة الحكومة الرسمية . وتزوج بالبرنسس اماليا بنت غراندوق أولدنبرج فملك خاطر الشعب . لكنه لم يجمع على حبه وانتهى الامر بخلعه سنة ١٨٦٢ بقرار من مجلس النواب . فاختارت الدول الثلاث المتقدم ذكرها خلفاً له فتى الامس البرنس

جورج الاول ملك اليونان السابق

وليم ثاني ابناء كريستيان التاسع ملك الدنيمارك السابق فولوه في ٣٠ مارس سنة ١٨٦٣ وهو في الثامنة عشرة من عمره على ان يكون ابوه وصياً عليه حتى يبلغ رشده . فلم يمض بضعة اشهر حتى بلغ الرشد الرسمي . لان مجلس الامة اليوناني قرر في تلك السنة ان يعد الملك رشيداً اذا اتم ثماني عشرة سنة فسمي جورجيوس الاول . وتزوج أولغا بنت الغراندوق قسطنطين أخي الامبراطور اسكندر الثاني قيصر روسيا . وكان الملك جورج هذا من اقرب الملوك رحماً لاعظم ملوك الارض . فهو خال جورج الخامس ملك الانكليز وخال نقولا الثاني قيصر روسيا

حكم جورج الاول مملكة اليونان خمسين سنة تمت في ٣٠ مارس الماضي . وكان عازماً على التنازل عن الملك لابنه وولي عهده قسطنطين لكن بعض الموتورين قتله وهو في سلانيك والامة اليونانية في حربها مع الدولة العثمانية ولا تزال في ابان سكرة الظفر على انه قضى تلك المدة وهو يحذر ان يصيبه ما اصاب سلفه أوتو. ولذلك ابتنى له قصراً في كوبنهاغن وبذل الاموال في تثبيت مركزه . واعانته انكلترا على ذلك بتقريبه من قلوب رعيته اذ زودته عند توليه ذلك المنصب بضم الجزائر الايونية الى مملكته وهي واقعة في غربها . وكان اليونان شديدي الرغبة في الحصول عليها فرضوا عنه . ومن شروط حكومة اليونان ان يكون ملكهم ارثوذكسي المذهب فاستثنوا هذا الملك من هذا الشرط فبقي على مذهبه اللوثيري الى آخر حياته . وراتبه السنوي ٥٢٠٠٠ جنيه تدفع منها انكلترا وفرنسا وروسيا اربعة آلاف جنيه كل دولة

ولما ظهرت القلاقل في جزيرة البلقان سنة ١٨٧٦ عاد مركز الملك جورج الى القلق . وهمت اليونان ان تحارب الدولة العثمانية سنة ١٨٨٦ فحالت انكلترا بينها وبين ذلك . وتوالت المتاعب [illegible] عدة سنين بسبب كريد واشتدت الحرب بين اليونان والعثمانيين سنة ١٨٩٧ [illegible] قسطنطين [illegible] اليونان بنفسه . لكن تلك الحملة عادت عليهم [illegible] الى القبول باستقلال كريد استقلالاً اداريا [illegible] في معاهدة [illegible] في نوفمبر سنة ١٨٩٧

فاستاء بعض اليونان من ذلك الفشل فنقموا على الملك وتعمدوا قتله في فبراير سنة ١٨٩٨ وهو في مركبته ومعه ابنته مارية بضواحي اثينا . تصدى لهما اثنان من وراء [illegible] اطلقا عليهما عدة طلقات نارية لم يصبهما منها شيء . وقبض على الجانيين واحدهما كردينس فوصوي [illegible] . اما اليونان على الاجمال فكانوا يتوددون الى الملك جورج ويظهرون ميلهم اليه لانه كان سهل الخلق كابيه كريستيان التاسع . يمشي في الاسواق بلا حرس ويخاطب رعيته كانهم اولاده وله في هذا السبيل نوادر يتناقلونها عنه تدل على ظرف واخلاق راقية . من ذلك انه خرج ذات ليلة من سنة ١٨٨٢ متنكراً في بعض الضواحي فانكره احد الحراس وصاح فيه يستفهمه من هو فلم يجب فطلق عليه بندقيته فاصابت اعلى كتفه ولم تضره . وفي اليوم التالي بعث الملك في استقدام ذلك الحرسي الى القصر واطرى سهره على واجباته وعلق له وسام المخلص على صدره بيده

وكان شعاره « ان قوتي محبة شعبي » وصرح منذ تولى العرش انه سيجعل

مملكة اليونان قدوة للممالك الاوربية الشرقية وبذل جهده في هذه السبيل وكان ذلك شاقاً عليه فلم يستطع ان يخدم امته خدمة تستحق الذكر الا في الحرب الاخيرة بعد دخول اليونان في التحالف البلقاني . ففتحوا يانيا وسلانيك ودارت مخابرات الصلح والملك جورج في سلانيك لبعض الشؤون فقتل كما تقدم . فبايع اليونان بعده لابنه الاكبر ولي العهد قسطنطين

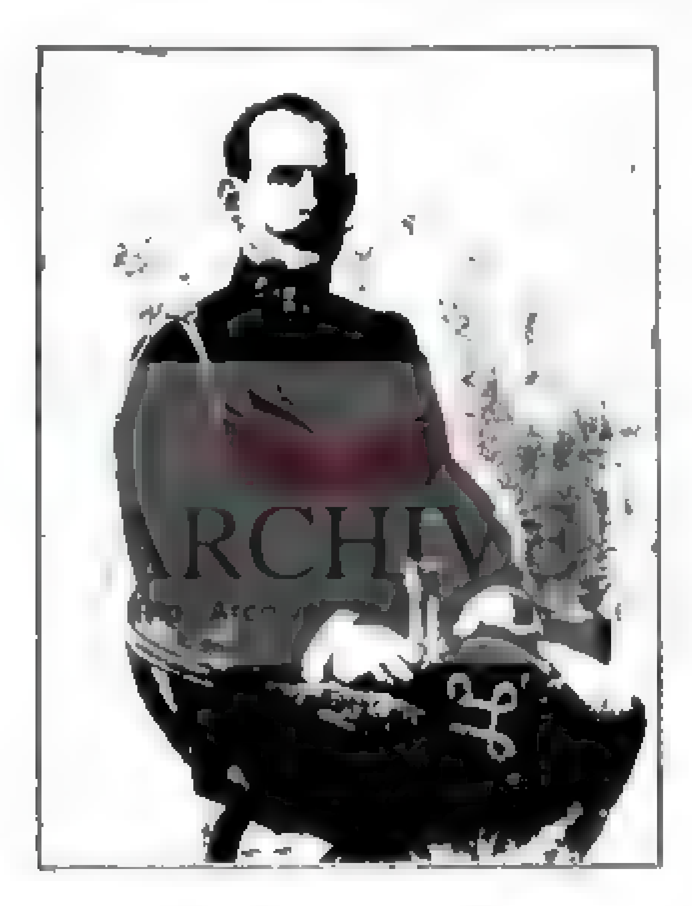

قسطنطين ملك اليونان الحالي

هو اكبر ابناء جورج الاول وكان يلقب في اثناء ولاية العهد بدوق سبارطة ولد سنة ١٨٦٨ وتزوج سنة ١٨٨٩ البرنسس صوفيا اخت وليم الثاني امبراطور المانيا فولدت له خمسة اولاد (١) البرنس جورج ولد سنة ١٨٩٠ (٢) البرنس الكسندر ولد سنة ١٨٩٣ (٣) البرنسس ايلين ولدت سنة ١٨٩٦ (٤) البرنس بولس ولد سنة ١٩٠١ (٥) البرنسس ايرين ولدت سنة ١٩٠٤ وللملك قسطنطين الحالي خمسة اخوة (١) البرنس جورج ولد سنة ١٨٦٩ (٢) البرنس نقولا ولد سنة ١٨٧٢ (٣) البرنسس ماريا ولدت سنة ١٨٧٦ (٤) البرنس اندريو ولد سنة ١٨٨٢ (٥) البرنس خريستوفور ولد سنة ١٨٨٨

الخديويت . مرَّ الموكب في الشارع الخديوي فشارع عباس فميدان باب الحديد فشارع نوبار فشارع كامل الى سراي عابدين . وكانت ساحة عابدين مزدانة بالانوار الكهربائية بأشكال جميلة والشوارع والساحات غاصة بالناس على طول الطريق يعدون بمئات الالوف . فضلا عن الاسطحة والشرفات والقهوات وغيرها. لان أعيان البلاد تقاطروا الى القاهرة من سائر انحاء القطر المصري لمشاركة سمو المليك بافراحه . وكان الاحتفال ملءه الهيبة من الجلال والوقار . فندعو للعروسين بالرفاء والبنين ولا زالت ايام الامير مقرونة بالسعد والتوفيق

مطبوعات جديدة

﴿ التجاريب ﴾ مجموع مقالات اجتماعية لولي الدين بك يكن الكاتب الاجتماعي الانتقادي الشهير كتبها في اوقات مختلفة حسب مقتضيات سياسية فجاءت حاوية كثيراً من الانتقادات الاجتماعية والملاحظات السياسية والمواعظ الادبية على اسلوب عصري راقٍ يؤثر في النفس ويستهوي الطبع ويستولي على الفكر . وفي شهرة صديقنا ولي الدين بك في عالم الادب ما يغني عن التقريظ . وقد تولى طبع هذه المقالات فؤاد افندي مغبغب . وهي تطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة خمسة غروش والبريد غرش

﴿ الدر منظوم ... للعموم ﴾ هو ديوان من الشعر العامي اللبناني نظم منصور افندي ضاهر النقل يتضمن ضروباً من الشعر العامي نظمها في سوريا واميركا وغيرهما يتخللها مناظرات جرت له مع بعض اصحاب هذه الصناعة فضلاً عن الالغاز والمراسلات والتشبيب والعتاب . وفيه اساليب من الشعر العامي لم نرها في ما نشر سواه . وقد صدر الجزء الاول من هذا الديوان في نحو ٣٥٠ صفحة هي نموذج حسن عن شعر عامة اللبنانيين وعاداتهم وآدابهم طبع في بيروت

﴿ La Doctrine Musulmane de l'Abus des Droits ﴾ هو كتاب قضائي حقوقي الفه بالفرنساوية الدكتور محمود افندي فتحي المحامي في بني سويف وهو الحلقة الاولى من سلسلة كتب قضائية يصدرها ادوار لامبير الاستاذ في جامعة ليون وناظر مدرسة الحقوق الخديوية سابقاً اسمها Travaux du Seminaire Oriental d'Etudes Juridiques et Sociales وفي صدر هذه الحلقة مقدمة بقلم الاستاذ لامبير المشار اليه. وهي تطلب من مكتبة جتنر في باريس وهذا عنوانها Paul Geutner
13 Rue de Iacob, Paris

﴿ تاريخ الصحافة العربية ﴾ الصحافة العربية من ثمار هذه المدنية في القرن الماضي وقد مرّ عليها في اثناء نشوئها احوال شتى وانتشرت في اقطار العالم العربي وغير العربي وتشعبت وتوسعت وصدرت مئات من الجرائد والمجلات لم يبق منها الا معشارها وقد نشرنا خلاصة تاريخ الصحافة العربية في اول عدد صدر من الهلال منذ ٢١ سنة عن ماجاء فيه من ذكر الصحافة وتدرجها في اثناء هذه المدة . ولم يتصدّ لتدوين تاريخها في كتاب على حدة قبل الفيكونت فيليب دي طرازي صاحب الكتاب الذي نحن في صدده . وهو يشتمل على تاريخ كل جريدة او مجلة عربية ظهرت في العالم شرقاً وغرباً مع رسوم اصحابها ومحرريها وتراجم مشاهيرهم . فهو كتاب فريد في بابه تأليفه شاق لا يستطيعه الا ذوو الهمم العالية نظراً لتشتت مواده وصعوبة الوصول اليها . صدر الجزء الاول منه في ١٦٠ صفحة مزينة بالرسوم وهو يطلب من حضرة المؤلف في بيروت

﴿ النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ﴾ كتاب تاريخي اجتماعي ديني للاب لويس شيخو اليسوعي وهو من اوعر المواضيع واهمها صدر القسم الاول منه ويشتمل على تاريخ النصرانية وآدابها في عهد الجاهلية وفيه ابحاث جديدة عوّل فيها المؤلف على عشرات من كتب التاريخ والادب والدين في العربية وغيرها فهو نتيجة عمل شاق مثل اكثر مؤلفات زميلنا الاب شيخو

﴿ ميمر ابي قرة ﴾ هو مقالة لتاودورس ابي قرة اسقف حران في اواخر القرن الثامن واوائل التاسع للميلاد في وجود الخالق والدين القويم . نشره الاب شيخو المشار اليه

﴿ مناهج الادب ﴾ هو كتاب مدرسي اخلاقي اجتماعي اقتصادي لامين واصف بك مدير الخيرة وضعه على نسق يسهل على تلامذة المدارس تناوله . فجعله في شكل السؤال والجواب او المباحثة بين الاستاذ والتلميذ ليسهل رسوخه في الذهن . وقد اصدره في اربعة اجزاء كل جزئين في كتاب . فاختص الاول والثاني في الاخلاق والاجتماع . والثالث والرابع في النظام الاداري والاقتصادي والسياسي . وقد قررت نظارة المعارف تعليم هذا الكتاب في المدارس الابتدائية والثانوية وفيه فوائد هامة اذا تفهمها التلاميذ خرجوا للعالم وهم على بينة من اكثر الاصول اللازمة في مطالعة ما يطلبونه من المواضيع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتاريخية وغيرها . ويجدر بسائر المدارس ان تقتدي بنظارة المعارف في تعليمه . وهو يطلب من مكتبة الهلال

وثمن كل جزئين ٦ غروش والبريد غرش

﴿ التربية والتعليم ﴾ كتاب اجتماعي تهذيبي لمحمد افندي امين . نشرت فصوله تباعاً في « الجريدة » ثم جمعت في هذا الكتاب . في صدره مقدمة بقلم الاستاذ احمد بك لطفي السيد مدير الجريدة . والكتاب بحث في العلة الاجتماعية التي نشكو منها مع وصف الدواء . وقسمه الى ادوار في البيت فالمدرسة فالمجتمع من حيث التربية الجسمية والعقلية والاخلاقية . ويطلب من حضرته وثمن النسخة خمسة غروش والبريد غرش

﴿ البؤساء ﴾ رواية فيكتور هوغو « الميزرابل » وهي في اصلها الفرنساوي تدخل في ثمانية اجزاء فلخصها نقولا افندي رزق الله منشيء مجلة الروايات الجديدة في مئة صفحة تسهل على المطالع فهم تلك القصة وما اراده المؤلف من العبرة فيها . وتطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ٤ غروش والبريد نصف غرش

﴿ مركز المرأة في الاسلام ﴾ هو من اهم الكتب الاجتماعية تأليف السيد الامير علي الهندي عربه علي افندي فهمي محمد . وعني السيد حسن افندي زخورا بطبعه ونشره وذيل هذه الطبعة بفصول في المرأة الاقتصادية . وهو يطلب من حضرة الناشر بمطبعته في مصر ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة ٥ غروش والبريد غرش

﴿ ارجح [illegible] في تاريخ دير [illegible] ﴾ هو كتاب يشتمل على تاريخ دير صيدنايا في الشام وترجمة بانيه وسائر ما يتعلق به تأليف ميخائيل افندي زربطاني نزيل مونتريل كندا

﴿ الفاروق ﴾ جريدة اسلامية علمية اجتماعية ادبية تصدر في جزائر الغرب مرة في الاسبوع لصاحبها « ابي حفص » ومدير تحريرها عمر افندي بن قدور الجزائري بدل اشتراكها ثمانية فرنكات

﴿ مدرسة التهذيب ﴾ مجلة مدرسية تهذيبية تصدر بالشويفات بلبنان مرة في الشهر لمنشئها القس اسطفانوس سعد ومحررها صبيح ت . وزريان بدل اشتراكها اربعة فرنكات

﴿ لسان العرب ﴾ هو مجلة تاريخية اجتماعية علمية ادبية مزينة بالرسوم تصدر في الاستانة مرة في الشهر لمنشئها احمد افندي عزت الاعظمي بدل اشتراكها مجيديان

﴿ الادلة الاسلامية على تحرك الكرة الارضية ﴾ هي رسالة في هذا الموضوع للشيخ احمد موسى الزرقاوي الفلكي مدرس علم الفلك بالازهر بمصر وبالجامع الاحمدي في طنطا وتطلب من مكتبة الهلال وثمنها غرشان

الهلال

الجزء الثامن من السنة الحادية والعشرين

اول مايو (ايار) سنة ١٩١٣ و ٢٤ جمادى الاولى سنة ١٣٣١

آجال الدول

واعمارها قديماً وحديثاً

عمر الدول والامم

الدولة في الاصطلاح [illegible] حكومة والامة الجيل من الناس او القوم لهم جامعة تجمعهم وتربطها الرعية . ويشترطون في الدولة التحضر والاستقرار في مكان معين . فيخرج بهذا التعريف الامارات البدوية او ما هو في معناها

فالمملكة مؤلفة من الدولة والامة وكلاهما من الاحياء او توابع الاحياء تخضعان لناموس التحول او النشوء . وتنطبق عليهما سنن الاحياء من حيث التولد والنمو والتفرع والشيخوخة والموت . ولكل دولة اجل ولكل امة اجل تمر فيه باطوار تنتقل فيها تنقل الافراد في اطوار الحياة من الولادة الى الموت . ويمكن المقابلة بين حياة الفرد وحياة الامة او الدولة في كل طور مقابلة اجمالية . ويكاد يكون لكل منها قواعد عامة في ذلك الانتقال تشترك فيه الدول والامم في كل عصر . فكما يقال عن الفرد انه بلغ طور الشباب او الكهولة او الشيخوخة مثلاً يستعمل هذا التعبير للدلالة على اطوار الامة او الدولة وان كانت هذه الاطوار اقل وضوحاً في الجماعات مما في الافراد

والغرض من هذه المقالة بسط آجال الدول اي الاطوار التي تمر فيها الدولة من

النشوء الى الانقضاء وما تنقلب عليه في اثناء حياتها من الاطوار او ما ينتابها من الامراض وهل يمكن مداواتها . لكن الباحث في الدول على اختلاف الاعصر يرى فرقاً واضحاً بين الدول القديمة والدول الحديثة وقد اختلفت الاطوار فيهما اختلافاً بيناً باختلاف صفات كل منهما . وهي في هذا الاعتبار تقسم الى الدول الاستبدادية واكثرها نشأت في التمدن القديم والدول الدستورية وهي من ثمار التمدن الحديث . فيصح ان نسمي الاولى الدول القديمة والثانية الدول الحديثة فنبحث في آجال كل منهما على حدة

آجال الدول الاستبدادية

نريد بالدول الاستبدادية الحكومات المطلقة التي لا يقيد ملوكها قانون ولا تشاركهم الامة في شيء منها . ولكل من هذه الدول اطوار تمرُّ بها من النشوء فالنمو فالشباب فالكهولة فالشيخوخة فالهرم فالموت . وحباً بالاختصار نقسم تلك الاطوار الى النشوء والنمو والرجوع والضعف والهرم والموت

اولاً — طور النشوء او التكون

ذكر التاريخ عشرات [illegible] من الدول الاستبدادية ظهرت من اول عهد التاريخ الى اوائل هذه [illegible] . ولكل منها مكان ولدت فيه وزمان نشأت او تكونت فيه [illegible] تختلف في ذلك باختلاف الاحوال والاعصر والامم ونرجع في اصول نشأتها على الاجمال الى ثلاث طرق :

١ — النمو الطبيعي

نعني ان كثيراً من هذه الدول تولدت في الامة بطبيعة العمران اقتضى تكونها افتقار الامة الى وازع يقضي بين افرادها . فتولدت فيها حكومة الآباء فحكومة القبيلة فسلطة الملوك وهي الطريقة الطبيعية لنشوء الدول . ويكثر ذلك خصوصاً في الامم التي نشأت في البقاع الخصبة كوادي النيل ووادي الفرات . فيغلب على الظن ان الدول نشأت في كل منها بطبيعة الاقليم اذ تكاثروا وتعددت حاجاتهم فافتقروا الى الحكومة فتكونت عندهم قبل عهد التاريخ . ويصح ذلك خصوصاً على الدول الاولى في مصر ودول آشور وفينيقية وفارس ونحوها

على ان هذه الدول اذ يطول حكمها تخلفها دول تفتح بلادها من الخارج اما [illegible] او [illegible] . وهو طريق آخر لتكون الدول اقرب عهداً في التاريخ .

فان الدول التي ذكر التاريخ تسلطها على تلك البقاع هذا اكثرها فتحاً وبعضها لم يكن قبل ذلك الفتح دولا وانما كانت قبائل بادية تعيش على الغزو او السائمة . فلما تغلبوا على تلك الامم انشأوا فيها دولاً تولى الحكم في اعقابها كالرعاة (الهيكسوس) بمصر والحورانيين في بابل والاسرائيليين في الشام والعرب بعد الاسلام في الشرق الادنى . فان تلك الدول وامثالها نشأت بالفتح والانتقال من البداوة الى الحضارة وهو الطريق الثاني من طرق تكون الدول

٢ — نشوء الدول بالفتح

ان تكوُّن الدول بالفتح من ضروريات العمران ايضاً . والغالب فيها ان تكون في الاصل قبائل بادية تعوَّدت شظف العيش وخشونته وآنست من جيرانها المتحضرين ضعفاً اقتضته عوامل المدنية من الرخاء والترف فطمعت بهم واستولت على ما في ايديهم من اسباب النعيم — والحصول على اسباب خفض العيش او رغده مطمح انظار البشر — وقد دهى الرخاء بعض المتحضرين وقضى على روح الحمية فيهم فتفككت جامعتهم كما سنراه في مكانه . فتغلبهم على ما في ايديهم من اسباب الرخاء ويشيّئ على انقاض دولتهم دولة شابة نشيطة في مقتبل العمر . والغالب ان تقتبس من خلفائها تلك من القوانين والشرائع والعادات . نحو ما شوهد بالاقتباس منهم . كما تعلم الذين سطوا على المملكة الرومانية من الجرمان والعرب الذين سطوا عليها من الجنوب . لكن هؤلاء كانوا اقل تقليداً للرومان في احكامهم وشرائعهم لانهم قاموا للفتح باسم الدين ومعهم كتاب امروا بنشره والعمل به فجعلوه اساس شرائعهم واحكامهم . واقتصر تقليدهم في البلاد المفتوحة على نظام الحكومة وبعض الاحوال الاجتماعية

اما الجرمان فانهم لم يجيئوا بدين ولا كتاب فاضطروا بطبيعة العمران ان يقلدوا البلاد المفتوحة بكل ما كان فيها من دين واجتماع وشرائع ولم ينشئوا دولاً تستحق الذكر الا بتوالي الاجيال . اما العرب فلم يمض القرن الاول من نهوضهم حتى انشأوا دولة خفقت اعلامها على اسيا وافريقيا واوربا ونظموا الحكومة ووضعوا الشرائع والاحكام

والدول التي نشأت بالفتح كثيرة في التاريخ القديم منها في التمدن الاسلامي السلاجقة والمغول والعثمانيون . فالسلاجقة كانوا قبيلة بادية طمع اميرها بالفتح فاستنهض رجاله واكتسحوا المملكة الاسلامية . وجنكيزخان المغولي عاينها حمل برجاله فاخرب واحرق واسس دولة المغول على الهند والعراق . والعثمانيون جاء جدهم سليمان بقبيلته

فاراً من المغول الى اسيا الصغرى فاسس ابنه عثمان دولة آل عثمان . وقس على ذلك كثيراً من الدول التي نشأت بالفتح

والقيام بالفتح على هذه الصورة شروط لا غنى عنها لمؤسس الدولة اهمها جامعة تجمع رجاله حوله كعصبية النسب او جامعة الدين . فضلاً عن البسالة والقوة فانهما متوفرتان في اهل البادية من طبيعة احوالهم . فالسلاجقة استعانوا في انشاء دولتهم بالعصبية وهي اجتماع القبيلة بسبب مشترك او ما يقوم مقامه . وكذلك فعل المغول . اما العرب فانهم جمعوا السببين معاً جامعة الدين وجامعة النسب فاخضعوا معظم العالم المتمدن في الشرق باقل من عشرين سنة . وكانوا في قلة وشظف من العيش وانما غلبوا بالاتحاد المبني على الجامعة العربية والحمية الدينية . لكن الدين اكثر تأثيراً في بقاء الدولة ورسوخها وجمع الكلمة في الدفاع عنها . لان اهل الاعتقاد الواحد يعملون بقلب واحد ويد واحدة ويعتقدون رابطة دائمة بينهم في الدنيا والآخرة . واما عصبية النسب فانها تزول اسبابها في هذه الدول فقط فضلاً عما في جامعة الدين من ثبات الدولة بعد ذهاب طبيعة البداوة

اما في اول الفتح فقد لا يكون للعصبية دخل في جمعهم فتجمعهم جامعة الدين كما اصاب الافرنج في حملتهم على الشرق في حروبهم الصليبية فقد كانوا يجتمعون بالدين ويتحمسون به لكنهم كانوا فرقاً من حكومات مختلفة فكان ذلك دون اتمام عملهم

على ان العصبية والدين والبداوة لا تفيد شيئاً ان لم تكن الاسباب متوفرة في الخارج فلا يكون في البلاد المراد فتحها من يحميها او يدافع عنها كما حدث في السودان باواخر القرن الماضي فقد نهض المهدي بجامعة الدين وحماسته وخشونة البداوة وجامعة اللغة والجنس واوشك ان يفعل ما فعله العرب في صدر الاسلام لو لم يتدارك الانكليز عمله ويقفوا في طريقه

٣ — نشوء الدول بالتفرع

هو اقوى العوامل الطبيعية في تكوُّن الدول لانه مبني على سنة النشوء والارتقاء وهي تقضي بالنمو والتفرع — وبها تولدت انواع الحيوان واصناف البشر ولغاتهم وآدابهم وعاداتهم وسائر احوالهم بالانتخاب الطبيعي وبقاء الاصلح . ينمو الحي فاذا بلغ اشده تناسل او تفرع ثم استقل كل فرع منه حتى يبلغ اشده ويتفرع . وهكذا شأن الدول وهي من توابع الاحياء . فالدولة تنمو ويتسع سلطانها وتمتد سطوتها وتمرُّ بدور الشباب فالكهولة الى الهرم وهي تتفرع وتستقل فروعها شيئاً فشيئاً حتى

تصير دولاً مستقلة ثم تمشي كل منها على هذه الوتيرة

وإذا تتبعت التاريخ المعروف من أقدم أزمانه رأيت أكثر الدول التي نشأت في أثنائه إنما كان نشوءها بالتفرع . ومعنى ذلك أن الدولة الكبرى إذا أصابها الهرم واستولى الفساد على أعضائها الرئيسية في عاصمة الملك طمع الولاة والعمال في الأطراف بالاستقلال عنها فيطلبونه بالقوة أو يغتنمون الفرص للاستقلال أو يتدرجون إليه رويداً رويداً . وفي كل حال فإنهم لا يلبثون أن يستقل كل وال بإمارته وينشئ لنفسه دولة

هكذا نشأت معظم دول أوربا الحديثة وأكثرها فروع للدولة الرومانية استقلت عنها في أعصر مختلفة وبوسائل مختلفة . وهكذا أصاب الدولة العباسية لما بلغت إبان اتساعها في القرن الثاني للهجرة فحدث التفرع من أواسط ذلك القرن وتفرعت فروعها عنها الأبعد فالأبعد . فاستقل أولاً الأدارسة والأغالبة في المغرب ثم الطاهريون في فارس والطولونيون بمصر والحمدانيون في حلب . وقس على ذلك الدول الغزنوية والصفارية والبويهية وغيرها فإنها تفرعت من الدولة العباسية . واعتبر ذلك بما أصاب دولة الأمويين في الأندلس كيف تفرعت دول الطوائف . وهكذا الدولة العثمانية تفرع منها إلى الآن [illegible] وتونس والجزائر ومصر والبلقان وغيرها بطرق مختلفة على درجات متنوعة

ثانياً — طور النمو والرسوخ

قد عرفت كيف تنشأ الدولة وهو دور الولادة . ثم يأتي دور النمو الذي تستوي به الدولة ويتسع سلطانها وتترسخ أصولها . ولها شروط إذا لم يتدبرها أصحابها ويعملوا بها ذهبت أعمالهم عبثاً — هاك أهمها :

١ — الفتح والاستعمار

الفتح أظهر أسباب التوسع بالملك وأكثر الدول التي نشأت في التمدن القديم أي في الطور الاستبدادي اتسع سلطانها بالفتح وهو كالغذاء للمولود يقويه وينميه . هكذا فعل اليونان والرومان والعرب والمغول والأتراك على اختلاف دولهم من السلاجقة فالأتابكة فالعثمانيين وغيرهم وإن تفاوتوا في كيفية الفتح وأشكاله وأسبابه وإنما هو على الإجمال يعد طبيعياً لأن الدولة الحديثة كالمولود الجديد تطلب النمو وأعضاؤها سليمة نشيطة يسهل عليها الهضم والتمثيل . لأن القوم الذين يوفقون إلى إنشاء دولة يغلب أن يكونوا أشداء ولا سيما إذا كان نشوءها بالفتح وكانوا من أهل البادية وفيهم عصبية

السن . فهؤلاء اذا ذاقوا لذة النصر بالفتح ووضعوا ايديهم على ما هنالك من الغنائم والثروة وسائر اسباب الحضارة استخفوا سواهم وزادوا رغبة في الفتح . ويهون عليهم ذلك لما يقع من رهبتهم في نفوس الناس وهم لا يزالون في اول الدولة اهل عمل ونشاط على الفطرة الطبيعية التي تقضي النظر الى حقائق الامور بلا التفات الى الصوامع الفارغة التي تتولد في اواخر اطوار الدولة

على ان الفتح وحده لا يضمن بقاء الدولة بل هو سيئة قد يكون مؤذياً بالخراب ان لم تتوفر الاسباب المساعدة على استبقاء البلاد المفتوحة وترقية شؤونها . هذا تيمورلنك فتح المشرق وتغلب على بايزيد سلطان العثمانيين وارعب العالم لكن معظم فتوحه ذهبت عبثاً بعد موته . واعتبر ذلك بفتوح نادرشاه الفارسي وغيره وانما يشترط مع الفتح لتأييد الدولة شروط لا بد منها وهي :

٢ — الاستكثار من اهل العصبية في البلاد المفتوحة

كان ذلك من تعرف بعضه في تمدن الاسلام . فاذا فتح القوم بلداً جاؤوا اليه بأقوام من اهل عصبيتهم بطوناً بحورهم . كذلك كان يفعل العرب ليؤيدوا سلطانهم بطون من قبائلهم يستقدمونهم الى البلاد المفتوحة يسكنون فيها وعرسها . حتى الامراء في النواحي كان احدهم اذا احس ضعفاً في جانبه او خشي شراً من منازع له على السلطة يستقدم جماعة من قبيلته يسكنون في ضواحي بلده ويعرض لهم العطاء او يطلق لهم المرعى ليستنصرهم عند الحاجة كما فعل الوليد بن رفاعة لما تولى مصر في خلافة هشام بن عبد الملك الاموي وكان هشام يقرب قبيلة قيس (العدنانية) لانهم نصروه وايدوا خلافته ولم يكن منهم في مصر الا بعض البطون وقيس قبيلة كبيرة تحتها عدة قبائل وبطون وافخاذ . واول من سأله هشام الى نقلهم ابن الحبحاب فانه وفد عليه وسأله ان ينقل الى مصر منهم ابياتاً فاذن له في الحاق ثلاثة الاف منهم وتحويل دواوينهم الى مصر اي ان يقبضوا رواتبهم من حكومة مصر

وهكذا فعلت الدول التي انشقت عن انقاض الدولة العباسية او تفرعت منها كالاتراك والمغول والفرس والاكراد والجراكسة ونحوهم . فان كل امير او سلطان من هؤلاء كان يستقدم من اهل قبيلته او عصبيته من يأخذ بناصره عند الحاجة وكانوا يستقدمون على الخصوص اهل البداوة والشدة لانهم اقوى على الجلاد والدفاع . وربما استقدموا القبائل البدوية يصطنعونهم للاستعانة بهم وان لم تكن من عصبيتهم لانهم كانوا يرون فضل البداوة في الحرب

والاستنصار بالعصبية في تأييد الدولة من جملة القواعد التي وضعها مكيافيلي في كتابه « الامير » اشار بذلك لتأييد سلطة الفاتح خوفاً من تآمر اهل البلاد المفتوحة عليه

٣ — انتقال الملك الى من يحسن تدبيره

نعني من يخلف الامير الفاتح والدولة في اول امرها لم ترسخ قواعدها . فاذا مات الملك او الامير ولم يكن خلفه عاقلاً حازماً ذهب الفتح عبثاً . واذا وقع ذلك بعد رسوخ الدولة أضرَّ بها لكنه لا يهدمها . اما في اول الدولة فاذا خلف الفاتح ملكٌ ضعيف او لم يكن له من يخلفهُ من اهل عصبيته ذهبت دولته كما اتفق للاسكندر وقد انشأ مملكة لم يسبقه الى مثلها احد قبله . لكنه لم يكد يموت حتى تفرَّعت وصارت دولاً متفرقة

وهذا المهدي السوداني انشأ دولة توفرت في انشائها اهم الاسباب المتقدم ذكرها وفتح بلاداً وانشأ دولة ووضع شرائع وانما كان ينقصه خليفة عاقل يدبر ما خلفه له من الملك . فهو وفق في ذلك فلم تذهب دولته بعد موته . حتى ان خليفته التعايشي لو كان حكيماً عاقلاً مدبراً — لا نقول انه استطاع الوصول الى ما كان المهدي يطمع به من الملك الواسع لان احوال السياسة العامة اليوم لا تساعد على ذلك — لكنا نعتقد انه لو احسن التدبير وحفظ الاتكال على عزم دولته يكفيهم ان يساعدهم على فتح طريق التجارة وحفظ مصالحهم . واعتبر ذلك بنادر شاه الفارسي وتيمورلنك المغولي وشارلمان وغيرهم من الفاتحين العظام الذين انشأوا دولاً لم تبق اما لضعف من يخلفهم او لاسباب اخرى . وقد يكون الملك الذي تنتقل اليه الدولة ضعيفاً ولا يضرُّها ضعفه اما لقصر مدة حكمه او لقيام بعض اهل الدهاء من خاصته بالامر دونه كما اتفق ليزيد بن معاوية

٤ — المسالمة بعد الفتح

اذا تمكن الفاتحون من الاستيلاء على بلد او الحلول محل دولة فالحكمة تقضي عليهم بمسالمة المغلوبين والاحسان اليهم ليكسبوا قلوبهم لانهم لا يستغنون عنهم في تدبير شؤون ذلك البلد واستثمار ارضه وهم غرباء عنه ولاسيما اذا كانوا اهل بادية لا يعرفون سياسة الملك ولا ادارة شؤون الدولة . فاذا لم يحسنوا معاملة البقية الباقية من تلك الامة بعد الفتح عرضوا ملكهم الجديد للضياع كما فعل المغول لما اكتسحوا المملكة الاسلامية بقيادة جنكيزخان ثم تيمورلنك فانهم عمدوا الى تخريبها وقتل اهلها واحراق مبانيها فلم يستقر سلطانهم الا ريثما جاء من دعاهم الى الخروج فخرجوا

خلافاً لما فعله العرب لما فتحوا الشام والعراق ومصر وفارس في صدر الاسلام فانهم حسنوا من دخل في سلطانهم من اهل الذمة وأقروهم على ما كانوا عليه كما هو مشهور . ولعلهم اقتدوا في ذلك بسياسة التألف التي جرى عليها النبي بعد فتح مكة فانه سمي اشراف مكة الذين اسلموا بعد الفتح « المؤلفة » اشارة الى تأليف قلوبهم لتتألف بهم قلوب اقوامهم تعزيزاً للاسلام . فكان اذا غزا غزوة وفرق المغانم في اصحابه بدأ بالمؤلفة قلوبهم فاعطى ابا سفيان وغيره من اشراف مكة اكثر مما اعطى اصحابه الذين هاجروا معه ونصروه . فشق ذلك على هؤلاء فتشاكوا فيما بينهم وقالوا « كيف يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا لا تزال تقطر من دمائهم » فبلغ ذلك الى النبي فجمعهم وسألهم فاعترفوا له بما قالوا فصوب قولهم ولكنه قال لهم « اني لأعطي رجالاً حديثي عهد بالكفر أتألفهم ليحسن اسلامهم ويتبعهم غيرهم تبعاً لهم . وأما انتم فوكلتكم الى اسلامكم الثابت الذي لا يتزلزل — الا ترضون يا معشر الانصار ان يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعون انتم برسول الله الى رحالكم . . »

فلا عجب اذا اقتدى المسلمون به في مسامحة من دخل في سلطانهم من المغلوبين على امرهم . وكان لذلك تأثير حسن في نشر الاسلام وتأييده . وقد فصلنا ذلك في الجزء الاول من تاريخ التمدن الاسلامي صفحة ٤٩ — ٥٨

٥ — نشر لغة الفاتحين

من اكبر الاسباب المؤيدة للدولة في مملكتها نشر لغتها بين رعاياها . فاذا صارت لغتها لغتهم اصبحوا يعدون انفسهم من جنسها وربما ادعوا الانتساب الى آبائها . فتأمن مملكتها من القيام عليها بنعرة الجنس — هكذا عمل العرب في صدر دولتهم فجعلوا اللغة العربية لغة الحكومة الرسمية لا يقبلون التخاطب الا بها . والفضل في ذلك للدولة الاموية وهي الدولة العربية الصميمة لم يقم بعدها دولة تغار على العرب مثل غيرتها . استتب الامر للامويين في زمن عبد الملك وقد اتسعت مملكتهم واهلها من امم شتى يتكلمون اليونانية والفارسية والكردية والقبطية والسريانية والنبطية والعبرية والبربرية وغيرها . وكانت اعمال الحكومة تجري باللغات الثلاث اليونانية في الشام والفارسية في العراق والقبطية بمصر . وكأنهم نظروا الى المستقبل البعيد فخافوا ان يكون تفرق اللغات باعثاً على الانقسام لتعدد الاجناس — وهم لا يريدون ان يسود غير العرب — فامروا ان تكون اللغة العربية لغة الدواوين الرسمية لا يقبلون التخاطب بسواها

فاخذت تنتشر في الاهالي رويداً رويداً حتى اصبحت اللغة السائدة وذهبت اللغات اليونانية والقبطية والفارسية وسائر اللغات التي كانت في تلك البلاد وصار اهلها يعدون انفسهم عرباً ونسوا حسبانهم الاصلية . وبعضهم ينتحل النسب العربي في بني غسان او لخم او غيرهما تفاخراً بتلك العصبية وان لم تكن منها

وهكذا فعل الرومان بنشر لسانهم (اللاتيني) في ممالكهم الغربية في جنوبي اوربا فاصبح اهلها يفتخرون بالنسب الروماني لانهم يتكلمون اللغة اللاتينية . وقد ساعد ذلك على تأييد سلطانهم . وهكذا فعل الاسبانيون بنشر لسانهم في اميركا الجنوبية والانكليز في اميركا الشمالية . ولو فعل العثمانيون ذلك في اول دولتهم لاغناهم عن تفرق العناصر في ممالكهم وهو من اكبر اسباب ضعفهم وتضعضع احوالهم . لان اهل الشام والعراق ومصر لو أكرهوا في اول الدولة العثمانية على اتخاذ اللغة التركية لكانوا يعدون انفسهم اليوم اتراكاً — يدافعون عن العنصر التركي كما يدافع اهل سوريا ومصر عن العرب وفيهم من لا اثر للعربية في نسبه . وبعض المسلمين منهم يرجعون بانسابهم الى [illegible] او كردية او الديلمية معروفة . وبعض [illegible] او افرنج ولكنهم يتكلمون العربية فيعدون انفسهم عرباً

٦ — [illegible] الدين

قد عرفت ما لجامعة الدين من الشأن في جمع الكلمة فهي من اكبر اسباب تأييد الدولة الفاتحة ان تنشر دينها في رعاياها فتتأيد به معاقد العصبية . وجامعة الدين اقوى من جامعة اللغة في التمدن القديم . وكلما تقدم الناس في المدنية الحديثة رجحت جامعة اللغة على جامعة الدين لان اهل اللغة الواحدة يقيمون على الغالب في وطن واحد واللغة معناها ادراك « جامعة الوطن » وهي افضل الجامعات لاتحاد المصالح والمنافع . واذا اضيفت اليها جامعة الدين زادت معاقد القوم وقويت اسباب اتحادهم . فاذا كان سوادهم من مذهب صاحب الدولة ايد سلطانه . والا كان من السياسة ان ينتحل هو مذهبهم كما فعل السلاجقة لما نهضوا لفتح المملكة الاسلامية . وكما يفعل بعض ملوك اوربا اليوم مراعاة لشعائر رعاياهم

واذا بحثت تاريخ الامم القديمة في عهد الوثنية رأيت من قواعد الفتح عند اكثرهم ان يتخذ الفاتح آلهة القوم الذين دخلوا في سلطانه . فينزع اصنامهم من هياكلهم ويضع صنمه في مكانها . وهكذا فعل [illegible] الكبرى الشهيرة . فبنصرة

القسطنطينية حملة تنصروا امروا رعاياهم باعتناق النصرانية . ولما ابطأوا في تنفيذ اوامرهم حملوهم على ذلك كرهاً . فبعث ثيودوسيوس الكبير اوامره الى عماله في مصر والشام ان يكسروا التماثيل ويحولوا الهياكل الوثنية الى كنائس . ففعلوا ذلك في بعلبك ودمشق وغيرها . فحولوا اكثرها كلها معابد للنصرانية وقد تحولت بعضها بعد الفتح الاسلامي الى جوامع . اشهرها الجامع الاموي في دمشق اصله هيكل وثني حوله النصارى كنيسة باسم القديس يوحنا ثم حوله المسلمون جامعاً . وكذلك هيكل الشمس في بعلبك وغيره . غير سعي القياصرة ودولاتهم في نشر النصرانية . واعتبر ذلك الآن بسعي طوائف النصرانية في نشر مذاهبها

وهكذا فعل المسلمون وان لم يكرهوا اهل الذمة على الاسلام كما فعل قياصرة الروم لكن نشر اللغة العربية ورسوخ قدم المسلمين في السيادة بعث على تغلب الاسلام في الشرق الاسلامي . فساعد ذلك على تأييد دولة الاسلام في المملكة الاسلامية باسيا وافريقيا ولو استطاعوا [illegible] في [illegible] من [illegible] في فتوحهم في اوربا لطال مكثهم هناك اكثر من ذلك

على ان البقية [illegible] من [illegible] الاسلامية كانت سبباً لمداخلة دول اوربا الحديثة [illegible] الدولة العثمانية [illegible] المسألة الشرقية . وكان الاسبان [illegible] وحملوا [illegible] وهم بين النصرانية والخروج من مملكتهم فلم يبق فيها مسلم . وجملة القول ان تدين الامة بدين الدولة يسهل حكمها [illegible] والا فان تفرق الاديان يبقى سوساً ينخر في جسم الدولة لا تظهر اضراره الا في شيخوختها فيساعد على انقضائها

٧ - التجنيد والتحصين

ان هذا الشرط طبيعي لتأييد الدولة وحفظها وان اختلفت طرقه باختلاف العصور واحوال المدنية . اما في الدول القديمة فالتجنيد كان له شأن خاص في حالة الاستقواء بالعصبية من تجنيد قبيلة الملك او من هم من عصبيته . وهذا شرط لا بد منه في اول الدولة ريثما ترسخ قواعدها ويستتب لها الامر . ثم يصطنعون الجند من غير قبائلهم يستأجرونهم في وقت الحرب او يجندونهم ويقيمونهم في اكناف مملكتهم لحين الحاجة يتقوون بهم على من يناوئهم من اهل عصبيتهم او غيرهم ممن ينازعهم على الملك كما فعل العباسيون باصطناع الاتراك وكان ذلك من اسباب تقهقر تلك الدولة وانتقالها الى الكهولة

ثالثاً — كهولة الدولة

اذا تأيدت الدولة بالاسباب التي قدمناها كلها او بعضها ورسخت قدمها واتسع سلطانها وبلغت ابان مجدها في اواسط تاريخها كما اصبحت الدولة الرومانية في ايام اوغسطس والعباسية في ايام الرشيد والدولة العثمانية في زمن السلطان سليمان القانوني . ثم تأخذ بالتقهقر ويتطرق اليها الضعف رويداً رويداً حتى تصير الى الكهولة فالشيخوخة . وقد قسم ابن خلدون عمر الدولة الى خمسة اطوار . (١) طور الظفر بالبغية والاستيلاء على الملك وانتزاعه من الدولة السالفة (٢) استبداد صاحب الدولة الظافرة على قومه واهل عصبيته والاستئثار بالملك دونهم (٣) طور الفراغ والدعة (٤) المسالمة والاقتناع بما حصل (٥) الاسراف والتبذير وهو آخر الاطوار وينتهي بالانقراض . وهو يرى ان عمر الدولة من ظهورها الى انقراضها لا يزيد على ١٢٠ سنة . وقد علل ذلك في مقدمته تعليلاً لا بأس به . لكن درسه مبني على تدبر تاريخ الاسلام فقط وهو وجه من اوجه التاريخ لا تكون [illegible] حوادث التاريخ

واليك ما وصلنا اليه بعد التوسع في ذلك [illegible] الاسباب التي تطرق الضعف الى الدولة الاستبدادية وهي كثيرة [illegible] :

١ — البطر [illegible]

والسبب في ذلك ان [illegible] لا بد لهم من شخص يتولى قيادتهم . فاذا تمَّ لهم النجاح وتربعوا في دست الدولة توهم كل منهم انه صاحب الفضل الاعظم بذلك الفتح . وأخص بالامر الاكبر ان يتوهم ذلك في نفسه ولا سيما بعد ان تأخذه ابهة الملك ويسكره خمر الانتصار . فيقوم في اعتقاده ان ذلك الفتح انما تم بتدبيره ودهائه — وطبيعي في الانسان اذا نجح في عمل ولو كان نجاحه صدفة ان يأخذه الغرور ويتوهم نفسه افلاطون زمانه وان ما ناله من النجاح انما كان بسبب توقد ذكائه والتعقل . فكيف بالملوك وفتح الممالك . فاذا توهم الامير ذلك في نفسه شق عليه ان يسمع ما يخالفه من رجاله ولا سيما اهله الذين يجوز للواحد منهم ان يخلفه في الرئاسة . فيبدو ذلك منه وهو يحاول اخفاءه فتتداول النفرة بين القلوب سراً ولا تصير الى المكاشفة الا بعد حين او ساعة . والملك يزداد مع الزمان حذراً من اهله وتختلف طرق تصرفه معهم او معاملته اياهم باختلاف مزاجه ودرجة تعقله وسائر احواله لكنه في كل حال يخاف على منصبه منهم

٢ — الاركان الى الحضارة

ويصح هذا خصوصاً على الدولة الفاتحة التي اصلها من اهل البادية . فهذه لا تلبث ان تتحضر حتى تضعف قوتها ويلين عرقها وينقص ما كان لها من شدة البأس ويصير اهلها الى الرخاء والتمتع بالملذات . ولا يمكن تعيين الوقت اللازم لتطرق الضعف فانه يختلف باختلاف طبائع الامم والاحوال المحيطة بها . فقد يتم ذلك بقرن او بعض القرن وقد يستغرق عدة قرون . وهذا الرخاء انما يصيب الملك ووزراءه ورجال دولته لان الاموال في الحكم الاستبدادي تصير الى هؤلاء . وقد تكون الرعية في اشد الضنك الا من التف حول رجال الدولة وارتزق بالتزلف اليهم ومصانعتهم والقيام بما يحتاجون اليه من اسباب الملاذ

٣ — اصطناع الجند

والترف والرخاء يؤثران في رجال الدولة فتذهب منهم شدة البأس فيركنون الى الملاهي والملذات ويقعدون عن الحرب . وبعد ان تكون قيادة الجند في ايديهم يعهدون بها الى بعض صنائعهم . لان الملك لا [illegible] ان يعهد بها الى بعض اهله لئلا يسوقه الطمع الى الاغراء بمنافسته [illegible] عليه . فيعهد بالقيادة الى من [illegible] ولائهم وصدق طاعته من الصنائع او الجنود المأجورين [illegible] يستولون على السلطة من ذلك فلا غنى لهم عن طاعته والاخذ بناصره . وقد [illegible] من هؤلاء ان يحجروا عليهم او يقتلوهم كما كان يفعل سلاطين [illegible] من غير عصبية الملك او غير قبيلته او اهله كثيرة في التاريخ القديم ولا سيما في الاسلام . فالمعتصم خاف خروج العرب والفرس عليه كما خرجوا على اخويه الامين والمأمون فاصطنع الاتراك وبنى لهم سامراً واطلق لهم الارزاق وغمرهم بالاعطية كما هو مشهور . واقتدى به من جاء بعده من الخلفاء العباسيين ببغداد والمروانيين في الاندلس والفاطميين بمصر والعثمانيين في اسيا الصغرى . واصبح جند الخلفاء والسلاطين اكثرهم من الاتراك او الصقالبة او الشراكسة او البرابرة او الانكشارية أو غيرهم من غير العرب

فيزداد الملوك بذلك ركوناً الى الرخاء ويزدادون ضعفاً ويزداد قوادهم وصنائعهم نفوذاً في الدولة ودالةً على الملوك والسلاطين والخلفاء فيتقلدون المناصب الرفيعة . فتصير اليهم الامارة في الاطراف او الوزارة في العاصمة او قيادة الجند في الحرب . ويصير العقد والحل في ايديهم يولون الخلفاء او الملوك ويعزلونهم أو يقتلونهم او يحجرون عليهم كما فعل الجند التركي بالخلفاء العباسيين والانكشارية بالسلاطين العثمانيين وغيرهم في الدول الاخرى

٤ — الجاسوسية

والملوك يصلحون خطأهم هذا بخطأ من نوعه . فاذا خاف الملك جنده واراد التخلص من استبداد قواده اصطنع جنداً آخر من جنس آخر واتى بقواد آخرين يعهد اليهم بحمايته . ويصبح همه المحافظة على حياته ومنصبه ويستولي عليه الخوف من كل انسان فتقوم الشحناء بين فرق الجند وقد تنشب بينهم الحروب في التنازع على النفوذ . والملك يبث الجواسيس والعيون يستطلع بهم نيات رجال دولته ويغريهم بعضهم على بعض . ذلك كان شأن أكثر الدول الاستبدادية في اواخر ايامها . واحدث الامثلة على ذلك ما كان يفعله السلطان عبد الحميد في المابين وعهده لا يزال قريباً بجواسيسه ومصادمته المقربين له على على واصطناعه الاجناد من أمم لا يخاف خروجها عليه ممن لا صلة بينهم وبين رجال دولته . فاصطنع الشراكسة والالبانيين واقامهم في قصوره للمحافظة على حياته [illegible] في اطراف المملكة — فعمال هذا السلطان صورة مكبرة لحال الدولة الاستبدادية في ابان هرمها

٥ — هرم الدولة

اذا تكاثر المستخدمون بشغل المناصب [illegible] عن الدولة وفسدت امورها . ويزيدها فساداً [illegible] الى النفقات الباهظة على انفسهم في سبيل الملذات وبناء القصور واقتناء الجواري والاستكثار من اسباب الترف مما تقتضيه الحضارة والانغماس في الترف . ويزيد على ذلك كثرة المصطنعين من الاجناد ومن يحوم حول الملك من الجواسيس والمنافقين . كل هؤلاء تحتاج الى الاموال ويطلبونها باية وسيلة كانت ويكثرون الضرائب فتنتشر المظالم فيغضب الرعايا ويتقمون ويتشاءمون وربما يتهمون عن فساد الدولة ويتمنون الخلاص منها ويترقبون فرصة للخروج من سلطانها

اما الملك فلا يهمه يومئذ غير حفظ نفسه واستبقاء نفوذه فينفق الاموال في التجسس واصطناع الجند لحمايته . وقد يبلغ من الخلل في جسم الدولة ان يستقل كل امير بنفسه ويقتني الجند لحماية شخصه خوفاً من الامراء الآخرين او من الملك . وكثيراً ما تنشب الفتن بين رجال النفوذ او بينهم وبين الملك وتضطرم الحروب بين الجنود . وتتنازع الخاصة وهم طلاب المناصب في التقرب من السلطان التماساً للكسب لانحصار المال هناك . ويشتد النزاع على اسباب اخرى فتكثر الاحزاب ويصبح الامر فوضى . فيعجز

الملك عن تدبيره اذ ليس شيء من الامر في يده وانما هو الى الامراء ورؤساء الاجناد فتسوء حال الرعية لمنافسة الحكومة في استغراق اموالهم واشتغالها عن رعايتهم بالتنازع على النفوذ والاموال . وتختلف صور التنازع باختلاف ابواب النفوذ في الدولة فاذا كان النفوذ بطريق الدين كان المقدمون في الدولة من خدمته وقام الخصام بينهم — فضلا عن اختصام رجال الجند

فاذا اعتبرنا الدولة جسماً حياً كانت هذه الظواهر امراضاً في ذلك الجسم تدل اعراضها عليها . فتكون العلة في الرأس او الصدر او الاطراف . فاذا كانت في الرأس فهي في الملك من ضعف رأي او فساد خلق . واذا كانت في الصدر ففي رجال الدولة من طمع وانقسام . واذا كانت في الاطراف ففي ضعف العمال والولاة او من خفة او جوع اصيبت به المملكة . وقد تظهر الاعراض في عضو ويكون المرض في عضو آخر كما يحدث في الافراد

ومصلحة هذه الامراض [illegible] في الحكم [illegible] في الاستبدادي لان الملوك المستبدين [illegible] الفساد من ضعف اخلاقهم فان ذلك [illegible] امرها الى خراب المملكة . [illegible] فهو [illegible] الضعف . والدول الاستبدادية يتوقف [illegible] اكثر [illegible] للدول الدستورية كما سيجيء

على ان الدولة قد توفق في كهولتها او شيخوختها الى ملك عاقل يريد بها خيراً لكنه لا يستطيع ذلك لتمكن الفساد فيها وتعويل رجالها على الارتزاق من ذلك الفساد . فيموت بغيظه ويذهب سعيه كما ضعف عمر بن عبد العزيز في الدولة الاموية والمهتدي بالله في الدولة العباسية والسلطان سليم الثالث في الدولة العثمانية وغيرهم في سائر الدول الاسلامية وغيرها

خامساً — زوال الدولة

فاذا بلغت الدولة الى ما تقدم من الانشقاق بين جندها او بين رجال سياستها او غيرهم من اصحاب النفوذ وعجز الملك عن تدبيرها — وهو عاجز عن ذلك بطبيعة الحال لانه نشأ محجوراً عليه بين النساء والاطفال ولان رجال الدولة انما اختاروه لضعفه عن الوقوف في سبيل مطامعهم — فاذا بلغت الدولة الى هذا الحد فقد دنا اجلها ويكون زوالها باحدى ثلاث طرق :

١ — بالفتح

اذ يهون فتحها لاشتغال الاحزاب بالتخاصم والتخاصم عن تدبير المملكة وتدريب الجند. فيطمع الطامعون في الملك ضعفها فيحملون عليها فيجدون جندها متضعضعاً واهلها قد ملوا المظالم والضرائب يرحبون بكل فاتح على رجاء ان يكون خيراً لهم من دولتهم — ويكون ترحيبهم اسرع اذا كانوا من عنصر غير عنصر الحكومة يتكلمون لغة غير لغتها او من دين غير دينها او كانت بينهم وبين الفاتحين جامعة جنسية او دينية . وفي التاريخ امثلة كثيرة تؤيد هذه القاعدة اشهرها فتح العرب لمملكة الروم في الشام والعراق ومصر . كان العرب اهل بداوة وخشونة وعصبية وجامعة دينية والروم قد انغمسوا بالترف وتنازعوا على المناصب والاموال ورعاياهم قد ملوا حكومتهم . وفيهم اليهود على غير دينهم وقد حقدوا عليهم وبذلوا جهدهم في سبيل التخلص منهم — والنصارى تجمعهم مع الروم جامعة الدين لكنهم يجتمعون مع العرب بجامعة الجنس . لان السريان والاقباط اقرب [illegible] الى العرب منهم الى الروم فوجدوا من الاهلين من فتح لهم الصدور و[illegible] على الروم . وشبيه بذلك ما جرى في الحرب البلقانية بالامس لان العثمانيين كانوا يحاربون [illegible] في مكدونية جامعة الدين وجامعة الجنس [illegible] فتحوا لهم صدورهم وكانوا له عوناً . ووقع نحو ذلك يوم [illegible] كانت قلوبهم مع الصليبيين

على ان الانقسام وحده كاف للاشتغال عن حماية البلاد وان لم يكن بين الفاتحين واهل البلاد صلة او جامعة فيفوز الفاتحون ان توفرت لهم الاسباب . كما فعل العثمانيون بفتح القسطنطينية ودولتهم يومئذ في ابان شبابها وخشونتها . واصحاب القسطنطينية قد اختلفوا وانقسموا وتنازعوا فيما بينهم في الدين والسياسة فلم ينفعهم الثبات في الدفاع

٢ — بالالتجاء الى الفاتحين

وكثيراً ما يستعجل اصحاب الدولة الهرمة الدخول في حوزة دولة أخرى من تلقاء انفسهم . ويقع ذلك في الغالب اذا اشتد الخصام بين احزابهم وكان احدها ضعيفاً يلجأ الى دولة أخرى يدعوها لانقاذه من عدوه . ويساعدها على الفتح سراً فيطلعها على عورات الدولة واماكن الضعف فيها . والغالب ان يكون الباعث على ذلك نعرة دينية كما فعل ابن العلقمي بمساعدة هولاكو على فتح بغداد انتصاراً للشيعة على السنة . أو

يكون السبب جامعة جنسية ورابطة اللغة فقط او بالرابطتين جميعاً . وقد يكون الباعث على تلك الخيانة مجرد النزعة في الانتقام لاهانة لحقت بعض طلاب النفوذ . واذا كان الحزب الضعيف في جانب الملك حتى امتلك على دولته وسلطانه فيستنجد دولة يتقدم اليها ان تساعده على خصمه فتنجده وتطلع على اسباب ضعفه وتتخذ ذلك وسيلة للقبض على ازمة دولته . كما أصاب الفاطميين في اواخر ايامهم يوم اختلت شؤونهم بتنازع رجال الدولة فاستنجد الخليفة جاره السلطان نور الدين صاحب الشام فانجده بجيش اخمد ثورة الثائرين . لكنه اخرج المملكة من أيدي الفاطميين وتولاها صلاح الدين تحت رعاية الخلافة العباسية . أي انه نقلها من الشيعة الى السنة

٣ — بالتفرع

وقد يكون ذهاب الدولة بالتفرع كما تقدم فتستقل الولايات في الاطراف عملاً بسنة الارتقاء . هكذا انقسمت الدولة العباسية والدولة الرومانية الغربية وغيرهما لعجزها عن الاحتفاظ بذلك الملك الواسع . كأن سلطة حكومة العاصمة قلبه فمن شأنها تنفذ الدم الى الاطراف بسهولة . فاذا ضعفت بضعف عجزت عن ايصال الغذاء فتأخذ الاطراف بالانفصال الأبعد فالأبعد . كما تبرد الاطراف في الجسم المائت قبل الاحشاء وآخر عضو يموت القلب . وقد كانت العاصمة آخر ما ينفصل من اعضاء المملكة لانها كرسي الملك وفيها ثروته واهله . فيبذل جهده في الدفاع عنها . وقد تستقل اطراف المملكة او تدخل في حوزة دولة أخرى وتبقى العاصمة وضواحيها حية زمناً طويلاً كما أصاب بغداد في عهد العباسيين والقسطنطينية في زمن الروم

وقد يبدأ الموت بالرأس بصدمة قوية فتتفكك الاعضاء وتستقل كما حدث في الاندلس اذ ذهبت خلافة قرطبة فاستقل الولاة بما كان في ايديهم وعرفوا بملوك الطوائف . ولكن الغالب ان يبدأ الانحلال بانفصال الاطراف اما بالاستقلال من نفسها او بدخولها في سلطة دول اخرى

هكذا تنقضي الدول الاستبدادية وتختلف اعمارها باختلاف قوتها وضعفها واحوال اخرى . واطولها عمراً ما كانت لها صبغة دينية من خلافة او بطريركية او بابوية لان الناس لا يحكمون بقتل الدين

وسنتكلم عن آجال الدول الدستورية في فرصة أخرى

فرنسا وانكلترا وسويسرا

عمرانها ونظام حكومتها وحضارتها ومناخها

وسائر احوالها الاقتصادية والاجتماعية

من رحلة لصاحب الهلال هذا العام　　　(تابع ما قبله)

ثانياً — انكلترا

٦ — آثارها

لانكلترا آثار معنوية في نفوس العقلاء مرجعها الى الاعجاب باخلاقهم وتربيتهم ونظام عائلتهم — حتى اعداؤهم فهم يعترفون لهم بسمو الاخلاق وثباتها ويحرضون اقوامهم على تحديها

اما الآثار البنائية فانها كثيرة في انكلترا ولا سيما في لندن . وقد ذكرنا شيئاً منها في كلامنا عن هذه المدينة وعددنا ما فيها من الابنية والشوارع وغيرها . ولا يستطيع المار في شوارعها وساحاتها غير الاعجاب بما يراه منصوباً هناك من التماثيل الفخيمة لمشاهير الرجال فان الانكليز كثيرو الاحترام لاسلافهم ينصبون لهم التماثيل كما يقيمونها للقديسين . وكما يعجب الفرنساويون ببونابرت وينصبون تماثيله في شوارعهم وحدائقهم وساحاتهم وقصورهم فالانكليز يعملون نحو ذلك بتماثيل ولنتن ونلسن ونحوهما . وناهيك بالقصور الكبرى والمعابد الفخيمة فانها كثيرة في لندن فنكتفي بالاشارة الى اشهرها مما وفقنا لزيارته في هذه الرحلة فنقول :

١ — كنيسة القديس بولس

انها قائمة في منتصف المدينة وهي أفخم ابنيتها وأعلاها ومن اقدمها عهداً . لم يتفق المؤرخون على اصل بنائها ولكنهم متفقون على انه كان في مكانها معبد من زمن الرومانيين ثم خرب واقاموا مكانه كنيسة سنة ٦١٠م احترقت سنة ٩٦١ فاعيد بناؤها

وتوالى عليها الخراب والترميم مراراً حتى جددت كلها في اواخر القرن السابع عشر على يد مهندس شهير اسمه خريستوفور رن ابتدأوا ببنائها سنة ١٦٧٥ وتمت سنة ١٧١٠ وانفق في سبيل ذلك ٨٥٠٠٠٠ جنيه احدث من الاهلين بضريبة وضعتها الحكومة على الفحم الوارد الى لندن . وكان رن هذا يستولي في أثناء هذه المدة على راتب سنوي مقداره ٢٠٠ جنيه في السنة

كنيسة القديس بولس من الظاهر عند مدخلها الاكبر

بنيت هذه الكنيسة على مثال كنيسة القديس بطرس في رومية لكنها اصغر منها . ومع ذلك فهي اكبر كنائس العالم بعد كنائس رومية وميلان واشبيلية وفلورنسا . شكلها كالصليب الروماني طولها ٥٠٠ قدم وعرضها ١١٨ قدماً وعلو قبتها ٣٦٤ قدماً . قطر قبتها مئة قدم وقدمان . وقطر قبة كنيسة القديس بطرس في رومية ١٣٩ قدماً . ويزيد اهميتها في نظر الزائرين ما على جدرانها من النقوش والصور وما اقاموه في جوانبها من تماثيل عظماء الانكليز واكثرهم من كبار القواد . فهي بهذا الاعتبار معرض عظمة انكلترا وانما يفوقها بذلك دير وستمنستر الآتي ذكره

مدخلها الاكبر من جهة الغرب . وهي قائمة في الداخل على ركائز ضخمة مربعة الجوانب تشبه ركائز جامع السلطان احمد في الآستانة وتشبهها ايضاً بالشرفة المستديرة المحيطة باعلى تلك الركائز . يتوهم الداخل لاول وهلة انها كنيسة كاثوليكية لكثرة ما يراه فيها من الصور لكنه لا يلبث ان يرى معظم تلك الصور تمثل مشاهير الرجال . لا يستطيع الداخل اليها الا التهيب مما يشاهده من فخامة البناء وسعة المكان وما نصب في جوانبه من التماثيل الرخامية والبرونزية . فيحسب نفسه في ساحة الحرب او في ساحة الديوانة وقد احضر نخبة الرجال ليؤدوا حساباً عما فعلوه او ليتفاخروا في من كان اشدهم بطشاً واكثرهم فضلاً في تعزيز العلم البريطاني . في الجناح الايسر من صحن الكنيسة تماثيل حديثة يعرفهم قراء الهلال وكان لهم دخل في شؤون مصر والسودان مثال الجنرال ستيوارت قائد الفرقة التي تعجلت الذهاب الى الخرطوم لانقاذ غوردون سنة ١٨٨٤ كما في حاشيتها فصيب قائدها ستيوارت برصاصة في بطنه في معركة انتشبت بينها [illegible] فتوفي [illegible] ونحن نراه ولا ننسى تلك الساعة الرهيبة [illegible] في [illegible] سماوات الخضر [illegible] الجنرال غوردون وقد قتل في الخرطوم قبل وصول [illegible] صاحب معركة وترلو وتماثيل الجنرال [illegible] نابيه قائد الاسطول الانكليزي في البلطيك سنة ١٨٥٤ [illegible] وارباب الاقلام ومنهم رينولدس المصور و[illegible] وهلاند المؤرخان

وقس على ذلك التماثيل العديدة في الجناح الايمن والمواقف الاخرى يعرف القراء من اصحابها الاميرال نلسن الذي اغرق الاسطول الفرنساوي في ابي قير سنة ١٧٩٨ واشهر مواقع وقعت فيها شأن الانكليز في كوبنهاغن وترافلغار وغيرهما . وقد نقشت اسماء تلك المواقع على قاعدة تمثاله . وقد خسر ذراعه اليمنى في واقعة قادس فمثلوه في التمثال متشحاً برداء يغطي تلك الذراع . ومنهم الجنرال ابركرومبي الذي قتل في ابي قير سنة ١٨٠١ والجنرال مور الذي قتل في كرونا باسبانيا . والاميرال هو الذي انقذ جبل طارق سنة ١٧٨٢ وفي بعض الجهات تذكار للمقتولين في حرب القرم وحوله الاعلام التي كانت لهم هناك

ومن المشاهد الهامة في هذه الكنيسة قبتها لما تشرف عليه من الابنية العديدة فقد صعدنا الى قمتها بنحو ستمائة وعشرين درجة فاشرفنا على لندن كلها كما اشرفنا على باريس من قمة برج ايفل . اما القبة فلها شأن خاص شاهدنا منه وراء محراب

كنيسة اريني بالاستانة . نعني تفخيم الصوت فان حول قاعدة هذه القبة من الداخل شرفة مستديرة قطرها نيف ومئة قدم ومحيطها نحو ٣٢٠ قدماً . يشرف سائرها على صحن الكنيسة وتسمى « قبة التهمس » دخلناها من باب في بعض جوانبها فرأينا شبحاً يهمس في الحائط بصوت يكاد لا يسمعه الواقف بجانبه . فأومأ الينا ان نذهب الى مقعد في الجانب الآخر من تلك الشرفة . فمشينا ونحن نسمع الصوت يرتفع كلما بعدنا عن ذلك الشبح . فلما وصلنا الى الطرف الآخر سمعناه كالخطيب يتلو علينا خطاباً في تاريخ هذا البناء

وتحت ارض الكنيسة سراديب مرصعة بالفسيفساء فيها تماثيل واضرحة للمشاهير ايضاً . منها ضريح [illegible] ولفه من الرخام السماقي قائم على قاعدة من الغرانيت وحوله الاعلام التي اكتسبها من اسبانيا والبورتغال وفرنسا . وبجانبه المركبة التي حملت جثته . وضريح بكتن زميله في واترلو وفي مكان آخر تحت منتصف القبة ضريح نلسن فيه تابوت مصنوع من خشب السارية الوسطى من [illegible] الفرنساوية (لوريان) التي احرقها اسطوله في [illegible] سنة ١٧٩٨ وبجانبه ضريح [illegible] كولنوود وضريحان لنبيه ونورتسك . وتماثيل جماعة من رجال الادب و[illegible] منهم السير وليم هورد رسل اعظم مكاتب حربي في القرم . واضرحة [illegible] لمشهورات في العلم وغيره

٣ — [illegible]

اشتهر هذا القصر بقاعته التي تلقى فيها الخطب العمومية . وفيها خطب روزفلت منذ بضع سنين خطابه المشهور الذي ذكر فيه مصر وسياسة انكلترا فيها . يمر الزائر من كنيسة القديس بولس الى جيلدهول بشوارع هي اكثر شوارع لندن ازدحاماً — في جهة اسمها شيبسايد يساوي متر الارض فيها نحو ٢٥٠ جنيهاً

بني هذا القصر للمرة الاولى في اوائل القرن الخامس عشر مقراً للقضاة ومجالس المدينة ثم خرب واعيد بناؤه واشتهرت فيه القاعة المذكورة وطولها ١٥٢ قدماً وعرضها ٥٠ وعلوها ٨٩ قدماً . تجتمع فيها المجالس البلدية للاحتفالات ونحوها وتلقى فيها الخطب العامة . وفيها حوكم جماعة من المجرمين المشهورين مثل ارل سري واللادي جان غراي وغيرهما . وفيها تماثيل مشاهير الانكليز ولا سيما ولنكتن ونلسن وشتام وبت ومور . وفي قاعة اخرى تماثيل أخرى في جملتها تمثالان خشبيان غريبا الشكل يعرفان بياجوج وماجوج ولم نعلم سبب هذه التسمية

وفي جيلدهول مكتبة فيها ١٤٣٠٠٠ مجلد معروضة للناس وفيها متحف [illegible]

للساعات وغيرها من المصنوعات الدقيقة . وخرائط كثيرة وقاعة صور فيها صور تاريخية منها صورة معركة جبل طارق بين الانكليز والاسبان سنة ١٧٨٢ وصور كثيرين من الملوك . وصورة يوبيل الملكة فكتوريا الماسي سنة ١٨٩٧ بالمركبة التي كان يجرها ثمانية افراس . وتحت الارض سراديب مثل سراديب كنيسة القديس بولس فيها قبور ونواويس قديمة

٣ — بنك انكلترا

نحن الآن على مقربة من بنك انكلترا الشهير فلا يسعنا ان نمرّ به سكوتاً . بني سنة ١٧٣٤ واعيد بناؤه كما هو الآن سنة ١٨٢٧ ليس في ظاهره ناقة لكنهم يصفونه من الداخل مبالغة في الاحتفاظ به . اما البنك نفسه أي العمل المالي المعروف بهذا الاسم فقد أنشئ سنة ١٦٩٧ وظل هو البنك الوحيد في لندن الى سنة ١٨٣٤ فانشئت بنوك أخرى . لكنه لا يزال اعظمها جميعاً ويمتاز عنها كلها بان الحكومة اذنت له باصدار الاوراق المالية (البنك نوت) . كان رأس ماله الاصلي ١ ٢٠٠ ٠٠٠ جنيه ثم تضاعف مراراً [illegible] وماله الآن ٢٠ ٠٠٠ ٠٠٠ جنيه ذهب مخزونة في سراديبه [illegible] و ٢٥ ٠٠٠ ٠٠٠ جنيه منه بين ايدي الناس . وهو ينوب عن الحكومة الانكليزية في ما يتعلق بالديون التي عليها وقيمتها ٦٧٢ ٠٠٠ ٠٠٠ جنيه بين قبض ودفع وترصيد

وفي البنك مطبعة تطبع اوراقه (البنك نوط) يصدر منها ٥٠ ٠٠٠ قطعة كل يوم من فئة خمسة جنيهات الى الف جنيه . ويطبع فيها ايضاً البنك نوط الهندي . وآلاتها بغاية الاتقان طريقة طبعها تستدعي الاعجاب . ومن عادات هذا البنك انه يتلف كل ما يرجع اليه من اوراقه ولا يدفع للناس الا اوراقاً جديدة خارجة من تحت يد الطابع — لكنه لا يتلف الاوراق المرتجعة حال استلامها بل يحفظها خمس سنوات في خزائن من حديد لئلا يقتضي الامر مراجعة شيء منها لشهادة قضائية او نحوها ثم تحرق . ويبلغ عدد ما يجتمع عنده منها في السنوات الخمس ٨٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ورقة وزنها ٩٠ طناً وقيمتها المالية ١ ٧٥٠ ٠٠٠ ٠٠٠ جنيه . واذا فرشت الواحدة بجانب الاخرى في خط واحد تألف منها درج طوله ١٣ ٠٠٠ ميل . وفي البنك آلة لوزن الجنيهات الذهب ووزنها تزن ٣٣ جنيهاً في الدقيقة فما كان منها ناقصاً اعطته خارجاً . وفي البنك مخزن لحفظ الجوهرات . ويحرس البنك شرذمة من الجند ليلاً ونهاراً

برج لندن

واقع على ضفة التيمس وهو من اقدم ابنية لندن واشهرها . كان معقلاً للملوك ثم جعلوه سجناً للمجرمين العظماء من الملوك او القواد او الامراء . حوله خندق عميق يحيط به ردم سنة ١٨٤٣ وجعلت الحكومة برج لندن الآن ثكنة للجند . ووسط حديقة تبقى حصناً . شكله مربع غير منتظم مساحة ارضه ١٣ فداناً عليها عدة ابنية يحيط بها سور مزدوج عليه الابراج . يقال في تاريخ بنائه انه يرجع الى وليم الظافر . اقدم قصوره الآن هو البرج الابيض بني في القرن الحادي عشر . وهو فخيم وله ذكر

رهيب في التاريخ لكثرة من سجن او قتل فيه من العظماء . اشهر ضحاياه السير توماس مور قتل سنة ١٥٣٥ وحنة بولين قتلت سنة ١٥٣٦ وتوماس كرومويل قتل سنة ١٥٤٠ ومرغريت بول سنة ١٥٤١ وكترين هوارد سنة ١٥٤٢ والاميرال سيمور سنة ١٥٤٩ واللورد سمرست سنة ١٥٥٣ والليدي جين غراي وزوجها سنة ١٥٥٤ والسر جون اليوت مات فيه سنة ١٦٣٠ وغيرهم كثيرون . وممن سجنوا ولم يقتلوا جون باليول ملك اسكتلاندا سنة ١٢٩٦ ووليم دوغلاس الاسكتلاندي سنة ١٣٥٠ وداود بروس ملك اسكتلاندا سنة ١٣٤٧ وجون ملك فرنسا اخذ اسيراً في بواتيه سنة ١٣٥٦ ودوق أورليان ولويس الثاني عشر ملك فرنسا سنة ١٤١٥ والملك هنري السادس [illegible] في البرج [illegible] مسرح الحيوانات العام وفي هذا البرج متحف [illegible] لا يوجد مثله في سواه من الاسلحة والاوسمة

والجوهرات اهمها المصوغات الملوكية سيأتي ذكرها . واول ما يستلفت نظر الشرقي عند دخوله الباب الخارجي للبرج مدفع عثماني اهداه السلطان عبد المجيد لانكلترا سنة ١٨٥١ واذا دخل البرج فاهمُّ ما يشاهده هناك المصوغات الملوكية الانكليزية . وقد ذكرنا المصوغات الملوكية الفرنساوية التي شاهدناها في متحف اللوفر لكن هذه افخم واثمن

ان هذه المصوغات والجوهرات محروسة في غرفة صغيرة في وسطها دكة مثمنة الاضلاع يكاد يقرب شكلها من الاستدارة . عليها رفوف مرتبة بعضها فوق بعض بشكل هرمي وصفوا تلك المصوغات عليها بحيث يراها المشاهدون . لكنهم احاطوا تلك الدكة والرفوف والمصوغات بسياج من شبك الحديد ولوح من الزجاج . وبين الدكة والحائط ممرٌّ يكاد لا يتسع لمرور اثنين والحرس وقوف لمراقبة المتفرجين . والمصوغات المشار اليها اكثرها تيجان مرصعة بالحجارة الكريمة بعضها قديم والبعض الآخر حديث وهي :

(١) تاج القديس ادوورد صنع لتتويج شرل الثاني . سرقه الكولونيل بلود سنة ١٦٧١ في جماعة من رفاقه بعد ان قتلوا الحارس لكنهم لم يفوزوا بغنيمتهم (٢) تاج الملك ادوورد السابع صنع في الاصل للملكة فكتوريا سنة ١٨٣٨ ثم جدد للملك ادوورد سنة ١٩٠٢ وهو من المصوغات الحديثة . مرصع بجواهر لا يقل عددها عن ٢٨١٨ ماسة و٣٠٠ لؤلؤة وجواهر أُخرى . في مقدمه ياقوتة يقال انها كانت للامير الاسود اعطاه اياها دون بادرو صاحب قسطيلية سنة ١٣٦٧ وقد وضعها هنري الخامس على خوذته في

معركة احكورت . تحتها ماسة كبيرة تعرف بالماسة الكولينية قدمتها حكومة الترانسفال الى الملك ادورد سنة ١٩٠٧ وهي تنسب الى ماسة اسمها كوليا سيأتي ذكرها . وفي مؤخر التاج حجر صفير يقال انه كان لادورد المعترف (٣) تاج ولي العهد من الذهب الخالص غير مرصع (٤) تاج زوج الملك ذهب مرصع (٥) تاج الملكة هو طوق من الذهب محشي بالماس واللؤلؤ وقد صنع كلاهما للملكة ماريا دست زوجة جيمس الثاني (٦) صولجان الملك ادوارد من الذهب الخالص طوله اربعة اقدام ونصف ووزنه ٩٠ رطلاً مصرياً . قبضته ضخمة كالتاج يقال ان فيها قطعة من ذخيرة عود الصليب (٧) الصولجان الملوكي طوله قدمان وسبعة قراريط عليه صليب مرصع بالحجارة الكريمة (٨) صولجان الحمامة او عصا المساواة على رأسها تمثال حمامة باسطة جناحيها

المهاراز والسيف والابريق

(٩) صولجان آخر فيه صليب مرصع (١٠) الصولجان العاجي للملكة ماريا دست فوقه حمامة من العقيق الابيض (١١) صولجان الملكة ماري زوجة وليم الثالث (١٢) مثال ماسة «كوه نور» الشهيرة وهي من اكبر حجارة الماس المعروفة . وزنها ١٦٢ قيراطاً والماسة الاصلية الآن في قصر وندسر وكانت قبلاً في حوزة ملك لاهور ووصلت الى ايدي الانكليز سنة ١٨٤٩ لما فتحوا البنجاب . وشاهدنا مصوغات اخرى ثمينة منها اسوار التتويج والمهماز الملوكي واريق زيت التتويج بشكل النسر والخاتم والملعقة والمملحة وسيرذلك . ويقدرون قيمة هذه المصوغات بنحو ٠٠٠ ٠٠٠ ٣ جنيه

وفي تلك الغرفة خزانة (قنينة) فيها امثلة من الاوسمة الكبرى ومثال للماسة الترنسفالية المسماة كوليننا . اما كولينا الاصلية فقد قسموها الى الماسة التي تقدم ذكرها في مقدم تاج الملك ادورد وقسموا الباقي الى ماسات وضعوها على الصولجان

معرض الاسلحة

وفي برج لندن معرض للاسلحة والادراع فيه امثلة من المدافع والبنادق والسيوف والحراب والقوس لبعضها ذكر تاريخي . منها سيف جلاد ملك أود واسلحة هندية الاصل اوعربية . ومنها المدفع الذي غنمه الفرنساويون من مالطة سنة ١٧٩٨ وحملوه على الدارعة سيبيل الفرنساوية فاسترجعه الانكليز وهم على الباخرة سيهورس بقيادة القبطان فوت . وهناك امثلة من آلات العذاب كالجمعة التي تقبض على الابهامين معاً والقلق الذي يقبض على القدمين والاطواق للاحاطة بالاعناق . وبينها فاس لقطع العنق صنع سنة ١٦٧٩ ونحاسة البلاطة التي يسد العنق اليها بعد القطع . ومن الادوات الحربية التاريخية ملاءة التف بها الجنرال وولف لما جرح سنة ١٧٥٩ وعليها مات . وثوب الدوق ومركبة مدفعية في حرب [illegible] لساعي

وفي قاعة اسلحة الفرسان كثير من الادراع والرماح والخوذ والسهام على اختلاف الاعصر من القرن الرابع عشر [illegible] فرسان بالالبسة الرسمية والادراع [illegible] يمثل هنري الثامن على جواده وعليه درعه . وآخر يمثل جيمس الثاني سنة ١٦٨٨ وآخر يمثل شارل الاول وعليه درع مغشاة بالذهب . وهناك غرفة لها ذكر تاريخي لانها كانت قاعة المجلس وفيها تنازل ريشارد الثاني عن الملك وغرف أخرى كانت سجوناً استخدموها الآن لحفظ السجلات وغيرها

وفي ساحة البرج بقعة فيها نحاسة مربعة نقش عليها ما معناه انه في هذا المكان قطع رأس الملكة حنة . وقد شاهدنا الابراج والمخادع التي كانوا يستخدمونها للسجن ويأتون فيها ضروب الظلم والفتك بلا حساب ولا تقدير . وناهيك صور التعذيب مما تقشعر له الابدان — ان من يطلع على ذلك ويرى ما عليه الامة الانكليزية اليوم من اسباب المدنية ومحاربة الجهل ومطاردة الظلم يعلم ان الامة لا بدّ لها من المرور في اطوار من جملتها هذا الطور من الهمجية . وان ذلك ليس خاصاً بقوم دون آخرين ولا امة دون اخرى

دار الضرب

وفي هذا البرج بناء خصص لضرب النقود بني سنة ١٨١١ ثم توسع سنة ١٨٨٢ وقد اتقنت فيه صناعة الضرب وآلاته . ومنها ما يصنع ١٢٠ قطعة من النقود في الدقيقة

وقد بلغ ما ضرب سنة ١٩٠٩ ما قيمته ٠٠٠ ٠٠٠ ١٥ جنيه منها ٠٠٠ ٨٠٠ ١١ قطعة فئة جنيه و ٠٠٠ ٠٠٠ ٤ نصف جنيه و ٠٠٠ ١٨٦ ٣ نصف ريال و ٠٠٠ ٩٩٣ ٣ فلورين و ٠٠٠ ٩٠٠ ٦ شلين و ٠٠٠ ٠٢٨ ٧ نصف شلين و ٠٠٠ ٦٠٠ ٥ ربع شلين و ٠٠٠ ٢٥٦ ٢١ بنس فقس عليه

٥ — قصر وستمنستر

هو قصر فخيم واقع على ضفة التيمس ينعقد فيه البرلمان الانكليزي . وهو ينعقد في قاعتين فخيمتين منه احداهما لمجلس الاعيان والاخرى لمجلس العموم . وقبل الوصول الى قاعات البرلمان يمرّ الزائر بقاعات عديدة : الاولى جدرانها مغشاة بالصور في حائطها صورتان احداهما تمثل معركة واترلو وقد فاز فيها الانكليز . والاخرى تمثل واقعة ترافلغار وقد مات فيها نلسن . طول الواحدة منهما نحو ١٥ متراً . يتصل منها الى قاعة اخرى جدرانها من الخشب الملون عليه صور اشهر ملوك انكلترا . ومنها دخلنا قاعة الاعيان في غير وقت الاجتماع . طوله ٩٠ قدماً وعرضها ٤٥ وعلوها ٤٥ قدماً ارضها مغطاة بصوف من [illegible] مغشاة بجلد احمر [illegible] نحو ٦٥٠ شخصاً . وللقاعة ١٢ نافذة زجاجها ملون بصور ملوك انكلترا [illegible] . وتضاء القاعة ليلاً بالكهربائية [illegible] . وعلى الجدران [illegible] الذين اخذوا الدستور من الملك جون . [illegible] النقوش البديعة بينها الصور الجميلة للملوك وبعض المواقف الدينية . وفي صدر القاعة عرش يجلس عليه الملك يصعد اليه بسبع درجات والى يمينه مجلس ولي العهد . وخرجنا من طرف القاعة الآخر الى غرفة فيها تعاليق ومواقف للبرانيط والاردية — لكل من الاعضاء تعليقة عليها اسمه . ومن هناك انتهينا الى دهليز جدرانه مزدانة بالصور التاريخية . ومنها الى قاعة متوسطة الحجم فدهليز آخر انتهينا منه الى قاعة مجلس العموم . طولها ٧٥ قدماً وعرضها ٤٥ وعلوها ٤١ قدماً . وهي تشبه قاعة مجلس العموم بشكلها لكنها اقلّ فخامة وابسط رونقاً . عليها مقاعد مكسوة بجلد ازرق مخضر لا يسع اكثر من ٤٧٦ شخصاً مع ان عدد اعضاء هذا المجلس نحو ٦٧٠ وقد ترتبت المقاعد صفوفاً . وكرسي الرئيس في صدر القاعة عند طرفها الشمالي والى يمينه مقاعد لنواب الحكومة كالوزراء ونحوهم والى يساره رؤساء حزب المعارضين . وبين يدي الرئيس طاولة يجلس اليها الكاتب . ويجلس المخبرون ومكاتبو الجرائد على مقاعد فوق مجلس الرئيس . وفوقها مقاعد للسيدات . وتجاه مجلس الرئيس في الطرف الآخر من القاعة مقاعد للزائرين

٦ — دير وستمنستر

لهذا الدير شأن عظيم عند الانكليز لانه مجمع مفاخرهم ومدافن عظمائهم او تماثيلهم . يحوي من تلك المفاخر اكثرمما يحويه كل مكان سواه ولا يدفن فيه او ينصب تمثاله في ارضه الا المشهورون بالشرف والفخر في خدمة الامة والوطن . والاذن في دفن ميت هناك أعظم شرف تقدر الامة ان تمنحه لذلك الميت

والدير بناء قديم ولبنائه تاريخ طويل شكله يشبه من الداخل شكل كنيسة القديس بولس طوله ٥١٣ قدماً واعرض نقطة فيه ٢٠٠ قدم وعلوه مئة قدم وقدمان وعلو برجه ٢٢٥ قدماً . دخلناه من بابه الشمالي ولم نكد نتوسط المكان ونلتفت ذات اليمين وذات الشمال حتى وقع بصرنا على ما هنالك من قبور العظماء وتماثيل الكبراء وقد ساد السكوت وتجلت هيبة الموت فعلت علينا الهيبة وخيل لنا انا نسمع من كل قبر نداء ونرى في كل تمثال خطيباً . لا غرو ونحن بين رفات اعظم رجال انكلترا وفيهم القائد الباسل والسياسي المحنك والشاعر المفلق والخطيب المفوه والعالم الحكيم والمخترع العظيم . وقد تكاتفوا جميعاً في خدمة قومهم فنهضوا بهم الى اسمى منازل الدول . فاخذتنا العبرة وتذكرنا [illegible] في العالم السياسي و[illegible] من تلك المواحش عما بين ايدينا من مفاخر الآخرين اذ لا [illegible] من الذكرى والعبرة الداء اذ لا سبيل لنا الى الدواء . ونحن نمر في [illegible] والتماثيل ونقرأ اسماء اصحابها فاذا فيهم نخبة الساسة والعلماء والشعراء [illegible] يعدون بالمئات ويضيق هذا المقام عن تعدادهم فنذكر امثلة من ذلك في مجاميع حسب الاماكن : منهم وليم بت السياسي المتوفى سنة ١٧٧٨ وجون هولس دوق نيوكاسل (١٧١١) وجورج كانين السياسي (١٨٢٧) والجنرال ماكولم واللورد بلمرستون واللورد [illegible] والاميرال وارن والسير روبرت بيل السياسي (١٨٥٠) وفي مجموع آخر جورج غوردون ارل ابردين (١٨٦٠) والسير توماس رافلس (١٨٢٦) وشارلس جيمس فوكس وكني مونتاغيو وغيرهم . وهناك زاوية خاصة بالشعراء والادباء فيها تماثيل جورج غروت الشاعر وماكولي المؤرخ ودوق ارغيل الشهير وشكسبير امام شعرائهم . وروبرت برنس وتنسن وشارلس دكنس وجون ملتن ولونغفلو وغيرهم من الشعراء والادباء . وهناك زاوية للشرفاء واخرى للاساقفة وغيرهم مما يستغرق تعداد اسمائهم فقط عشرات من الصفحات فكيف بذكر مناقبهم . وسنأتي على ذكر المتاحف في الهلال القادم

الوهم الاكبر

او مساوئ الفتح والاستعمار

رأينا في المقالة الماضية ان الحروب بين الدول المتمدنة اليوم لا تجدي نفعاً مادياً وان ضررها مشترك بين الغالب والمغلوب على السواء للترابط التجاري الذي بلغت اليه تلك الدول بحيث تتوقف حالة الواحدة منها على حالة جارتها . واقل خلل يصيب الحالة الاقتصادية في مدينة من المدن الكبرى يشعر به اهل سائر الاقطار . فاذا استولت انكلترا على المانيا مثلاً او المانيا على انكلترا فلا يكسبان شيئاً لبقاء تجارة البلاد وزراعتها في ايدي اصحابها وان الغرامة الحربية التي تفرضها الدولة الظافرة تسبب خللاً في التجارة تشعر به الدولتان على السواء . وان المانيا اذا اغتصبت مستعمرات انكلترا لا تربح شيئاً يذكر لان تلك المستعمرات اصبحت مستقلة باحكامها وانكلترا نفسها مع كونها صاحبة [illegible] لا [illegible] منها نفع . وبجملة واحدة [illegible] الدولة [illegible] لا [illegible] الا [illegible] الارض [illegible] كسبها فمن العبث ان ترجو [illegible] تلحق مثلاً كبا الارض وسكانها معاً [illegible] الارض دون [illegible] الاصليين » . ولذلك قال الكاتب بانتهاء الحروب في المستقبل وتوقف الدول عن بناء المدرعات وتجنيد الجيوش

هذه هي نظرية نورمن انجل مؤلف كتاب « الوهم الاكبر » وقد سلم بصحتها كثيرون . ولكن بعضهم اعترض بان الحروب لا تنشأ دائماً عن اسباب مادية اقتصادية وانما هي في الحقيقة جزء من الطبيعة البشرية لا ينفصل عنها او هي من قبيل تنازع البقاء . وهذا التنازع سنة طبيعية تسري على الاحياء وهي علة ارتقائهم . فلنبحث اذاً في الحروب من :

الوجهة الفلسفية الادبية

ونمهد الكلام بمقتطفات من آراء المتقدمين في هذا المعنى قال احدهم : « ان اسباب الحروب ترجع الى نواميس العقل البشري فان اعظم الحروب التي نشبت بين الامم انما كانت نتيجة التنافر بين العقول فيما يختص بحقوق الدول وادراك معنى العدل والانصاف . او بعبارة اخرى ان الحرب تنشأ عن اختلاف في الآراء والمبادئ فما

زالت الشعوب لم تتفق في آرائها السياسية الاساسية فنشوب الحرب بينها ممكن كل الامكان »

وقال آخر : « كما ان الافراد يتخاصمون ويتقاتلون ليس بقصد الاثراء بل لاعتقادهم بحقوق لهم هضمت فيهيج غضبهم ويثير دمهم فكذلك الامم تتنازع ولا تزال تتنازع لنفس الاسباب . وان لم ترج ربحاً ماديا من وراء الحروب »

وذهب جماعة من الكتاب الاجتماعيين الى ابعد من ذلك فزعموا ان الحروب نافعة ضرورية لتقدم الهيئة الاجتماعية . منهم الجنرال برناردي احد قواد الجيش الالماني واكبر كاتب في المانيا عما يختص بالحروب والتجنيد ونحو ذلك . وله كتاب مرماه حض الالمان على طلب السيادة في العالم بقطع النظر عن حقوق الدول — قال في فصل منه عنوانه « الحرب واجبة » ما يلي : « ان واجب الحكومة لا يقتصر على صد هجمات الاعداء بل يجب عليها ان تسعى لرعاية اسباب المعاش والنمو . وليست المساعي في سبيل السلم الدولي سوى هذيان وسفاسف تحط من قدر الانسانية . لان من ارقى طبائع البشر انهم يضحون حياتهم في سبيل رأي او مبدأ . وليعلم الجميع انه من المستحيل ان تكون هذه الحماسة والتضحية في سبيل حفظ السلم الدولي »

وكثيرون يستندون في حججهم الى علم الحياة فيقولون ان الارتقاء انما يكون بتنازع البقاء وبقاء الاصلح وهي سنة تنطبق على الامم كما تنطبق على الافراد . فلا يبقى منها الا اقواها واصلحها لبقاء وكل حركة يراد بها مقاومة سنن الطبيعة (تنازع البقاء) بما يخالفها (اي السلم الدولي) تذهب عبثاً

وبالاختصار فدعاة الحروب يرجعون في ادلتهم الى هذه القضية : الحروب سببها اما تنافر ادبي بين الآراء والمبادئ او ميل الانسان الفطري الى التنازع والتفاخر وحب الظهور . فهي شرعية جائزة في الحال الاولى لان الداعي اليها راق . وضرورية في الحال الثانية لانها جزء لازم للطبيعة البشرية

اما نورمن انجل فقد فنّد هذه الآراء بادلة عديدة بدأ منها قوله : يتبين لمن تتبع الحركة السلمية في السنين الاخيرة ان معارضيها عدّلوا اساس معارضتهم وبدلوا فيه تبديلاً عظيماً . كان اعتراضهم الرئيسي على المطالبة بالسلم الدولي ان الحروب ضرورية للطبيعة الانسانية وان عليها يتوقف ارتقاء الجنس البشري كما يتوقف ارتقاء سائر انواع الحيوان على تنازع البقاء وبقاء الاصلح . فالآن وقد بين علم الاقتصاد السياسي ان تقدم العالم يتطلب السلم بين الدول العظمى اصبحوا يدعون ان الحروب

سامية الغاية راقية المرمى لانها تنافر ادبي اخلاقي . فلو ساد السلم لانصرف الناس الى المشاغل المادية واهملوا الاخلاق الراقية كالشجاعة والانفة وعزة النفس وحب الوطن ونحوها مما ينمو بالحروب والمنافسات الدولية . او بعبارة اخرى فبعد ان وصف المتقدمون الحركة السلمية تخيلات شعرية واوهام نظرية لا تنطبق على الواقع جعلوها ضرباً من المادية تميت العواطف المعنوية والاخلاق الراقية ولا تهتم بغير المصالح المحسوسة

ثم قال : على ان المصالح المادية والمصالح الادبية المعنوية آخذتان بالتقارب مع تقدم المدنية لان غرضهما تحسين احوال الناس من جميع الوجوه . فكل ما يؤول الى التقدم المادي المحسوس جائز ادبياً بل هو واجب ونحن نرى المدنية اليوم سائرة نحو هذه الغاية في كل مظاهرها . فالسياسة مثلاً كانت غايتها توسيع سلطة الملك ونشر نفوذه والاخلاص لاسرته بلا التفات الى مصلحة الامة على الاطلاق . فنشر المبادئ الديموقراطية اصبح الملك لا يرجو اخلاص رعيته وخضوعها ان لم يوجه التفاته الى مصالحها ويهتم بشؤونها حتى ان ملوك [illegible] اصبحوا اليوم لا يتعرضون للشؤون العامة وان الامة هي التي تحكم نفسها وقد تخلصت من التزلف والخضوع لشخص واحد . ومثل ذلك حصل في الاديان . كانت غاية [illegible] الرئيسية التنسك والتعبد والصلاة واجراء الرسوم والطقوس فتغير [illegible] عن حالة الناس الاجتماعية وعلاقاتهم بعضهم ببعض . فالمسيحي في القرون الاولى كان يعتبر قربته في احتمال العذاب واماتة الجسم والابتعاد عن المشاغل العالمية ونحو ذلك . فاصبح الناس اليوم بعد ارتقاء المسيحيين لا يرون معنى لاحتمال الآلام والاماتات ما لم يرج منها نفع حقيقي . فليس قديس اليوم من ينقطع عن بني جنسه ويقضي حياته في كهف او مغارة بل القديس من ينقطع لخدمة الضعفاء والمرضى والمحتاجين

ثم ان اسباب الحروب المعنوية (اي التنافر الادبي بين الآراء والمبادئ) آخذة في الزوال لان الناس اصبحوا يحترمون آراء الغير وان خالفت آراءهم — والتاريخ يؤيد هذه الحقيقة لا سيما في المسائل الدينية . فاساس الدول الحديثة الحرية الادبية ويستبعد جداً اليوم ان تشهر احدى الحكومات الكبرى حرباً لاسباب دينية كما كان يقع في ما مضى . وهذا التغيير الذي اصاب الدين اصاب السياسة ايضاً لتضامن الدول وارتباطها اقتصادياً وادبياً . ليس في اوربا اليوم دولة كاثوليكية محضة او بروتستانتية محضة . ولا يوجد شعب اتفقت طبقاته في الافكار السياسية والمبادئ الادبية كالاحزاب السياسية من ديموقراطية واشتراكية وارستوقراطية ونحو ذلك واصبحت المنازعات في

المسائل العمومية من شأن احزاب الامة الواحدة . واصبح ذوو الآراء المتشابهة وان كانوا في ممالك مختلفة اكثر تضاماً وائتلافاً من المنتمين الى احزاب متضادة في مملكة واحدة حتى يسهل اتفاق الاشتراكي الالماني مع الاشتراكي الروساوي اكثر من اتفاقه مع الاكليريكي الالماني

ولننظر اخيراً في حجة الذين يقولون ان القتال يبيد الضعفاء ويبقي الاقوياء : يكفي ان نلقي نظرة واحدة الى الواقع لنتأكد خطأهم . ان الجيوش المتحاربة عبارة عن نخبة اقوياء الامة واصلح افرادها للبقاء فبدلاً من بقائهم حسب السنة الطبيعية نعرضهم للهلاك ولا يبقى غير الضعفاء شيوخاً ونساء واطفالاً او بعبارة اخرى ان الحروب البشرية تعمل على مناقضة قوانين الطبيعة بدلاً من السير بمقتضاها . على ان عاطفة المقاومة في سبيل البقاء لا تستلزم ان تكون بشكل نزاع بين الافراد بل هناك نوع من المقاومة اهم منها واحق بالالتفات نعني مقاومة الافراد لما يحيط بهم من العناصر الطبيعية . ولا شك ان هذين النوعين اي مقاومة الانسان للانسان ومقاومة الانسان للبيئة يعملان معاً وكلما نرى انهم كلما زاد التجمع الانساني أُهمل الاول وانصرف الى الثاني . بل هو بدلاً من التنازع بين افراده وجماعاته اصبح الناس يتضامنون ويتعاونون على مقاومة البيئة واستثمار الطبيعة . والتضامن سنة طبيعية ضرورية للتقدم مثل تنازع البقاء كما يظهر من تتبع احوال الانسان من اقدم ازمان نشوئه

كان الانسان في اوائل عهد العمران اذا قتل اسيراً وقع له من بني جنسه احتفظ بالجثة غذاء له . وهو لا يقدر ان يأكلها وحده دفعة واحدة فكان يأخذ كفايته منها ويحفظ الباقي . ثم ما لبث ان رأى فساد ما يبقى بالتعفن ولم يعد يمكنه اكله . فلنفرض ان لذلك الرجل جارين اصابهما ما اصابه فاضطر كل منهما ان يخسر الجزء الاكبر من غنيمته . فاذا اتفق الثلاثة على التضامن بان لا يقتلوا الا رجلاً واحداً كل مرة يشتركون في اكله بحيث لا يبقى باق يخافون تعفنه استفاد الجميع من هذا الاتفاق . وهو احد مظاهر التضامن الانساني . ثم يرى اولئك الافراد مع الوقت ان الافضل لهم استبقاء أسراهم بالاستعباد بدلاً من قتلهم فيستخدمونهم . والاسير المستعبد كان مهاناً ممقوتاً محروماً من الملذات الدنيوية . ثم وجد الناس بالاختبار ان الافضل حسن معاملة الاسرى وسد حاجاتهم ليتمكنوا من الخدمة والعمل بنشاط . وهكذا كلما ارتقى الانسان قل جنوحه الى القوى القهرية الوحشية وزاد تضامنه مع بني جنسه — ولتتابع

درس تاريخ ذلك التضامن :

وجد اهل تلك الازمان باختبارهم الشخصي ان اسعد القبائل حالاً اكثرها تسامحاً مع عبيدها واحسنها معاملة لهم فتتحسن بهذه الواسطة احوال هؤلاء فيصبح العبيد اقناناً (serf) يعملون في الارض ويستثمرونها وبدلاً من الخدمة العسكرية يقومون بواجبات اخرى معينة . وكلما عمت المبادلة التجارية قل استخدام القوى الجسدية وقامت العوامل الاقتصادية مقامها . وقس على ذلك سائر درجات التقدم — كلما ارتقى الانسان في درجات الانسانية ضعفت فيه عاطفة التنازع : كان اهل القبيلة الواحدة يقتلون كل غريب لانه دخيل يخافونه فالعالم في نظرهم قسمان اهل القبيلة والغرباء . ثم اصبحوا لا يؤذون الغرباء ما لم تكن بينهما عداوة وبعد ان كان الظافرون يقتلون الاسرى بلا رحمة استعبدوهم وانتفعوا بهم . اما اليوم فقد بلغت الدول من التحالف والارتباط الى ما ذهب باهمية القوة العسكرية في احوال الشعوب الاقتصادية وصارت كل دولة تتوقف احوالها الاقتصادية على احوال جيرانها تحسن بحسنها وتفسد بفسادها . فاذا تمكنت انكلترا مثلاً من ابادة المانيا مات نصف اهلها جوعاً

وكلما ارتقت الامة درست بين طبقات افرادها وقسمتهم الى فرق وجماعات بعكس الزنجي فانه اذا عمل من حيث نفسه يعتبر احسن من اي شخص ابيض يجده في طريقه سواء كان فرنسوياً او المانياً او انكليزياً او غير ذلك — واذا حصل خلاف بين انكلترا والمانيا مثلاً فالقائمون به افراد معدودون من الدولتين هم رجال السياسة وليس للامة على اجمالها دخل . على ان الدولة في نظر الجمهور بمثابة شخص واحد ذي راي واحد ولكن هذا التشبيه لا يجوز من عدة وجوه بسبب تعدد المصالح بين افراد الشعب الواحد ادبياً ومادياً . فعلاقة ولاية لويزيانا في الولايات المتحدة بمقاطعة لانكشير بانكلترا اشد توثقاً من علاقة هذه المقاطعة بجزر اوركني التابعة لانكلترا لان ولاية لويزيانا ترسل قطنها الى معامل لانكشير فتتولى معاملها عليه وتحوله الى ملبوسات ضرورية للانسان . وعلاقة انكلترا بفرنسا اهم من علاقتها ببعض مستعمراتها وقس على ذلك الروابط الاقتصادية المتعددة بين الامم وهي تجعل الحدود السياسية المتفق عليها بين الدول لا اهمية لها تذكر في الواقع

وخلاصة هذا البحث ان عاطفة المقاومة الغريزية في الانسان آخذة بالتحول من التنازع بين افراد الشعوب الى مقاومة البيئة واستثمار الطبيعة بتضامن الجنس البشري وهو مجراها النافع الحقيقي

النتائج العملية من هذا البحث

قد انتهينا من البحث النظري واقنعنا ان لا فائدة حقيقية محسوسة من الفتح والاستعمار في هذه الايام . وان زوال الحرب لا يضاد الطبيعة البشرية بتحويل عاطفة المقاومة الاصيلة في اخلاق الانسان الى مقاومة البيئة واستثمار المحيط المادي — على ان الكاتب لا يستحق ان يسمى كاتباً ان لم يفكر في تطبيق اقواله وآرائه على الواقع او يجد التدابير الناجعة لنشر فكرته ونقلها الى حيز العمل — فهل يطلب نورمن انجل ان تتوقف المانيا وانكلترا عن بناء المدرعات وتجييش الجيوش او كما قال احد منتقديه « هل يريد ان يقنع الانكليز مثلاً ان يتركوا امورهم للالمان اذا اكتسحوا بلادهم ما زال ذلك لا يؤثر في الحالة المادية الاقتصادية ؟ » كلا . يعتقد المؤلف ان ما دامت الحالة الاوربية كما هي اليوم اي ما دام الاعتقاد سائداً ان الفتح اخرى يجلب الثروة والسعادة فيجب ان يستمر الصرف على التأهب والاستعداد العسكري . كبار الساسة اليوم يدعون ان الغاية من بناء المدرعات وتجييش الجيوش انما هي الدفاع عن الوطن عند الحاجة لا الهجوم على البلاد الاخرى . ما اعتصموا بهذه الحجة اصبحت كل دولة تتهم جارتها بالاستعداد للهجوم . فالتأهب للدفاع انما يكون خوفاً من هجوم والهجوم لا يكون الا من اجل المصلحة المادية . فليست غاية المؤلف ان يجعل الانكليزي يرحب بالالمان اذا ارادوا فتح بلاده ولكن غرضه ان يبين للالماني ان لا فائدة من فتحه انكلترا . واذا لم يقتنع فالانكليزي معذور اذا لجأ الى استعمال طرق عدوه

ان الدفاع عن الوطن والذود عن مصالحه لا يكون فقط بالتأهب الحربي براً وبحراً بل يمكن التوصل الى هذه الغاية بتهذيب الرأي العام وترقية شعوره وايقافه على الحقائق المتقدمة وذلك افضل من تجريد السيوف واطلاق القنابل . ولا بد من معترض يقول : هل يمكن ان يقتنع الناس بذلك وان تترك الانسانية عقيدة رسخت في ذهنها منذ نشوئها الى اليوم ؟ لا شك في ان نشر فكرة مثل هذه تستغرق زمناً طويلاً قبل تعميمها ولكن هل يمنع ذلك من السعي في نشرها ؟ قد يكون العامة بطيئي الادراك وقد يصعب عليهم فهم معنى الحرب ونتائجها فهل يمنع ذلك دون بذل الجهد في بسط الواقع كما هو ؟ ما الذي يمنع رجال السياسة والادارة من ادراك هذه الامور واذا تحققوا صحتها فما الذي يمنعهم من تنفيذها ؟

ولنسأل التاريخ عن امكان تغير الرأي العام ولنأخذ مثلاً لذلك الاعتقادات

الدينية : في احدى عواصم اوربا صورة زيتية تمثل حاشية ملك اسبانيا بمن فيها من الاشراف والنبلاء يكتنفهم جماهير الشعب اجتمعوا في وسط المدينة ليشاهدوا احراق فتاة جميلة لا ذنب لها سوى انها بقيت على دين آبائها الذي تلقته منذ طفوليتها — ان البدن يقشعر عند سماع حكاية مثل هذه ولكن منذ كم سنة حصل هذا الحادث ؟ ان اعمار ثلاثة شيوخ اذا جمعت كانت اطول من المسافة بيننا وبين ذلك الزمن (سنة ١٦٨٠) . لا شك ان رجال التفتيش الذين عملوا هذه الفظائع كانوا مخلصين في عملهم كما ان المتحمسين اليوم من حماة الاوطان يطلبون الحرب وهم يعتقدون انهم يخدمون بلادهم بهذه الطريقة

فلماذا لا يلحق العقائد الوطنية التغيير الذي حصل في العقائد الدينية لا سيما وان الفرق عظيم بين الحالة الاجتماعية في هذا القرن وفي ما مضى يوم كان انتشار الافكار من اصعب الامور بسبب جهل الشعب وصعوبة المواصلات . فاصبحت الافكار تنتقل الآن بسرعة البرق فتنتشر بين العامة والخاصة وافضل برهان على ذلك انتشار كتاب الوهم الاكبر في بضع سنوات انتشاراً عجيباً في كل اقطار المسكونة

ان الانسان قادر على اصلاح حاله بمجرد ارادته واجتهاده . هذه حقيقة بسيطة ومع ذلك فكثيرون ينكرونها — فهيهم الاوهام استبدت الى اليوم في المسائل السياسية انه يحتاج الى العمل والسعي في اظهار الحقيقة — والحق يعلو ولا يعلى عليه

اميل زيدان

بعد كتابة ما تقدم اتانا كتاب من خليل افندي جباره احد كبار التجار السوريين في منشستر ذكر فيه الاحتفال الشائق الذي اقيم بالامس في تلك المدينة لنورمن انجل صاحب كتاب الوهم الاكبر . وقرأنا تفاصيل الحفلة في بعض الجرائد اليومية ومنها علمنا ان نورمن انجل ألحق القول بالعمل فهو يبشر الآن بمذهبه في انكلترا وغيرها من الممالك الاوربية . وقد خص تلاميذ المدارس بعنايته لانهم رجال المستقبل وعلى ارائهم تتوقف العلاقات الدولية في السنين المقبلة وقد الف جمعيات خاصة لهذا الغرض في جامعات انكلترا والمانيا لتتشرب الناشئة افكاره مع العلم — وكل ذلك يدل على ان الرجل مخلص في خدمته للجنس البشري

يلزم ادارة الهلال بالثمن او المبادلة

تاريخ التمدن الاسلامي الجزء الاول وسنو الهلال الرابعة والثالثة عشرة والتاسعة عشر

سفن الاسطول الاسلامي

وتوابعه

ووصف الحروب البحرية وقوانينها في الاسلام

اتينا في الهلال الاسبق على وصف كثير من سفن الاسطول الاسلامي وانواعها ومعداتها في الاسلام ونلحقه الآن بذكر بقية انواعها وملحقاتها وما يتبعها من السفن الصغيرة والكبيرة تلك السفن التي كانت كأنها الا انها تمرق مروق السهام وترى كأنها مدائن الا انها تمر مر السحاب عبر الجهام فلا عجب ان تسمى غرباناً وتنشر من ضلوعها اجنحة الحمام وتسمى جواري . وكم كان يسير بجراها من النصر . وهذه السفن المقيرة المسمرة غير المخروزة المدهونة المطلية هي دون الحاجي[1] التي اول من اجراها في البحر الحجاج بن يوسف [illegible] وان كانت [illegible] في الرتبة الثانية من المكانة الا ان حاجة الاسطول اليها شديدة . وكلمة « الاسطول » لا تطلق فقط على مجموع السفن الحربية بل تطلق ايضاً على [illegible] الحربية [illegible] قال صاحب شفاء الغليل : والاسطول مركب تهيأ [illegible] وقال [illegible] البحتري

يسوقون اسطولاً كأن سفينه ... سحائب صيف من جهام وممطر

وورد ذكرها كثيراً في تاريخ ابن خلدون بهذا المعنى في عدة مواضع فيقول في موضع منها « وصله من مرية بعشرة اساطيل » وفي موضع آخر « جهز له مائة وثمانين اسطولاً » و« اساطيلهم تناهز اربعمائة » الخ

ونبتدئ الآن بالكلام على اهم السفن الحربية في الاساطيل الاسلامية وهي :

السفن وتوابعها

« البطس » جمع بطسة وقد يحرفونها الى بطشة او بسطة وهي سفن حربية بحرية عظيمة الحجم كثيرة القلوع وصل عدد القلوع في البطسة الواحدة الى اربعين قلعاً مما يدل على اتساعها وهول منظرها . وقد اشتهر هذا النوع من السفن على الخصوص في ايام الحروب الصليبية وكانت البطس اشهر انواع سفنهم التي كانو

(١) الاعلاق النفيسة لابن رسته ص ١٩٥ و١٩٦ من طبعة ليدن

يتداولون عليها في ذلك الزمان لكبر حجمها . ويستخدمونها في نقل الازواد والذخيرة فيشحنونها وقت الحرب بالآلات والاقوات والميرة والرجال والمقاتلة والاسلحة وجميع ما يحتاج اليه في الحروب والحصار فتحمل البطسة الواحدة من المقاتلة خلقاً عظيماً يعد بالآلاف . وكانوا يجعلون لها اسطحة عالية يضعون فيها الميرة والاقوات غالباً وكان لبعضها طبقات كل طبقة خمسة مئة من الجيش تفرش بالبسط وغيرها . وذكروا في التواريخ الافرنجية ان البطسة الهائلة التي كانت تلك الايام في الحروب الصليبية كانت تسمى لعظمها وشناعتها في الكبر « ضبع الدنيا » . ومن اشهر حيلهم في المقاتلة بالبطس ما ذكروه عن محاصرة الافرنج لبرج الذباب الذي كان قائماً وسط البحر وارادوا اخذه فجمعوا على سواري البطس رماحاً ملأوه حطباً على ان يسيروا البطس حتى اذا لاصقت برج الذباب احرقوا البرج الذي على الصاري والصقوه ببرج الذباب ليقوموا على سطحه ويقتل من عليه من المقاتلة ويأخذونه . وحملوا في البطسة وقوداً كثيرة تلقى في البرج اذا [illegible] و[illegible] وملأوها حطباً ووقوداً على ان يدفعوها حتى [illegible] البطس [illegible] فيحترق هذه البطس ويهلك ما فيها من [illegible] [illegible] بحيث لا يصل لهم نشاب ولا شيء من [illegible] [illegible] احراقه دخلوا تحت ذلك [illegible] [illegible] وكان ضمهم يشتد حيث كان الهواء مستمداً لهم . فما احرقوا البطسة التي ارادوا ان يحرقوا بها من على برج الذباب واوقدوا النار وضربوا فيها النفط انعكس الهواء عليهم [1] واشتعلت البطس باسرها واجتهدوا في اطفائها فما قدروا وهلك من كان فيها من المقاتلة [2] وحول الافرنج اخذ ذلك البرج مرة اخرى فعمدوا في البحر بطسة هائلة وصنعوا فيها برجاً بخرطوم اذا ارادوا قلبه على السور انقلب بالحركات ويبقى طريقاً الى المكان الذي يتقلب عليه تمشي فوقه المقاتلة وعزموا على تقريبه الى برج الذباب ليأخذوه به

﴿ البوارج ﴾ جمع بارجة وهي كلمة هندية عربها العرب عن لفظة « بيره » التي هي الى اليوم في اللغة الهندستانية « بيرا » [3] والبارجة سفينة حربية عظيمة اكبر

---

(١) سيأتي في وصف الحروب البحرية شيء من تأثير الرياح واهميتها في حروبهم البحرية

(٢) انظر سيرة صلاح الدين الايوبي لابن شداد

(٣) الراء في الاصل هندية فوقها اربع نقط بمعنى بين الراء والعين وهي ثالثة الحروف الهندية التي يزيدها الهنود على حروف الهجاء العربية

من الشونة او هي الشونة العظيمة . وقد استعمل العرب لفظة بارجة كأنها عربية يمتّ بها فيقال سفينة بارجة بمعنى سفينة مكشوفة . وقد اخذ العرب البوارج عن الهنود بعد الاسلام فكانوا يقاتلون عليها ويقاتلون بها . من ذلك ما جرى في ايام المعتصم فقد اغار الهنود ببوارجهم على شواطئ فارس الخوزية وما يجاورها من شواطئ بلاد العرب فحاربهم المعتصم واسر بوارجهم . ذكر ذلك المسعودي في كتابه التنبيه والاشراف عند كلامه على المعتصم وان له ثماني فتوح منها قوله «واسره البوارج وهي مراكب الهند وكان فيها منهم عسكر عظيم قد عدوا على ساحل فارس وعمان وناحية البصرة» وذكر البوارج الطبري في حوادث سنة ٢٥١ هـ = ٨٦٥ م فقال ما نصه : «ولخمس بقين من صفر دخل من البصرة (الى بغداد) عشر سفائن بحرية تسمى البوارج . في كل سفينة اشتيام[1] وثلاثة نفاطين ونجار وخباز وتسعة وثلاثون رجلاً من الجذافين والمقاتلة فذلك في كل سفينة خمسة واربعون رجلاً» فالعرب لم تعرف البوارج الا بعد ان احتكوا بالهنود ثم افتتحوا السند و[illegible] في القرن الاول للهجرة وكانت ولاة السند من [illegible] في ذلك العهد يستعملون البوارج في الفتوح وفي محاربة الاعداء من [illegible] فتوح البلدان للبلاذري في الصفحة ٤٣٥ و٤٤٥ و٤٤٦ من طبعة اوروبا

﴿ المسطحات ﴾ جمع مسطح هي نوع من المراكب الحربية العظيمة . وقد اقتبس بعض الافرنج لفظة مسطح فقالوا [illegible] Mestech, Mist[illegible] والمسطحات والبطس اكبر السفن الاسلامية واعظمها حجماً . ويرى انهم كانوا يأتون بها وقت الحرب خلف المراكب الصغار خوفاً من ان تغرق هذه في واديها

﴿ الشذوات والسميريات ﴾ الشذوات او الشذا مفردها شذاة والسميريات مفردها سميرية . ضرب من السفن البحرية والنهرية التي كانت تستخدم في الحروب في عهد

---

(1) الاشتيام او الاستيام في هذا المعنى هو كبير الدرجة الحربية ويقابله بالفرنسية Commandant d'un navire de guerre وهذا هو المعنى الاصلي لهذه الكلمة . ومن الاشتيام كان رئيس الملاحين الموجودين في سفينة واحدة وفي عدة سفن حربية كانت او تجارية بحرية او نهرية او رئيس السفن البحرية الذي بيده الامر والنهي وكل ما يتعلق بسير السفينة ثم لامير نوع من السفن البحرية الحربية مثل امير الشذوات (وسيأتي ذكرها) اي تعني ميرال Amiral بالفرنسية ثم اصبح الاشتيام بمعنى رئيس الركاب والملاحين معاً ثم صار بمعنى صاحب الامتعة المحمولة في السفينة اي تاجر الامتعة وهذا المعنى عرضي (انظر مقالة الاستاذ سالسانا Salsana في المقتبس مجلد ٧ ص ٣)

الدولة العباسية وقد اشتهرت في حروب الزنج باوائل النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة كما اشتهرت البطس في الحروب الصليبية . وكانوا يحملون في الشذوات والسميريات آلات الحرب والسلاح والمقاتلة والرماة والملاحين المسلحين بانواع السلاح. قال الطبري في حوادث سنة ٢٦٧ هـ ما نصه « وكتب شاهان الى صاحب الزنج يسأله امداده بسميريات لكل واحدة منهن اربعون مجدافاً فوافاه من ذلك في مقدار عشرين يوماً اربعون سميرية في كل سميرية مقاتلان ومع ملاحيها السيوف والرماح والتراس» وكان امير البحر يشتغل ابان قبل الحرب بعرض الشذا وما يلحقها من الشذا الحمايات والسميريات وترتيب قواده ومواليه وغلمانه فيها وتخير الرماة وترتيبهم في الشذا والسميريات وكانوا وقت الحرب اذا استأمنت شذاة من شذوات العدو كان اهلها يكسون علماً ابيض يكون معهم [1] وهذه هي علامة الامان عندهم

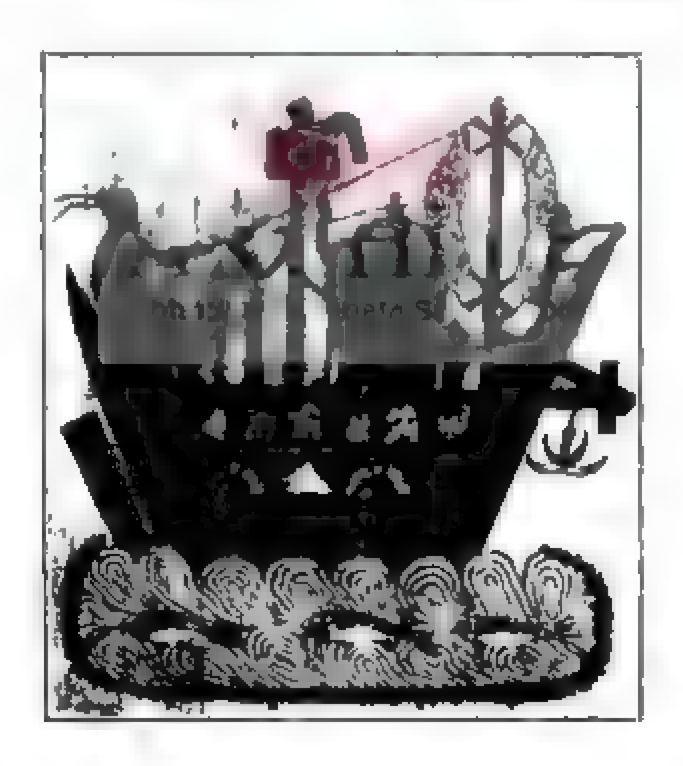

سفينة عربية تحمل رماة على دكة في ابصار يهدم الشرع والامراس وفي وسطها مقعد مرتفع يجلس عليه القائد وهذه الصورة منقولة عن مسودات مقامات الحريري في مكتبة المستشرق شيفر تمثل سفن العرب في البحر لذلك العهد

(١) الطبري ص ٢٦٧ سلسلة ٣ ج ٤

ولما انقطع العهد بالمحاربة على الشلنديات والسميريات في اواخر الدولة العباسية اصبح القوم يركبون السفن المذكورة لغاية التجارة او السفر فقط

﴿ العكيري ﴾ وقد ضبطه ابن بطوطة في رحلته فقال وهو بضم العين المهملة وفتح الكاف وسكون الياء وراء وهو شبه الغراب الا انه اوسع منه وفيه ستون مجذافاً ويسقف حين القتال حتى لا ينال الجذافين شيء من السهم ولا الحجارة . وهذا النوع من السفن كان يستعمل كثيراً في نهر السند وافرعه الكبيرة

﴿ العشيري ﴾ انتهينا فيما تقدم على نوع من السفن الحربية وهو العشاريات ومفرده العشاري او العشيري وقد وصفه عبد اللطيف البغدادي المؤرخ المشهور في سياحته الى مصر في اواخر القرن السادس للهجرة فقال « واما سفنهم فكثيرة الاصناف والاشكال واغرب ما رأيت فيها مركب يسمونه « العشيري » شكله شكل شبارة[1] الا انه اوسع منها بكثير واطول واحسن هنداماً وشكلاً قد سطح بألواح من خشب محكمة واخرج منه افاريز كالرواشن نحو ذراعين وبني فوق هذا السطح بيت من خشب وعقد عليه قبة وفتح له طاقات وروازن يشرف منها الى البحر من سائر جهاته ثم تعمل في هذا البيت خزانة مفردة ومرحاض ويزوق بأصناف الاصباغ ويذهب ويدهن بأحسن دهان . وهذا يتخذه الملوك والرؤساء بحيث يكون الرئيس جالساً على وسادته وحواشيه حوله والغلمان وقوفاً قياماً صفاً والسيوف على تلك الرواشن واطعمتهم وحوائجهم في قعر المركب والملاحون تحت السطح ايضاً وفي باقي المركب يجذفون به لا يعلمون شيئاً من احوال الركاب ولا الركاب تشتغل خواطرهم بهم بل كل فريق بمعزل عن الآخر ومشغول بما هو بصدده واذا اراد الرئيس الاختلاء بنفسه عن اصحابه دخل المخدع واذا اراد قضاء حاجته دخل المرحاض .
والملاحون بمصر يجذفون الى ورائهم فهم في قذفهم يشبهون الحبالين في مشيهم القهقرى ويشبهون في تحريكهم السفن من يجذب ثقلاً بين يديه ويمشي به الى خلفه . واما ملاحو العراق فهم بمنزلة من يدفع الثقل نحو امامه ويدسر به فيشبهون ثورجه حيث

(1) الشبارة نوع من السفن العراقية التي كانت تستعمل في نهر دجلة قال دوزي « ويسمونها في مصر حراقة وهذه الكلمة تستعمل الى الآن في العراق » واشار اليها البارون دي سلان في ترجمته لابن خلكان ١ و ١٧٥ ونوبي (ارسلانشاه) في شباره بالشط ظاهر الموصل والشبارة بالشين المعجمة مفتوحة والموحدة مشددة وبين الالف والهاء راء وهي عندهم الحراقة عند اهل مصر » وذكروا ان السفن التي كانت تخص المأمون سوى سفن العسكر اربعة آلاف شبارة كباراً وصغاراً

الملاح متجه واما سفن مصر فهي تحرك الى ضد الجهة التي اليها الملاح متوجه وامر أي الحالتين اسهل والبرهان عليها توضحه العلم الطبيعي وعلم تحريك الاثقال [1]

الحروب البحرية وقوانينها في الاسلام

كان من اوصاف الحروب البحرية بين السفن وقوانينها عندهم حتى اواخر دولة المماليك البرجية والبحرية في مصر : انه اذا كانت الحرب بين الشواني وبين البطس والمسطحات فانهم لا يأتون بالشواني ولا بالمراكب الصغيرة خلف البطس والمسطحات لئلا تغرق في واديها ولا يأتون بها من جانبها فانها لا يمكنها الالتصاق بها بل تقاتلها عن بعد وتنطحها بالفاس الذي يقال له اللجام البارد كره فيدخل عند الحرب في اسطام المركب وهي الخشبة التي في مقدم الشيني واذا امكنتهم الفرصة تأخروا به قليلاً ثم قذفوا قذفة واحدة قوية فيقطع المركب ويدخل الماء فيه واذا كانت الحرب بين الشواني وبعضها تقرب الشيني من الشيني فتوقفه ثم يمد الالواح بينهما كالجسر ويدخلون اليه ويقاتلون وقد تقدم في وصف الكلاليب ان العدو اذا كان قوياً ابطل فعلها بفأس ثقيل من فولاذ يضربونها به فتقطعها

وكانت المراكب الكبار سكنة تجرها جذبها الشواني الى موضع القتال . وكان الاصل عندهم في قتال البحر هو معرفة الرياح فكانوا يحركون المراكب بالارجل حتى يتقدم مركب خصمه او يعلو عليها فوق مهب الريح

وكان على والي حرب البحر اذا خرج للقتال ان يستجيد المراكب ويستجدها ويكثر تقويتها وادخار آلاتها حتى اذا تلف شيء من ذلك وجد ما يخلفه ويحتاط في تقييرها واحكام ما يلاقي الماء منها فانه الاصل الذي يعول عليه ويخير القواد والرؤساء العارفين بمسالك البحر ومراسيه وعلامات الرياح وتغييرات الانواء والحركات البحرية من المد والجزر . وكان من واجباته وقت الحرب ان لا يهجم على المراسي لئلا تكون مراكب العدو بها كامنة ولا يتقدم الى البر الا بعد المعرفة به والاحتراز من الاحجار والعشاب والاحراش التي تتكسر عليها المراكب ويكثر من الماء والزاد ليستظهر على طول المدة ان دعت الحاجة اليه كادخار اصحاب الحصون . وان كان القتال قرب البر والسواحل والجزائر فيجعل عيونه وطلائعه على الجبال فيتأهب لذلك ويعمل مقدم

(٢) الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر لعبد اللطيف البغدادي صحيفة ٤١

المركب من تأليف اصحابه ووعدهم واستمالتهم وتحريضهم قبل الحرب كما يعمل والي البر وابلغ من ذلك . لان هذا لا منجى منه ولا مخلص الا بصدق القتال اماكاسر او مكسور . . . . . .

ان الحرب في البحر شديدة صعبة عسرة لامور منها ان المجال ضيق ولا تكاد السهام والاحجار تخطىء وكل رشق ينكي . ومنها اختلاف الرياح بما يصر او سكونها عند وقت الحاجة اليها ومنها انه لا يمكن فيه الهرب والفرار ان اقتضت المصلحة ذلك ولا الاستتار . وقد مثل العرب حرب البر وحرب البحر بالشطرنج والنرد فقد قالوا نقلاً عن احد حكماء الفرس ان الشطرنج وضع لتمثيل حرب البر والنرد وضع لتمثيل حرب البحر فان صاحب النرد وان وضع المهرك في المواضع الجيدة واحترز فاذا جاءت الفصوص بما لا يوافق الغرض لم ينتفع باحترازه وبطل عليه تدبيره كاختلاف الريح واضطراب البحر قال المتنبي في المعنى :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن[1]

﴿ حركات الاسطول ﴾ كانت الاساطيل الاسلامية تجري الالعاب والحركات المعروفة الآن بالمناورات البحرية لرؤية امراء الخلفاء والملوك في الاعياد والمواسم الرسمية وفي وداع الاسطول عند سفره الى الحرب وفي عودته منه فكانوا يحتفلون احتفالاً عظيماً يحضره جميع الامراء واكابر الدولة ويشهده الرعية فكانت الاساطيل تأتي بالالعاب المدهشة فتمثل الحروب البحرية وحركاتها المتقنة وهي مزينة باسلحتها ولبودها وما فيها من المجانيق فترمى بها النفط على الماء والمراكب وتقام وتعمل سائر ما تعمله عند لقاء العدو . وقد وصف ابو بكر محمد بن عيسى لعب الاسطول في يوم المهرجان بجزيرة ميورقة فقال :

بُشرى بيوم المهرجان فانه	يوم عليه من احتفالك رونق
طارت بنات الماء فيه وريشها	ريش الغراب وغير ذلك شودق
وعلى الخليج كتيبةٌ جرارةٌ	مثل الخليج كلاهما يتدفق
وبنو الحروب على الجواري التي	تجري كما تجري الجياد السبقُ
ملأ الكماة ظهورها وبطونها	فاتت كما يأتي السحاب المغدقُ
خاضت غدير الماء سابحةً به	فكانما هي في سراب أينق
عجباً لها ما خلت قبل عيانها	ان يحمل الأُسد الضواري زورقُ
هزت مجاذيفاً اليك كانها	اهداب عين للرقيب تحدقُ

(١) آثار الاول في ترتيب الدول للحسن بن عبدالله

وكأنها اقلام كاتب دولة في عرض قرطاس بخط دمشق[1]

اما في مصر فكان الخلفاء والسلاطين يجلسون لوداع الاسطول ولعودته ويحضرون بانفسهم تجهيزه فاذا تهيأ للاقلاع ركب الخليفة الى منظرة المقس (محل جامع اولاد عنان الآن) لتوديعه ومشاهدة حركاته باحتفال باهر قال المقريزي « وفي سنة اثنين وتسعين وستمائة تقدم السلطان الملك الاشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون الى الوزير الصاحب شمس الدين محمد بن السلعوس بتجهيز امر الشواني فنزل الى الصناعة واستدعى الرئيس وهيأ جميع ما تحتاج اليه الشواني حتى كملت عدتها نحو ستين شونة وشحنها بالعدد وآلات الحرب ورتب بها عدة من المماليك السلطانية وألبسهم السلاح فاقبل الناس لمشاهدتهم من كل أوب قبل ركوب السلطان بثلاثة ايام وصنعوا لهم قصوراً من خشب وخصاص القش على شاطئ النيل خارج مدينة مصر وبالروضة واكتروا الساحات التي قدام الدور والزرابي بعشرة دراهم كل روشة فما دونها بحيث لم يبق بيت بالقاهرة ومصر الا خرج اهله او بعضهم لرؤية ذلك فصار جمعاً عظيماً وركب السلطان من قلعة الجبل بكرة و[illegible] [illegible] من المقياس الى بستان الخشاب الى بولاق و[illegible] [illegible] [illegible] الامراء قدام دار النحاس ومد الجحاف من التمرس [illegible] العامة [illegible] الشواني واحدة بعد واحدة وقد عمل في كل شونة برج وقلعة تحاصر والقتال عليها [illegible] النفط يرمى عليها وعدة من النقابين في اعمال الحيل في النقب وما منهم الا من اظهر في شونته عملاً عجباً وصناعة غريبة يعوق بها على صحبه » هذا مثال من تهافت الناس وكثرة اجتماعهم لمشاهدة حركات الاسطول وهو اعظم شاهد على ما بلغت اليه الاساطيل الاسلامية من الجلالة والعظمة واعتناء الخلفاء والملوك بها

الجامعة المصرية عبد الفتاح عباده

احسن طرق ارسال الدراهم

الى ادارة الهلال بمصر

هي الاوراق المالية (بنك نوط) انجليزي وفرنساوي وروسي واميركاني والحوالات على البوسطه لان ذلك ميسور في كل الممالك

---

(١) المعجب في تلخيص اخبار المغرب لعبد الواحد بن علي التميمي المراكشي علق عليه الاستاذ دوزي بالانكليزية وطبعه في ليدن سنة ١٨٨١

بيض الفصح

بحث ادبي أثري تاريخي

١ — رمز البيضة عند القدماء

ان الامم قديمها وحديثها اتخذت الرموز لشؤون شتى . وغني عن البيان ما في هذا الامر من الاشارة الى تاريخ الشعوب الدينية ومعرفة درجات تقدمهم ورقيهم . فقد اكثر منها المصريون وتفننوا فيها على مناحٍ متنوعة . واستخدمها المسيحيون ولا سيما في الاجيال الثلاثة الاولى لاسباب تاريخية كنسية لا محل لتفصيلها هنا . ومما هو حري بالذكر ان اشهر الرموز العظمى عند الامم القديمة هي البيضة العالمية اي التي تولد الكون منها . فان هذا الرمز وجد عند كل الامم القديمة الوثنية الا الصينيين . فاهل الهند يمثلون البيضة باسم نوردهي يكسرها بقربه ليخرج منها العالم . والتورر[illegible] ايضاً عن القوة الخالقة . واصل هذا الاعتقاد اي مسألة البيضة عند الهنود كما هو شائع ان براهما الروح الازلي [illegible] اولاً الماء ووضع فيه جرثومة فاستحالت الجرثومة الى بيضة ذهبية [illegible] حلّ فيها براهما وخرج منها باسم براهما [illegible] والارض وجعل بينهما الجو [illegible] هذا الاسلوب

ويرويها الفرس [illegible] في اسفارهم على خلاف هذه الكيفية وينسبونها الى اورمزد روح الخير . ويذكرها المصريون [illegible] في سفر قريب من ذلك ويخالفهم بعض الطائفة الفينيقيون والكلدانيون وغيرهم . وربما كان المسيحيون يرمزون عن دفن السيد له المجد وقيامته باستخدامهم بيض الفصح لما في ذلك من المشابهة الظاهرة . فقشرة البيضة الشبيهة بالرمس تحتوي على جسم حي يتولد منه فرخ اذا توفرت للسماحة شروط طبيعية لا مناص منها . وفي العادة المألوفة عند بعض المسيحيين الى عهدنا هذا ان يكتبوا على البيضة شعار العيد المجيد تذكار دفن الرب وقيامته من بين الاموات « المسيح قام » اشارة واضحة الى هذا الرمز

وهاك ما كتبه في هذا المعنى احد نوابغ عصره المشهورين بدقة نظرهم وكثرة مطالعاتهم قال : « وعند الطوائف الشرقية رمز قديم لا يزال مستعملاً حتى اليوم في عدة كنائس وهو البيضة فيعلقون بيضة نعام في هيكل الكنيسة يرمزون بها الدلالة على قيامة المسيح وعلى سهره على كنيسته كما يسهر النعام على صغاره . ومن ذلك عادة

البيض الفصحي في كل البلاد يجعلون بها قبر المسيح الذي فتحه بقوة لاهوته فظهر للعالم بحياة عجيبة بعد زوال حياته الاولى الفانية . وربما صبغوا البيض بحمرة دلالة على دم الفادي المسفوك لخلاص البشر مدة آلامه . والكنيسة نفسها تدعى في الشرق « بيعة » اي بيضة (من السريانية « بيعتا ») ولعل سبب هذه التسمية انهم كانوا يبنون الكنائس على شكل البيضة يمثلون بها قبر المسيح » (اهـ)

٢ — تلوين بيض الفصح وتقاليد المسيحيين بشأنه

لا مشاحة في ان عادة تلوين بيض الفصح قديمة جداً يعزى تاريخها الى ما قبل المسيح باجيال . ويُروى ان المؤمنين كانوا يكرسون يوماً من سنتهم ليحتفلوا فيه ببدء الربيع وكانوا يقضونه بين اللهو والقصف واللعب والرقص ومن جملة عاداتهم في هذا اليوم تلوين البيض اشارة الى مناظر الطبيعة المدبجة بالازهار على اختلاف اشكالها والوانها . بيد اننا لم ندر متى ادخلت هذه العادة في الديانة المسيحية وانتشرت بين معظم المسيحيين . ومن غريب ما يقال في هذا المعنى ان بعض المسلمين والاسرائيليين واهل الشيعة (المتاولة) وغيرهم يلونون البيض في ايام معلومة عندهم

ومهما يكن من الامر فالجمعية المسيحية قد وضعت لهذه العادة المذكورة تقاليد شتى لا بدّ من ذكرها لما فيها من الفكاهة والافادة . يروي البعض ان القديسة مريم المجدلية بعد موت السيد وقيامته قصدت رومية لمدينة القياصرة اذ ذاك ومثلت في مواجهة القيصر . فبثت بين يديه وشكت له قساوة بيلاطس والي اليهودية نحو سيدها وكانت عبرات الحزن والتلهف تجري على وجنتيها . وقدمت له بيضة حمراء اشارة الى دم السيد الذي اهرق من اجلنا فطيب القيصر قلبها الحزين ووعدها خيراً بالاستقصاء عن هذا الامر ومحاكمة المعتدين . ويزعم آخرون ان احدى الآنسات الاسرائيليات اتفق انها حملت في حجرها عدداً من البيض ومرّت بصديقة لها مسيحية . فبادرتها الثانية بالسؤال التالي « اتعلمين ايتها الصديقة ان سيدنا له المجد قد قام من الاموات » ؟ فاجابت الاسرائيلية لم اصدق ذلك الا ان تلوّن ما في حجري من البيض وهكذا كان . وقال غيرهم غير ذلك . وعندنا ان مسئلة صبغ البيض عادة قديمة عند المسيحيين فكانوا ولا يزالون يصبغونه بالاصفر والبنفسجي والاحمر وغيرها بقصد الزينة او تمييزاً عن بيض سائر السنة ويتهادونه يوم عيد الفصح . وقد بطلت هذه العادة اليوم في كثير من البلاد واستبدلت في بعضها ببيض من السكر يجعلون في باطنه شيئاً من الهدايا النفيسة وبعض للاولاد . ولا شك في ان هذا البيض هو ما كان يجتمع عندهم في ايام الصوم لسبب

امتناعهم من المآكل الحيوية وما شاكلها مما هو مسطر في الكتب المسيحية الطقسية ولا حاجة الى ذكره

٣ — التفنن في تزيين بيض الفصح

ولم يقتصر المسيحيون على مجرد تلوين البيض بالالوان المستعملة فتطرقوا من هذه العادة البسيطة الى ما وراءها وابدعوا في نقش البيض وتصويره وزخرفته . فالباريسيون مثلاً لهم باع طويلة في تصوير البيض والتفنن فيه . وكفى برهاناً ساطعاً على ذلك ذكر كل من مصوريهم Watteau و Lancret اللذين اشتهرا بتصوير البيض وزخرفته . على ان القسيسين وقاطني بيت لحم وبيت جالا وغيرها من ضواحي اورشليم لهم مزية خاصة في زخرفة البيض . فيصبغونه بلون احمر قاتم ينقشون عليه رسم قيامة السيد ويحفونه بازهار وتخاريج متعددة ويكتبون عليه غالباً بالعربية واليونانية والروسية «المسيح قام» فضلاً عما يستحضره باعة السلع الكنسية من روسيا وغيرها من البيض الاصطناعي . فزخرفته تأخذ بمجامع الفؤاد بما فيها من دقة الصناعة وجودتها . وقد اعتاد بعض اهالي القدس وبيت لحم ان يثقبوا البيضة بثقوب دقيقة يتمكن بها من اخراج بياضها وصفارها ويحفظونها ويطرزون عليها بالابرة العادية اشكالاً كثيرة لا فائدة من وصفها . وهذا النوع لا يخلو من بعض قلة الكلفة لكنه حسن المنظر يتخذ لتزيين بيوت العامة والخاصة

٤ — مهاداة بيض الفصح

بقي الكلام على اصل عادة مهاداة البيض وهو مما لم يتوصل الباحثون الى معرفته على وجه يمكن الجزم فيه . والارجح ان هذه العادة قديمة بدليل انتشارها في بلاد فارس وغيرها ولم تزل مرعية الجانب عندهم الى عهدنا هذا وقد اتخذوا لذلك عيداً سموه عيد البيض وهو اليوم العشرون من آذار أي رأس العام الجديد . ولا يخفى ان هذه العادة انتقلت الى المسيحيين القدماء فعمت معظم الاقطار النصرانية . ولا مشاحة ان الديانة المسيحية كما هي الآن تشتمل على كثير من العادات الوثنية والعبرانية غير ان المسيحيين تصرفوا بتلك العادات على مقتضى البواعث والاحوال وسلموها الينا بهيئة جديدة ليس فيها اثر وثني . ولا نقصد من اثبات ذلك الا بيان ما هو حري بالذكر لما فيه من الصحة التاريخية . ومن بعض المولعين بدرس عادات الشعوب وتأويلها قد عللوا عادة اهداء البيض كما يأتي : ان الكنيسة المسيحية شرقها وغربها كانت منذ القديم تنقطع في اثناء الصوم الاربعيني عن تناول المآكل الحيوانية

والبيض واللبن وغيرها كما هو جارٍ الآن بين الشرقيين . فاخذ المسيحيون يتهادون البيض المسلوق يوم العيد السعيد لتعذر اعداد غيره من المآكل . وقد ترك لنا احد ادباء الافرنسيين وصف ما كان شائعاً في القرن الثالث عشر وما فوقه من العادات البهجة يوم عيد الفصح واهداء البيض فيه الى ان قال : ان عادة اهداء البيض الطبيعي لم تزل مستعملة حتى يومنا هذا غير ان الباريسيين استعاضوا عنها بالبيض الاصطناعي والملبس واللعب وما شاكلها

ويحسن بنا ان نلاحظ في هذا البحث ان القبسيين يستحضرون ليلة الجمعة العظيمة كبة من البيض المسلوق الملون الى الكنيسة في كيس صغير فيه قشر من الحناء وقطع من الشعانين المباركة . فبعد ان يقرأ عليها الكاهن الاثني عشر انجيلاً المعروفة باناجيل الآلام حسب الطقس الشرقي يحملها اصحابها الى بيوتهم ويوزعها كبير العائلة على على اهله نهار عيد الفصح بعد قداس الجمعة . فهذه العادة معروفة عند جمهور القبسيين غير انها [illegible] من [illegible] منهم لاسباب لا حاجة الى نشرها . ولبيض الفصح صلوات خاصة يجدها من يريد في الكتب الطقسية المسيحية . هذا جل ما وقفنا عليه في هذا [illegible] في ذكر ما ذكر تفصيل شتى امسكنا عن استيفائها حباً بالاختصار

الاسكندرية في ١٩ [illegible] سنة ١٩١٣ نجيب ميخائيل ساعاتي القبسي

دكتور في اللاهوت

الجواهر الاصطناعية

اشتغل الكيماويون القدماء طويلاً في تحويل المعادن الى ذهب واضاعوا السنين في البحث عن حجر الفلاسفة المنشود . ولم يفكروا في عمل جواهر اصطناعية مع انه اسهل من ذلك . لان الجواهر مواد بسيطة متبلورة فيكفي للحصول على الجواهر الثمينة ان نتوصل الى طريقة لتبلور تلك المواد واول خطوة في هذا السبيل تحديد مقادير المواد الداخلة في تركيب تلك الجواهر . ونبدأ بكيفية عمل الماس الاصطناعي :

اصطناع الماس

ثبت منذ نحو ١٥٠ سنة ان لا فرق بين الماس والفحم في اصل مادتهما لان كليهما فحم (كربون) لكن الماس فحم متبلور. فلم يبق لاصطناعه غير اكتشاف طريقة يتبلور بها الفحم . وقد استسهل بعض الكيماويين ذلك في بادئ الامر قياساً على تبلور بعض

المواد المعروفة كالكبريت مثلاً فانك اذا احميته حتى صار سائلاً ثم تركته الى ان يبرد تكونت فيه بلورات صفراء جميلة . اما الفحم فاذا أُحمي احترق وتحول الى غازات باتحاده مع اوكسجين الهواء . وهناك طريقة اخرى للتبلور عرفها الكيماويون — يعني اذا ذوبت ملحاً اعتيادياً في الماء لا بد ان تصل الى درجة لا يذوب فيها الملح لان الماء اذاب كل ما يقدر ان يذيبه . فاذا احميت ذلك الماء زادت قابليته للتذويب . فاشبعه من الملح وهو حام واتركه حتى يبرد فيتبلور الملح الذي اذابته الحرارة

وقد صحت هذه الطريقة بتبلور الفحم فاذابوه في حديد مصهور فلما برد المزيج تحول الفحم الى بلورات سوداء مصفحة ليس فيها شفافة الماس . وهذه البلورات هي المادة التي يصنعون منها اقلام الرصاص . وليس في تلك الاقلام في الحقيقة أثر للرصاص وانما هي فحم مبلور يسمى عند الافرنج Graphite

واول من وفق الى صنع ماس حقيقي هنري مواسان . بدأ عمله بدرس تركيب الماس الطبيعي [illegible] فوجد فيه أثراً خفيفاً من الحديد . فاستنتج من ذلك [illegible] في تكون الماس . ثم وجد بالبحث ان الماس يوجد في [illegible] من الحجر [illegible] وهذا الحجر لا يتكون في الطبيعة الا [illegible] فاستنتج مواسان ان الماس كذلك يحتاج الى الضغط في تبلوره

وقد زاده يقيناً من استنتاجه [illegible] وجد في نيزك وقع في ولاية اريزونا من الولايات المتحدة قطعاً صغيرة جداً من الماس ففحص مواسان بنفسه ذلك النيزك ليبحث عن كيفية تكون الماس فيه فتوصل الى ان الحديد يسيل من شدة الحرارة فاذا برد سائله زاد حجمه كما يزيد حجم الماء اذا تحول الى جليد . فالنيزك واكثره من الحديد يسيل عند وقوعه بالحرارة التي تتولد من احتكاكه الشديد بطبقات الهواء التي يخرقها . لكنه لا يلبث ان يبرد فتبرد اولاً طبقة خارجية تكوّن حوله غلافاً صلباً ويبقى الحديد في داخله سائلاً فيبرد شيئاً فشيئاً ولا مجال لزيادة حجمه لانحصاره بذلك الغلاف الصلب . فينشأ من ذلك ضغط شديد يكفي لتحويل الفحم الممزوج بالحديد الى ماس . فلم يبق لمواسان بعد اكتشافه هذا الا ان يقلد الطبيعة بما يشبه النيزك ليتحقق صحة استنتاجه عملياً . فوضع كمية من الحديد مع قليل من فحم السكر في وعاء لا يذوب بالحرارة ولا يحترق . ووضعه في فرن كهربائي يولد حرارة هائلة فسال الفحم والحديد فنقل هذا المزيج دفعة واحدة الى وعاء فيه ماء بارد جداً .

حاصل فيه نفس ما يحصل للنيزك . اي تكون اولاً غلاف حديدي وفي داخله المائل الحديدي . فلما برد تولد فيه ضغط شديد فتبلور الفحم فعلاً بشكل قطع صغيرة من الماس لا تساوي القطعة منها حتى ما انفقه في توليدها — على انه وان لم يربح مالاً من تجاربه هذه فله الفضل في كشف سر من اسرار الطبيعة ومعرفة الطريقة التي تصنع بها حجارتها الكريمة . ومهد طريقاً قد يأتي بفائدة مادية في المستقبل بإتقان العمل

اصطناع الياقوت

لم يكسب مواسان شيئاً من عمل الماس الاصطناعي لكن بعض اهل النشاط والجد نجح في اصطناع الياقوت واستثمر تعبه . عرف الكيماويون من زمن طويل ان

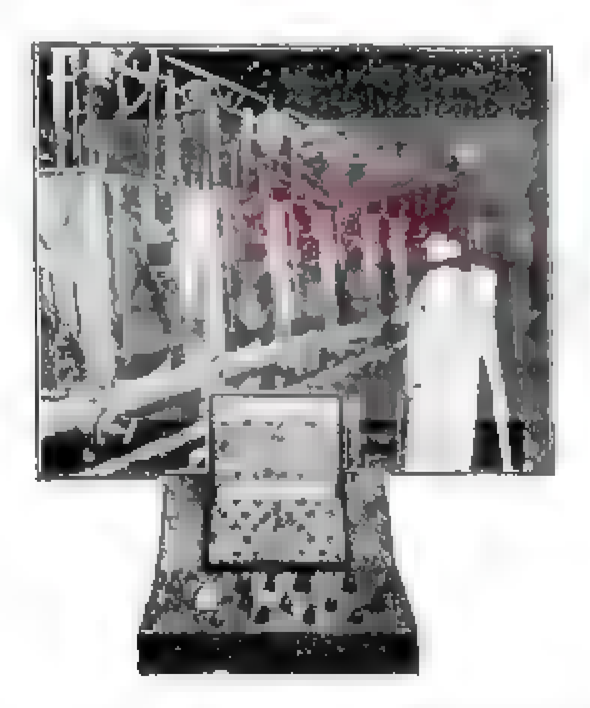

معمل الياقوت توضع المواد الاولية في القمع الاعلى حيث تذوب من شدة الحرارة فتتساقط في الداخل وتكون بلورات الياقوت . وفي اسفل الصورة انموذج من الياقوت الاصطناعي قبل صقله وبعده

الياقوت ليس الا شكلاً متبلوراً من الخزف الاعتيادي الذي تصنع منه الاوعية كالقلل والاباريق واسمه العربي صلصال . فما هي طريقة تبلور ذلك الخزف ؟ ان اول من توصل الى ذلك الاستاذ فرنايل الفرنساوي وطريقته اليوم مستعملة في فرنسا والمانيا ربح اصحابها منها ربحاً لا يستخف به

اما الطريقة فبسيطة جدًّا وهي كطريقة مواسان — عبارة عن تقليد الطبيعة في تكوينها قضبان الجليد المدلاة . وذلك ان نقطة الماء اذا بردت تحت الصفر كونت بلورة ثلجية . فاذا بردت قبل سقوطها من سقف كالذائب ببلورة وجمدت ولصقت به وتبعتها نقطة أخرى جمدت فوقها او حولها ولا يزال جمودها يتزايد كلما سقط عليها الماء حتى تكون منها اسطوانة بشكل الحامة المقلوبة . غير ان فرنايل ادخل بعض التغيير على طريقة الطبيعة فبدلاً من شكل الاجسام المعلومة جعل بلورة الياقوت تكون بشكل الحامة معتدلة

وكيفية ذلك ان يضاف الى الالمنيوم قبل تبلوره بعض المواد الملونة كاوكسيد الكروم للياقوت الاحمر والتيتانيوم مع اوكسيد الحديد للياقوت الازرق (وقد توصلوا الى هذا التركيب بعد التجارب الطويلة) توضع مع الالمنيوم في وعاء قمعي الشكل تتولد فيه حرارة شديدة فيذوب الالمنيوم والمواد الممزوجة به ويتساقط نقطاً من فوهة القمع على قالب صلب احصي الشكل (كمثري) ويجمد ويتخذ شكله ثم تنقل هذه البلورات الجديدة فتصير [illegible] المواد التي تدخل في المزيج الاولي فاذا كان [illegible] الكروم [illegible] حمراء بلون الدم واذا خالطه شيء من [illegible]

ولا بد ان يتساءل القارئ [illegible] بين الياقوت الطبيعي والياقوت الاصطناعي فالجواب [illegible] بين الاثنين . ولكن المكروسكوب يبين فرقاً صغيراً وهو وجود [illegible] في الياقوت الاصطناعي مكانها بلورات رمادية صغيرة جدًّا في الطبيعي

ولم [illegible] اخيراً انهم توصلوا الى طريقة [illegible] لصنع الماس وسائر الحجارة الثمينة [illegible] تأثير ذلك على الناس ؟ لا شك ان قيمتها [illegible] طالبوها ايضاً لكثرتها لانها لا تكون حينئذ وسيلة للظهور والتبجح . فيتلف الماس عن حجر او معدن غير معروف ولو كان في جبهة الاسد [illegible]

كيف صار روزفلت رجلاً

دروس للشبيبة الشرقية

[illegible] روزفلت اليوم في محل الانظار [illegible] تكتب فيها فصولاً من تاريخ حياته و اختباراته الشخصية [illegible] . وقد [illegible] في العدد الاخير منها فصلاً في حياته الجسدية ذكر فيه كيف كان في [illegible] نحيلاً ضئيلاً [illegible] الى

الاهتمام بتربيته البدنية حتى صار قوياً نشيطاً . وختم مقالته بنصائح مفيدة للحصول على بنية قوية . فرأينا ان نقتطف من تلك المقالة ما نعتقد فيه النفع للقراء ولا سيما الشبان منهم وحسبهم الاقتداء برجل كروزفلت — قال :

« كنت غلاماً سقيماً ضعيف المزاج جداً لا اقدر ان اجاري رفاقي لكنني كنت احب الرجال الاشداء الذين لا يهابون شيئاً وكنت اعجب بما اقرأه من قصص الشجاعة والفروسية او اسمعه من الحوادث التي جرت لآبائي واجدادي . على ان هذا الاعجاب لم يخرج عن كونه شبه حلم بعيد فلما بلغت السنة الرابعة عشرة من عمري طرأ عليَّ حادث انتفعت منه نفعاً جزيلاً واليك هو :

« اصبت بالربو في صدري حتى عجزت عن العمل فطلبت الراحة في قرية على ضفة بحيرة فسافرت اليها ومعي في المركبة ولدان من عمري كانا اقوى مني جداً واسوأ نية فلما رأياني جباناً ضعيفاً طمعا في اعتبالي وحملا بصابقاتي حتى لم اطق صبراً فخطر لي ان [illegible] [illegible] [illegible] وجدتهما فاعجب بهما معاً

« فمضى هذه الحادثة [illegible] الكتب التي قرأتها [illegible] التي سمعتها فقررت ان اجعل جسمي [illegible] صحيحاً [illegible] عمري ووجدت الطريقة الوحيدة لهذه الغاية التمرين [illegible] (الملاكمة بوكس) فاستصعبتها في بادئ الامر لعلمي لدقتي وقلة مرونة عضلاتي لكنني ما لبثت [illegible] حتى صرت من الملاكمين وفي ذات يوم اجرى استاذي امتحاناً لتلاميذه في الملاكمة وكانت النتيجة اني فزت على رفيقين قويين لم اكن احلم بالانتصار عليهما فحدثت هذا النجاح البهر »

ثم سرد روزفلت كيف اخذ منذ ذلك الحين ينصرف الى ركوب الخيل وصعود الجبال والصيد وسائر الالعاب الرياضية والتمارين الجسدية مما يطول تفصيله . على ان سياحته في السودان منذ بضع سنوات برهان ناطق على الدرجة التي بلغ اليها اهتمامه بالرياضة البدنية ونقتصر هنا على النصائح والآراء التي ختم بها مقالته قال :

« ذكرت الحوادث المتقدمة تأييداً لمبدأي في هذه الحياة وهو ان النشاط النفسي يؤدي الى النشاط الجسدي وهو اساس كل عمل . ان سكان المدن بخلاف اهل القرى لا تساعدهم طبيعة الحضارة على التقدم الجسدي ولكن يمكنهم بكل سهولة ان يجعلوا انفسهم اقوياء اصحاء اذا ارادوا ذلك ولا يلزمهم للوصول الى هذه الغاية الا العزم والثبات . فكل صانع او محام او تاجر او غيرهم من سكان المدن يقدر ان يحصل على جسم صحيح وعقل صحيح . شاهدت كثيرين من رفاقي في الجيش كانوا في فرقتي ومع

كونهم من أهل المدن اظهروا من الاقدام والنشاط والثبات ما لم يظهره سواهم

« ان أسباب النجاح في هذا العالم نوعان : احدهما فطري تهبه الطبيعة من نفسها بلا تعب واجتهاد كالمواهب الطبيعية البدنية والعقلية وقد يستطيع الانسان التوصل بها الى النجاح في امور لا يقدر ان يبلغها عامة الناس مهما اجتهدوا قواهم . ويدخل في هذا القسم الرجال العظام من قواد وحكام وكتاب ونحوهم . ولا شك ان التعلم والتمرين يزيدان تلك القوى الفطرية ولكنهما لا يكسبان رجلاً اعتياديا من بلوغ الغاية القصوى . اما النوع الآخر فهو اقل ظهوراً لكنه اكثر اهمية لعموم الناس اذ يكفي للحصول عليه العزم والثبات وهو ليس مبنياً على فرق جوهري بين الناس يميز بعضهم عن بعض وانما هو فرق عرضي ينشأ ويزول بمجرد ارادة الرجل . لانه لا يستلزم قوى فطرية هائلة بل يتوقف على تمرين المواهب الاعتيادية الموجودة في كل انسان وتربيتها . فباب النجاح من هذا النوع مفتوح لاكثر الناس على شرط ان يستعملوا قوة ارادتهم . ولا شك ان كثيراً من الرجال العظماء في ... النوع ... ذوي الهمة والنشاط وان لم يكونوا بفطرتهم من اصحاب العزيمة المثيرة ... النجاح الثانية فهم جمهور الناس اكثر من تلك ... وجب الامر ... كل فوز او انتصار نلته في حياتي انما هو من النوع الذي لاني كنت في بدء امري ضعيفاً نحيلاً قليل الثقة بنفسي فتغيرت ... تمرين ... والعمل

« لا ازال اذكر قصة قرأتها منذ حداثتي فيها قبطان مركب انكليزي يقص لبطل الحكاية كيف حصل على خلق الشجاعة وهذا قوله « يكون الرجل في بدء امره ضعيف العزم قليل الثقة بنفسه جداً يخاف من كل شيء واكثر مخاوفه وهمية تنتج عن ضعف ارادته . ثم لا يلبث ان يتسلط على ذلك الوهم شيئاً فشيئاً بتقوية ارادته فيذهب خوفه . وبعبارة اخرى انه يقنع نفسه بالوهم ان لا داعي للخوف . ثم يتحول هذا الوهم الى حقيقة فيصبح لا يهاب شيئاً » وقد اتبعت هذه الطريقة وكنت اخاف اموراً كثيرة مرعبة ومصعوبة فتعوّدت ان اعمل كما لو لم اكن خائفاً فاصبحت في الواقع لا اخشى شيئاً مما كنت اخافه قبلاً . فكل واحد يقدر ان يعمل عملي لا سيما في ايام حداثته

« لاشك ان الرجل المولود شجاعاً يستحق اعجابنا . ولكن لا يبرح من ذهننا ان الرجل الذي لم تمنحه الطبيعة هذه النعمة يقدر ان يكتسبها اذا اراد ولا يكفي ان يريد ذلك وهو جالس في غرفته كانه يحلم حلماً لطيفاً بل عليه ان يسعى ويعمل ليحقق حلمه فان الهمم تجعل الوهم حقيقة » اهـ

بيربونت مورغن

المثري الاميركي الشهير

تعج الصحف والمجلات باسهاب في تراجم حملة الاقلام من سياسيين واجتماعيين وادباء وشعراء وتعدد آثارهم وثمار قرائحهم . وقلما تذكر رجال الاعمال المادية والمشاريع الاقتصادية . ليس فينا من لا يعرف ترجمة هوجو وشكسبير ودانتي ولكن الذين يعرفون سيرة مكتشف البخار ونحوه قليلون مع ان النفع المحسوس من وراء اكتشاف كهذا والتأثير الحقيقي الذي يلحق كل امة من امم العالم عظيمان جداً في حياتها الاقتصادية المادية بالنسبة الى عمل شاعر او كاتب . فاكتشاف البخار مثلاً احدث انقلاباً هائلاً في الحالة الاقتصادية لم يبق الانتفاع به فرداً من افراد العالم . اما كتب الادب والشعر فتسر قارئها وقد ينتهي كل عملها هناك

وقد قام في البلاد الاميركية في القرن الماضي فئة من رجال الاعمال والمشاريع كانوا قادة شؤونها الاقتصادية وفي مقدمتهم المستر جون بيربونت مورغن المتوفى بمدينة رومية في ٣١ مارس الماضي ونحن موردون فذلكة من ترجمة حاله مع آراء بعض المشاهير فيه

حياته واعماله

ولد مورغن سنة ١٨٣٧ في مدينة هارتفورد ووالده جونيوس مورغن من الماليين المعروفين كان صاحب مصرف من اكبر مصارف الولايات المتحدة فلا غرو اذا اتبع الابن خطوات ابيه . ويختلف مورغن من هذا القبيل عن غيره من المثرين الاميركيين كفاندربلت وكرنجي الذين بلغوا الى ما بلغوا اليه من الثروة بدون تمهيد او سابقة . تعلم مورغن اولاً في مدرسة بوسطن العالية واتم دروسه في جامعة كوتنجن الالمانية ونال عدة القاب اكرامية من جامعات اميركا اعترافاً بذكائه

وفي العشرين من عمره اشتغل كاتباً في احدى الشركات ثم صار الوكيل الوحيد في الولايات المتحدة لبيت من بيوت لندن المالية . وفي سنة ١٨٦٤ الف شركة مالية باسم «دبني مورغن وشركاهم» وبدأت مشاريعه الكبرى من ذلك الحين ولا سيما فيما يختص باصلاح ادارة السكك الحديدية وتنظيمها . ويروى عنه في تلك الايام ان والده كلف صديقاً له ان يراقب سلوك مورغن الفتى ويخبره عن احواله فبعد مدة ارسل تقريراً قال فيه « ان جون مواظب على عمله ولكنه قليل الاعتدال والانتباه » واظهر الصديق ثقته القليلة بنجاحه في المستقبل . ولم يمض بضعة شهور على هذا التقرير حتى كان العالم المالي شديد الاعجاب بهمة مورغن في انقاذ احدى شركات السكك الحديدية من الافلاس

وما زال من سنة ١٨٨٠ يحسن احوال السكك الحديدية والماليون يشعرون بتأثيره المتزايد حتى كانت ازمة سنة ١٨٩٣ فاقفل بها خمسمئة مصرف من مصارف الولايات المتحدة فكان بيربونت مورغن من اكبر العوامل في اصلاح الخلل وارجاع الثقة التجارية وهي قوام المعاملات المالية . على ان مورغن مشهور بابتكاره شركة احتكار الفولاذ سنة ١٩٠١ وهي كغيرها من شركات الاحتكار الاميركية المعروفة عندهم بالترست (Trust) وغاية كل منها حصر صنف معين من الاصناف يكون لها القول الفصل في كل ما يتعلق به من اصطناعه وبيعه . وقد حسن مورغن احوال الفولاذ بهذه الطريقة ولا يخفى ما يحتاج اليه هذا المشروع من المقدرة العقلية والهمة وغايته احتكار صناعة هي ركن من اركان الحياة الاقتصادية

وقام مورغن بعد ذلك بمشاريع كثيرة والف عدة شركات تجارية ولما طرأت ازمة سنة ١٩٠٧ كان له الفضل الاكبر في تخفيف وطأتها فاقرض البيوت المتضايقة الموثوق بها مبلغ ٥ ملايين جنيه واتحد مع زملائه فعملوا جميعاً على ارجاع المياه الى

مجاريها . وبالاجمال انه كان ركناً من اركان الحركة التجارية في العالم باسره اذا طرأ خلل على تلك الحركة بادر الى اصلاحه حتى قيل « ان مكتب مورغن ملجأ المتقهقرين يصلح حالهم وينتشلهم من هوة الخراب »

لا يظن القارىء بعد سرد هذه الاعمال التجارية المادية ان الرجل كان في شاغل عن الامور الادبية المعنوية فقد كان من اكبر المشتغلين بجمع الكتب الثمينة والآثار النفيسة القديمة والحديثة ويقدرون ثمن ما جمعه في حياته بمبلغ يتراوح بين اربعة ملايين جنيه وعشرين مليوناً . منها نحو ١٦٠٠٠٠ جنيه ثمن ثلاث صور زيتية فقط وله مجموعة مصنوعات صينية تقدر بمثل هذه القيمة ولا يمكن سرد محتويات مجموعاته الا بصفحات عديدة . فنقتصر منها على ذكر الاناجيل التي كانت لهنري الثامن ملك انكلترا ونسخ عديدة من الكتب المقدسة من اقدم النسخ الخطية والمطبوعة . ونسخ من الطبعة الاولى لكتب شكسبير وغيرها من الآثار الادبية ونحو ذلك من التحف النادرة

آراء بعض الشهير ممن عاملوه

اجمع الذين عملوا مع مورغن على مدح اخلاقه وصدقه قال فيه روزفلت :

« كان مورغن يحادثني في اهم المسائل السياسية وبعدئذ فكلما سمحت لي الفرصة ان احادثه او [illegible] كنت اتوسم فيه الصدق والاخلاص . فاذا قال فعل واذا وعد وفى وكان يصنع الخير ويتكتم [illegible] عرفت ان احد اعضاء مجلس الشيوخ الاميركي انتشله مورغن من [illegible] ولم يكن [illegible] سوى اعجابه بصدق وطنيته واخلاصه في الخدمة العامة . فعل ذلك بعد ان اشترط ابقاء امره مكتوماً »

وسئل راعي الكنيسة التي كان مورغن عضواً فيها عن حياته الدينية فقال :

« كان بيربونت مورغن مع كثرة مشاغله اول مساعد لكل عمل خيري واول معضد لكل اجتماع يراد به تحسين حالة الشعب وكان شديد الايمان يصغي بكل خشوع لما يقال في الكنيسة من الوعظ والصلاة وكثيراً ما كان يعين الفقراء سراً »

وقال احد اصدقائه من كبار الماليين :

« اسعدني الحظ ان اعاشر مورغن زمناً طويلاً وادرس اخلاقه فوجدت نجاحه العظيم لم يكن متوقفاً على ذكائه وعلمه . وانما هو ناجم عن اخلاقه وآدابه فانه كان رجلاً بكل معنى الكلمة — ولاشك انه ورث كثيراً من مناقب ابيه وكثيراً ما سمعته يذكره مقروناً بالاحترام . على انه سعى هو نفسه في تربية اخلاقه وانمائها اذ لا يكفي ان يكون الوالد حسن السيرة حميد الاخلاق ليشب الابن على مثاله بل لا بد من ان يختار الانسان لنفسه الطريق الذي يحلو له . وكان مورغن يفتخر انه استقل عن ابيه في بادئ

حياته فكوّن اخلاقه بمجرد ارادته وسعيه . فسرُّ منشرة هذا الرجل في ما تم اليه من الاهمية الاقتصادية حتى اصبح امر الاسواق المالية اليه انما هو اخلاقه واساسها الصدق والامانة والمواظبة والنشاط . اما ثروته فقد اختلفوا في تقديرها ولا يستطيعون معرفتها تماماً الا بعد حين ولكن يظنون انها نحو ثلاثمائة مليون جنيه

عظماء الرجال والطعام

المشهور ان الاعمال العقلية تضعف الهضم لما بين الدماغ والمعدة من العلائق المتبادلة ولذلك كان اصحاب القرائح من الشعراء والادباء والعلماء من اكثر الناس تعففاً في طعامهم وشرابهم . وقد تواترت الامثال والحكم في تقبيح النهم وتحسين التعفف . ومن مرويات العرب من هذا القبيل ان الحرث بن كلدة سئل عن افضل الدواء فقال « الازم » يريد قلة الاكل . وقال آخر فضل [illegible] ان ترفع يدك عن الطعام وانت تشتهيه . وقيل لسمرة بن جندب ان ابنك اكل طعاماً كظه حتى كاد يقتله فقال لو مات ما صليت عليه . ودعا عبد الملك بن مروان رجلاً الى الغداء فقال ما فيَّ فضل يا امير المؤمنين فقال لا خير في الرجل يأكل حتى لا يكون فيه فضل . وهم يحسبون صفاء الذهن في قلة [illegible] في [illegible] والجوع [illegible] العود اذا خلا جوفه صفا صوته . ومن امثالهم [illegible] البطنة تذهب الفطنة . ومن الامور المقررة في الطب الحديث ان النهم يجلب السقم لان اكثر ما يعرض للناس من الاسقام والعلل انما سببه النهم في الطعام وكم نتواصى بتقليل الطعام عند الاعمال العقلية

وقل من اشتهر بالنهم من ادباء العرب وعلمائهم لانهم كانوا يخشون الظهور بذلك . واشهر من عرف بكثرة الاكل من العرب سليمان بن عبد الملك الاموي ذكروا انه اكل مرة مجلاً برمته وخمس دجاجات هنديات وشرب وتجشأ ثم جلس مع اصحابه عن المائدة كالعادة كانه لم يأكل شيئاً . وما زال سليمان هذا نهماً حتى مات من كثرة الاكل وهو في دابق اذ جاءه فلاح من اهل القرى بسلين احدهما مملوء بيضاً والآخر مملوءٌ تيناً فقال قشروا فجعل يأكل بيضة وتينة حتى فرغ من السلين ثم اتوه بقصعة مملوءة مخاً بسكر فاكله فتخم ومرض ومات . والواثق بالله العباسي كان مغرماً بحب الباذنجان وكان يتناول في اكلة واحدة اربعين باذنجانة

وقد وقفنا على مقالة في احدى المجلات الفرنساوية عن مشاهير الآكولين من رجال

مشاهير ادباء الفرنساويين

بالنظر الى الطعام

[illegible]

الأقلام عندهم يظهر منها أنهم كثيرون في فرنسا . وقد اجتمع جمهور منهم في صورتين وفيهم جماعة تفاخر بهم فرنسا سائر الأمم مثل بلزاك ودوماس ورينان وغيرهم . وترى عواقب النهم ظاهرة في أكثرهم وبينهم جماعة ضخام الأبدان والوجوه . وصوّروا معهم جماعة من قليلي الطعام نحاف الأبدان

ذكروا أن بلزاك الكاتب الفرنساوي الشهير كان يوصي صاحب المطعم الذي يأكل عنده على طعام الغداء بكمية كبيرة من [illegible] ذلك نحو دستة من المحار (كندفلي) و١٢ قطعة [illegible] . ومن الفاكهة بطيخة واحدة أو أكثر من الأثمار غير المشروبات . كان يستيقظ من رقاده في الساعة الحادية عشرة ويتناول غداءه نحو الساعة الرابعة وهو مؤلف من عدة ألوان بمقادير كثيرة نحو ما تقدم . ويعمد الى القيلولة فإذا نام ساعتين أيقظه خادمه وبيده فنجان كبير من القهوة القوية . ولا يزال يشرب من هذه القهوة فنجاناً بعد فنجان الى العشاء

وتقسم حياة فكتور هوغو من حيث الطعام الى دورين كان في أولهما نحيفاً يقتات بفرنك واحد في [illegible] في طعامه فأخذ في السمن وزاد أكله . و[illegible] من عمره متين العضل قوي المعدة صلب الأسنان [illegible]

وكان [illegible] ذلك ظاهراً في سحنته للمتفرس في وجهه [illegible] الطعام هجوم الأسد على الفريسة . وكان عارفاً بصناعة الطبخ كثيراً ما يصنع طعامه بيده ويتأنق في إتقانه وتعديله

وزولا [illegible] كان في شبابه نحيفاً جداً ثم أخذ في الهزال لقلة الطعام على كثرة [illegible] الأطباء بالانقطاع عن السوائل فكان لا يشرب إلا قدحاً من [illegible] بعد الطعام ثم عاد [illegible] في النهم وأكثر من الطعام

وكان رينان الفيلسوف الشهير بديناً جداً كثير الأكل إذا جلس الى المائدة اشتغل بالقطع والمضغ والبلع لا يلتفت يميناً ولا شمالاً . ومن لطيف ما يروى عنه من هذا القبيل أنه كان في دعوة بعض الأصدقاء وأخذ كل من المدعوين دوره في الخطابة على المائدة ورينان غارق في الأكل . فلما جاء دوره نبهته صاحبة المنزل قائلة « جاء دورك يا أستاذ بمكالمة [illegible] » فرفع رأسه وقال « أشكرك يا سيدتي لا حاجة لي بالكلام الآن إلا لطلب قليل من البازلا » . ومن مشاهير الأكولين عند الفرنساويين [illegible] الشهير . وكان تيوفيل غوتيه يكثر من أكل اللحوم الحمراء في الصباح عند النهوض من النوم . وجان جاك روسو ضعيف الجسم لكنه كان أكولاً ويحب أن يتناول

طعامه خارج الغرف تحت السماء وقلما يشرب القهوة . واما المكثرون من القهوة على الخصوص فمنهم فولتير كان يشرب نحو ستين فنجاناً من القهوة في اليوم وكذلك دبدرو

وهناك طائفة من الكتاب والشعراء اشتهروا بالتعفف وكانوا نحاف الابدان منهم جلاتيني كان اكله قليلاً واكثر ايامه لا يتناول الغداء . وبوديه كان يعتدي في الغالب على بعض الاثمار الجافة والبقولات . وكان لامارتين قليل الطعام لا يشتهي منه غير المثلجات

باب الأخبار العلمية

﴿ مستقبل الاوتوموبيل ﴾ لا بدع من تتبع تاريخ الاوتوموبيل في العقدين الاخيرين الآن بدهشة التقدم السريع الذي لم يصل اليه صناعة قد سببت انقلاباً عظيماً في وسائل النقل لا يقل اهمية عن الانقلاب الذي حصل عند استعمال البخار . ويظن البعض ان الاوتوموبيلات ستقوم في المستقبل مقام السكك الحديدية كما قامت هذه مقام عربات النقل . وقد نشرت بعض المجلات الاميركية عدة مقالات في هذا المعنى بحثت فيها عن مصير السكك الحديدية وخشيت منافسة غيرها عن استعمالها وعددت مزايا الاوتوموبيل وكيف انها اذا عمت البلاد كانت اسهل للقيام بوظيفة النقل من غيرها فتجعل المملكة جسماً واحداً متضاماً — على ان الناس الفوها فاصبحوا لا يقدرون اهميتها حق قدرها وفاتهم انهم بين يدي انقلاب اقتصادي عظيم . وللاقتناع بصحة ذلك قابل اوتوموبيل من طرز هذه السنة بآخر مصنوع قبل دخول القرن العشرين . ومما يدل على هذا الانقلاب العظيم عدد الاوتوموبيلات المتزايد فان مجموع الموجود منها في الولايات المتحدة اليوم يبلغ المليون وتقدر قيمتها بنحو الف مليون ريال اي مئتي مليون جنيه

ويستعمل الاوتوموبيل لعدة امور آخرها واغربها استعماله كنيسة نقالة تطوف الحقول والقرى الصغيرة . ومن هذا النوع كثير في اميركا فالكاثوليك في بعضها مذبح وشموع وسائر لوازم الصلاة . فاذا اراد القس اقامة الصلاة في محل وقف وفتح العربة فيظهر المذبح وينصب فوقه خيمة معلقة بالاوتوموبيل

﴿ بيع بالمزاد بواسطة الكهرباء ﴾ في هولاندا اسواق يباع فيها البيض بالمزايدة ونظراً لما كان يحدث فيها من الازدحام وصعوبة الاجراآت اللازمة للبيع والشراء

الهلال

الجزء التاسع من السنة الحادية والعشرين

اول يونيو (حزيران) سنة ١٩١٣ و ٢٦ جمادى الثانية سنة ١٣٣١

الحياة

مقرها ومصيرها

الحياة اعز ما لدى الانسان واحب شيء اليه . ... ولا بد انه انتبه الى ذلك من اقدم ازمان عمرانه . أو بالحري منذ أخذ يعمل فكرته في ما يقع بصره عليه . فأول شيء استلفت انتباهه الفرق بين الميت والحي من بني الانسان ولا سيما من يهمهُ امرهم أو يحتاج اليهم أو يحبهم . تصوَّرْهُ أحبَّ فتاةً — والحب قديم — فاصبح لا يلذ لهُ غير قربها ولا يخاف سوى هجرها . يرى السحر في عينيها والنور في حدقتيها والورد بين شفتيها . ويرى الحياة تتدفق من جوارحها كلما لمسها احسَّ بحرارة أو بكهربائية . اذا تراكمت عليه الهموم وهي راضية فالسعد حليفه . وإذا غضبت فلا يرضيه شيء من اسباب السعادة . تصوَّر انهُ لقيها يوماً وقد جمدت عيناها وانطفأ نورهما وبردت يداها ويبست اطرافها وامتقع لونها وبطلت كل حركة فيها . يخاطبها فلا تجيب . لا تلبث ان يبلاها البلى ويتحوَّل ذلك الملاك السماوي الى جيفة لا تطاق . فأول ما يخطر له ان يبحث عن تلك الظواهر الفتانة واين ذهبت — او ما هي الحياة واين مقرها والى اين مصيرها .

قضى الانسان ادهاراً وهو يرى الاموات يذهبون ولا يرجعون ويفكر في نسمة الحياة اين كانت واين ذهبت . والظاهر ان اقدم حلّ وصلوا اليه بعد اعمال الفكرة ان الحياة مقرها القلب — ذلك ما ذهب اليه اليونان وغيرهم من الامم القديمة وان الدماغ مقرّ العقل . لكن العبرانيين كانوا ينسبون الى القلب كثيراً من اعمال العقل ايضاً وربما نسبوا بعضها ايضاً الى الكلى . وكذلك المصريون القدماء فان في صلواتهم ادعية كثيرة لحفظ القلب لانه مقر الحياة والعقل . وقس على ذلك تعاليم سائر الامم القديمة

ثم تحولت الانظار الى الدماغ وصار الاعتقاد انه مقر الحياة والعقل ومذهب جاليوس في ذلك ان الروح الحيوانية (الحياة) تجري من الدماغ الى القلب ومنه تتوزع في الجسد بواسطة الشرايين . وهذا هو رأي العرب ذهب اليه الرازي وابن رشد وابن سينا وغيرهم . ولما بزغ نور التمدن الحديث اخذت شكوك تتخلل هذا الاعتقاد ووقفوا حيناً يترددون حتى درسوا علم الحياة وشرحوا الاجسام وفحصوا الانسجة تحت الميكرسكوب فتبين لهم ان الحياة ليس لها مقرٌّ معين من الجسد تنبعث منه . وانما هي تقوم باشتراك الاعضاء والانسجة الحية . ولكن الاعضاء تتفاوت في الاهمية بالنظر الى الحياة فقسموها الى اعضاء رئيسية واعضاء اضافية . فالاعضاء الرئيسية هي التي لا يستغنى عنها الاحياء اهمها الدماغ والقلب او الجهاز العصبي والجهاز الدموي . فالانسان او الحيوان يعيش بلا رجل او يد لكنه لا يعيش بلا دماغ او قلب

وعرفوا بالفحص الميكرسكوبي ان الانسجة الحية على اختلاف وظائفها ترجع الى خلايا او حويصلات صغيرة فيها مادة الحياة الاصلية التي يسمونها بروتوبلاسم . وان النمو والدثور في الاجسام الحية يقع في تلك الخلايا . وان الحياة لا تزال في الجسم الحي حتى يقف عمل القلب فيموت الجسم وتبطل اعمال الحياة في كل جزء منه . ولذلك حاول بعض الاطباء اعادة الحياة الى الجسم بقبض القلب وبسطه . وقد جربوا ذلك في ميت لا تزال اعضاؤه سليمة وانما مات من صدمة اوقفت حركة القلب . فعادت الحياة الى الميت ريثما تعب الجراح — جرب ذلك الدكتور توفيه احد جراحي مستشفى الاحسان في باريس سنة ١٨٩٩ في شاب عمره ٢٤ سنة توفي بعلة في الزوائد البريتونية بالمعا الغليظ وجسمه في ما خلا ذلك صحيح وقلبه سليم . فلما تأكدوا موته شقّ الدكتور توفيه صدره

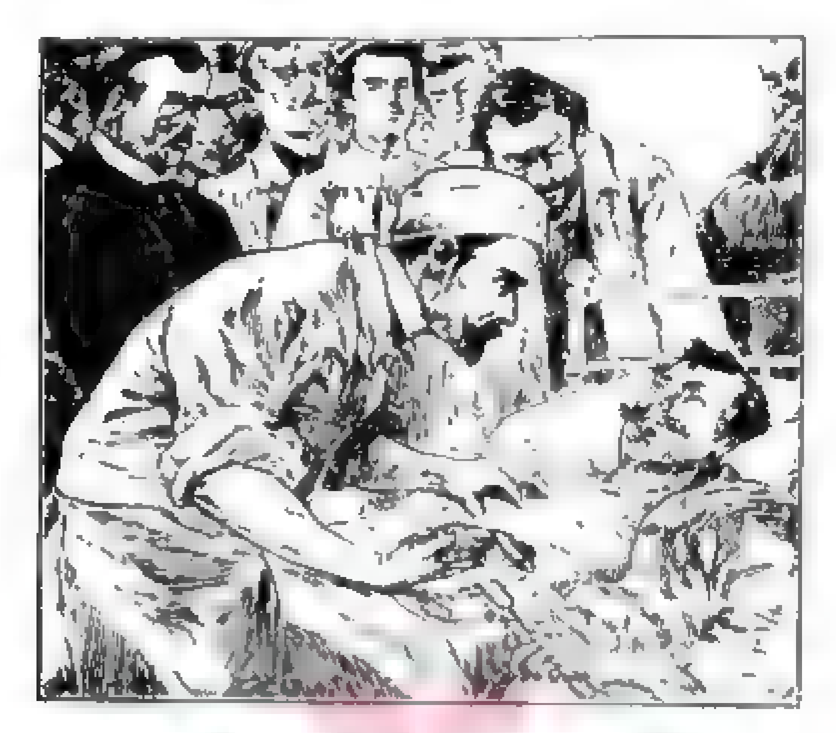

بحيث تمكن من ادخال يده وضغط بها على القلب بعد ان امر تلاميذه ان يمسكوا اطراف الشرايين المقطوعة بملاقط وكان ضغطه بمثابة انقباض القلب بعضله كأن يده عوضت عن عمل القلب ولم تمض هنيهة حتى احدث ملامح الحياة تظهر في وجه الميت. وسأله الطبيب عن اسمه فاجاب بصوت ضعيف « جان » ولكن الطبيب تعب وحالما ابطل العمل عاد الرجل الى الموت

فالاعتقاد السائد الآن هو ان الدورة الدموية اذا وقفت ماتت الاعضاء وصارت انسجتها الى الانحلال. لكن بعض اهل الهمة والعلم من خدمة الانسانية وصلوا تجاربهم المتوالية الى حقيقة تخالف هذا الاعتقاد نعني الدكتور الكسيس كرل الطبيب الفرنساوي المقيم في امركا وهو يشتغل بالابحاث الحيوية الميكرسكوبية في معمل روكفلر

وقد اشرنا الى تجاربه غير مرة ونأتي الآن على اجمالها لايضاح الموضوع مع ما حدث من تاريخه واختباره

ترقيع الشرايين

اول شيء وجه اليه فكره الاسراف الذي يقع في الاعضاء السليمة بالوفيات الاعتيادية اذ يموت الانسان عادة من علة في عضو من اعضائه الرئيسية وسائر الاعضاء سليمة فخطر له هل يمكن استخدام الاعضاء السليمة في جسم آخر فسدت فيه تلك الاعضاء. اذ يتفق أن يكون الانسان سليم الجسم الا الكلية مثلاً أو الكبد أو القلب فهل يمكن ابدال كليته أو كبده أو قلبه بعضو سليم مأخوذ من اناس ماتوا بعلة في غير هذه الاعضاء.

خطر له ذلك كما يخطر سائر ما يتمناه الانسان من العلم وان كان مستحيلاً. لكنه ادرك خطارة هذا الامر وعلم انه اذا وفق اليه قلب علم الحياة وادهش العالمين. وكان يفكر في ذلك وهو في جامعة ليون ثم انتقل الى اميركا والتحق بمعمل روكفلر وفيه كل ما يخطر للباحث تجربته ... وجهة

(ش ١) قطع من شرايين موصولة وعند اتصالها

فوقف في سبيل الوصول الى مرغبه في استبدال الاعضاء العليلة باعضاء سليمة امران رئيسيان. الاول الاحتفاظ بالاعضاء السليمة بحيث تبقى فيها القوة الحيوية الى حين الحاجة والثاني وصل اجزاء العضو السليم بالاجزاء التي كان العضو الفاسد متصلاً بها. هذا استأصلنا كلية عليلة ... كلية سليمة وجب علينا ان نصل اطراف شرايينها واوردتها ... بحيث تتصل تلك منها بحيث يسهل جريان الدم في ذلك العضو الجديد ... واهم نقطة في هـذا العمل

وصل الشرايين لانها وسيلة نقل الدم . وكان العلماء قد اخذوا بدرس هذه المسألة وجربوا وصل الشرايين والاوردة بالخياطة الدقيقة وانما كان يعيقهم تكون الجلط الدموية عند نقطة الالتحام . فاستنبط الدكتور كرل طريقة تمنع تكونها وخاط الشرايين بإبر رفيعة وخيوط حريرية دقيقة . وبرع في ذلك حتى توصل الى قطع الاورطي (الشريان الاكبر) على مسافة قصيرة من القلب وخياطته بدقة بحيث يعود الى اصله . وجرب طريقته هذه في الحيوانات فاتى بالغرائب بنقل الاعضاء او بعض اجزائها من حيوان الى آخر. فنقل اورطي كلب وخاطه بأورطي كلب آخر . وقطع اجزاء من جدران الاورطي في القطط والكلاب وخاطها في غير اماكنها وحوله تحت البنج الثقيل فكان يبنج الكلب تبنيجاً تاماً ويجري فيه ما يريده من قطع وخياطة والكلب لا يشعر بألم في اثناء العملية ولا بعدها والجروح تلتئم [illegible] ولا يحدث [illegible] فلا يلبث الكلب او الهر ان يفيق من البنج حتى [illegible] ولا يدري [illegible] يجري [illegible] له . وعند الدكتور كرل هرة صحيحة [illegible] في منزله . ونقل قطعة شريان من ركبة احد [illegible] وخاطها في [illegible] ونقل بعض معاونيه قطعاً من شرايين الارانب و[illegible] الكلاب

نقل الاعضاء

فلما وفق الى وصل الشرايين والاوردة اخذ يفكر في نقل الاعضاء من حيوان الى آخر [illegible] هذا العمل ان [illegible] ولكن يمكن اعادة الحياة اليها بعد موت اصحابها . فنقل قلب احد الكلاب ووضعه في عنق كلب آخر ووصل اورطي القلب المنقول بالشريان الباقي من هذا الكلب بخياطة رفيعة . وكذلك بين الوريد الاجوف والوريد الوداجي . فاصبح الكلب وله قلبان يشتغلان معاً احدهما ينبض ٨٨ نبضة في الدقيقة والآخر مئة نبضة !

وجرب الدكتور كرل ايضاً نقل الكلى فقلع الكلية بوعيتها من كلب ووضعها في مكان كلية مثلها من كلب آخر وخاط اوعيتها بالاوعية هناك فثبتت وصارت كأنها خلقت في مكانها . واقتلع الكليتين من كلب آخر وخاط اوعيتهما في كلب آخر فالتحمت الاوعية الدموية والاعصاب التحاماً تاماً وعاش الكلب بهما وقد جرب ذلك

بين حيوانات مختلفة فوجد أنها تقرب من [illegible] كلما كانت الحيوانات أقرب بالسلالة الحيوانية . كما بين الكلب والهر مثلاً و بين الهر والأرنب او الانسان والقرد وتبعد كلما بعدا كما بين [illegible] واحد

[illegible]

وقد [illegible] ذلك في خلال [illegible] من سنة ثمانية عشرة وشاعت تجارب كارل و[illegible] حتى حرموا ذلك في الناس [illegible] عدة لمرقيه من سالم وهي عملية وحفظوا مكانها عدة سليمة محل [illegible] وبقي [illegible]

[illegible]

بقي عليه حفظ الأعضاء سليمة الى حين الحاجة . فاستخدم [illegible] البرودة فاصطنع صندوقاً مثلجاً [illegible] فيه قطعاً من الشرايين والأوردة واستخدم بعضها [illegible] بعد ثلاثين يوماً [illegible] كأنها قطعت بالأمس ثم كشف له [illegible] أدهش العلماء لأنه [illegible] الاستعداد [illegible] من حيث [illegible] الأعضاء [illegible] الأعضاء الرئيسية وتوقيف الدورة الدموية فوجد أن الأعضاء [illegible] حية ولو فصلت من جسم بل هي قد تنمو نموًا طبيعيًا [illegible] كأنها لا تزال متصلة به وقد [illegible] تجاربه من هذه

القيل في السنة الماضية . وخلاصة ذلك انه أخذ قلب جنين الدجاج في الاسبوع الثاني أو الثالث من تكوينه وقطعه قطعاً وضعها في السائل لدووي (المصل) . وكان يغير سائل كل اربعة أو خمسة ايام بعد ان يغسل تلك القطع بضع دقائق . فاستطاع بذلك حفظها ١٢٠ يوماً لم يطرأ عليها تغيير غير نمو طبيعي كانها في البدن الحي فبلغت الانسجة في آخر تلك المدة نحو خمسة عشر ضعف حجمها في اول الشهر الثالث

وكانت تلك القطع تخفق او تضرب اي تنقبض وتنبسط كأنها في قيد الحياة ووضعوا اثنتين منها في وعاء واحد وراقبوا سرعته « خفقانه » فوجدوا القطعة الكبيرة تضرب ٩٢ مرة في الدقيقة والصغيرة ١٢٠ مرة وفي اليوم الرابع قلت سرعة الخفقان لكن بعد غسل ساعة وصف كان خفقان القطعة الكبيرة ١٢٠ والصغيرة ١٦٠ في الدقيقة ثم التحمت القطعتان واحدة تضربان معاً

ويستخرج الدكتور كارل من نتيجة بحثه مهمة وهو يرى انه يمكن ان تحفظ الانسجة حية والقلب يخفق بضعة اشهر بعد فصلها عن الجسم فمن المعقول ان يتوصلوا الى حفظ [illegible]

وكان لهذا الاكتشاف دوي في عالم العلم ومنح كارل جائزة نوبل عن الابحاث الطبية في هذا العام . لانه [illegible] بعد طبيب وهو لا يزال في مقتبل العمر لم يدرك سنه الاربعين من عمره يشتغل في ابحاثه بهمة ونشاط يشدت الانسجة الدقيقة خارج الجسم في السوائل المعدية فتنمو كانها في الجسم الحي ولا يزال يؤمل اكتشاف حقائق حيوية جديدة عن التي توصل اليها من حيث اصل الحياة ومصيرها

احسن طرق ارسال الدراهم

الى ادارة الهلال بمصر

هي الاوراق المالية (بنك نوط) انكليزي وفرنساوي وروسي واميركاني والحوالات على البوسطة لان ذلك ميسور في كل الجهات

آجال الدول

أو اعمارها قديماً وحديثاً

٢ — آجال الدول الدستورية

تكلمنا في الهلال الماضي عن آجال الدول الاستبدادية من نشوئها أو تكونها فنموها ورسوخها فكهولتها فهرمها الى زوالها . ونحن مفصلون الآن آجال الدول الدستورية على نحو هذا الترتيب .

لكن الدولة في الحكم الاستبدادي تختلف عنها في الحكم الدستوري اختلافاً كبيراً . وقد رأيت ان الدولة الاستبدادية هي صاحبة السيادة لا تملك الرعية معها امراً ولا نهياً . واما في الحكم الدستوري فالامة هي صاحبة السيادة الحقيقية والدولة تابعة لها . فالبحث في آجال هذه الدول الدستورية انما هو البحث في آجال الامة والدولة جزء منها . ولكننا نبدأ الكلام في نشوء الحكم الدستوري وتكونه ورسوخه ثم ننظر في آجاله

اولاً — نشوء الحكم الدستوري

السلطة الطبيعية

الحكم الدستوري كما هو معروف في الدول الدستورية اليوم بعيد عن طبيعة العمران . وانما نشأ بعد ارتقاء شأن العامة في الدول الحديثة في اجيال متوالية . واما ما ورد من الشورى على الاجمال فقد رأينا امثاله في العصور القديمة كما في اثينا ورومية وقرطاجنة . لكنه يختلف عن شورى هذه الايام من وجوه كثيرة لا محل لها هنا . واما العمران البشري بحسب طبيعة الانسان فانه اميل الى الحكم الاستبدادي لان الدولة الاستبدادية في اصل تكوينها صورة من صور العائلة

وتختلف الامم في استعدادها للشورى باختلاف طبائعها وعقائدها . والغالب في الامم القديمة ان تكون حكومتها على مثال حكومة معبوداتها . فاذا كانت متعددة الآلهة كاليونان والرومان كانت اقرب الى الشورى وبعكس ذلك اذا كانت من اهل التوحيد . ويصح ذلك في الامم التي نشأت فيها الدول على الفطرة . لكن طبيعة العمران تتغلب

عليها ولذلك رأيتها جنحت الى الحكم الاستبدادي خضعت للملوك والقياصرة وذهبت الشورى أو الجمهورية هباء منثوراً . الا في القليل النادر لأسباب محلية . فلما انتشر التمدن الحديث وارتفع شأن العامة نشأت الدول الدستورية الحديثة وفيها الجمهورية والملكية المقيدة . وهي من ثمار هذه المدنية وأساسها الاعتراف بحقوق العامة واشتراك الامة في اعمال الحكومة على ما هو معروف في المجالس النيابية . واذا تدبرت تاريخ هذه الدول رأيتها نشأت اما بالتفرع او بالانقلاب

نشوء الدول الدستورية بالتفرع

ومعنى ذلك ان تستقل بعض الامارات او الولايات عن دولة كبرى كانت في حيازتها فتخرج عنها بالقوة أو بالمخالفة كما فعلت اكثر جمهوريات اميركا الشمالية والجنوبية بعد ان كانت خاضعة لانكلترا أو فرنسا أو اسبانيا أو البرتغال . وكما استقلت امارات البلقان وغيرها عن الدولة العثمانية في القرن الماضي . وهذه كانت خاضعة لدولة استبدادية فلما تفرعت جعلت حكوماتها دستورية وهي اليونان والصرب ورومانيا وبلغاريا وغيرها

نشوء الدول الدستورية بالانقلاب

كذلك نشأت بعض الدول من الاخرى بأن كانت في اول امرها دولاً استبدادية يرجع الحكم فيها الى شخص واحد من دون مشورة ولا دخل للامة في شيء منها . ثم تحولت الى الحكم الدستوري بما اقتضته الشورى وتمكن المدنية والاعتراف بحقوق العامة . اما بالتدريج او بالوثوب دفعة واحدة او على وثبات متوالية . وأسعد الامم حظاً اكثرها تمهلاً في تبني القواعد الدستورية اذ تتسرب اليها تلك القواعد او المبادئ رويداً رويداً فتهضمها وتتمثلها قطعة قطعة بلا تعب ولا خطر كما فعلت انكلترا اقدم الدول الدستورية . وأتعسها حظاً اكثرها تسرعاً في اتخاذ تلك المبادئ فاما ان تهضمها بعد العناء الشديد والخسارة الفادحة كما كان شأن الفرنساويين في ثوراتهم الاولى او ان تعجز عن هضمها فيعود الدستور عليها بالوبال وقد يؤول الى تمزقها او دخولها في سيطرة دولة اخرى كما اصاب ايران وكما نخشى ان يصيب المملكة العثمانية لا سمح الله

والانتقال من الاستبداد الى الدستور لا يخلو من الخطر على كل حال ولكن خطره يكون قليلاً كلما كان الانقلاب بطيئاً اذ تستعد الامة له بالتدريج شأن كل انتقال

احتماعي مهما كان طفيفاً . اعتبر ذلك في كل تغيير يراد ادخاله على العادات أو المعتقدات . حتى المسائل الاصلاحية وان ثبت نفعها عقلاً فانها لا تخرج الى حيز العمل حتى تلاقي مقاومة . لان هذا الاصلاح أو غيره لا بد من ان يشغل مكاناً في المجتمع الانساني كان مشغولاً بشيء آخر فاذا قام مقامه نازعه على حصته منه . فلو اريد ادخال نوع جديد من الملابس مثلاً فصنعة الاقمشة الاخرى يبذلون جهدهم في مقاومته لئلاً يعود عليهم بالخسارة . وقس عليه سائر مرافق الحياة

وتظهر تلك المقاومة اكثر وضوحاً اذا كان ما يراد ادخاله يتعلق بالدين . فاصحاب الدين القديمة لا يدخرون وسعاً في تقبيحه ومقاومته لئلاً ينازعهم على حصتهم من العمل في ذلك المجتمع

فاحرى بالانقلاب السياسي ان يلقى مقاومة كبرى لانه يقطع ارزاق كثيرين ويقف في سبيل كثيرين فهو لا يخلو من الخطر . ولذلك وجب على احرار ان يتيقظوا ويحتاطوا . وهاك اهم تلك الاخطار :

١ — فتنة اصحاب النظام القديم

للدول في الحكم الاستبدادي تأثير كبير على الامة الداخلة في سلطتها فتكيف عواطفها الاجتماعية والسياسية والدينية على ما يلائم تلك الدولة . ولذلك قالوا « الناس على دين ملوكهم » وهو شيء في الحكم المطلق ان تكون ارادة الملك شريعة المملكة فتتجه افكار الامة ومساعيها الى ارضاء من يقيمهم ذلك الملك نواباً عنه في الحكومة وهؤلاء يعملون مرضي ملكهم . وتتسلسل الاعراض والمساعي سلاسل مترابطة الحلقات تتجه الى نقطة واحدة يوجهون اليها مطامعهم ويلتمسون منها ارزاقهم ويتفاوت نفوذهم فيهم بتفاوت مواهبهم وعقولهم . فاذا توالت الاجيال على هذه الحال اصبح المحيطون بالعرش نخبة الاذكياء واهل الدهاء . واذا رأوا في الملك ضعفاً اغتنموا ضعفه لاحراز الاموال وسايروه وداجوه واستعانوا على ذلك بالاعوان وغيرهم

ويحيط بالعرش ايضاً دائرة اخرى من رؤساء الدين يؤيدون عرشه ويستمدون سطوته ويؤيدون الحكم الاستبدادي لانه يشبه سلطة الخالق

ويلحق هاتين الدائرتين من المقربين دوائر اخرى يحيط افراد كل منها حول كبير من المقربين يرتزقون بما يرضيه ويحوم حول هؤلاء طبقات اخرى لتسلسل هذا السلم حتى تتصل ذلك بالتجار والصناع والباعة والادباء . وتتوالى الاجيال بالعون البقاء الاستبدادي ويتعودونه ويصبرون على سيئاته الا اذا كانت فاحشة لا تحتمل . وفي

كل حال فقلب هذا النظام لا يتصدى له علناً الا الذين تألم منه صدورهم فيثورون في قلبه نقماً . ويتذرعون الى الاجتماع عليه باسم الوطن او الامة او الحق او حجة اخرى ويجعلون اساس اجتماعهم اصلاح الدولة وقلب الحكومة الاستبدادية . وقد يكون فيهم من يطلب الدستور انتصاراً للحق فقط ولكنهم قليلون

فاذا تأتى لهم ذلك واعادوا حرية الافراد ونقلوا السيادة الى الامة اصبح الملك واعوانه وسائر رجال النظام القديم عرضة للاحتقار او المصادرة او القتل وقد ذهبت اسباب رزقهم وضاع نفوذهم . فهم اعداء النظام الجديد لا يدخرون وسعاً في تقبيحه والسعي في هدمه اما عن اقتناع او نقمة . وتختلف مساعيهم باختلاف احوال تلك الامة وعلاقاتها السياسية مع الدول الاخرى . وقد يقودهم اليأس الى تحريض بعض الدول على اغتنام ضعضع حال هذه الدولة في اوائل الانقلاب للاستيلاء عليها كلها او بعضها . كما فعل بعض النبلاء الفرنساويين الذين اضرمت الثورة نفوذهم فرحلوا الى المانيا وشرعوا يستنهضون حكوماتها ويدبرون لها اسباب الوفود الى فرنسا لانقاذ لويس السادس عشر من ايدي الثائرين وهم يعلمون انهم يعرضون بلادهم بذلك الى سيطرة الاجانب . وقد يتحينون الفرص ويتصيدون من اصحاب الانقلاب [illegible] بالمروقات الدينية او [illegible] . وفي التاريخ شواهد كثيرة من هذا القبيل

ولذلك جرت عادة رجال الانقلابات السياسية ان يبدأوا [illegible] ويطلقوا الاقلام ويكموا الافواه ويجردوا السيوف لقتل [illegible] الرجعية او العسكرية حتى تستقر السكينة وتتوطد دعائم الدستور . وقد يمضي على هذه الفترة عدة اعوام تجري الدماء في اثنائها انهاراً بلا شفقة ولا حساب . وانما يراد تأييد النظام الجديد وهو لا يؤيد بغير السيف . هكذا فعل الفرنساويون في ثوراتهم المتوالية فلم يستبقوا ملكاً ولا اميراً ولا كاهناً وقف في سبيل نظامهم . وقد يتكبدون في سبيل ذلك مظالم كثيرة لكنها في نظرهم خير من الرجوع الى النظام القديم

٢ — عدم استعداد الامة لذلك الانقلاب

من قواعد الاجتماع ان انتقال الامة من نظام الى نظام او عادة الى عادة او عقيدة الى عقيدة لا يثبت ان لم يكن تدريجياً لان الناس اعداء الشكل الجديد . وخصوصاً اذا كان ذلك الانتقال يمس مصالحهم اليومية ويدخل في اسباب رزقهم او يتعلق براحتهم ولو كانوا هم الساعين فيه والطالبين . وكم عملت الامة الفرنساوية [illegible] توفق الى توطيد دعائم الدستور الا بعد ثورات متوالية تعودت الامة فيها النظام الجديد وهلك في سبيل

تلك الوف من الناس

فالانتقال من نظام الى نظام لا يثبت الا بالتدريج مع ملاحظة حال الامة . وهي ترى الحكم الاستبدادي اقرب الى طبائع البشر وتميل من فطرتها الى المحافظة على القديم . فانتقالها دفعة واحدة من الاستبداد الى الدستور كانتقال اهل البلاد الحارة الى الاقاليم الباردة بحجة ان الطقس البرد انفع للصحة وادعى الى النشاط . ولكنك اذا فعلت ذلك عرضت اولئك الاقوام لامراض كثيرة . واذا لم يكن بدٌّ من نقلهم فيجب ان يتم تدريجاً في اجيال متوالية . فلا تنقل السوداني الى انكلترا دفعة واحدة بل تنقله الى صعيد مصر وتنقل اولاده الى مصر واولادهم الى اسبانيا واحفادهم الى فرنسا . وهكذا جيلاً بعد جيل حتى تتعود اجسادهم البرد

وهكذا حدث في انتقال امم اوربا من الاستبداد الى الدستور فانهم مشوا اليه خطوة خطوة فاعطوا الامة حقوقها رويداً رويداً حتى صارت الحكومة النيابية كما هي الآن . ولا يزال بين دول اوربا تفاوت في دساتيرها من هذا القبيل . ولعلَّ دستور انكلترا اوسعها كلها وقد وصل الى ما هو عليه الآن بعد مئات من السنين . ولو جاءها في اول سعيها الى الحرية كما هو الآن لقضى عليها وكانت تضحي ما تفقده في سبيله من الارواح والاموال . ولكنها حافظت على الاناة والصبر في العواقب حتى كانت تصبر عشرات من السنين على الاصلاح الواحد قبل الوصول اليه . واما الفرنساويون فانهم تعجلوا الاصلاح بالقوة فسفكوا في سبيله الارواح

فاصبح العقلاء من طلاب الدستور يلاحظون حال الامة ويعطونها من الحرية على قدر استعدادها كما فعل ميكادو اليابان في دستوره فانه حفظ لنفسه حقوقاً تساعد على حفظ الموازنة بينه وبين الامة . ولذلك خفنا على الصين لما انقلبت الى جمهورية ولا نزال نخشى عليها كما بينا ذلك في مكان آخر . ولهذا السبب خفنا على الدستور العثماني لما أُعلن لانه من اوسع الدساتير نيابة لم تصل انكلترا الى مثله الا بالاجيال المتوالية . وقد أُعطي للعثمانيين دفعة واحدة والامة على اجمالها لم تستعد له . ولذلك قلنا في بعض ابحاثنا ان الدستور العثماني ينبغي ان يكون فيه شيء من الاستبداد ليصلح لهذه الامة

٣ — تنازع اهل الدولة على الاحتفاظ من ذلك الانقلاب

طبيعي ان يجتمع القوم في طلب أمر لهم فيه مصلحة مشتركة وان قلت اسباب الاجتماع بينهم فان المصلحة تدفعهم الى الاجتماع باوهى الاسباب كما فعل الباقديون في

حربهم الاخيرة وهم اعداء فيما بينهم جمعتهم المصلحة لمحاربة عدوهم المشترك (العثمانيين) فاذا فرغوا من الحرب عادوا الى ما بينهم من اسباب التفريق

والمحكومون بسلطة الحكم الدستوري اذا وفقوا الى قلب الحكومة وانشأوا دولة دستورية تنازعوا على الانتفاع من النظام الجديد فيعودون الى ما كان بينهم من الفروق الجنسية أو الدينية فتقوم الشحناء بينهم وقد يوقد نارها بعض الدعاة من اصحاب النظام القديم بالدسائس ونحوها ولا يعدمون وسيلة لاثارة الضغائن بين العناصر او المذاهب. وقد وقع مثل ذلك في ممالك اوربا في اواسط القرن الماضي يوم تقررت السلطة للامة بالدستور فحدثت كل امة نفسها في حكم من يتولى حكومتها لانها ترى لها الحق أن لا تخضع لدولة غريبة عنها. ونشأت بعد ذلك الجامعات الجنسية اللاتينية والجرمانية والسلافية وغيرها. وكانت هذه الروح من جملة ما بعث الولايات الملحقة على الخروج من حوزة الدولة العثمانية واستعانت على ذلك بما يجمعها بدول اوربا من الجنسيات كما فعلت الصرب والبلغار واليونان. وكما يخشى ان يفعل المجر وبوهيميا وكرواسيا ودلماسيا [illegible] الخروج من [illegible] استقلال او [illegible] تحت حرب او لسبب آخر. [illegible] يجري على [illegible] وهي في اول انقلابها ان يقع الخصام بين عناصرها [illegible] فضلاً عن اهل الصين الاصليين

والخطر من [illegible] كانت الدولة التي احرزت الدستور مؤلفة من عناصر عديدة او مذاهب متفرقة فان التنازع يقوم بين تلك العناصر او المذاهب على الاستئثار بالسلطة. ويشتد التنازع اذا رافقه الجهل والفقر ولا سيما اذا كانت تلك العناصر ذات مجد سابق وجاءها الدستور واسعاً حراً ولم تسبقه بالحكم العرفي أو العسكري. كما وقع بالدولة العثمانية لهذا العهد وهي كما تعلم من تعدد العناصر والمذاهب وقد ظهرت فيها الاهواء وسعى رجال النظام القديم في الافساد ودس الدسائس بالضرب على الاوتار الحساسة والدولة مع ذلك مضطرة لاستبقاء بعض رجال ذلك العهد في مصالحها. ولهذه الاسباب كان الخطر على الدستور الفارسي اقل منه على الدستور العثماني لان الفرس امة واحدة ومذهب واحد وان كان العثمانيون اقرب الى اسباب المدنية منهم. فان تفرق العناصر اكثر خطراً على الدولة لانه يصدعها ويذهب بقوتها — وكل مملكة منقسمة على نفسها تخرب. وقد شعروا نحو هذا عند ما نالوا الدستور فتقدموا الى قومهم العرب وغيرهم ان [illegible] في

المطالبة بحقوقهم وان يحسنوا الظن برجال الحكومة ولا ينازعوهم على المناصب ولا يفتحوا مسألة العناصر ريثما يستقر امر الدستور وترسخ قواعده ثم يطلبون ما يريدون فلم يصادف نداؤنا قبولاً . فوقع ما كنا نخوفه واستفحل النزاع بين العناصر العثمانية فاغتنم الاعداء اشتغال العثمانيين بالتخاصم وعلوهم على الولايات البلقانية كما هو مشهور

ونحن انما استمهلناهم في المطالبة لا استضعافاً بحقوقهم او رغبة في التنازل عنها فاننا اكثر غضباً للعنصر العربي واللغة العربية من سوانا بل لعلمنا ان المطالبة في ذلك الحين وعلى ذلك الشكل لا تثمر غير التنافر المؤدي الى الانشقاق ونحن احوج الى التساند لملاقاة الخطر الذي يهدد كل انقلاب ولا سيما الانقلاب العثماني وقد انتقل العثمانيون فيه من الاستبداد المطلق الى الدستور الحر والامة جاهلة وقد قامت به طبقة راقية قليلة الاختبار ابطرتها النعمة واسكرها الفوز على حين غرة فلم تتخذ الاحتياطات اللازمة كما فعل سواها قبلها بل اكتفت بان تفاخر سائر الامم بنيلها الدستور فلا نعيد ذكره [illegible] من الاخطار . وقد قلنا والناس في [illegible] فرحهم باعلان الدستور « ان الفرح لا يكون باعلانه وانما يكون باستثماره » فالامة [illegible] اليوم [illegible] الله من عواقبه

ثانياً — كيف تتأيد الدولة الدستورية

فاذا اجتازت الدولة خطر الانقلاب السياسي بسلام فتأييدها انما يقوم باصلاح داخليتها وترقية اذهان العامة بنشر العلم واستثمار القرائح والمواهب والقيام على الغرس واستصلاح الارضين ونشر التجارة ونحو ذلك من اسباب العمران . وهذه كلها لا يتم منها شيء ان لم تتفرغ لها الدولة بسيادة السلام وتنصرف هي والامة الى العمل معاً في هذا السبيل مدة كافية لاتمام هذه الاعمال

وقد علمت ان الدول الاستبدادية كانت تتأيد بالعصبية وبناء الحصون وتجنيد الجند ونشر لغة الدولة ودينها فالدول الدستورية تحتاج الى هذه ايضاً لكنها اكثر حاجة الى نشر العلم والصناعة وترقية الوسائل الاقتصادية وهي علة الثروة الحقيقية بتنشيط الزراعة ومد الخطوط الحديدية . واذا اتيح لها التوسع بالاستعمار فانما يكون استعمارها بنشر تجارتها وآدابها وعلومها ولغتها كما تفعل الدول الراقية في هذا العصر . وسنعود الى الكلام عن اسباب ضعف الدولة الدستورية وسقوطها في فرصة اخرى

عقول الحشرات وطبائعها

قرأت كتاباً حديثاً لمستر ادمند سيلوس في هذا الموضوع وجدت فيه من الفائدة والفكاهة ما حملني على اقتطاف شذرات منه لقراء الهلال .

١ — الارضة

الأرضة هي الحشرة التي تأكل الخشب وتكثر في البلاد الحارة مثل افريقيا واميركا واستراليا وتوجد احياناً في جنوب اوربا وبعض البلاد المعتدلة . تعيش جماعات في قرى صغيرة ذات مسالك متقاطعة وغرفة للملك والملكة في اسفل القرية . وينقسم سكان القرية الى طبقتين . الجنود والعمال . وللجنود منهم رؤوس كبيرة وفكوك قوية . وهي تحرس القرية من غزوات النمل الاكبر ومن الاضطرابات الصغيرة التي تحدث في الداخل كأنها تستشعر [illegible] فتخرج على العدو اذا تعدى عليها وتشتبك معه مستميتة حتى تقتله وتطرده وتتفانى في الدفاع عن وطنها . اما العمال فانها تعتني بالملكة وتعنى بتغذيتهم جميعها وهي تبني القرية المحجبة من الخشب وتحفر مسالكها

وتمتاز الارضة عن النمل في ان دعاميصها وسرفاتها تكون شاذة اي لا تحتاج للحضانة مثل دعاميص وسرفات النمل . وليس عمالها من الأناث فقط مثل عمال النمل والنحل بل من الاناث والذكور التي لم يكمل نموها الجنسي . ولا يخفى ان اكثر الحشرات تكون اولاً بيضاً تنفقس عن دعموص وهذا ينسلخ عن سرفة وهذه تنسلخ عن الحشرة الكاملة

والارضة تتفاهم بصوات تحدثها بتحريك جسمها حركة انتفاضية كأنها اصيبت برعدة . ويشهد هذه الحركة عند موت احداها أو عند حدوث خطر . فانها تجري حينئذ مسرعة ثم تقف في طريقها لتنتفض كأنها تستغيث بالقرية وتنبه اخواتها . واذا كانت الارضة تنخر خشبة وقد تغلغلت فيها حتى لا ترى من باب النخر فيمكن لارضة اخرى ان تنبهها وتخرجها من النخر اذا وقفت بالباب وانتفضت . ويدل ذلك على استطاعة الارضة لاحداث الاصوات وعلى وجود حاسة السمع فيها

وتأكل الارضة اخواتها اذا مرضت. وعند الانسلاخ تأكل ثوبها الذي خرجت منه . وقد تتكادم ارضتان وتتلاحسان ثم ينقلب المزاح جداً وتلتقم احداهما لقمة صالحة من جسم الاخرى . ويجري هذا الناموس على الملك والملكة ايضاً اذا مرضا . وقد ينشأ شجار صغير بين بعض الجنود أو بعض العمال فتثور القرية ويستمر القتال حتى يتداخل البعض في مصالحة المتشاجرين . تظهر قرية الارضة كأنها تلة صغيرة وقد ينبت عليها العشب . وقدرة الارضة على اكل الخشب تفوق الوصف فان حكومة الجنة تمد اسلاكها التلغرافية الآن على اعمدة حديدية لان الارضة تأكل السواري الخشبية كلها

٢ — النمل

للنمل اصدقاء واعداء يساكنونه في قراه . فمن اعدائه حشرة تسمى اللسميد ترزق بالاصوصية فاذا رأت نملة تحمل عدة تبعتها حتى تخطف ما تحمله وتجري به . وهي سريعة الجري والحركة لا تقدر النملة على اللحاق بها . وفي دهاليز القرية وسراديبها تتبع هذه عدوه النمل . واذا حتمها حوط جماعة من النمل انتفضت أو تممت الاتمص و[illegible] عنه اذا رأت فيها سرعة وخمه فيضطر النمل من ذلك ويخاف من قربها فلا [illegible] حتى [illegible] مع ذلك فان ما يقتله النمل منها كثير تظهر جثته منتشرة في جوانب القرية

ومن اصدقاء النمل صرصر يسمى اللوصة يقطن قرى النمل ويتغذى من مخازنه والنمل يدافع عنه عند الحاجة ويغذيه بذاته اذا احتاج الامر الى ذلك . وسبب هذه الصداقة ان الصرصر يفرز مادة عسلية من بطنه يلحسها النمل . فهو لذلك يتولى حمايته وتغذيته واذا خرج من القرية لسبب التف النمل حوله وارجعه . وقد يأكل هذا الصرصر احياناً بعض النمل فلا يشدد النمل عليه العقاب بل يكتفي بالقائه كأنه يحظر للمائدة الاخرى التي بنالها من وجوده . والعجيب ان هذا الصرصر يمكنه ان يقتل سكان القرية كلها اذا اراد لان له كيساً يفرز غازاً كبريتيا مصدعاً . لكنه لا يعمل ذلك مع النملة مهما فعلت هي به . في حين ان هذا الغاز يكاد يكون سلاحه الوحيد في مشاجراته مع سائر الحشرات . ولعل الانتخاب الطبيعي اوحى اليه ذلك لانه لو استعمله مع النمل لما قدر على مساكنته

وبعض النمل يربي من النبات كما نربي نحن البقر الداجنة — ويعني بالمن الحشرات الصغيرة التي تعيش على ورق الاشجار وتمتص عصارتها وتقع احياناً على اوراق القطن

وتمتص عصارته وتميته وتسمى الاصابة به عند الفلاحين « الندوة العسلية » لان هذه الحشرات التي لا يزيد حجم الواحدة (المنّة) منها على رأس الدبوس تفرز مادة عسلية لزجة . وهي كثيرة التناسل لدرجة هائلة . والنمل يحملها الى قراه ويعتني بها واذا اراد ان يحتلبها ربت على بطنها تربيتاً خفيفاً فتفرز نقطة من العسل يرتشفها في الحال . وهو يأويها ويغذيها ويقيم الحرس عليها لهذه الغاية

واغرب من تربية المنّ وحلبه ان بعض النمل يزرع نوعاً من الفطر . ويقول الذين عاينوا ذلك ان النمل يحمل الى القرية قطعاً صغيرة من اوراق الشجر ويختار غرفة في القرية تسع رأس انسان يجتمع فيها ويسحق ما جمعه من الورق ويعجنه بلعابه كرات صغيرة الواحدة منها بحجم الخردلة او اكبر قليلاً . ثم يجمعه اكداساً بعضها فوق بعض . فلا تمضي اربعون ساعة حتى يتكون على سطح هذه الكرات نوعٌ من الفطر كالخمل ناعم طري يأكله النمل . وهذا من اعجب ما روي عن حيوان غير الانسان . وكان المظنون ان النمل يأكل الكرات التي يصنعها من ورق الشجر ولكن المحققين في درس طبائع النمل اثبتوا انه انما يأكل الفطر الذي ينبت عليها ومتى اكله القاها ولم يعد اليها كأنه لا يعتبرها الا تربة سمدة صالحة لانبات قوته

وجاء في حياة الحيوان للدميري « ومن طبعه (النمل) ان يحتكر قوته في زمن الصيف لزمن الشتاء وله في الاحتكار من الحيل ما انه اذا احتكر ما يخاف انباته قسمه نصفين . . . واذا خاف العفن على الحب اخرجه الى ظاهر الارض ونشره » وهذه حقائق ثابتة ولكن بقية اقواله عن النمل مفعمة بالخرافات

ومن الامثلة الغريبة عن تبادل المنفعة بين الحيوان والنبات ان في بعض صحاري اميركا المدارية ينمو نوع من السنط يعشش فيه النمل فيفرز السنط شراباً عسلياً يعيش عليه النمل ويسهر على حراسته . فلا تقترب من هذا الشجر دابة او حشرة لترعى ورقه الا هجم عليها واعملها قرصاً ولدغاً حتى تبعد عن الشجرة . فكأن السنطة تسكن هذه الحشرات وتقدم لها الغذاء لتحرسها من اعدائها فهي لها بمثابة الجيش للدولة

وبعض النمل يخزن ما يجمعه من عصارات الاشجار في بطون نوع من النمل يخصصه لهذه الغاية . فيخرج سكان القرية الى « نبع » عسل في احدى الاشجار وتملأ اشداقها به وتعود الى القرية فتزق عدداً وافراً من النمل حتى ينتفخ بطنها الى حجم البندقة او اكبر فلا تستطيع الحركة لثقل ما اختزن فيها . فاذا جاعت نملة جاءت الى احدى هذه المخازن الحية فتجتر لها النملة الخازنة جرعة ترشفها منها النملة الجائعة .

وهنود اميركا يبحثون في قرى النمل عن هذه الخوازن ويشربون ما فيها . وقد جرت مناقشة في صحف الولايات المتحدة عن امكان المتاجرة بعسل هذه الخوازن وتقرر ان عسلها لذيذ شهي ويمكن تعويد الناس على اكله لكن الكمية التي تحصل منه قليلة فلا تكون تجارته رابحة

وقد نقل روماس في كتابه « ذكاء الحيوانات » مشاهدة لاحدى السيدات نذكرها هنا ونختم بها المقال عن النمل :

قالت السيدة وقد قتلتُ عمداً جملة من جنود النمل « رأيت عدداً كبيراً من النمل يحيط بجثث القتلى فوقفت لمراقبتها . فرأيت اربع او خمس نملات انفردت عن الجمع ومشت الى قرية قريبة فدخلتها . وما عتمت ان خرجت يتبعها جمهور آخر من النمل . فمشى الجميع صفاً اثنتين اثنتين حتى وصل الكل الى موضع القتلى . فتقدمت نملتان وحملتا قتيلاً ومشتا به يتبعهما نملتان اخريين لا تحملان شيئاً . وفعلت البقية كذلك فكان اذا تعبت [illegible] وتقدمت النملتان [illegible] تحملا شيئاً وحملتا الجثة ومشت الجماعة هكذا الى [illegible] وصلت الى موضع [illegible] شاطئ [illegible] فاخذ النمل يحفر حفرة واسعة تكفي لاحتواء القتلى [illegible] ست نملات قد ولت الادبار كانها تعبت من العمل فانفردت [illegible] لم [illegible] اذ تبعها جمهور من النمل واحصرها [illegible] عقاباً على فعلها . [illegible] القتلى في الحفرة »

ومن يقرأ هذه الحكاية وامثالها يعجب من ذكاء النمل ولا يبخل عليه بميزة العقل التي يختص الانسان بها نفسه دون سائر الحيوانات

٣ — الجراد

الجراد من الاوبئة الواقعة يزحف احياناً كالطاعون بل اشد منه . وربما كان عدد قتلاه اكثر من قتلى الطاعون في بعض البلاد التي يزحف عليها . يأكل الزروع فتمحل الغلات ويموت الناس جوعاً . وذكر المؤرخون اغاراته ووصفوها . ومن ذلك ما قاله احدهم « ان في سنة ١٧٤٨ بلغت مساحة ما يرى من الجراد في فيانا عاصمة النمسا ثلاثة اميال عرضاً وطل اربع ساعات وهو يتخطى البرج الاحمر . وكان كثيفاً يحجب ضوء الشمس حتى كان الانسان لا يرى انساناً آخر على عشرين خطوة منه »

قال الدكتور مرو يصف جيشاً من الجراد في جنوب افريقيا : « ان الغوغاء كانت تطير فتحط على كل شيء اخضر بلاقيه . فيأكل القمح (اذا كان طريا غضاً

والذرة (مهما كانت كبيرة حاله) وقصب السكر والبرسيم والمراعي بانواعها . وكذلك الحصاد واوراق الشجر وربما اكلت الجذوع ايضاً . وهي تعري اشجار الفاكهة من ثمارها كلها . وتدخل احياناً البيوت فتلتهم ما فيها من الاقمشة وستائر الشبابيك . واذا رأت قطيعاً من الغنم اكبت عليه واكلت صوفه »

والجراد لا يجتمع ويصير مؤذياً الا وهو صغير قبل ان يستكمل نموه . والعرب يسمونه في هذه الحالة غوغاء (تجمع على غوغاء) والعجيب ان الاوستراليين يسمونه ايضاً (Mobs) وهو الغوغاء في العربية . ويطلقون هذا الاسم على عوام الناس كما نفعل نحن . فاذا كثرت الغوغاء تعرقلت وقل سيرها فيخف ضررها او يزول تقريباً والجمع من الغوغاء لا يطير الا بعيد شروق الشمس ويحط قبل غروبها فيقطع في اليوم ميلاً او ميلين على الاكثر لاشتغاله في اثناء الطريق بتجريد الارض من زرعها . وهو لا يتخطى الانهار الواسعة ولكنه يقطع المجاري الصغيرة وربما غرق في ذلك عدد كبير منه

قال الدكتور [illegible] الغوغاء [illegible] سوداء ويستحيل على الانسان احصاؤها [illegible] احياناً فتسوقها الى البحر وتغرقها [illegible] الى الشاطئ [illegible] جثثها متكردسة بعضها فوق بعض الى علو [illegible] في مسافة خمسين او مائة ميل . فينتشر السكان [illegible] خمسين ميلاً في داخل البلاد »

ولا يقود جمع الجراد في طيرانه رئيس . ويستدل الدكتور [illegible] من ذلك على وجود عقل جماعي للجراد تتحكم به الجماعة قال « من البين الواضح ان الجرادة التي تطير من الجيش المؤلف من الملايين من الجراد لا يمكنها ان تنظر الى رئيس يقودها . وقد لاحظت ذلك ايضاً في اسراب الطيور [illegible] لاني لم ار سرباً من الطير يقاد في طيرانه برئيس . واعتقد ان الطيور اذا اجتمعت خضعت حركاتها لعقل مجموعها . فسرب من الطير يفعل كما الفرد يفعل حينما ينفرد . والا فكيف نفسر طيران الجراد ؟ »

٤ — العناكب

ليست العناكب في المعنى الدقيق حشرات وهي مشهورة بقبح هيئتها وذكاء [illegible] . واكبر منها عناكب تعيش في جنوب امريكا والهند وغيرهما من البلاد الدافئة

في الغابات بين الازهار وتقتات بفراش يسمى اما التقيق ..وهي هناك زاهية الالوان تبهر النظر كأنها الجواهر . والسبب في تلونها أنها تقتات بالفراش الملون وهو يعيش على الازهار ويمتص رحيقها . فنشأ في هذه العناكب ذوق للالوان الزاهية فصارت الذكور منها تطلبه في الاناث والاناث في الذكور . فأدى هذا الانتخاب الجنسي الى تلونها مثل الوان الفراش الذي تصيده بألوان بهجة باهرة

والمشهور ان انثى العناكب تكره الذكر ولا تقبل خطبته الا بعد ان يحتال عليها ويتلطف في استرضائها ومحاسنتها وملاعبتها ومداعبتها . واذا نال وطره منها فزع منها وهرب مسرعاً لان الانثى عندما تشعر انها تلقحت تتحول الى الذكر وتأكله من رأسه لقدمه لانها أكبر جسماً منه

حبس بعضهم ذكراً وانثى من هذه العناكب وسيج عليهما ووصف دعاب الذكر قال « اذا كان الذكر على مسافة قيراط منها لوّح بساقيه الزاعتين كأنه طاحون هوائي . فترمقه الانثى شزراً كأنها تزدري به وتهزأ به فيظل محافظاً على مركزه ولا يقترب منها . ويبقى كذلك مدة طويلة وكلما همّ بالاقتراب منها تندفع هي اليه فيتراجع مسرعاً . وقد يتجرأ ويقترب الى مسافة قيراط منها ويرفع ذراعيه فتطرده عنها . فيهتاج ويعود اليها ويدور حولها مراراً ثم يقف منتصباً على اطراف قوائمه الخلفية ويهز بطنه . ثم يثب من الجانب الواحد الى الآخر بين يديها فتخف بذلك كراهتها وتقف وقد طابت نفسها فتريه بدنها الزاهي بالالوان ولا تعود تهجم عليه بل تتراجع الى الوراء كلما اقترب منها . ثم يرقد على بطنه امامها ويريها قوائمه الامامية . وكأن هذا يغضبها فتطرده عنها . فيعود متلطفاً ويريها بخفة حتى تأنس به . »

٥ — انتحار العقرب

تضاربت الآراء في قتل العقرب نفسها اذا احيطت بالنار فالبعض ينفي ذلك ويقول ان العقرب تتأثر بالنار كثيراً فتموت من شدة حرارتها . وقال آخرون انها اذا ضويقت تغرز حمتها في ظهرها وتسم نفسها . ولما كانت العقرب لا تستعمل حمتها مع عدوها الا اذا ارادت قتله فهي بذلك تفهم ان لسعها لنفسها يؤدي الى موتها كما تعرف انه يؤدي الى موت عدوها . واذا كانت تفعل ذلك عن اختيار فهي تنتحر بمعنى الانتحار الحقيقي

ارسل احدهم الى مجلة « ينتشر » يقول : « احضر لي خدمي ذات صباح عقرباً

(في الهند) يظهر انها اطالت الجولان في الليل وضلت طريقها عند انبثاق الفجر فحبستها في قفص لاراقبها. ووضعت في اصيل احد الايام على احد الشبابيك بحيث تقع عليها اشعة الشمس فهيجت من الضوء والحرارة. وتذكرت ان العقارب تنتحر اذا احيطت بالنار. فجئت بعدسة محدبة وجمعت اشعة النور على ظهر العقرب فصارت تنتفض وتصفق وتجري وهي هائجة. وفعلت هذا العمل اربع او خمس مرات وكلما فعلته تهيجت واسرعت وهي تنتفض. ولما كررت ذلك رفعت ذنبها وغرزت حمته في ظهرها بسرعة البرق فسال دمها ولم يمض نصف دقيقة حتى ماتت » قال الكاتب « وقد كتبت اليكم هذا لابين اولاً ان الحيوانات تنتحر احياناً. وثانياً ان الحيوانات السامة تموت من تأثير سمها »

والعقارب كالعناكب تأكل الاناث ذكورها اذا استطاعت بعد التلقيح. ولذلك فالذكر عندما ينتهي من التلقيح يسرع الى الفرار — وليس ذلك غريباً في الطبيعة لانها تهتم بالنسل اكثر مما تهتم بالافراد. ومن الحيوانات البحرية حيوان لا تخرج اولاده من جوفه الا بعد موته وتمزقه. ومعلوم ان سنابل القمح لا تنضج الا اذا جف الساق الذي تحمله. فكل الكائنات الحية تجري على هذا الناموس

٦ — انتخاب الطعام

ومن الحشرات ما يستعمل مهارة غريبة وقد يكون هو نفسه دعموصاً من دعاميص الحشرات الاخرى. مثال ذلك ان بعض الزنابير اذا شعر بقرب وضع بيضه يبحث عن دعموص (كدودة القطن مثلاً وهي دعموص بعض الفراش) فيلسعها بحمته حتى تموت أو تتخدر فيحملها الى وكره ويبيض في جوفها. فاذا فقس البيض خرجت فراخ الزنبور واكلت من لحمها. وقد قيل ان الزنبور لا يميت الدعموص الذي يصيده بل يلسعه حتى يخدره فقط لكي يبقى حياً حتى اذا فقس البيض وخرجت الفرخ وجدته حياً طرياً. لكن الحقيقة غير ذلك. لان صغار الزنبور تأكل الدعموص ولو انتن. واذا وجد بعض الدعاميص التي يحملها الزنبور الى وكره ولم يزل حياً مخدراً فذلك لان سم الزنبور لم يقتله تماماً ولان الزنبور اكتفى بتخديره كأنه حسبه مائتاً

ومن الدبابير دبابة تسمى ذبابة اذا ارادت ان تبيض بحثت عن دعموص تغرز ميسمها في جوفه وتزرع بيضها هناك فيفقس عن فراخ حية التي تتغذى بدعموص

لحم الدعوص. والناخينه صديق معوان للمزارعين فهي التي تقي الحقول من الدعاميص الكثيرة التي تتغذى بالنباتات . هي كثيرة في اميركا وحبذا لو احضرتها مصلحة الزراعة عندنا وجربتها في مقاومة دعاميص دودة القطن

ويجري هذا المجرى ايضاً نوع من الذباب يسمى « اخيومون » يلقي بيضه في جوف المن الذي يصيب الاشجار (ويسمى عند الفلاحين الندوة العسلية) ولولا هذا الذباب وبعض الحشرات الاخرى لكثر هذا المن وما ابقى على الارض عوداً اخضر لانه كثير التناسل لدرجة هائلة

(مصر) سلامه موسى

اكتشاف الينابيع والمناجم

بواسطة العصا المنبئة [1]

كثر تحدث الصحف الاوربية ولا سيما الفرنساوية منها في الاسابيع الاخيرة عن تجارب قام بها نفر من العلماء في باريس وضواحيها معظم في ما يدعيه بعض الاشخاص من المقدرة على التنبؤ عما تحت سطح الارض من الينابيع والمعادن والمناجم وغير ذلك بواسطة عصا يمسكونها بايديهم ويسيرون بها فحتى يقف الرجل فوق المكان المطلوب تلتوي العصا اشعاراً بما هناك . وقد تألفت لجنة علمية فحصت كثيرين من الذين يدعون هذه القوة أتوا من جميع انحاء فرنسا لهذه الغاية . فتحققت بواسطة التجارب ان لزعمهم اساساً صحيحاً مع غرابته وبعده عن المألوف ومناقضته الظاهرة للمبادىء العلمية المعروفة . وكان العلماء في ما مضى يستنكفون من البحث في هذا الموضوع لاعتقادهم انه من باب الخرافات والتدجيل . ولاشك ان كل من يقرأ شيئاً عنه لاول مرة يهزأ به وينسبه الى الشعوذة والتلفيق ويستكبر على ابن القرن العشرين ان يسلم بامور اولى ان يصدقها اهل القرون المظلمة

ولا يخفى ما قد يتأتى عن هذه الطريقة من الفوائد . فكم من المناجم في جوف الكرة الارضية لا يدري بها احد وكم من الينابيع والمياه تجري بين طبقات الارض وتذهب سدى والسطح جاف مهجور لقلة مائه. فما هي القوة التي تنبىء ممسك العصا عما

(١) بالفرنساوية baguette divinatoire وبالانكليزية divining or dowsing rod

لا يراه الناس ؟ وما تعليل هذه الظواهر الغريبة التي لولا تحقيقها علمياً لما سلمنا بها ابداً ؟ هل هي من قبيل الظواهر العصبية الغريبة كانتقال الافكار والشعور عن بعد او هي قوة جديدة علمية لها حاجة نقيسها عليها او نشبهها بها ؟ هذه اسئلة سيبذل الجهد في الرد عليها في الاسطر التالية بقدر ما تسمح لنا حالة العلم الحاضرة

سنة تاريخية قديمة

اول حادث من هذا النوع وصل خبره الينا يرجع الى سنة ١٥٠٠ للميلاد ذكره احد العلماء في كتاب عن علم الارض . وكانت العصا في ذلك الحين تستعمل لاستخراج المعادن دون سواها وكانوا يعتقدون ان بعض المعادن تجذب انواعاً مخصوصة من الاشجار فاذا اقترب العود من المكان الذي فيه المعدن مال نحوه بقوة تختلف باختلاف انواع المعادن والاشجار . وفي اواخر القرن الثامن عشر اخذوا يستعملون العصا لاكتشاف المياه ايضاً وهاك اقدم حادث مدوّن من هذا القبيل :

« وهبت القديسة تريزة سنة ١٥٦٨ بقعة من الارض لتبني فيها ديراً فلم تجد فيها ماء كافياً واوشكت ان تهملها لولا ان راهباً اسمه الاخ انطونيو اتى وفي يده عصا فبعد ان مشى قليلاً ذهاباً واياباً وقف وقال « احفروا هنا » فحفروا فوجدوا ماء غزيراً فنسبت القديسة تريزة هذه الحادثة الى اعجوبة الهية »

وفي سنة ١٧٨١ وضع الدكتور توفينيل طبيب لويس السادس عشر تقريراً مسهباً عن تجارب عملها مع غلام اسمه بليتون . ومما رواه عنه انه حول بقعة من الارض كانت قفراء الى مروج خصبة باكتشافه عدة ينابيع فيها

التاريخ الحديث

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر وصل امر اولئك المتكهنين الى جمعية الابحاث النفسية في لندن فكلفت احد اعضائها استاذ العلوم الطبيعية في جامعة من جامعات انكلترا ان يستقصي خبر هذه الظواهر ويدقق البحث فيها فقدم عدة تقارير عن ابحاثه قال فيها :

« اول ما خطر لي في تعليل ظواهر العصا المنبئة ان لبعض الناس معرفة دقيقة بخواص التربة والحجارة فيعرفون ما في باطن الارض بما يظهر على سطحها وان ليس في المسألة شيء حقيقي سوى هذا الاستنتاج العلمي ثم تحولت عن هذا التعليل ونسبتها الى الصدفة والاتفاق لاسيما وان العامة ينسون الحوادث التي لا تنجح ولا يتذكرون غير الناجحة منها — ولكنني تركت هذا الرأي ايضاً واضطررت الى

التسليم بان عند بعض الناس مقدرة غريزية حقيقية يعرفون بها المواد المختبئة في باطن الارض . وحالما يصل الاشعار بوجودها الى الدماغ يتبعه تشنج عضلي خفيف لا يشعر به صاحبه يتسبب عنه التواء العصا — على اني وجدت كثيرين من مدَّعي هذه القوة ليسو سوى دجالين يلجأون الى هذه الحيلة في طلب الرزق »

واليك حادث رواه الاستاذ المذكور « كان لاحد سراة الانكليز ارض واسعة في احدى مقاطعات انكلترا فاراد ان يبني فيها بيتاً وهو في حاجة الى ماء كثير . فحفر بئراً لهذه الغاية عمقها ٩٠ قدماً فلم يجد فيها ماء فاستشار بعض الخبيرين في علم طبقات الارض فاشاروا عليه ان يحفر بئراً في مكان عينوه ففعل ولكن بلا نتيجة . ثم نصحوا له ان يجرب مكاناً آخر فحفر الى عمق مئة قدم بلا جدوى ايضاً . واحتفروا في ذلك العمق سراديب جانبية لعلهم يجدون اثراً للماء فلم يجدوا . فلما يئس وكان قد انفق اكثر من الف جنيه انكليزي عبثاً خطر له ان يستدعي جون ملنس المشهور بالتنبؤ عن المياه المخبأة في باطن الارض وان لم يكن واثقاً بنجاحه . فكتب اليه واستقبله في المحطة وسار به الى الارض بدون ان يخبره بما جرى قبل مجيئه والرجل لا يعرف تلك الناحية مطلقاً . فما لبث جون ملنس ان مشى هنيهة والعصا في يده حتى التوت التواء شديداً في مكان وقف عنده واكد لصاحب الارض ان في تلك النقطة ماء كثيراً على عمق ٢٠ قدماً . وتنبأ ايضاً عن نقطة ثانية بقرب الاولى فحفروا فيهما ووجدوا ماء عزيراً

واختبر مرة رجلين في بقعة واحدة من الارض لم يعرفها احد منهما . فاخذ كل واحد وحده بدون ان يراه الآخر فاتفق الرجلان في انتخاب نفس النقطة تماماً . وذكر ايضاً حوادث اخرى عديدة لا محل لايرادها هنا

اما التجارب الاخيرة في فرنسا فقد اجريت في اثناء المؤتمر الثاني لعلم البسيكولوجيا العملي المنعقد في باريس من ٢٥ الى ٢٩ مارس الماضي وهي من قبيل الحوادث المتقدم ذكرها . وقد قدم عنها تقرير الى نظارة الزراعة الفرنساوية لما يترتب على هذا الفن عند اثباته من تحسين الزراعة في بعض الامكنة . ومما جاء في هذا التقرير ان الموضوع لا يزال قابلاً للاخذ والرد ولا يمكن البتُّ فيه نهائياً لا سيما وان التجارب اجريت في وقت غير مناسب بسبب كثرة الامطار . وهناك نوع جديد من التنبؤ عن مطويات الارض اهتم به المؤتمر نعني معرفة الاماكن الخالية والمغاور التي تحت الارض . وقد اتت هذه التجارب بنتائج مرضية . ولننتقل الآن الى تعليل هذه الظواهر اي لماذا تتحرك العصا في نقط مخصوصة من الارض دون غيرها

التعليل

ان اكثر الذين يستدلون بهذه الطريقة على وجود المياه والمعادن وغيرذلك انما هم من عامة الناس وكثيراً ما ينسبون مقدرتهم هذه الى قوى كهربائية ـ وكلمة كهربائية اصبحت اليوم وسيلة لتفسيركل ما لايفهمه الجمهورمن الظواهر الغريبة ـ غير ان اعتقاد الرجل بالقوة الكهربائية قد يعود عليه بالفشل في عمله اذا عرف بوجود مادة غير موصلة للكهربائية بينه او بين عصاه وبين الارض . ولكن اذا كان هناك في الواقع موصل رديء للكهربائية وهو لا يدري بوجوده فلا يؤثر في نجاحه قط . ويدل ذلك على ان لاعتقاد الرجل دخلا في نجاحه او عدمه وهو من قبيل الاستهواء (Suggestion) ويؤيد ذلك ان اكثر المتكهنين قابلون للاستهواء والتنويم كل القبول . ويسلم اكثر الباحثين في هذه الظواهر ان حركة العصا والتواءها ينتجان عن تأثر الرجل لا عن تأثرها مباشرة . فعند ما يتأثر هو تتحرك عضلاته وهو لا يدري حركة غيراختيارية يعبر عنا في العلم بالحركة العضلية غير المدركة[1] يدل على ذلك ان العصا لا تتحرك ما لم تكن في يد الرجل فاذا وضعت مثلاً على آلة وسيرت بها فلا يظهرعليها اقل تأثير

على ان السؤال المهم هو : ما هي القوة التي تمكن الرجل من اكتشاف الماء أو المنجم؟

اختلف المفسرون في الرد على هذا السؤال فالبعض ينسبونها الى قوة طبيعية فيسيولوجية (اي جسدية) كقابلية الجسم للتأثر من الرطوبة المسببة عن وجود الماء او من المواد المتصاعدة من المناجم (لان المواد تنحل انحلالاً بطيئاً فتنبث في الهواء دقائقها المنحلة) او نحو ذلك . ومن الثابت طبياً أن أصحاب بعض الامزجة . ولا سيما المصابين بالروماتزم شديدو التأثر من الرطوبة . فتأثر المتكهن عن الماء او المعدن في نظر هذه الفئة من العلماء هو من هذا القبيل . وحالما يتأثر جسمه يلوي العصا التي بيده بدون ان يشعر بعمله العضلي كما ذكرنا

والفريق الآخر يعتقدون بوجود قوة نفسية غير منظورة يرى الرجل بواسطتها ما لا تراه عيناه لان تلك القوة تخترق المواد الجامدة وتسمى Clairvoyance ولا غرابة فيها اذا ذكرنا مجانسها قراءة الافكار وانتقالها والشعور عن بعد ونحوها من الظواهر النفسية الغامضة (انظر مقالة انتقال الافكار والشعور عن بعد في الهلال الثالث من

(١) Unconscious muscular action

هذه السنة) فلما يرى الرجل مطلوبه تتحرك عضلاته الحركة المعهودة التي تسبب التواء العصا — وبعض المتكهنين يستغنون عن استخدام العصا فيستدلون بواسطة شعور غريب يشعرون به عند ما يقتربون من الماء او المعدن او الشيء المراد البحث عنه يعبرون عنه بنوع من الضيق او التعب . واذا صحَّ ان تلك القوة تري الرجل ما لا تراه عينه فلا يبعد ان يمكن ايضاً من معرفة سائر الخبايا وهو الواقع . فقد استعملت هذه الطريقة للبحث عن نقود مدفونة في الارض والذي عمل التجارب عالم يوثق به اخذ كل التحوطات لمنع الغش وابعد الشخص الذي خبأ النقود — وهو الوحيد الذي يعرف المخبأ — عن المكان الذي امتحن فيه الرجل لئلا يقرأ فكره بواسطة انتقال الافكار

وبالاجمال فان التجارب التي اجريت من هذا الباب وان لم تنجح كلها فان ما نجح منها يستحيل ان يكون من قبيل الصدفة . واذا سلمنا بهذه القوة وهي عبارة عن النظر بلا عيون فانها تسهل علينا فهم بعض المسائل التي لا تزال غامضة الى الآن في علم الحيوان كرجوع بعض الطيور والحشرات الى اوكارها بعد سياحات طويلة فقد تكون تلك القوة ايضاً فيهم

وعلى كل حال فلا يجوز الانتقال في موضوع كهذا من الانكار الكلي الى الاعتقاد الاعمى وانما يمكننا ان نستنتج من بحثنا هذا ما يأتي :

اولاً : ان التكهن بواسطة العصا المدببة عن المياه والمعادن من الظواهر التي تستحق التفات العلماء فلا يجب ان يستنكف العلم الطبيعي من هذا البحث لغرابته . وان كان اول ما يتبادر الى الذهن نسبته الى الغش والتدجيل

ثانياً : ان الذين يقتصرون على معرفة ما في باطن الارض قليلون بالنسبة الى الذين يدعون هذه القوة

ثالثاً : لا ريب في ان التواء العصا مسبب عن تشنج عضلي في حاملها لا يشعر به

رابعاً : انه مع ثبوت الحوادث وتحقيقها فالتعليل ناقص جدًّا يفتقر الى البحث والتدقيق اميل زيدان

يلزم لادارة الهلال

بالثمن او المبادلة

(١) تاريخ التمدن الاسلامي الجزء الاول

(٢) سنوات الهلال الثانية والرابعة والثالثة عشرة والثامنة عشرة

صحة العائلة

السرطان

اخر الآراء فيه

اطلعت في احدى المجلات الانكليزية على مقالة صافية في السرطان واعراضه واسبابه ووسائل التوقي منه فاحببت تلخيصها لقراء الهلال :

السرطان من اهم الامراض التي يشتغل الاطباء بدرسها اليوم لانه آخذ في الانتشار بسرعة غريبة . كان في القرن الماضي اذا رتبت اسباب الوفيات حسب اهميتها جاء السرطان في الدرجة العاشرة منها وهو اليوم الخامس منها وفي بعض الاماكن الثالث . وقد ظهر من الاحصاء الاخير في انكلترا انه يصاب به واحدة من ثماني نساء بلغن الخامسة والثلاثين من العمر . وتوفي به سنة ١٩٠٨ اربعون الف نسمة في اميركا . ومع ذلك لم يصل الاطباء حتى الآن الى معرفة سببه الحقيقي

طلبه البعض بحثاً عن جراثيم مرضية (ميكروب) ونسبه البعض الآخر الى نوع الغذاء واوقاته ومقاديره . وطلبه آخرون من تأثير الاقليم او البيئة او الوراثة . اما ما وصل اليه الباحثون من اسبابه بالتجربة والاستقراء فهو انه ينتج عن انتقال خلايا بعض اجزاء الجسد الى جزء آخر وتستقر بين خلاياه — اذ لا يخفى ان الجسم الحي مؤلف من خلايا حية (حويصلات) تختلف خصائصها باختلاف الاعضاء التي تتألف منها . فحويصلات العصب تختلف عن حويصلات العضل او الدهن مثلاً . فوجدوا ان بعض الحويصلات تنتقل لسبب غير معلوم من موضعها الاصلي وتستقر بين حويصلات من جنس آخر وتتضاعف بسرعة غريبة وتقتل الانسجة التي حولها . فينمو ذلك الورم الغريب ويأخذ في الانتشار بواسطة الغدد الليمفاوية حتى يهلك الجسم الا اذا استدرك بعملية جراحية — واليك نتيجة الابحاث التي اجمع على صحتها اوثق اطباء اليوم :

(١) ان اكثر احوال السرطان التي تستدرك عاجلاً تشفى

(٢) لا فائدة من العقاقير في معالجته على الاطلاق
(٣) ان تأجيل العلاج يؤدي الى الخطر لا محالة
(٤) الواسطة الوحيدة للشفاء انما هي استئصال الورم بعملية جراحية حالما يكتشف . فتقل ضحايا السرطان ٥٠ في المائة على الاقل

علاقة التهيج الموضعي بالسرطان

ان علاج السرطان معلوم وواضح جداً لكن اسبابه مجهولة . على انهم عرفوا منها التهيج الموضعي وان لم يكن هو السبب الاصلي لكنه يسهل وجود السرطان ويساعد على نموه لان التهيج يضعف الانسجة فتصير قابلة للمرض اكثر من القوية . وقد ثبت ان السرطان لا ينمو في موضع لم يحدث فيه تهيج مستمر والبراهين على ذلك كثيرة : فالرجال الذين يدخنون التبغ بالغليون معرضون للاصابة بالسرطان الشفوي ويعسر ان تصاب النساء بهذا النوع من السرطان . وقد لوحظ ان المصابات به كن يدخن بالغليون . وفي الهند كثيرون يصابون بالسرطان الخدي لانهم يمضغون نوعاً من الفلفل الهندي يحفظونه مدة طويلة في التجويف بين الخد والاسنان فيتهيج الغشاء المبطن للخد ويصير قابلاً للسرطان . وسرطان اللسان ينتج غالباً من احتكاك اللسان بسن مكسورة . وفي كردستان قوم يتسلقون الجبال البادرة ويستدفئون بفحم مشتعل يحملونه بوعاء على اوساطهم فهؤلاء كثيراً ما يصابون بسرطان في ظاهر البطن — ويعسر ان يصاب هذا المكان في غير هذا البلد

يجب فحص كل تهيج بلا ترقب فرصة

تقدم ان السرطان لا يتولد الا بعد تهيج موضعي مستمر فالمعالجة سهلة وهي ان يبادر الى استئصال الورم المشتبه حال ظهوره . وان لم يثبت قطعياً انه سرطاني فهو نمو مرضي وقد يتحول بطول التهيج الى سرطان . يظن بعضهم ان لا فائدة من استئصال السرطان ولا امل من شفائه مطلقاً — وليس الامر كذلك . كانوا يظنون نحو ذلك في السل ولكن بالوسائط والمعالجة الحديثة وصل الاطباء الى شفاء المصابين به وهكذا في السرطان اذا استدرك في اول امره فيترجح شفاءه وقد يشفى ٧٥ في كل المائة من المصابين به

سرطان المعدة

اعم انواع السرطان في الرجال والنساء سرطان المعدة . وفي القرن الماضي كانوا يظنون استئصاله مستحيلاً لان جراح الامس لم يكن يعلم ان قسماً صغيراً من المعدة

يقوم بعمل الهضم ويبقى عن القسم الآخر . فاليوم يعالج المصاب بهذا النوع من السرطان باستئصال القسم العليل من معدته ولا يتعطل الهضم . وبين العمال وارباب الصنائع والخدم كثيرون يقومون باشتغالهم بثلث المعدة او ربعها ولا يشعرون بنقص في تغذيتهم . وقد شفي من المصابين بهذا المرض ٣٠ في المائة وقد يشفى ٥٠ في المائة او اكثر اذا تداركوا الاصابة باول امرها

سرطان الثدي

اكثر انواع السرطان شيوعاً في النساء هو سرطان الثدي والرجاء من شفائه ٧٥ في المائة اذا استدرك في اوله . وهو يبتدىء بظهور كتلة غريبة في الثدي . وليس كل ورم يحدث هناك يكون بداية سرطان . ولكن نموًّا كهذا يجب الاهتمام به حال ظهوره ويستحسن استئصاله وان لم يتحقق انه سرطاني لئلا يتحول بالتهييج المزمن الى سرطان . فحال ظهور الكتلة في الثدي يجب المبادرة الى فحصها على يد جراح ماهر فاذا ثبت أنها نمو بسيط وجب نزع الكتلة بعملية طفيفة واذا اشتبه بوجود السرطان فلا بد من استئصال الثدي كله . ومن الخطاء ان تهمل العملية ويضيع الوقت بالفحص المطول اذ ربما تفوت الفرصة المناسبة وتصبح العملية عقيمة

السرطان المعوي وغيره

قد يظن لاول وهلة ان السرطان المعوي مستحيل شفاؤه لان الامعاء مستقرة داخل الجسم ومحاطة باعضاء اخرى كثيرة . ولكن الامر بالعكس لان الامعاء تتألم من السرطان وتشعر به قبل سائر الاعضاء فاقل نمو غريب فيها يوقف حركتها ويجبر المريض على استدعاء الطبيب . فاذا كان هذا الاخير ماهراً تدارك الامر في اوله واستأصل القسم المصاب . والسرطان المعوي اذا اهمل في بادىء امره لا يقطع الامل من شفائه كما في سائر الاعضاء لان الغدد اللمفاوية التي بواسطتها ينتشر سم السرطان قليلة جدًا في الامعاء

وسرطان الشفة من اسهل الامراض للتشخيص والمعالجة لانه في خارج الجسم ويسهل لمسه وعمليته سهلة وقليلة الخطر وقد يشفى ٩٠ في المائة اذ تطببوا في اول المرض . وقد ينمو السرطان ايضاً في الحوصلة المرارية (الكيس الصفراوي) وسببه غالباً حصاة صفراوية تهيج ذلك المكان وتضعف انسجته . واستخراج الحصاة الصفراوية سهل وقليل الخطر فعلى المصاب بها ان يبادر الى استخراجها

الخلاصة

يجب حفظ ثلاث حقائق عن السرطان وهي :

(١) لا ينمو السرطان الا بعد تهيج مزمن ومستمر

(٢) اذا منع سبب التهيج ترجح عدم تولد السرطان

(٣) الطريقة الوحيدة للشفاء هي استئصال السرطان بعملية جراحية

فلا يجوز اهمال أي تهيج مزمن في داخل الجسم او خارجه بل يجب المبادرة الى حسمه . فاذا تأكد وجود السرطان وجب المبادرة الى الجراحة واستئصال القسم المصاب وقد قال احد كبار الاطباء في اميركا : « الخطر ليس في العملية الجراحية ولكنه في تأجيلها » (س)

روح الثورة (١)

ايها السادة والسيدات

من فضائل اجدادنا ارذل الصفات ما يعدُّ اليوم رذيلة . ومن وحوش الماضي الهائلة لم يبق غير هياكل في متحف العلم والتاريخ . ومن مواعيش الاسلاف اصحاب الانافة ما لا يصلح اليوم لبيت الفلاح . ومن اديان الاقدمين الالهية والحيوانية لم يبق غير المتهدم من اصابها والطامس من رموزها ورسومها . ان آلهة الانسان مثل مواعيده لا تصلح مدى الدهر . تشعل النار يوماً امامها ويوما تحتها ويوماً فيها . تقدم المحرقات اليوم وتحرق المعبودات غداً . الثابت في الحياة ثابت الى حين واما الانقلاب فثابت الى الابد . اجل ان يداً سرية علوية تعمل ابداً في الامور وفي الاشياء فتحولها وتغيرها وتبدل منها . التطوُّر سنة الحياة في الجزئيات منها والكليات . في العلوم وفي الاديان في السياسة وفي الامم في الطبيعة وفي الناس . خذ شيئاً واحداً من اشياء الاقدمين وقابله بما نشأ منه وقام اليوم مقامه فتكاد تجهل الاصل وتدهشك درجات التحسين فيه والارتقاء . وقفتُ مرة في احد المتاحف الاوربية امام معرض من السلاح . فرأيت ادوات الحرب والقتال كلها مصفوفة بحسب تاريخها ورقيها . اولها النبوت الذي قطع من الغاب لقتل وحوشها وآخرها البارودة الحديثة التي يطلق بها

---

(١) خطبة القيت في حفلة جمعية تهذيب الشبيبة بيروت في ١٧ ايار (مايو) سنة ١٩١٣

عشرين مرة في الدقيقة . اخترعها الانسان لقتل الانسان فقلت في نفسي : وفي المستقبل تمسي البارودة هذه مثل نبوت الاولين اثراً من الآثار ربها المتحف ومارودها الصدأ

ولا شك عندي انا وان كنا ابتدأنا بالنبوت الشوكي وتدرجنا منه الى الغوّاصات والطيارات الحربية سنتدرج ايضاً الى الحجة والبرهان والتشريع والسلم العام . ولكن الانقلابات في زمن السلم اعظم منها في زمن الحرب وروح الثورة حية ثابتة ابداً .
روح الثورة كائنة في كل الامم وفي كل الاماكن وفي كل الازمنة . وهي في الناس وفي الطبيعة عاملة دائماً اما خفية واما ظاهرة . اما هادئة واما هائجة . اما بانية واما هادمة

الثورة [1] بدء الانقلاب . وناموس النشوء والارتقاء روح الثورة . ولهذا الناموس الالهي مظاهر قد تستغرب لتنوعها فيه . فهو عامل في الناس وفي الاشياء على السواء لكن ردّ العقل فيه يختلف ونتائجه تتنوع . المياه كلها واحدة السحاب يسخن بنوعه فيسقط على الارض ماء طهوراً . ولكن مجاري المياه تختلف باختلاف التربة التي تسقط فيها فيجري منها الحار والفاتر والبارد ويجري منها المالح والمعدني والقراح . فالعوامل التي تعمل خفية في الاشياء قد لا يراها الانسان . ولكنه يشاهد نتائجها التي تظهر في الاحايين فجأة فيكبرها ويدعوها ثورة وانقلاباً . وما الثورة الا سلسلة من حوادث خفية تتجسم في مظهر من مظاهر الحياة السياسية والاجتماعية . الثورة شجرة جذوعها اعظم من فروعها وتربتها اقدم من سمائها . الثورة حدث خطير حلقته الاخير يظهر للعيان واحابيله الاخرى خفية سرية . الثورة كلمة الله مجسدة في الاشياء تجعل الجماد حياً والحي ناراً والنار نوراً والنور حقاً وعدلاً ورقياً وسلامة

كان الحديد جماداً فصار في الكور حياً . وساعة يدخل النار يبتدىء فيه تاريخ الثورة الطبيعي . وساعة يضعه الحداد على السندان ويرفع فوقه المطرقة يبتدىء فيه تاريخها العملي . فتراه بعدها سكة او مدفعاً او معولاً او سنداناً . وكذلك الحجارة التي تصير كلساً والكلس الذي يصير طيناً والطين الذي يصير جدراناً . والجدران التي تصير سجناً . والسجن الذي يصير عاملاً حيا بين الطبيعة والانسان . كيف لا وهو الحلقة الاخيرة من سلسلة الثورة الطبيعية . والفصل الاول من تاريخ الثورة المدنية وقس على ذلك في حوادث الاجتماع وفي مظاهر الطبيعة والاكوان

---

(١) اريد بالثورة معناها التاريخي الاجتماعي ولا بد في مثل هذه المباحث من التوسع عما يجيء في كتب اللغة من التعريفات

ان الزلزال اقرب نتيجة الينا لانه اصطدام عناصر تحت الارض ثائرة بعضها على بعض . وتفجر البراكين وتساقط الشهب وفيضان الانهار نتائج ظاهرة حسية لسلسلة حوادث بعيدة الاسباب خفية . ولا اظن حادثاً واحداً اجتماعيا او طبيعياً أثر في تاريخ الامم او تاريخ الارض تأثيراً كبيراً وكان منفرداً في مفعولاته وعوامله عن بقية الحوادث او منفصلاً عن السابق واللاحق من مجاري النواميس الكلية الشاملة . في تاريخ الارض مثلاً ازمان بائدة تعرف بازمنة الحجر والجليد والنحاس وغيرها . يفصل بعضها عن بعض حادث في الطبيعة خطير . ولكنه لا يفصلها على ما اظن تمام الانفصال . واني لأجسر ان اقول وان كنت قصير الباع في هذا العلم ان حوادث هذه الازمنة سلسلة بعض حلقاتها خفية لا مفقودة . وقد اخفاها الحادث العظيم كما تخفي المرجانة في السلك مكانها . وقد يكون الحادث الخطير همزة وصل خفية لاهمزة قطع مهلكة . فيحمل بذور الحياة من زمن الى زمن . وينقل مبادىء الرقي من جيل الى جيل

وان ناموساً كلياً ازلياً يعبر في معبة الحوادث الى حد محدود ولا يتغير قطعياً . تتفجر البراكين فتقذف بحممها خارجاً فتعمر تربة الارض حولها . وقد تغير شكلها ايضاً فتجعل السهول جبالاً والجبال سهولاً . لكنها تقف عند هذا الحد ولا تتعداه . فلا تستطيع ان تجعل البحر ارضاً او الارض سماء . والطوفان كالبركان لا يخرج عن ناموسه ولا يتعداه . فمياه اذا طمت هدمت فستحمي الارض بحراً الى حين . وقد تتغير تربتها وعمرانها . ولكن مركزها تحت الشمس لا يتغير

والذي يصح في تاريخ الارض والكائنات يصح في تاريخ الامم والحكومات فللثورة ناموس وللناموس طريق وللطريق منصات فيها عرائس تحمل شموعاً يوقدها الله للناس وهي شموع الزعامة والهدى . والزعامة بدونها صوت ولا عين وسيف ولا يد . والزعيم الكبير الصادق من سار الى عرشه في نور تلك المنصات . فيحق ان يدعى اذ ذاك زعيم الناس ولا يجوز ان يدعى زعيم الثورة . ذلك لان الثورة سنة والزعماء سوقوت ناموس لها حاملون بنودها مستمدون من انوارها كل على قدر طاقته . واذا استطاع اكبر تمساح في النهر ان يوقف سيره او يغير مجراه . واذا استطاعت النسور ان تسد فوهة البركان او تخمد ناره . يستطيع الزعماء في الثورة التأثير على ناموسها الذي هو روحها الحية الالهية الازلية

في الامس خطب اللورد مورلي في مجمع المؤرخين الذي التأم بلندرا ــ واللورد مورلي من نوادر ارباب السياسة والادب والفكر في العالم اليوم — فقال ان البلاغة في السياسة

تأثيراً كبيراً في تاريخ الامم . اي ان رجلاً عظيماً في كلمة يرتجلها او في عمل يعمله بداهة وعفو القريحة يغير مجرى الحوادث التاريخية المهمة . وقد يصح هذا في فروع الحوادث لا في اصولها . من من الزعماء كان اعظم في الارتجال من ميرابو ؟ ومن من ارباب السياسة كان في البداهة والاقدام اعظم من بزمرك ؟ اما ميرابو فلو شاء ايقاف الثورة او تحويل مجراها لما استطاع الى ذلك سبيلاً . ولو خدم بزمرك غير الوحدة الالمانية لما كان فيها سرياً عبقرياً . لو عمر ميرابو لاستطاع في الاكثر تلطيف فظائع الثورة الافرنسية . ولو مات بزمرك قبل ان يتم عمله لتممه بعده سواه . في الحياة ناموس يعلو به النوابغ لكنهم لا يعلون عليه . وان شجاعة الرجال وفصاحة الزعماء وبداهة السياسيين تؤثر بظواهر الحوادث لا بجوهرها . وعندنا من تاريخ الدولة العثمانية برهان على ذلك قريب . هذه الثورة الاخيرة — وقد تسمونها دسيسة — اسقطت الوزارة الكاملية واودت بحياة احد زعمائها . فهل غيرت شجاعة انور واصحابه شيئاً من جواهر الامور ؟ هل عززت شأن الجند ؟ هل صانت شرف الامة ؟ هل فازت برد ثارات العدو ؟ هل حلحلت دينه ؟ هل طمرت في ... هل اصبح شروطه احسن للدولة من الشروط التي عرضت على الوزارة السابقة ؟ ولو نهض صباح الغد انور واصحابه غداً ودكوا الوزارة الحاضرة دكاً أيتغير شيء من روح الحركة الفكرية الثوروية شيء جوهري ؟ لا لعمري ! ولو وفق المشهورون الى اكبر زعيم في العالم لما استطاع اليوم رد الطوفان . ولما استطاع اليوم صد موجة البركان

بعد هذه الاشارة الخصوصية التي ساقني البحث اليها اعود الى عموميات الموضوع . قلت ان الثورة ناموساً تاماً في كل الامم وفي كل الازمنة . عوامله اكثرها خفية وبالاخص في اوقات السلم . ولا تحصر هذه العوامل في الحكومة وفي السياسة فقط . بل هي حية عاملة في كل دائرة من دوائر الحياة في كل نفس بشرية راقية . ففي كل امرىء تحدث ثورات منه وعليه في ساعات من الحياة بوادرها اجل ما فيها . فتتلج في النفس اصوات تزعزع فيها المألوف . وتنزع منها شكيمة العادات . فتنقلها من فكر الى فكر . ومن حال الى حال . وهذا في الحقيقة من سنة التطور . الثورة لا تحصر في الرجال بل تراها عاملة حتى في الاطفال . فالطفل الجائع يثور على أمه عند ما تمسك عنه اللبن حتى اذا اصاخت الام لصراخه واماحت طلبه يستحيل الجوع فيه شبعاً . والصراخ غناء . هذه ثورة الطفل الطبيعية وقد كللها النصر . اما اذا تغلبت شهوته على حكمة

أمه فتورعليه معدته فيدعى الطبيب أي الاحتي لينظر في امره . وهذه ثورة أخرى طبيعية . سببها التفريط ونتيجتها التورط والفشل

وما يصح في الاطفال من هذا القبيل يصح في الرجال . على ان الطبيعة امـا لا ترحمنا ولا ترثي لحالنا لا تتساهل بتنفيذ شرائعها فينـا . ان بثوراً تظهر في جسم الانسان لدليل ثورة في دمه . فقد حل الدم ما لا يستطيع حمله فرفضه ثاراً فظهرت آثار الثورة في جلد صاحبه . وما يصح في المادة يصح في النفس . توبة الجاني ثورة في نفسه كللت بالفوز . الانتحار نتيجة ثورة في قلب المرء افسد اليأس قصدها وغير الفشل نتيجتها . الراهب اذا تزوج فالثورة فيه على نذوره . والخليع اذا ترهب فالثورة فيه على شهواته . والنفس الاثيمة اذا ارتدعت واهتدت فالثورة فيها على الشر والضلال واذا تسامت فالثورة فيها على الخسة والسفالة والجهالة . وقس على ذلك اطوار النفس وتقلباتها ارتقاء وانحطاطاً

قلت ان روح الثورة حية عاملة في دوائر الحياة كلها . وفي كل فترة من الزمن تتجسم نتائجها فيبصرها الناس ويدركونها . خذ التجارة مثلاً — فان طرائقها واساليبها وادواتها اليوم غيرها منذ مئة سنة . وفروعها الحديثة المتعددة لم تخطر للفينيقيين ولا لمن سبقهم من التجار في بابل . تدخل بيت شركة من الشركات في أوربا واميركا اليوم فلا تجد فيه غير المكاتب والدفاتر والآلات الكاتبة والاوراق . وبينها واليها مئات من الشبان والبنات واقفين وجالسين يكتبون ويعدون . فتظن نفسك في دائرة من دوائر الحكومة . فتسأل : ماهي تجارة هذه الشركة . فيقال لك ان لا تجارة لها . وبعد ان تطلع على حقيقتها يدهشك امرها وتستغرب ماهيتها . فتقول في نفسك: وكيف يمكنها ان تدفع رواتب عمالها الكثيرين وهي مؤسسة لفحص دفاتر التجار اولتقدير ارباحهم . اولنشر الاعلانات اولمطالعة الجرائد فتقص منها ما يهم عملاءها من الاخبار . وهنالك ابواب أخرى عديدة للارتزاق ما حلم بها الانس في الماضي ولا الجن . وهذا التفريع والتخصيص في العمل انما هو نتيجة ثورات سلمية في طرائق التجارة القديمة . وانما لنشاهد في الولايات المتحدة . هنالك عند اشرافنا على نيويورك نرى اعلام الثورة قائمة امامنا مجسمة في تلك الصروح الشاهقة . وان ثورة الاميركيين على الهندسة المعروفة في فن البناء القديم لمن اعظم ثورات السلم والتجارة

ولا اخص الامة الاميركية بكل ما نشاهده اليوم من ادلة الانقلاب ومظاهره الخطيرة . نحن في زمن عظمت فيه اعمال العقل كما عظم البناء عند الاقدمين . في

مدنية الغرب اشكال معنوية وحسية هي من قبيل ضخامة الاهرام . هذه ابنية الاميركان وقد فاقت قلل الجبال علواً . وهذه اختراعات العلماء واكتشافاتهم ملأت اعلامها الارض بحراً وبرّاً وجوّاً . فاين منها الاهرام وابو الهول اين منها هياكل المصريين ومعابد الرومان . ايفاخرنا الماضي بقبور ابطاله وبما تجسم من مجد ملوكه وخرافات كهانه ؟ هذه معابد العلوم بمجد اربابها مجدها . وهذه صروح لملوك الثروة معاهد الخير والاحسان تشفع بهم وبها . بل هذه مساعي ابطال العلم والعمل ان آثارهم تدل عليهم . وانما نراها اليوم في الشرق وفي الغرب . في اقاليم الارض كلها وفي قطبيها . في صحاري الجنوب وفي ثلوج الشمال . في السهول قاعدة وفي الجبال . في البحار ماخرة وفي الانهار . فوق المياه تعج وتحتها . في الاثير تصعد وفي الفضاء . تحت المعادن تهدر وفوق السحاب . وهي كلها من فضائل الثورة المطلقة ثورة السلم والعلم ثورة الفكر والعمل

اجل صادقني ان مساعي الانسان في هذا الزمن عظمت أو اعترت الجبهة كلها بل هي كلها ثوروية . ومثلها تكثر فيها اسباب الرقي والمجد والسعادة تتعدد فيها اسباب البؤس ايضاً والفقر والشقاء . ان حقتني من الماضي بحسنة اريك من مثلها في الحاضر حسنات . وان اشرت الى سيئة اعدد من شكلها سيئات . البؤس عندنا مثل النعيم كلاهما جسيم والخير مثل الشر كلاهما عظيم والقبيح في هذه الحياة المادية الجديدة مثل الجميل تتصل اسبابه بمساعي الانسان العقلية المحضة فيفسد الطمع نتائجها . وتشوه الانانية جمال مقاصدها . على ان ذلك لا يدعو الى اليأس عند من يفكر في الامور ويطلع على شيء من تاريخ الثورة الاجتماعية السلمية ثورة العلم والعمل في المغرب . ان هي الا حديثة النشأة كثيرة المحن . وان ما تضمره لنا الايام من فوائدها لاضعاف ما نشاهده منها اليوم . ولو لم تكن روح الثورة اي سنة التطور حية في هذه الحياة ثابتة دائمة لما قبل الحكيم مدنية الغرب واكبرها . كيف لا ولم تزل للعبودية فيها آثار ظاهرة واشراك مهلكة . وفيها في احياء الرؤساء ظلمات لا تولد غير المنكرات . كيف لا وفقر اليوم عبودية لا تقاس بعبودية الماضي . والعبد الراضي بسوء حاله غير العبد المدرك لبؤسه المتمرد على اسياده المطالب بما لغيره من وسائل العيش والرقي والسعادة . وهذه من حسنات مدنيتنا التي تنبه كل من عاش في ظلها ونورها وتستنهضه ليطالب في الاقل بما له من الحقوق المدنية والطبيعية . نعم ان روح الثورة فيها لا تقعد وعينها لا تنام وعقلها لا يقف ويدها لا تكل ابداً

أما الثورة السياسية فلي كلة وجيزة في طرق الفوز والفشل او بعضها فيها . من استقرى التاريخ يعلم ان الثورة الحقيقية العظيمة نتائجها العميم خيرها انما تبدأ فكراً وشعوراً . ولا يبقى من آثارها بعد ان تحدث فعلاً الا ما كان منطبقاً على ما نضج في الانفس والعقول . بل لا ينمو من بذورها الا ما وافق التربة التي تزرع فيها . مثال ذلك الجمهوريات في مدن ايطاليا في الاعصر الغابرة كجمهوريتي فلورنسا والبندقية وحكومة كرومول في انكلترا وعروش نابوليون في اوربا فانها لم تدم طويلاً . عززها السيف حقباً من الزمن ثم قلبتها الفوضى واماتتها التقاليد الوطنية . وقد يكون نصيب جمهورية الصين اليوم نصيب تلك الحكومات القصيرة الاجل . فالثورة الحقيقية ذات النتائج الثابتة انما هي بنت التعاليم السديدة والمبادئ السامية لا بنت المدافع والحراب . على ان السلاح يعززها عند نشأتها . اذا جرد السيف في سبيلها من كان عارفاً ماهيتها مدركاً بعض اسرارها عزماً ناموسها مستأصلاً من التقاليد والخزعبلات ما يعترض سيرها ونجاحها

فالانقلاب الادبي الذي يحدث اولاً في النفس ثم يتدرج منها الى البيت . فمعاهد العلم فدوائر الاجتماع يولد ثورة نحتاج فيها اليوم الى السلاح نؤيدها ونعززها . والأعدنا الى ما كنا فيه . ان انقلاباً في الاخلاق والعقول والانفس وفي طرائق التعليم والتربية وفي دوائر الادب والاجتماع يحدث الثورة الصالحة التي لا يعقبها ردُّ فعل خبيث . ولا تأتي الا بالاصلاح الثابت الناجح المفيد

ولكن هذا الاصلاح لا يتم بلا انقلاب في الاحكام . ولا يتم انقلاب بلا ثورة سياسية ولا تنجح الثورة السياسية بلا تضحية . ولا تصح التضحية ان لم يكن صاحبها عالماً بماهية ما هو فاعل ثابتاً بما يؤمن مدركاً شيئاً من المذهب السياسي الاجتماعي الذي ينبغي ان ينصره بلسانه ويده وماله ودمه . تيقنوا هذا ان : المفاداة بالنفس لا بدَّ منها في تأسيس الاديان او نشر المذاهب الاجتماعية . او تأييد الحقائق العلمية او تعزيز النهضات السياسية . ان في دم الشهيد مكروب النهوض لكنه لا ينتشر الا اذا كانت الاجسام مستعدة له . ولا تكون كذلك الا بعد ان تظهر فيها آثار الثورة الداخلية المادئة . وهذه كما قلت تظهر في حينها ولا يمكنا ان نعجل حدوثها او نوجله — وقد تنمو الثورة السياسية في فساد الماضي والحاضر كما ينمو النبات في الاقذار . والاستشهاد في سبيلها يزيد نموها

روح الثورة واحدة في الامم المتمدنة . لكن اساليبها تختلف باختلاف طبائع

الامم وقد تتنوع ادواتها بحسب تقاليدهم وعاداتهم . ففي اميركا مثلاً تعمل الثورة اليوم بالفأس والمعول وفي فرنسا بالريشة والقلم وفي انكلترا بالقياس والميزان وفي المانيا بالمجهر وفي ايطاليا بالخنجر وفي روسيا بالديناميت . أما في الشرق فالثورة لم تهتد بعد الى ادوات العمل ولم تحسن استخدام واحدة مما ذكرت . جربنا الريشة والقلم فكنا فيها مقلدين . جربنا القياس والميزان فكنا فيها عابثين . لجأنا في الاستانة وفي مصر الى الرصاص وفي الهند الى الديناميت فكنا فيها مجرمين . جربنا الثورة السلمية فكنا معطلين . جربنا السيف والمدفع فكنا فيها ضالين مضللين . والحق يقال ان سلاح الثورة عندنا لم يوضع بعد

ولا يفوتنكم ان البادئ بالثورة السياسية يكون غالباً اما فريستها واما تاجرها . وقد يكون تاجرها وفريستها معاً يأكل من ماله ثم تأكله . وقد يبعث بمحبة على مدبجها . فيكون « كالزبيل » الذي يرميه الصياد في البحر فيدفع السمك الى سطحه فيصطاده ، اذ ذاك قوم اشبه بالصيادين منهم بالزعماء

الزعماء ! عجبت في ما قيل فيهم وخصوصاً عندي [illegible] الهيئة الاجتماعية كالجمل : الخيرات عند قدميه والصحة في وسطه والعقل في رأسه [illegible] الهيئة الاجتماعية الجهل في العمل [illegible] . وفي وسطها شيء من التهذيب والدهاء وفي رأسها السيادة والاثرة . يستثمر التاعسون [illegible] الارض فيبعثون بلذة ما حلا أجورهم الى من في رأسه . فيأخذ من في وسطه قسماً [illegible] دفاعهم عن حقوق الانسان كما يزعمون . وفي ايام الثورة السياسية يكثر في هذه الطبقة الزعماء الادعياء طلاب السيادة والمال . فيهضمون حقوقاً يزعمون انهم يدافعون عنها . ويسلبون من تحتهم ومن فوقهم . ويتآمرون مع السادة اصحاب العود الخبيث فيتبوأ السادة بعالمهم مجالس الظلم والاستبداد والاثم والفساد ويسكتونهم بشيء مما يكسبون ويتقاسمون ما يغنمون . هؤلاء الزعماء وقد امسوا في قمة السيادة يصدرون اوامرهم كالصخور يدحرجها الصبيان من اعالي الجبال فتحطم الاشجار في طريقها وتسحق الازهار وتكسر ما غرسه الانسان وتهدم ما بناه

يثمرون ويغنمون ومن قادهم يكسبون فهم تجار لا زعماء يتاجرون بالسياسة وبالحرب . يتاجرون بأدوات الجند ومعداته . [illegible] ورتبه وجهالته ودينه وكتائبه وبخبز يومه . يتاجرون بآمال الامة واملاكها يتاجرون ببلادها وولاياتها يتاجرون بدمها ودموعها . يتاجرون بأقدس الاشياء لديها . عفواً سادتي هذه احدث البنا

في ما قلت . فلو احسنوا التجرة في الاقل لانتفعت الامة بعض النفع بتجارتهم . ولكن دأبهم ان ينهبوا ويبيعوا ويخزنوا وكلٌّ في قلبه يقول : بعدي الطوفان . والامة المسكينة تخرج الى النور وهي تتلمس باب طريقها

فاذا وقفت هناك وجدت من يأخذ بيدها ويهديها سواء السبيل . هناك طائفة الادباء الحقيقيين العاملين بجد واخلاص في سبيل الرقي والعدل والحرية . وفي سبيل العلم والحكمة والجمال عليهم وحدهم يتوقف تحرير الانسان . واعلموا ان الانسان لا يتحرر تحرراً حقيقياً تاماً اذا لم تتشرب روحه التوروية روح المعرفة والشعر والحكمة . وان الادباء الحقيقيين من شعراء وفلاسفة واصحاب الفنون الجميلة وارباب العلم والحكمة لا ينتمون الا الى حزب واحد في العالم هو حزب الحق والحرية والحقيقة والجمال . ولا يكبرون ويجلون الا فئة قليلة من الناس روَّاد المدنية الجديدة دعاة الثورة السامية الاجتماعية المهذبين المعززين المرشدين المعزين ارباب الصون الصادقين النوابغ الهادين . هؤلاء نجلهم ونكبرهم . ولا نجل من الناس سواهم . ولا يهمنا من الطوائف والملل غير المتساهلة الراقية منها . تلك التي يقف رؤساؤها عند واجباتهم فلا يتعدونها . ويزرعون في قلوب الناس حب الحرية الادبية والروحية قبل كل شيء . ولا يناهضون روح الثورة اي سنة الارتقاء المقدسة . وانما يهمنا ويهم كل ذي شعور حي شريف ان ينتصر الهدى على الضلال . وان تكلل الحقيقة في العصور الحلل . يهمنا ان تتعزز الحرية الشخصية في كل مكان . يهمنا ان يتمتع بحق المساواة تجاه الاحكام كل من بني الانسان . نهتم لما كان سديداً من التعاليم . سليماً من العقائد . سامياً من الاراء . ان التعاليم السديدة السامية لا تعبد احداً من البشر . وهي لا تضد مدى الدهر . وان روح الثورة التي تتغذى دائماً منها لا تخمد ولا تضمحل . وانما لها هجمات ولها يقظات ومتى انار الله مصباحها في دوائر الادب والدين والسياسة . وشعرت الامة شعوراً حقيقياً صافياً ان العدل اساس الملك . وان العمل به واجب مقدس وان طلب الحقيقة وحب الجمال في الحقيقة ضرورة من ضرورات حياتها . وان الحرية نور يومها والشجاعة هواؤه وسماؤه : متى اصبحت الامة تدرك هذه الجوهريات وتجدُّ في طلبها وتسعى لتحقيقها بشرها فوز مبين في مضمار الرقي والمجد والعمران

(بيروت) امين الريحاني

باب السؤال والاقتراح

اخلاق المصريين وعاداتهم

حضرة منشئ الهلال

تعلمون ان في القطر المصري جمعية علمية انتدبتها الحكومة المصرية لدرس مرض الطاعون ومعرفة اسباب انتشاره ووجوده كعنصر يصعب وباء عليه مدة طويلة والتوصل لمعرفة احسن الطرق لمقاومته وطرده من هذه الديار . وقد وجدت في اثناء ابحاثها ان للطاعون المنتشر بكثرة في الوجه القبلي هو من نوع الطاعون الرئوي الذي ينشأ من ملامسة المريض مباشرة ولتعرض لسعاله والبصاق الدموي الذي ينفثه وهو مملوء بمكروبات الطاعون . وعلى ذلك فالجمعية الآن تبحث عن هذا النوع خاصة بالوجه القبلي . ونظراً لعدم وجوده بالوجه البحري (الا نادراً) وان القاهرة لم تصب بالطاعون قطعياً وربما ان لطبائع وعادات الاهالي هناك دخل عظيم في ذلك

وحيث انكم من الذين يتمتعون بالابحاث العلمية ولكم الاطلاع الواسع وخصوصاً في ما يتعلق بعادات وطبائع المصريين كتبت اليكم هذا راجين ان تدلونا على الكتب التي تبحث في هذا الموضوع سواء كانت عربية او انكليزية او افرنسية او المانية . اما اذا كنتم لا تذكرون كتاباً موافقاً من هذا النوع فهل يمكن ان تكتبوا مقالة مطولة في مجلتكم تتعلق بالاسئلة الآتية :

١ عادات وطبائع اهل الوجه القبلي والبحري وبنوع اخص الطبقة السفلى من حيث معاملاتهم لموتاهم وحزنهم الشديد كأن يقبلوا المتوفى او يتقربوا اليه بأي صفة كانت غير مبالين بالعدوى ٢ اعتقادهم بالعدوى قبل الوفاة وبعدها وهل يعتقدون بعدوى الحميات وخصوصاً مرض الطاعون ٣ معالجتهم للامراض مثل الاورام والدمامل والخراجات والحميات ٤ معيشتهم الداخلية في بيوتهم ووصف هذه البيوت وعلاقتها بانتشار الامراض ونرجو اجابة طلبنا هذا الذي تشكركم عليه الانسانية والعلم

(اسيوط في ٢٨ مايو سنة ١٩١٢) عن مدير المعمل البكتريولوجي للابحاث الطاعونية
الدكتور فؤاد حلمي

﴿ الهلال ﴾ وصل كتاب حضرتكم وقد فرغنا من طبع هذا الهلال ولم يبق فيه مكان لاجابة طلبكم ولا الوقت الكافي لدرس هذا الموضوع درساً يفي بالغرض المطلوب ولم نشأ ان نؤجل الجواب الى صدور الهلال القادم لئلا يطول انتظاركم . فرأينا ان نكتفي الآن بذكر الكتب التي تبحث في ما تطلبون الاطلاع عليه على ان نعود الى الكتابة في هذا الموضوع في وقت آخر

لانعرف كتاباً عربياً تصدى لدرس اخلاق المصريين وعاداتهم على الشكل الذي تطلبونه . ولكنكم تجدون شيئاً من ذلك في كتاب عربي اسمه « هز القحوف في شرح قصيدة ابي شادوف » للشيخ يوسف الشربيني طبع بمصر سنة ١٢٧٤ في عرض الانتقاد على بعض العادات الشائعة في الارياف . وربما عثرتم على شيء من ذلك متفرقاً في كتب الادب او التاريخ . اما الافرنج فقد كتبوا عن عادات المصريين في رحلاتهم الى مصر في القرن الماضي وقبله . اشهرها رحلة لين الانكليزي فان هذا الرحل خالط المصريين زمناً طويلاً ودرس آدابهم واخلاقهم في اوائل القرن المذكور والف كتاباً في مجلدين طبع مراراً . وهو من اوثق الرحلات الافرنجية المعروفة . واسمه Manners & customs of the modern egyptians على ان الحملة الفرنساوية قبله الفت كتاباً عن احوال مصر في عشرات من المجلدات اسمه Description d'Egyte وصفت فيه مصر من حيث السياسة والاجتماع والتاريخ والاقتصاد والآداب والاخلاق والتاريخ الطبيعي وكل شيء واوضحت ذلك كله بالصور المتقنة في عدة اطالس . وقد طبع هذا الكتاب في اوائل القرن الماضي بالفرنساوية . وفي الاجزاء ١١ و١٣ و١٦ منه ابحاث في الامراض الشائعة بمصر . وفي اجزاء اخرى فصول في الآداب الاجتماعية والاخلاقية مفيدة . وللدكتور كلوت بك كتاب خاص بالطاعون المصري هو اوفق كتاب في هذا الموضوع اسمه La peste observée en Egypte طبع في باريس سنة ١٨٤٠ . وله كتاب آخر في الطاعون المصري مختصر اسمه Leçon sur la peste d'Egypte طبع بباريس سنة ١٨٥١ وله كتاب في وصف مصر من حيث السياسة والادارة والاجتماع والصحة سماه Aperçu sur l'Egypte في مجلدين وفيه وصف الامراض المتسلطة في مصر . فلعلكم تجدون شيئاً من مطلوبكم في هذه الكتب

ولعلكم تجدون شيئاً من ذلك ايضاً في التقارير التي تصدرها مصلحة الصحة العمومية ولاسيما في اثناء تفشي الاوبئة . وفي مذكرات المجمع العلمي المصري Institut d'Egypte

فقد اطلعنا في مجلد سنة ١٨٦٢ منها على نبذة في الطب التجريبي لشافعي بك تبحث في عادات المصريين من حيث معالجة امراضهم الاعتيادية . ولمدرسة الطب المصرية تقارير اسمها Records of the school of medicine لا تخلو من فوائد صحية اخلاقية وطنية من حيث العادات الجارية بمصر

على ان هذا وامثاله من الكتب لا تفي بالغرض المطلوب تماماً والاولى على ما نرى ان تؤلف الحكومة لجنة طبية تتولى درس عادات اهل الارياف درساً علميًّا دقيقاً حسب الاقاليم . وفي هذا الدرس فائدة صحية واجتماعية واخلاقية من حيث مداركة الطاعون وغيره . وليس اقدر من الحكومة على ذلك

ايضاحات تاريخية

الفيالق العثمانية

حضرة منشئ الهلال

نقلتم تقسيم الفيالق في الهلال الثاني من هذه السنة كما كان قبل اعلان الدستور . وقد اطلعت على تقسيمها بعد خلع السلطان عبد الحميد كما كانت عليه وقت اعلان الحرب البلقانية ارجو نشره خدمة للتاريخ وهو

الفيلق الاول	مركزه الاستانة	الفيلق العاشر	مركزه اذربيجان
« الثاني	مركزه تكفورطاغ (رودستو)	« الحادي عشر	« وان
« الثالث	« قرق كليسه	« الثاني عشر	« الموصل
« الرابع	« ادرنه	« الثالث عشر	« بغداد
« الخامس	« سلانيك	« الرابع عشر	« اليمن
« السادس	« مناستير	وفرقة مستقلة في طرابلس الغرب قبل حرب ايطاليا	
« السابع	« اسكوب		
« الثامن	« الشام	«	« في الحجاز
« التاسع	« ارضروم		

زملة عبد القادر

ان ما ذكرتموه في الصفحة ٢٨٦ وما يليها من الجزء الخامس من هذه السنة عن زملة الامير عبد القادر وسلاح الامير يحتاج الى فضل دقة للالتباس . وذلك ان

مجالس الولايات الصينية واعضاء مجلس نواب تلك الجمهورية . اما مجلس الشيوخ فينتخبه اعضاء مجالس الولايات . وقد اسفر الانتخاب عن نتيجة حسنة بشهادة الذين تتبعوه مع كونه اول انتخاب من هذا القبيل حصل في تلك البلاد . بقي ان نرى كيف تعمل تلك المجالس وهل تتوصل الى حل المشاكل الصينية ووضع قانون اساسي للجمهورية

مطبوعات جديدة

﴿ كتاب الانساب ﴾ ويعرف بانساب السمعاني هو معجم للتراجم الفه تاج الاسلام ابو سعيد التميمي السمعاني المتوفى سنة ٥٦٢ هـ لتحقيق انساب المشاهير لا سيما اصحاب الحديث — ليس من حيث تسلسل آبائهم وانما اراد بالانساب كل منهم الى بلده او قبيلته او ابيه او صناعته . كقولنا « الابار » نسبة الى صناعة الابر « والبزاز » الى تجارة البز و « البخاري » نسبة الى بخارا وقس على ذلك . وقد رتبه على حروف المعجم حسب تلك النسب وذاكراً نسبة وكانت لبلد مثلاً ذكر مكانه او الى رجل او الى قبيلة عرَّفها ثم ينتقل الى ترجمة صاحب تلك النسبة . فهو معجم للتراجم مرتبة مواده على الالقاب او الانساب . وذكر كشف الظنون انه في غاية الجودة وانه نادر الوجود لكن الباحثين من المستشرقين وجدوا منه نسخاً خطية ضخمة في المتحف البريطاني فعينت لجنة تذكار جب طبعها بالزنكوغراف حسب الاصل الخطي تماماً . فصدرت بالامس في ١٢١٦ صفحة كبيرة بخط دقيق لو طبعت بحروف الهلال وقطعه لزادت على ٢٢٠٠ صفحة . وفي صدره مقدمة انكليزية للاستاذ مرجليوث الشهير وصف فيها المؤلف وكتابه . فهو من امهات كتب التراجم فنثني على لجنة تذكار جب جميل الثناء على نشره وهو يطلب من مكتبتي لوزاك في لندن وبريل في ليدن . وثمن النسخة جنيه افرنجي غير أجرة البريد

﴿ كتاب الولاة وكتاب القضاة ﴾ واهدتنا لجنة تذكار جب ايضاً كتاباً يشمل على كتابين الاول اخبار ولاة مصر لابي عمر الكندي المتوفى سنة ٣٥٥ (راجع الجزء الثاني من تاريخ آداب اللغة صفحة ٣١٩) يشمل على اخبار امراء مصر من عمرو بن العاص الى الفتح الفاطمي في ٣٠٠ صفحة . والثاني اخبار قضاة مصر للكندي المذكور في ٢٠٠ صفحة مرتب على السنين . وفي آخر هذه الطبعة ملحق لاستيفاء اخبار قضاة مصر الى سنة ٤١٩ لابن حجر العسقلاني في ١١٥ صفحة . وفي ذيل الكتاب فهارس ومقدمة انتقاد انكليزية للاستاذ كست ومعه خريطتان لحكام ...

احداهما تمثل المملكة العباسية في القرن العاشر للميلاد والاخرى خريطة مصر السفلى وضواحي الفسطاط في القرن المذكور. وهو من الكتب النادرة والفضل في نشره للجنة تذكار جيب جزاها الله خيراً . وهو يباع حيث يباع كتاب الانساب وثمن النسخة اثنا عشر شليناً غير اجرة البريد

﴿ تاريخ جهانكشاي ﴾ هو كتاب فارسي لعلاء الدين الجويني المتوفى سنة ٦٥٨ للهجرة في تاريخ المغول عنيت لجنة تذكار جيب المذكورة بطبعه مثل سائر افضالها على الآداب الشرقية الاسلامية . وصدر الجزء الاول منه وهو يشتمل على تاريخ جنكيزخان واعقاب اوتاكيون خان . وقد وقف على تصحيحه محمد بن عبد الوهاب القزويني . وفي صدره مقدمة انكليزية ضافية للاستاذ براون المستشرق الانكليزي المشهور وهو من عمدة اللجنة المذكورة وقد بين في هذه المقدمة اهمية تاريخ المغول مع ملاحظاته على المسودة التي نشروها منه . واطال في ترجمة المؤلف ووصف كتابه ومزاياه وغير ذلك . وثمن النسخة ثمانية شلينات غير البريد

﴿ العقود اللؤلؤية في الدولة الرسولية ﴾ هو كتاب تاريخي نفيس في تاريخ الدولة الرسولية التي تولت اليمن من سنة ٦٢٦ — ٨٥٨ ﻫ تأليف الشيخ علي بن الحسن الخزرجي رتبه على السنين . عنيت بنشره لجنة تذكار جيب ايضاً عن نسخة خطية قديمة كانت لمعتمد خان ملكيري ثم انتقلت الى فخر الدين خان احد وزراء محمد شاه ثم اتصلت بديوان الهند في لندن . ثم انتقلت الى مكتبة جامعة كمبريدج فلما اطلع عليها الاستاذ براون المتقدم ذكره اشار على امناء وقف جيب بنشرها ففعلوا فطبعت في مطبعة الهلال وتولى تصحيحها وتنقيحها الشيخ محمد بسيوني عسل مدرس اللغة العربية في جامعة كمبريدج وقد صدر الجزء الاول في ٤٤٠ صفحة ينتهي بحوادث سنة ٧٢١ ﻫ وهو يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة اربعون غرشاً والبريد ثلاثة غروش

﴿ تقويم البلدان ﴾ هو كتاب في الجغرافية الحديثة تأليف محمود افندي مراد من خريجي القسم العالي من مدرسة المعلمين الخديوية اوضحه بالاشكال والخرائط وفيه نحو ٦٠ خريطة وشكلاً . وهو خلاصة الجغرافية العامة ضبط الاعلام فيها بالشكل خوف الالتباس ورجع في بعضها الى اصل النسبة او ما يتلفظ به اصحابه وهو مطبوع طبعاً متقناً ويطلب من حضرة المؤلف بمصر

﴿ الحرب البلقانية ﴾ هو كتاب تاريخي في وصف الحرب التي جرت في اوائل هذه السنة بين الدولة العثمانيـة والدول البلقانية لحضرة توفيق افندي طنوس المحرر

جريدة السمير وقد نقلها عن اوثق المصادر . ومهد الكلام في مقدمات هذه الحرب واسبابها وما تخللها من المقاصد السياسية وعلاقة اوربا بها . وزين الكتاب بالرسوم والحقه بخريطة وهو يدخل في نحو ٢٠٠ صفحة ويطلب من حضرته وثمن النسخة عشرة غروش والبريد غرش

﴿ نشوء الاجتماع ﴾ هو كتاب يبحث في السنن الطبيعية لنشوء النوع الانساني وكيف تكونت امه تأليف بنيامين كد الكاتب الاجتماعي الانكليزي . وقد عني بنقله الى العربية محمد افندي صالح وصدر الجزء الاول منه وهو يبحث في اسباب الارتقاء وعمل العقائد الدينية في نشوء المجتمع الانساني — وهو من اهم المواضيع العصرية النافعة ويطلب من مكتبة التأليف بمصر وثمن هذا الجزء خمسة غروش والبريد نصف غرش

﴿ جهره نما ﴾ جريدة فارسية مصورة تصدر في القاهرة مرة في الاسبوع لصاحبها الحاج ميرزا عبد الحميد خان الايراني دخلت في سنتها العاشرة وهي تبحث في السياسة والاجتماع وتزين مقالاتها بالرسوم الجميلة

﴿ مجلة الفنون الجميلة والتصوير الشمسي ﴾ هي مجلة فنية ادبية تنشئها الجمعية الفوتوغرافية المصرية مرة في الشهر سمي انشئ من اعضائها حضرتا حسن آصف بك وشكري افندي صدقي وكلاهما من عشاق الصور الجميلة . وفوضت الجمعية الى احدهما آصف بك ان يطلب من الحكومة المصرية تحريرها فهو مديرها المسئول . وهي مجلة فريدة في بابها بالقطر المصري بدل اشتراكها ملاليم قرشا

﴿ مجلة الفنون ﴾ هي مجلة ادبية فنية ايضاً او هي معرض ادبي لنشر المقالات الشعرية الفلسفية من طريقة جبران خليل جبران وامين الريحاني وغيرهما من اصحاب الخيال الشعري الفلسفي تصدر في نيويورك لمنشئيها نسيب افندي عريضة وناظمي افندي نسيم . وهي فريدة من نوعها في اللغة العربية مثل المتقدم ذكرها . ومن غرائب توارد الافكار صدور المجلتين في وقت واحد مع بعد الشقة بينهما . وقيمة اشتراكها خمسة ريالات اميركية او مئة غرش مصري

﴿ الحمراء ﴾ جريدة حرة جامعة تصدر في ريوجانيرو بالبرازيل مرة في الاسبوع لصاحبها ومحررها الياس افندي طعمة بدل اشتراكها ٢٥ فرنكاً

﴿ مجلة الناشئة ﴾ تبحث في الناشئة وشؤونها انشأتها المدرسة العلمية الوطنية بدمشق ويحررها طلابها تصدر في اول كل شهر عربي بدل اشتراكها ١٥ غرشاً

﴿ الترقي ﴾ جريدة سياسية اقتصادية ادبية تصدر في طنجة بمراكش مرة في الاسبوع بدل اشتراكها خمسة فرنكات

الهلال

في السنة الثانية والعشرين

تحسين في خطته وزيادة في مواضيعه

عاهدنا حضرات القراء منذ انشأنا الهلال انا كلما زادونا اقبالاً زدناهم تحسيناً . وقد قمنا بعهدنا هذا غير مرة . فضلاً عما تقتضيه سنة الارتقاء من التحسين المستمر في الاحياء وما يلحق بها . ونحن الآن بين يدي تحسين جديد ننوي ادخالهُ على الهلال من اول السنة القادمة (الثانية والعشرين) يتناول مواضيعه وصفحاته وابوابه وغير ذلك

مواضيع الهلال

اصدرنا الهلال منذ احدى وعشرين سنة لم نغفل في اثنائها عن مراعاة حاجة القراء على اختلاف طبقاتهم من حيث ابوابه واساليبه ومواضيعه وما يلحق به من الكتب . فكان اول ما رأينا الحاجة ماسة اليهِ تاريخ الاسلام والعرب وسائر المشرق لانهُ تاريخ بلادنا ودولتنا وينطوي على تاريخ آدابنا الاجتماعية واحوالنا السياسية . ولم يكن بين ارباب الاقلام يومئذٍ من يلتفت الى هذا الموضوع الا نادراً فتصدينا لهُ واخذنا بنشره في الهلال وغيره على طرق مختلفة — بدأنا بوضعه في قالب روائي يسهل تناوله ويسيغ هضمه . ثم الفنا في فلسفته ونقده بطريق البحث والتنقيب والتحقيق كما فعلنا في تاريخ التمدن الاسلامي وتاريخ العرب قبل الاسلام . فلم تمضِ بضع عشرة سنة حتى تنبهت الاذهان الى تاريخ العرب والاسلام فازداد القراء رغبة في مطالعته واقبل الكتاب على التأليف فيهِ . فرأينا الحاجة تدعو الى كتاب يسهل على المؤلفين البحث في كتب العرب ومعرفة ما يحويه كل كتاب ومكان وجوده بحيث يمكن الوصول اليهِ والاستعانة بهِ فالفنا تاريخ آداب اللغة العربية لهذه الغاية . ونحن الآن في جزئهِ الثالث يصدر في آخر هذه السنة . ويصدر جزءه الرابع وهو تتمة الكتاب في السنة القادمة ان شاء الله

وآنسنا في الاعوام الاخيرة ميلاً في قراء العربية الى المواضيع الاجتماعية والاقتصادية وغيرهما من الابحاث الحيوية فوجهنا العناية اليها وكتبنا فيها والقراء يستزيدوننا منها . وتكاثر طلابها ونشأ من الناشئة طبقة من المفكرين تلذهم هذه الابحاث

فعزمنا على مجاراتهم في رغائبهم وسنكثر من الكتابة فيها في الهلال وملحقاته

ووجدنا من الجهة الاخرى ان الهلال بحجمه الحالي يضيق عما ننوي ادخاله فيه فرأينا ان نزيد صفحاته ١٦ صفحة كل شهر ونوالي التحسين في مواضيعه الاخرى ونزيد عليها ما نرى فيه الفائدة . فضلاً عن اتقان مظاهره من حيث نظافة الطبع وجودة الورق واتقان الصور وغير ذلك . وستصير ابواب الهلال من اول السنة الثانية والعشرين التي يصدر العدد الاول منها في اول اكتوبر القادم على هذه الصورة :

ابواب الهلال من اول السنة الثانية والعشرين

١ المقالات : ومنها يتألف القسم الرئيسي من الهلال وتشتمل على وصف اشهر الحوادث وتراجم اعظم الرجال . ومقالات اجتماعية وتاريخية وتهذيبية واخلاقية وفلسفية وعلمية مما تقتضيه حاجة الامة أو تستدعيه الاحوال الجارية . فلا يخلو هلال من عدة مقالات ضافية في المسائل التي يتحدث بها الناس أو يتوقون الى معرفتها من حيث الاجتماع أو الاقتصاد السياسي او فلسفة التاريخ أو العلم أو الادب او نحوها ونزينها بالرسوم والخرائط حسب الحاجة

٢ السؤال والاقتراح : نكتب فيه مقالات يقترحها القراء او نجيب على الاسئلة في كل موضوع نتوسم فيه فائدة للجمهور

٣ العائلة والمنزل : ننشر فيه وصايا صحية عمومية تفيد العائلات على الخصوص ومقالات تتعلق بتدبير المنزل وشؤونه

٤ عجائب المخلوقات : ننشر ما نقف عليه من غرائب الطبيعة من حيوان او نبات او جماد ونزينه بالرسوم مما تلذ مطالعته وتجزل فائدته

٥ اخبار علمية وصناعية : ضمنها خلاصة ما وصل اليه العلم والصناعة من الاختراعات والاكتشافات

٦ اخبار اجتماعية واقتصادية : ننشر زبدة ما يحدث من الشؤون التي تتعلق بالهيئة الاجتماعية واحوال البلاد الاقتصادية

٧ خواطر وآراء : نلخص فيها آراء مشاهير العلماء والفلاسفة وخواطرهم في كل موضوع

٨ المراسلة والمناظرة : المناظرات التي تقوم بين ادباء العصر في المواضيع المفيدة

٩ تاريخ الشهر : نذكر فيه خلاصة ما يحدث من الاخبار في مصر وخارجها مما يهمّ التاريخ حفظه مع ايضاحها بالرسوم والخرائط

١٠ التقريظ والانتقاد : لدرس ونقد ما يصدر من الكتب الهامة في أثناء الشهر

١١ مطبوعات جديدة : تقتصر في هذا الباب على ذكر ما يصدر من الكتب والجرائد والمجلات ونكتفي بايراد مواضيعها وارشاد القارئ الى اثمانها واماكن وجودها

١٢ رواية تاريخية : تنتهي بانتهاء السنة

بدل الاشتراك

قد علمت ان صفحات الهلال ستزيد ١٦ صفحة كل شهر يجتمع منها في عشرة اشهر ١٦٠ صفحة . فبعد ان كانت صفحاته في السنة ٨٠٠ صارت ٩٦٠ صفحة . فضلاً عن الملحق السنوي الذي يُعطى في آخر السنة بدلاً من الشهرين الاخيرين . وفضلاً عن التحسين الذي سندخله في الابواب والمواضيع . اما بدل الاشتراك فيبقى كما كان نعني ٨٠ غرشاً بمصر و١٠٠ غرش في الخارج

تاريخ آداب اللغة العربية

الجزء الثالث

ملحق السنة الحادية والعشرين

ان ملحق الهلال لهذه السنة هو الجزء الثالث من تاريخ آداب اللغة العربية سيصدر مع جزئها العاشر . وربما اقتضى اصداره تأخير ميعاد ذلك الهلال بضعة عشر يوماً . فيصدران معاً في اواسط يوليو الآتي ان شاء الله

قائمة مكتبة الهلال

لسنة ١٩١٣

صدرت قائمة مكتبة الهلال لسنة ١٩١٣ وهي ترسل مجاناً لمن يطلبها

فرنسا وانكلترا وسويسرا

عمرانها ونظام حكومتها وحضارتها ومتاحفها

وسائر احوالها الاقتصادية والاجتماعية

من رحلة لصاحب الهلال هذا العام (تابع ما قبله)

ثانياً — انكلترا

٧ — متاحفها

١ — المتحف البريطاني

هو اعظم متاحف انكلترا ومن اعظم متاحف العالم . يشتمل على التحف والآثار مثل اللوفر بباريس ويمتاز عنه باشتماله على مكتبة ثمينة يندر مثلها بين مكاتب اوربا . وبناء المتحف فسيح تأسس سنة ١٧٠٠ ونما بناؤه ومحتوياته حتى بلغ ما هو عليه الان فنذكر تحفه التاريخية اولاً ثم نأتي الى مكتبته

دار التحف

هي عبارة عن المنحوتات والمصنوعات والمنقوشات من الآثار التاريخية والفنون الجميلة والتحف والذخائر وغير ذلك ويصح ان يقال في وصفها انها جمعت آثار الانسان من اول عهد العمران الى الان في القارات الخمس . وفيها من كل شيء احسنه مرتبة على الدول والامم في قاعات لآثار الاشوريين والبابليين والفينيقيين والمصريين والحثيين والفرس واليونان والرومان والهند والصين واليابان والعرب في الجاهلية والاسلام وامم اوربا الحية وآثارها وامثلة من مصنوعات الامم المتوحشة وآثارها ومظاهر عاداتها في افريقيا واوستراليا واميركا وجزائر المحيط . ومصنوعات الامم المتمدنة من الفنون الجميلة والتصوير والنقش والحفر وفيها امثلة تدهش الناظر . ولكن

هذا القسم من التحف في اللوفر احسن منه في المتحف البريطاني واوسع . وفي هـذا المتحف مجموعة ثمينـة جداً من النقود قديمها وحديثها ومجموعة للاوسمة وطوابع البريد وغير ذلك - غير آثار الانسان قبل التاريخ

وكل قسم من هذه التحف يشغل عدة قاعات وبينها من النوادر ما لا يوجد عند الامم الاصلية التي اخذت التحف منها . مثال ذلك ان بين التحف المصرية مخطوطات من البردي لا مثيل لها في المتحف المصري بالقاهرة وفيها حجر الرشيد وهي الحجر الذي حلوا منه القلم المصري القديم (الهيروغليف) على اثر حملة بونابرت فان هذا الحجر اتصل الى المتحف البريطاني قبل انشاء المتحف المصري . شاهدناه في صدر الآثار المصرية في خزانة وهو اسود اللون مكسور من اعلاه . وفي المتحف المصري نسخة من هذا الحجر لكنها غير التي استعانوا بها على حل القلم المصري . وهنالك آثار مصرية ثمينة وموميات عديدة ومصنوعات

وقس على ذلك الآثار الاشورية و[illegible] وأمثالها في المتحف البريطاني اغنى منها في سواه وبينها الوف من المحلات [illegible] المسماري بينها القرميدة التي عليها قصة الطوفان كما يرويها [illegible] والعقود والمراسلات وتماثيل قديمة جداً يقال انها نحتت نحو ٤٥٠٠ قبل الميلاد وفيها آثار نينوى وقصور اشورية كاملة نقلت من بين النهرين الى هذا المتحف بجدرانها وسقوفها وتماثيلها . وفي جملتها تماثيل رجال اشتهروا بالتاريخ مثل اسرحدون نقلاً عن صورته على صخر عند نهر الكلب في بيروت وغير ذلك مما يطول شرحه

وهناك قاعات للآثار الدينية على اختلاف الاعصر والامم . وفيها من المشابهة في ظواهرها ما يدهش العقل . ومجموعة للساعات القديمة والحديثة والاسطرلاب وغيرها من صنع الاجيال الوسطى . وقد بحثنا بينها عن الساعة التي اهداها الرشيد لشارلمان فلم نقف على خبرها . وشاهدنا بين هذه التحف تمثال طاوس من فولاذ عليه نقوش فارسية وكتابة عربية وهو تمثال « طاوس » اله اليزيديين جيء به من بلد قرب ديار بكر طوله متر وبعض المتر واقف على قاعدة كالطاسة المقلوبة وعليها نقوش

وفي قاعة المصنوعات الزجاجية مصنوعات عربية من مصابيح وكؤوس ونحوها

عليها كتابة عربية بعضها من القرن الثالث عشر للميلاد و بينها قطع زجاجية عليها كتابة كوفية من عهد الدولة العباسية

وفي قاعات العادات والازياء والمصنوعات الشرقية سيوف بعضها تاريخي ينسب الى بلاده في الهند والصين في جملتها السيوف الدمشقية الشهيرة والفارسية والهندية والافغانية لكل منها شكل خاص . الفارسية منحنية والهندية والافغانية معتدلة و كذلك الدمشقيه لكنها شديدة الصقل . قبضتها من ذهب بعضها بحد واحد والبعض الآخر بحدين . وقس على ذلك السروج واشكالها

مكتبة المتحف البريطاني

يعرف قراء الهلال عن هذه المكتبة بالكتب العربية مما يقرأونه في تاريخ آداب اللغة العربية عن الكتب الموجودة فيها . و يزيد عدد الكتب في هذه المكتبة على مليون كتاب في اللغات المختلفة والمواضيع على اختلاف الاعصر . بينها مجموعة نفيسة من المخطوطات العربية وفيها معرض لتاريخ الخطوط بينها خطوط مشاهير الملوك والقواد والعلماء منها تواقيع معظم الحكام من عهد ريكاردوس الثاني الى الملكة فيكتوريا وتواقيع ملوك آخرين . ومن خطوط مشاهير العلماء وشعراء . . . [illegible] . غير المخطوطات القديمة للكتب المقدسة ولا سيما التوراة في العبرية و [illegible] واليونانية

وهناك مجموع لتاريخ الطباعة فيه امثلة من المطبوعات من اول عهد الطباعة الى الآن منها نسخة من التوراة باللغة الالمانية طبعها غوتنبرج سنة ١٤٥٥ بيعت نسخة منها سنة ١٨٩٧ بمبلغ ٤٠٠٠ جنيه وهي اقدم المطبوعات على الاجمال . ثم قاعات لتاريخ الطباعة في كل مملكة على حدة

وفيها امثلة من الكتب المصورة بالالوان بعضها كتب حوالي القرن العاشر للميلاد ومن المخطوطات الشرقية اقدمها انجيل في العربية والسريانية كتب على رق غزال في القرن العاشر للميلاد . واقدم الكتب المخطوطة في العربية القرآن ومنه نسخة في المكتبة الخديوية يظن انها كتبت في القرن الثامن . ومن المخطوطات العربية المصورة بالمتحف البريطاني مقامات الحريري كتبت في القرن الثالث عشر وقد نشرنا صورة بها في الجزء الثالث من تاريخ آداب اللغة العربية

متاحف اخرى

وفي لندن متاحف اخرى عديدة يطول بنا وصفها اهمها « تيت كاليري » ويسمى متحف الصناعة الانكليزية وهو يشبه متحف لوكسنبرج في باريس فيه امثلة من صنع امهر المصورين والنحاتين الانكليز . اكثرها خيالي يراد به الفن من حيث تشخيص العادات والاخلاق او الوقائع التاريخية تصويراً بالالوان او نحتاً على الرخام. ومن اجمل المنحوتات المتقنة فيه تمثال ولنتن على جواده وصور منحوتة تمثل حادثة الابن الضال ونحوها من الوقائع الشهيرة . ومن الصور صورة المارشال روبرتس على جواده ونابليون على الباخرة التي حملته الى منفاه وأخرى تمثل الطوفان وغير ذلك

ومتحف ولس : اصله من المتاحف الخصوصية اهدته اللادي ولس المتوفاة سنة ١٨٩٧ للامة الانكليزية وهو يساوي ٤٠٠٠٠٠٠ جنيه . واشترت الحكومة المنزل لوضع المتحف فيه بثمانين الف جنيه سنة ١٩٠٠ ويمتاز عن سائر المتاحف بدقة ما يحويه من المصنوعات ويظهر للمتأمل في تحفه ان جامعها تأنق في انتقائها وسخا في ابتياعها وانه ذو ذوق سليم في اصطناعه . ومن جملة ما شاهدناه فيها طملة كتابة من زمن لويس الخامس عشر وصورة الملك جورج الرابع ومصنوعات مختلفة من القرن ١٧ و ١٨ وهناك مجموعة صور محفورة في العاج او الذهب او العظم او منزلة بالميناء في غاية الدقة . ومجموع ساعات واسطرلابات وابر مغطيسية من صنع القرون الاخيرة والات هندسية . ورأينا مصباحاً عربياً عليه كتابة عربية منقول من احد جوامع القاهرة . وهناك قاعة للاسلحة والادراع والمدافع بينها بنادق قبصاتها منزلة بالعاج عليها نقش جميل مدهش ودراع مذهبة نحو ما شاهدناه في برج لندن لكنها اتقن واثمن — وقاعات عديدة للصور الزيتية منها صورة تمثل رحيل يعقوب مع ابنائه الى مصر وغير ذلك من الصور والمحفورات والمصنوعات

ومتحف مدام تيسو : وهو كثير الشبه بمتحف جريفن في باريز فيه مشاهد تاريخية ممثلة بالشمع كما حدثت حتى يتوهم الناظر انه يرى الحقيقة كما هي . كل مشهد في غرفة خاصة منها موقف ولنتن عند سرير نابوليون وهو ميت . وتمثيل موت نلسن ومقتل غوردون في الخرطوم وتولية الملكة فيكتوريا . والملكيون يوقع ما يسمونه «ماجنا كارتا »

ومشاهد أخرى شاهدنا مثلها في متحف غريفن . وتماثيل حديثة منها الملك ادوار وقطان التيتانيك وسان يتسان صاحب الانقلاب الصيني . وجمهور من عظماء الانكليز منهم غلادستون وسالسبوري وتشمبرلن ولويد جورج واسكويث وامبراطور الروس ومفاتيح قمة منس ومشاهير اميركا مثل روزفلت وتافت وغيرهما واذا وقع نظرك على احدهم ظننته ينظر اليك ويوشك ان يخاطبك

ومتحف فيكتوريا والبرت : وهو اثري تاريخي فيه مصنوعات ايطالية قديمة اكثرها ديني . بينها امثلة من طرز البناء الايطالي ومصنوعات ايطالية من البرونز كالطاسات والاباريق والتماثيل والاصنام الصغيرة . وصور صنع طليطلة باسبانيا في اوائل القرن ١٥ وهناك مصنوعات يونانية اكثرها كنسي . وفي بعضها مصنوعات عربية منها قطعة من ابواب كتبوا عليه انه منقول من جامع المؤيد بمصر . وساعة شمسية عليها كتابة عربية كاملة طولها متر وعرضها نحو [illegible] وقطعة من [illegible] سبيل وغير ذلك . ومن التماثيل الضخمة في هذا المتحف مثال من عمود [illegible] في رومية في قطعتين طول كل منهما نحو ٢٠ مترا وعرض [illegible] وهناك عدد كبير من الآثار الدينية وامثلة عديدة من [illegible] ورؤوس عشرات من القواد الرومانيين والقديسين [illegible] نحو ما شاهدناه في متحف كلبي باريس ولاشك ان اصحاب الازياء (المودة) يستفيدون من الاطلاع عليها لوضع الزي الجديد . ومحفورات تمثل حوادث دينية في القرنين ١٣ و ١٤ وعلب وقنال من العاج المحرم في جملتها علبة صنعت في صقلية في القرن ١٣ على الخط العربي عليها صور مذهبة

وفيه مصنوعات اخرى دقيقة تشبه ما في متحف ولس . وقاعات للازياء والملابس حسب الاعصر والبلاد وهي مجموعة نفيسة لتاريخ الالبسة الشرقية والغربية . ويتميز هذا المتحف عن سواه بهذه المصنوعات واتقانها . ومنها سجادة طولها نحو ١٣ مترا كتب عليها « ٩٤٦ للهجرة » وانها حملت من جامع اردبيل وقس على ذلك

ومن المتاحف التي تستحق الذكر في لندن المتحف الوطني (نيشنال كاليري) وهو مجموع مصورات ومصنوعات مثل متحف لوكسنبرج باريس

بلاد الانكليز خارج لندن

جمعت لندن اهم المتاحف والآثار لكن في غيرها كثيراً مما يستحق الذكر . ونذكر منه ما وفقنا الى رؤيته في اثناء هذه الرحلة في كمبريدج واكسفورد ومنشستر

كمبريدج : وجدنا كمبريدج بلداً عامراً بالمدارس والكليات يكاد يكون قوام عمرانه على تلامذة المدارس واساتذتها ومن يلحق بهم . وربما بلغ عددهم جميعاً نحو ٤٠٠٠ نفس . اما اهل البلد فلا يزيدون على ٤٥٠٠٠ نفس . ومما استلفت انتباهنا ابنية تلك المدارس التي يتألف من مجموعها « جامعة كمبريدج » الشهيرة فانها متشابهة الشكل قديمة الطرز وهو طرز الاجيال الوسطى . وابنيتها عبارة عن مربع كل ضلع منه مؤلف من غرف متناسقة صفاً واحداً في ثلاث طبقات بعضها للتعليم والبعض الآخر للاكل او النوم . ووسط المربع حديقة او ساحة عشبية . وفي كل مدرسة كنيسة وتتألف المدرسة الواحدة من ثلاثة مربعات او اربعة متقاربة يتطرق بعضها الى بعض وابواب الغرف صغيرة على نسق واحد بسيط كثيرة الشبه بالابنية الشرقية وقد سهل علينا الاستاذ براون مشاهدة حجرات هذه الابنية وتقدمنا استاذنا الى باب غرفته وهو بابان الواحد وراء الآخر احدهما يغلق من الداخل والآخر من خارج وبينهما فراغ هو ثخانة الحائط فاذا كان الاستاذ في غرفته اغلق الباب الداخلي فقط فاذا خرج اغلق البابين جميعاً

والسبب في بقاء هذه المدارس على الطرز القديم انها تأسست في الاجيال الوسطى فبنيت على طرزها وحافظ اصحابها على ذلك الطرز . وقد وصفنا جامعة كمبريدج وعدد مدارسها وتلامذتها غير مرة في الهلال

وفي كمبريدج متحف لا يذكر بالنظر الى متاحف لندن . لكننا شاهدنا فيه ترساً مستديراً عليه نقوش فارسية بينها اسم السلطان نادرشاه فاذا كان المراد به القائد الفارسي المشهور بهذا الاسم كان هذا الترس من التحف الثمينة

اكسفورد : وهي تشبه كمبريدج من اكثر الوجوه وقد عرفت بجامعتها واشتهرت بمكتبتها المعروفة بمكتبة بودليان فانها من المكاتب النفيسة في الآثار الشرقية . وقد جاء ذكرها مراراً عديدة في اثناء ذكر اماكن الكتب بتاريخ آداب اللغة العربية . وفي

كمبريدج مكتبة ثمينة [illegible] وقد [illegible]
كتب عربية نادرة [illegible]

[illegible]

[illegible]

وقد [illegible] من [illegible] عرفه [illegible]
من [illegible] في [illegible]
الوسعة [illegible] على الاجمال سمعة حسنة وقد [illegible] اكثرهم [illegible]
[illegible] على [illegible] في [illegible]
[illegible] في [illegible]

وساوي بحر كانمو كلامه ومعاملته وسائر احواله وهكذا بانكلترا واميركا . والتجار السوريون في منشستر لهم معاملات واسعة مع ابناء بلادهم في اقطار العالم شرقاً وغرباً ولعملائهم ثقة عظيمة فيهم مثل ثقتهم بالتجار الانكليز . ومن البيوت التجارية السورية في منشستر محلات كحلا وغبريل وجبارة ومطر ومجدلاني وخوري حداد وفرح ومحصوني وغيرهم

ثالثاً — سويسرا

ضاق المقام عن الافاضة في وصف سويسرا وقد زرنا منها جنيف ولوزان وايفيان . وهي من احسن مصايف العالم لوقوعها حول بحيرة من اكبر البحيرات تحف بها الشواطئ المكسوة بالغابات النضرة والقرى العامرة . وكنا لما زرنا الاستانة منذ بضعة اعوام ادهشنا بوسفورها بما على شاطئيه من التلال المكسوة بالاشجار والقصور . وقلنا انها فريدة في العالم فلما شاهدنا جنيف وضواحيها اذا هي كثيرة الشبه بالبوسفور من حيث مناظره الطبيعية

تمثال مولتير في فرني

وفي جنيف بعض المتاحف والمعارض وفيها جامعة شهيرة وكذلك لوزان فان

جامعتها كبيرة . واما ايفان . فقد عرفت بانها العدب يحمل القاني المختومة الى انحاء العالم المتمدن

ونختم كلامنا عن هذه الرحلة بفائدة اجتماعية فلسفية شاهدناها في فرني بجوار جنيف وهي القرية التي قضى فولتير اعوامه الاخيرة فيها . ومنزله هناك معروض للفرجة بما فيه من الآثاث والادوات في غرفة النوم والمكتب والمائدة . مما يبعث على التفكير في مصير الانسان . واما اثر في خاطرنا على الخصوص تمثال لفولتير نصبه اهل القرية في مدخل قريتهم فوق قاعدة من الرخام نقشوا عليها بالفرنساوية ما ترجمته :

« الى فولتير المحسن لفرناي وقد عمر لاهلها اكثر من مئة بيت و بنى لهم كنيسة ومستشفى وحوضاً للماء وسبيلاً وكان يقرضهم النقود بلا ربا . وقد جفف المستنقعات وانشأ اسواقاً للبيع والشراء واطعم اهلها في مجاعة سنة ١٧٧١ »

وقد اعاد هذا التمثال رهة ونحن نعيد قراءة ما نقش عليه . والذي ادهشنا منه قوله « و بنى لهم كنيسة » . فانهم يعرفون موقف فولتير في الكنائس وما يتبعها فكيف يبني للناس كنيسة ? ولكنه لم يسعهم الا ان يفعل ذلك لاعتقاده انها من اهم اسباب سعادتهم . وانهم لا يستغنون عن الدين في معاملاتهم . وفي ذلك عبرة للذين يتوهمون استغناء الناس عن الدين

معهد مصر العلمي

ومجلس المعارف المصري

Institut d'Egypte & Institut Egyptien

لما كانت مباحث الهلال يدور اغلبها حول المواضيع الوطنية المصرية والنهضة الحديثة التي بدأت بزوغ القرن التاسع عشر عنّ لي ان اكتب كلمة عن المعهد العلمي الذي وضع اساسه نابوليون ويعرف خلفه الان باسم « مجلس المعارف المصري » ومقره بجوار نظارة الاشغال العمومية بالقاهرة

ولا يخفى اصحاب التواريخ في اعتبار احتلال الفرنساويين لوادي النيل مدة

الانقلاب الاخير في تاريخ مصر الحديث واخراجها من ظلمات الجهل التي غشيتها في أثناء القرون الماضية الى نور الحضارة والمدنية . واذا أخفق سعيهم في جعل مصر جوهرة في تاج ملكهم فقد افلحوا في بذر بذور المدنية الحديثة مدة احتلالهم القصير — نعني الثلاث السنوات (١٧٩٨ — ١٨٠١) التي قضاها رجال التجريدة العسكرية بين السيف والنار والبحث والتنقيب والتخطيط والتدوين

لم يعزب عن ذهن الشاب قائد الحملة الفرنساوية وهو لم يبلغ الثلاثين من عمره ان يأتي مع حملته الحربية بحملة علمية فيها نخبة من علماء فرنسا حفظوا لحملته ذكراً جميلاً . وهم الفوا معهد مصر العلمي بالقاهرة واعلنوا افتتاحه على اثر دخولهم مصر في ٢٢ اغسطس سنة ١٧٩٨ وعقدت اول جلساته في ٢٤ منه بمنزل حسن كاشف جركس الذي انشئت فيه مدرسة المبتديان بالناصرية قبل هدمه . وفي مكانه اليوم المدرسة السنية للبنات التابعة لنظارة المعارف العمومية

وهو المعهد الذي ادهش المؤرخ المعروف الشيخ عبد الرحمن الجبرتي بما فيه من المعدات والكتب الفلكية وكل شيء احضره الفرنسيس معهم . فوصف ما رآه وصفاً مسهباً في الجزء الثالث من تاريخه من صفحة ٣٤ الى ٣٩ ونجمل بنا نقل مثال منه لان الذين دونوا اخبار الحملة الفرنساوية في عهده قليلون وقد كان شاهداً عين قال :

« وافردوا للمدبرين والفلكيين واهل المعرفة والعلوم الرياضية كالهندسة والهيئة والنقوشات والرسومات والمصورين والكتبة والحساب والمنشئين حارة الناصرية حيث الدرب الجديد وما به من البيوت مثل بيت قاسم بك وامير الحاج المعروف بابي يوسف وبيت حسن جركس القديم والجديد الذي انشأه وشيده وزخرفه وصرف عليه اموالاً عظيمة من مظالم العباد . وعند تمام بيانه وفرشه حدثت هذه الحادثة ففر مع الفارين وتركه . فيه جملة كبيرة من كتبهم وعليها خزان ومباشرون يحفظونها ويحضرونها للطلبة ومن يريد المراجعة فيراجعون فيها مرادهم . فتجتمع الطلبة منهم كل يوم قبل الظهر بساعتين ويجلسون في فسحة المكان المقابلة لخازن الكتب على كراسي منصوبة موازية لتختات عريضة مستطيلة . فيطلب من يريد المراجعة مايشاء منها فيحضرها له الخازن فيتصفحون ويراجعون ويكتبون حتى اسافلهم من العساكر . واذا حضر لهم

بعض المسلمين فمن يريد الفرجـة لا يمنعونه الدخول الى اعز اماكنهم . ويتلقونه بالبشاشة والضحك واظهار السرور بمجيئه اليهم وخصوصاً اذا رأوا فيه قابلية او معرفة او تطلعاً للتطرف في المعارف بذلوا له مودتهم ومحبتهم ويحضرون له انواع الكتب المطبوعة بانواع التصاوير وكرات البلاد والاقاليم والحيوانات والطيور والنباتات وتواريخ القدماء وسير الامم وقصص الانبياء بتصاويرهم وآياتهم ومعجزاتهم وحوادث اممهم مما يحير الافكار . وقد ذهبت اليهم مراراً واطلعوني على ذلك فمن جملة ما رأيته كتاب كبير يشتمل على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وبه صورته الشريفة على قدر مبلغ علمهم واجتهادهم وهو قائم على قدميه ناظراً الى السماء كالمرهب للخليقة وبيده اليمنى السيف وفي اليسرى الكتاب وحوله الصحابة رضي الله عنهم بايديهم السيوف . وفي صفحة أخرى صورة الخلفاء الراشدين وفي الاخرى صورة المعراج والبراق وهو صلى الله عليه وسلم راكب عليه من صخرة بيت المقدس وصورة بيت المقدس والحرم المكي والمدني وكذلك صور الائمة المجتهدين وبقية الخلفاء والسلاطين . ومثال اسلامبول وما فيها من المساجد العظام كآيا صوفيا وجامع السلطان محمد وهيئة المولد النبوي وجمعية اصناف الناس لذلك . وجامع السلطان سليمان وهيئة صلاة الجمعة فيه وابو ايوب الانصاري وهيئة الجنازة فيه وصور البلدان والسواحل والبحار والاهرام وبرابي الصعيد والصور والاشكال والاقلام المرسومة بها وما يختص بكل بلد من اجناس الحيوان والطيور والنبات والاعشاب وعلوم الطب والتشريح والهندسيات وجر الاثقال وكثير من الكتب الاسلامية مترجم بلغتهم . ورأيت عندهم كتاب الشفاء للقاضي عياض ويعبرون عنه بقولهم شفاء شريف والبردة للبوصيري ويحفظون جملة من ابياتها وترجموها بلغتهم . ورأيت بعضهم يحفظ سوراً من القرآن . ولهم تطلع زائد للعلوم واكثرها الرياضة ومعرفة اللغات واجتهاد كبير في معرفة اللغة والمنطق ويدأبون في ذلك الليل والنهار وعندهم كتب معردة لانواع اللغات وتصاريفها واشتقاقاتها بحيث يسهل عليهم نقل ما يريدون من اي لغة كانت الى لغتهم في اقرب وقت . وعند توت الفلكي وتلامذته في مكانهم المختص بهم الالات الفلكية الغريبة المتقنة الصنعة والات الارتفاعات البديعة العجيبة التركيب الغالية الثمن المصنوعة من الصفر المموه وهي تتركب ببراريم مصنوعة بحكمة كل آلة منها عدة

قطع تركب مع بعضها البعض بربطات وبراريم لطيفة بحيث اذا ركبت صارت آلة كبيرة واخذت قدراً من الفراغ ولها نظارات وثقوب ينفذ النظر الى المرئي . واذا انحل تركيبها وضعت في ظرف صغير وكذلك نظارات للنظر في الكواكب وارصادها ومعرفة مقاديرها واجرامها وارتفاعاتها واتصالاتها ومناظراتها وانواع اينكامات والساعات التي تسير بثواني الدقائق الغريبة الشكل الغالية الثمن وغير ذلك

« وافردوا الجماعة منهم بيت ابراهيم كتخدا السناري وهم المصورون لكل شيء ومنهم اريجو المصور وهو يصور صور الادميين تصويراً يظن من يراه انه بارز في الفراغ مجسم يكاد ينطق حتى انه صور صورة المشايخ كل واحد على حدته في دائرة وكذلك غيرهم من الاعيان وعلقوا ذلك في بعض مجالس ساري عسكر . وآخر في مكان اخر يصور الحيوانات والحشرات وآخر يصور الاسماك والحيتان بانواعها واسمائها ويأخذون الحيوان او الحوت الغريب بلادهم فيصبون جسمه بذاته في ماء مصنوع حافظ للجسم فيبقى على حالته وهيئته لايتغير ولا يبلى ولو بقي زماناً طويلا

« وكذلك افردوا اماكن للمهندسين وصناع الدقائق وسكن الحكيم رويا بيت ذي الفقار كتخدا بجوار ذلك . ووضع آلاته ومساحقه واهوانه في ناحية وركب له تنانير وكوانين لتقطير المياه والادهان واستخراج الاملاح وقدوراً عظيمة وبرامات وجعل له مكانا اسفل واعلى ولها رفوف عليها قدر المملوءة بالتراكيب والمعاجين والزجاجات المتنوعة وبها كذلك عدد من الاطباء والجرائحية قد افردوا مكاناً في بيت حسن كاشف لصنعة الحكمة والطب الكيماوي وبنوا فيه تنانير مهندمة وآلات لتقطير المياه وخلاصات المفردات واملاح الارمدة المستخرجة من الاعشاب والنباتات واستخراج المياه الجلاءة والحلالة وحول المكان الداخل قوارير واوان من الزجاج البلوري المختلف الاشكال والهيئات على الرفوف والسلالات وبداخلها انواع المستخرجات .... » اه

ثم ذكر ما شاهده من التجارب الكيماوية والكهربائية وقد اكتفيت بالاشارة اليه

هذا هو معهد مصر العلمي . وتعده فرنسا من مفاخرها ولا عجب ان قرأ الناس في جرائد الامس (مارس ١٩١٣) استقبال النزلاء الفرنسويين بمصر للمسيو كايو كبير وزراء فرنسا سابقاً والمسيو ميلران وزير حربيتها السابق وقد جاء للراحة في

القصبة التي رهنتها الحكومة المصرية على شركة هليوبولس . فانهم احتفلوا بعقدهما واطروا فرنسا وطنهما مهد الحرية والنور . فرد المحتفل بهما وذكرا ما لفرنسا من ايد الطولى في ترقية مصر وحضارتها

وطبع الدكتور ابتا باشا مقالاً بالفرنسية عنوانه « بونابارت ومعهد مصر العلمي » في نشرة مجلس المعارف المصري لسنة ١٨٨٩ استعنت به ايضاً على درس هذا الموضوع . وقد اتفق الرواة ان بونابرت لم تكد قدمه تستقر بالقاهرة حتى بادر الى جمع العلماء الذين جاءوا معه واشهر ضباط حملته والف منهم معهده هذا . لان نابوليون نفسه كان عضواً في المعهد العلمي المسمى بهذا الاسم في فرنسا (Institut National) فاراد ان يكلل فتوحه بتأسيس معهد مثله في مصر وهي الطريق بين الشرق والغرب . وهو اول من فكر في فتح قناة السويس وكلف المهندسين بوضع التخطيط الهندسي بها ثم عاقته العوائق والاضطرابات وخطأ المهندسين بما ذكروه من ارتفاع سطح البحر عن مصر . وعقب ذلك سفره الفجائي في ليلة ٢٢ اغسطس سنة ١٧٩٩ . لكن قدر ان يكون هذا المشروع من نصيب فرنسا . والامور مرهونة باوقاتها . فتم به دلسبس فتح رسمياً في عهد اسماعيل في ١٧ نوفمبر سنة ١٨٦٩

وكان نابوليون قبل مجيئه الى مصر قد اوفد مسيو مونج الى رومية ليوافيه الى مصر ويحضر معه المطبعة العربية من الفاتيكان . وهي اساس المطبعة العربية بمصر . ولم تشغله الاستعدادات الحربية عن تكليف الكتبي بوجنس ليشتري مكتبة مهمة . وفوض اليه ان ينتقي احسن الكتب اللازمة للبحث والاستقراء في مثل الغرض الذي هموا به بحيث ينقلونها الى اي محل ارادوا المراجعة . واقاموا عليها حراساً ومباشرين يعرضونها على الناس كما ذكر الجبرتي . واخذ منذ صعد الى السفينة لوريان من طولون ٢٠ يونيو سنة ١٧٩٨ باعداد خطابه الحماسي الذي جاء فيه « من بونبرت العضو بالمعهد العلمي الاهلي وقائد الحملة . ايها الجنود انكم قادمون على فتح ستكون نتائجه للمدنية وتجارة العالم عظيمة »

وكلف الضابط كافاريلي باعداد ما يلزم لراحة مجريدة العلماء والصناع المذكورين وفيها نحو عشرين من تلاميذ مدرستي المهندسخانة والمعادن بباريس بينهم خمسة من مشاهير علماء فرنسا . اما قراره الذي اسس به المعهد فقد اوضح في المادة الثانية منه

اختصاصاته وهذه خلاصة الغرض منه :

اولاً — نشر المدنية والعلم في مصر

ثانياً — البحث والمطالعة ونشر الحوادث الطبيعية والوقائع التاريخية والصناعية

ثالثاً — اخذ رأي اعضائه في المسائل التي تستشيرهم فيها الحكومة

وحدد في المادة الثالثة منه عدد اعضاء المجمع المذكور وان يكون مؤلفاً من اربعة اقسام في كل قسم اثنا عشر عضواً والكل ثمانية واربعون عضواً من نخبة اركان حربه

هذا هو البذار الذي بدأ بونابرت يبذره في مصر على ان يجعله معهداً علمياً كالمعهد الفرنسي الذي كان يفتخر انه من اعضائه . وهاك اسماء المشهورين من اعضاء معهد مصر العلمي :

في الرياضيات : بونابرت ومونج وفوريه وكوستاس ولوبير وجيرار واندريو وساي

وفي الطبيعيات : برتوليه ودولوميو وكونتي وجيوفروا سان هلر ودوزنيت ولاري

وفي قسم الاقتصاد السياسي : بوريين وديريه ورنيه وكافاريللي دوفلجا وبوسليج وكرانتس

وفي قسم الاداب : ريتوت وكليبر وفنتور دوبار دي وجومار ومارسل ودوم رفايل ده موناكس

وعقدت جلسته الاولى في ٢٤ اغسطس في سراي حسن كاشف المتقدم ذكرها وخصصت القاعة الكبرى للجلسات . وفي هذه السراي وضعوا المطبعة الفرنسية العربية والمعمل الكيماوي ومعرض الطبيعة والمرصد والمكتبة

وانتخب مونج رئيساً وبونابرت نائباً له وفورييه سكرتيراً . ثم انتظم عقد الجلسات الساعة ٧ صباحاً مرتين بالاسبوع . وله نشرة تصدر مرة كل ثلاثة اشهر . ومن المسائل التي اشتغلوا بحلها : على احسن بناء لطواحين الماء والهواء وحفر الآبار في الصحراء واتخاذ الطرق لايصال الماء الى القلعة بالقاهرة وترشيح ماء النيل وتبريده وصناعة الخبز والبيرة والبارود بواسطة المواد الاصلية المستخرجة من القطر نفسه . وكانت طائفة منهم تشتغل بمساحة القطر المصري ورسم الجزر وأخرى تشتغل بالبحث في انواع الحاصلات وابداء الملاحظات العلمية النافعة في الاحوال الطبيعية والفلك والتاريخ الطبيعي . او بالبحث عن احسن الطرق وانفعها والتحسينات التي يمكن ادخالها لترقية الاهلين واسباب معائشهم

بواسطة الآلات . وحفر الترع والاشغال العمومية في النيل والمشروعات المستحسنة في تربة مصر وغير ذلك من المسائل والوسائل النافعة

واسس مارسل مطبعة وانشأ جريدة . وجمع زميله فنتور مجموعة هامة من المخطوطات الشرقية لتكون زينة المكتبة الاهلية بباريس . ونصب آخرون سلكاً تلغرافياً بالقاهرة وانشأوا معامل للصناعة من كل نوع ومستشفيات ووسائل تطهير البلد ودوام تنظيفها على طريقة صحية وتنظيم مياه النيل وصرفها بطرق عادلة . واشتغلوا في اكتشاف اكبر الآثار الفخيمة . وفي تخطيط موقع القناة الفرعونية القديمة التي كانت تصل ممنيس بالقلزم تخطيطاً هندسياً

وقام بونابرت نفسه ومعه مونج وبرتوليه وكافارلي للبحث في المياه التي تخترق صحراء السويس الى سينا والانتفاع بها . واخيراً ارسل تجريدة علمية اثرية الى الوجه القبلي للتنقيب في الخرائب المحفوفة بالاسرار في الكرنك والاقصر ومدينة آبو وقرنة

ولم تطل مدة المعهد لان سفر بونابرت لفجائي وقتل كليبر آل الى انحلاله ورجوع العلماء الى فرنسا . لكنهم اشتغلوا هناك بنشر نتائج اعمالهم في مذكرات عن مصر طبعوها في باريس ظهرت في اربعة مجلدات بقطع الثمن بعنوان Mémoires sur l'Egypte

وكانوا قد طبعوا بالقاهرة جريدتين « كوريه ديجبت » Courrier d'Egypte و« ديكاد اجيبتيان » Décade Egyptienne لنشر الحوادث التي جمعت في اثناء التجريدة لتوزيعها بالقاهرة . ولكن هذه المجموعات اختفت من السنة التاسعة للجمهورية وعوضوها بالمؤلف الذي عنوانه «وصف مصر» Description d'Egypte في عشرة اجزاء بقطع الكامل ومعها ١٢ مجلداً بقطع الكامل ايضاً مع ٨٩٤ لوحة

ظهرت اول حلقة منه سنة ١٨٠٨ والثانية سنة ١٨١٣ . وفي سنة ١٨١٤ توقف العمل نوعاً ثم بعد الصلح عادوا اليه . وبالجملة ان هذا الاثر النفيس لم يتم الا سنة ١٨٢٨ ومن هذا الكتاب نسخة في المكتبة الخديوية لمن اراد مطالعتها

وتقلبت على مصر بعد الحملة الفرنساوية أحوال شتى ذهبت بمشروعات الفرنساويين فيها . حتى اذا صارت الامور الى المغفور له محمد علي باشا كان جل معوله في اصلاحاته على الفرنساويين مما ليس هنا محل الكلام فيه . وانما نحن في عرض الكلام على معهد

مصر العلمي وكيف تقلبت احواله حتى صارت الى ما هي عليه الآن

في سنة ١٨٤٠ تشكلت الجمعية المصرية The Egyptian Society واقتصر اعضاؤها على الاشتغال بالمسائل الفنوية الاثرية . ثم تغير اسمها بجمعية مصر Société d'Egypte وغرضها « جمع الكتب الخاصة بمصر في مكتبة مع ما له مساس بالشعوب التي توالت عليها باختلاف العصور واختلطت بساكنيها او بالماضين الاقدمين »

وفي سنة ١٨٥٩ اجتمع لفيف من العلماء بالثغر الاسكندري واتفقوا على أن يعيدوا لمصر معهدها العلمي الذي أسسه بونابرت وقرروا استبدال اسمه باسم Institut Egyptien « مجلس المعارف المصري » (أو مجلس العرفان كما ترى في القصيدة الآتية) وعقدت اول جلساته في ٦ مايو سنة ١٨٥٩ ثم نقل الى القاهرة سنة ١٨٨٠ . وقد عثرت في محفوظات الدفترخانة المصرية على امرين عاليين أحدهما بالتركية صادر من سعيد باشا بتاريخ ١٠ رجب سنة ١٢٧٦ بشأن تخصيص محل لعقد جلساته واعانته من الحكومة بخمسة آلاف فرنك سنوياً بناء على التماس رئيس الجمعية المصرية كنيك بك . والثاني من اسماعيل باشا في ٩ رجب سنة ١٢٨٧ باعادة صرفه بعد قطعه بمسعى كلوتشي بك رئيس مجلس المعارف المذكور

وفي اول سنة ١٨٩٨ قر قرار الاعضاء بالاجماع على الاحتفال بعيده المئوي في ٢ دسمبر من تلك السنة . وطبعوا لذلك كتاباً خاصاً سموه « الكتاب الذهبي » جمعوا فيه ما القي من المحاضرات وما كتب في مجلس المعارف مع اسماء الاعضاء من عهد تأسيسه وعنوان المقالات التي خطها يراعهم . وفيه صور الوالي محمد سعيد باشا والخديويين الذين خذوا المجلس تحت رعايتهم وهم اسماعيل باشا ومحمد توفيق باشا وعباس حلمي باشا اطال الله ايامه

واجمعوا ايضاً على صنع وسام نقش عليه من جهة Institut d'Egypte 1798 وفي وسطه صورة الاهرام والشمس مشرقة واسم بونابرت ومونج وجومار . علامة على انه قد مضى قرن على تأسيس المعهد الاول . ومن الجهة الاخرى Institut Egyptien دار العلوم المصرية سنة ١٨٥٩ » ومنح للاعضاء العاملين

اما الرؤساء الذين خدموه فهم : كنيك بك من ٦ مايو سنة ١٨٥٩ فسيو توريون

من ١٥ مايو سنة ١٨٦٠ فسيو ماريت من ١٦ مايو سنة ١٨٦١ فسيو دوشامبور سنة ١٨٦٢ فماريت بك ثانية من ١٢ اغسطس سنة ١٨٦٣ فكولوتشي بك من ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٦٨ فماريت باشا ثالثةً من ٢٠ فبراير سنة ١٨٨٠ فجلياردو بك من ١٨ مارس سنة ١٨٨١ فسيو ماسبرو من ٢٣ دسمبر سنة ١٨٨١ فالاستاذ شوينفرث من ٢١ دسمبر سنة ١٨٨٦ فيعقوب ارتين باشا من ٢٨ دسمبر سنة ١٨٨٨ وهو رئيسه اليوم . وقد وضع فيدال بك سكرتيره نبذة في اعماله من وقت تأسيسه تلاها في مؤتمر المستشرقين الدولي السابع المنعقد في فينا سنة ١٨٨٧

وفي الجزء الاول من المذكرات التي قدمها اعضاؤه قصيدتان الاولى للخوري ميخائيل صقير ترجمها رفاعة بك ومرقس بك كابس المحامي بالقاهرة منها :

قد ابدعوا مجلس العرفان منتظماً   كم فيه اظهار مكنون ومكتوم

والبحث في مجلس العرفان مصلحة   لحث ذي العزم في ايجاد معدوم

والثانية طويلة لرفاعة بك رافع الطهطاوي اشار الى المجلس بقوله :

والآن قد تمت حمية   بها حلا ثغر اسكندرية

مذ نشرت اعلامه البهية   احاطت العلوم بالاطلال

وقد عني مرقس بك كابس المذكور بترجمتها الى الفرنسوية وقدم تقريراً عنها طبع في الجزء الاول من المذكرات   توفيق اسكاروس

مصر   مدير القسم الافرنجي بدار الكتب الخديوية

باب الاخبار العلمية

﴿ دفاع الحشرات عن انفسها ﴾ للحشرات طرق عديدة للدفاع عن انفسها وقت الخطر كاللدغ واللسع وتوليد الروائح الكريهة والتكيف حسب المحيط والتظاهر بالموت وغير ذلك . ومن اغرب هذه الطرق افراز بعض الحشرات سائلاً لونه اصفر او احمر تنفر منه اعداؤها فتهرب الحشرة بهذه الواسطة وتخلص من الهلاك . ويظن

﴿ رفات اليازجي ﴾ احتفل محبو العلم والادب بمصر في يونيو الماضي بنقل رفات المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي الى سوريا لتدفن في مدفن العائلة هناك واستقبلها البيروتيون باحتفال يليق بمقام حجة اللغة وامام الانشاء

مطبوعات جديدة

﴿ الاقتصاد السياسي ﴾ صدرت الطبعة الثانية لهذا الكتاب تأليف جيفونس الانكليزي . وقد نقله الى العربية علي ابو الفتوح باشا وكيل المعارف العمومية وكامل بك ابراهيم رئيس نيابة محكمة قنا ومحمد مسعود افندي المحرر الفني بنظارة الداخلية والمرحوم صالح نور الدين افندي من موظفي نظارة المالية . وهي لجنة تألفت منذ نحو عشرين سنة لتعريب مئة مؤلف انتقوها من اسهل المؤلفات مأخذاً وابسطها اسلوباً فبدأوا بهذا الكتاب ونشروه ونفدت طبعته الاولى وقد تشتت عقد الجمعية فاعاد سعادة ابي الفتوح باشا النظر فيه ونقحه وذيله بفوائد هامة . وتولى محمد مسعود افندي اعادة طبعه . وهو من خيرة الكتب في هذا الموضوع . ويطلب من ملتزم طبعه محمد زكي امين افندي في الحلمية الجديدة ومن مكتبة الهلال

﴿ تهذيب الالفاظ العامية ﴾ هو كتاب لغوي علمي تأليف الشيخ محمد علي الدسوقي المدرس بالمدارس الاميرية جمع فيه ابحاثاً جليلة في ادواء اللغة العربية وعلاجها وفي طرق التعريب . وفي تهذيب اللغة العربية وادوار تنقيحها وما اصابها من التحريف على اختلاف مواقعه . واتى بالامثلة الكثيرة من الالفاظ الشائعة على السنة العامة جمعها في مجاميع كل مجموع في موضوع رتب الفاظه على الابجدية . ورتب الصفحة في ثلاثة حقول ذكر في الاول منها اللفظة العامية وفي الثاني ما يقابلها في اللغة الفصحى وفي الثالث المأخذ الذي عول عليه . فهو كالمعجم للالفاظ العامية وما يقابلها في اللغة الفصحى نحو ما فعل المرحوم الشيخ خليل اليازجي في معجمه الذي سماه « الصحيح بين العامي والفصيح » ولم يظهر . ويحتاج هذا العمل الى مشقة واستنباط ونظر . ونحن في حاجة الى امثاله الان والافكار متجهة الى احياء اداب اللغة العربية وضبط مصطلحاتها . ويطلب الكتاب من حضرة المؤلف

﴿ المرشد العام في الصحة والاسقام ﴾ هو كتاب صحي للدكتور محمد صدقي طبيب مستشفى دمنهور ذكر فيه الاسعافات الوقتية والامراض المعدية والقواعد

الصحية وعلاج بعض الامراض العادية مما يضطر الناس الى استدراكه في غياب الطبيب . فهو من الكتب التي لا تستغني عنها العائلات ويستفيد منه الناشئون وهو يطلب من مكتبة الهلال

﴿ نشوء فكرة الله ﴾ هو خلاصة كتاب لجرانت الين الانكليزي في نشوء الاعتقاد بالله وترقي الانسان الى التوحيد وبيان اصول الديانة المسيحية . لسلامه افندي موسى صاحب مقدمة السبرمان . ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة غرش

﴿ خواطر في الحقوق والادب ﴾ لسامي افندي الجريديني المحامي الشهير اسلوب في الكتابة يمتاز بسهولته ووضوحه حتى في اعوص المسائل الحقوقية والاجتماعية مما يدل على نضج تلك المواضيع في ذهنه . ومن بديع خواطره في الحقوق والادب كانت قد نشرت في جريدة الاخبار باوقات متفرقة ولدواع مختلفة . فجمعها في هذا الكتاب وقد اشترط في المقدمة ان يكون القارئ ملما بالمبادي القانونية والاصول الاجتماعية ليسهل عليه فهم ما فيه . ولكن اسلوبه لا يحتاج الى شيء من ذلك . وفي الكتاب مقالات في الربا والطلاق والقمار والازواج والسمسرة والتسجيل والسوريين بمصر وحقوق الملوك وحقوق النساء وحقوق التاليف وغير ذلك

﴿ تاريخ الحرب البلقانية ﴾ صدر الجزء الاول من هذا الكتاب لسليم افندي العقاد الكاتب الصحافي جمع فيه تاريخ الحرب التي نشبت ولا تزال بين الدولة العثمانية ودول البلقان . صدرها بوصف جغرافي لشبه جزيرة البلقان ووصف شعوبها والمسالة الشرقية وتاريخها وما تقلبت عليه واسباب الحرب البلقانية وما تقدمها من المفاوضات والمساعي وتفصيل حال الجيش العثماني والجيش البلغاري وقوادهما وخطة كل منهما . والمعارك التي جرت واسباب النصر وينتهي هذا الجزء بتسليم نادر باشا من وقائع الجيش البلغاري الرابع . وفيه ١٣٠ صفحة فضلاً عن الرسوم والخرائط وهي ١٤ صورة وخريطتان حربيتان . والكتاب جدير بالمطالعة لاهمية موضوعه وحسن اسلوبه . وهو يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ٤ غروش والبريد غرش

﴿ حديقة الجنان في تاريخ لبنان ﴾ هو مطول في تاريخ لبنان لحضرة الخوري اسطفان ضو منشئ مجلة العثماني في مجلدين الاول يتضمن حوادث لبنان من القرن السادس للميلاد الى سنة ١٧٨٨ في ١٤٤ صفحة . والثاني يتضمن ما جرى من حوادثه من هذه السنة الى سنة ١٨٤٢ في ٣٥٤ صفحة . وليته يلحقه بجزء ثالث ينتهي تاريخه فيه الى اليوم . والكتاب يطلب من المخزن العثماني في مناوس البرازيل . ومن سائر المكاتب في بيروت والشام

﴿ دليل لبنان وسوريا ﴾ هو مطول في لبنان وسوريا لبولس افندي مسعد يدخل في اربعة اجزاء كبيرة : الاول في جغرافية لبنان وسوريا والثاني في تاريخها والثالث والرابع في فلسطين وما يليها وغير ذلك . وقد صدر الجزء الاول وهو يشتمل على ابحاث في جو سوريا واقاليمها وطبيعة ارضها وجغرافيتها الطبيعية ومعادنها وما فيها من الحيوان والنبات وما يتعلق بتجارتها وصناعتها وسائر شؤونها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وسكانها وآدابها ولغاتها واصول تمدنها ونهضتها العلمية واسباب رقيها أو تأخرها وغير ذلك . وكل باب من هذه الابواب يفتقر الى بحث وتنقيب ومراجعة وقد استوفى حضرة المؤلف ذلك على اسلوب سهل لا يمل المطالع منه . ويا حبذا لو زاده ايضاحاً بالخرائط والرسوم . والجزء الأول نحو ٤٦٠ صفحة ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة عشرة غروش والبريد غرشان

﴿ تاريخ الجمعية الامبراطورية الارثوذكسية الفلسطينية ﴾ هو تاريخ هذه الجمعية عن ربع قرن تأليف شكري افندي خليل سويدان المرجعيوني بمناسبة الاحتفال بيوبيلها الفضي في بطرسبرج من سنة ١٨٨٢ — ١٩٠٧ وقد زينه بصور قياصرة الروس وغيرهم من الاسرة المالكة وهو يطلب من حضرته في ورشستر ماس باميركا

﴿ منتخبات امين الحداد ﴾ هو مجموع نفيس يتضمن امثلة من نظم المرحوم الشيخ امين الحداد ونثره . فيه كثير من الفوائد الاجتماعية والادبية وفي شهرة هذا الاديب ما يغني عن التقريظ . والكتاب يطلب من مكتبة الهلال

﴿ سلوى الهموم ﴾ هو ديوان يحتوي على ما جادت به قريحة الياس افندي الفران الشاعر المشهور بقول المعنى والقريض من الشعر العامي السوري . وهو مجموع في نيف و ٢٠٠ صفحة تشتمل على منظومات هذا الشاعر في هذا الباب . وقد اصاب بتسميته سلوى الهموم لما حواه من الاقوال اللذيذة في كل موضوع . ونود لو انه أرسل القريحة العامية على هواها ولم يتأنق بادخال الالفاظ الفصيحة عليها . وهو يعد ذلك اتماماً ونحن نعده تشويهاً . وادخال الفصيح على العامي كادخال اللفظ العامي على النظم الفصيح . ولذلك كان احسن منظوماته في نظرنا اقلها عناية وتأنقاً . وهو يطلب من مطبعة مرآة الغرب في نيويورك وثمنه عشرون غرشاً

﴿ سحر بابل وسجع البلابل ﴾ هو ديوان شعر السيد جعفر الحلي النجفي في ٤٤٦ صفحة ويطلب من مطبعة العرفان في صيدا وثمن النسخة نصف ريال

﴿ الادب العصري في مصر ﴾ تأليف الشيخ محمد سليمان من خريجي القسم العالي بمدرسة القضاء الشرعي فيه نخب من اقوال ادباء العصر ويطلب من حـ

﴿ الارشاد الى تربية العقل ﴾ هو كتاب في التربية وفلسفتها وشروطها محمد علي المركي طبيب مستشفى المنيا الاميري ثمن النسخة ١٢ غرشاً ويطلب من

﴿ الخلاصة القانونية ﴾ يبحث في الاحوال الشخصية لكنيسة الارثوذكسيين تأليف المرحوم ايغومانوس فيلوثاوس رئيس الكنيسة الكبرى . وقد شرحه ونشره جرجس افندي فيلوثاوس عوض صاحب المجلة ويطلب من حضرته

﴿ مبكر الغيث ﴾ ديوان شعر من نظم محمد افندي رمزي نظيم جمع فيه طائفة من شعره . ويطلب من حضرته في القاهرة

﴿ ديوان شكري ﴾ ظهر الجزء الثاني من ديوان عبد الرحمن افندي شكري وفي صدره مقدمة في الشعر ومزاياه نفيسة ويطلب من حضرته

﴿ صلاح الدين ومكايد الحشاشين ﴾ هي الحلقة السادسة عشرة من سلسلة روايات تاريخ الاسلام لمنشئ الهلال . تطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة عشرة غروش والبريد غرش ونصف

خاتمة السنة الحادية والعشرين

نختم هذه السنة من الهلال بحمد الله على ما لقيناه من اقبال القراء ونصرة ارباب الاقلام مما حبب الينا توسيع نطاق الهلال وتحسين مواضيعه وزيادة صفحاته من اول سنته القادمة . عملاً بالقاعدة التي وضعناها منذ انشاء الهلال وهي : كلما زادنا القراء اقبالاً زدناهم تحسيناً . وقد فصلنا ذلك في المقالة الافتتاحية فتكون صفحات الهلال من اكتوبر القادم ٩٦ صفحة بدلاً من ٨٠ بلا زيادة في الاشتراك والله الموفق على كل حال